الإمام آية الله
الشيخ محمد مهدي شمس الدين
رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

عاشوراء

(١)

مجموعة محاضرات

١٤٠١ - ١٤٠٩ هـ
١٩٨٠ - ١٩٨٨ م








Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عَاشُورَاء

١٤٠١ - ١٤٠٩هـ

١٩٨٠ - ١٩٨٨م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



بيروت: بئر العبد - مقابل مدرسة قصر الصنوبر
تلفون: ٨٢٤٧٩٥ خليوي: ٨٦٦٠٤٤/٠٣
ص. ب: ٢٥/٢٤٧ الغبيري

الإمام آية الله
الشيخ محمد مهدي شمس الدين
رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان



مجموعة محاضرات

١٤٠١-١٤٠٩ هـ

١٩٨٠- ١٩٨٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين،

وبعد، فان ذكرى عاشوراء التي يحتفل بها المسلمون كل عام في بداية السنة الهجرية،ما هي الا تجديد للعهد لآل البيت النبوي الشريف والعترة الاطهار، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. ذلك لما في تلك الايام من وقائع حدثت سنة ٦١ هجرية، عندما وقف الحسين بن علي بن ابي طالب، ابن فاطمة لزهراء بنت محمد (ص)، في وجه الظلم والجور مدافعا عن الحق رغم قلة المعين وخذلان الناصر.

وقف الحسين هو واهل بيته ونفر من اصحابه ليسطروا ملحمة بطولية خالدة.

وهذا الكتاب الذي يحتوي على خطب لسماحة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، التي القاها في مناسبة عاشوراء وفي سنين مختلفة، واماكن متفرقة .

وهي بعض من محاولات اراد سماحته ان يبين حقيقة تلك الثورة، وتفاعلها مع المجتمع من جهة، وتفاعل المجتمع معها (واقعا) من جهة اخرى، وكيف يكون هذا التفاعل بالشكل الصحيح والواقع الصادق دون الخروج مع العاطفة عن جادة الصواب.

سميناه *عاشوراء،* وسيليه اجزاء اخرى بعون الله.

تفخر المؤسسة الدولية للدراسات وللنشر بأن تنشر هذه الافكـار الجليلة والقبسات النيرة لهذا الشيخ الجليل، لغنـي عن التعريـف فألآثـار تدل على الرجال .

سائلين الله سبحانه وتعـالى التوفيق والتسـديد لسـماحته، وأملنـا بالله كبير ان يبقى ظلا وارفا لهذه الامة الاسلامية جمعاء، يمدهم بالعلم والفكر والعمل .

وهو ولي التوفيق

المؤسسة الدولية للدراسات والنشر

بيروت – لبنان١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى الحسين (ع) ليست ذكرى خاصة

السلام على أبي الشهداء وأبنائه وجميع شهداء المسلمين.

نعود في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، إلى هذه الذكرى الحسينية التي يجب أن يدخل عليها تصحيح أساسي، على الذين يحيونها من المسلمين، ومن قبل الذين يعتبرونها شأناً يخص فريقاً من المسلمين.

هناك خطأ أساسي فكري وتاريخي عزز على مدى القرون وصيغته اجتماعية وفكرية في المجتمع الإسلامي وأحد جوانبه فهم الثورة الحسينية وطريقة تناولها.

نحن نتشرف الآن باحياء هذه الذكرى، في بيت من بيوت العلم في (العاملية)، وهذا يجب أن يكون حافزاً لنا على أن نواجه الخطأ في فهم الذكرى والنظر إليها بروح العلم.

على مدى التاريخ المتأخر في الإسلام، من العصر البويهي، ولدواع طائفية محضة، أعطيت هذه الذكرى مضموناً شيعياً، وكان تزويراً حقيراً وإجرامياً في حق هذه الذكرى، وتزويراً للتاريخ واستغلالاً، على أننا نكن احتراماً للبويهيين، ولكنهم زوروا التاريخ، وسرقوا الذكرى، وأعطوها مفهومهم الطائفي على حساب جوانبها الإسلامية، وكان من خطأ أرباب الفكر في ذلك أنهم

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/ محرم/ ١٤٠١ هـ ـ ١٨/ تشرين الثاني / ١٩٨٠م .

استجابوا لهذا التغيير، ودرج المسلمون من ذلك الحال وإلى العصر الحديث على هذا اللون من الفهم التاريخي والمزور والمخالف لروح الإسلام ولحقيقة التاريخ الإسلامي.

هذه مسألة أقولها من مواقع المسؤولية أمام الله، لأننا وصلنا في لبنان وفي العالمين العربي والإسلامي إلى مرحلة تنذر بالكارثة، من هنا أخطر مادة نتعامل معها هي مادة التاريخ وهي مادة حيّة تتجدد باستمرار.

الشيعة مخطئون في فهمهم لهذه الذكرى على أنها ذكراهم، هم ينسبون إليهم وحدهم ذكرى هي ليست لهم وحدهم بالتأكيد، ولم يحدث في التاريخ الإسلامي أن كان هناك رأي واحد، حتى في زمن رسول الله كانت هناك آراء في معالجة قضاياهم الصغيرة والكبيرة واستحدثت هذه الآراء حتى سنة ستين للهجرة إبان حكم (يزيد) الذي لم يعارضه شيعة أهل البيت وحدهم بل الكثير من المسلمين أمثال عبد الله بن الزبير وعبدالله بن عمر، والمذاهب لم تكن موجودة، كان هناك رجال ثائرون مسلمون. وفي (كربلاء) نفسها من يستطيع أن يؤكد أنه لم يكن في الجيش الأموي شيعة في جمهور الكوفيين الذين زيدت أعطياتهم مائة بالمائة، وأنه لم يكن فيهم الشيعي؟ لا يوجد مؤرخ أو عالم يتقي الله ويحترم نفسه يؤكد ذلك ونحن نعلم بالتأكيد أن في أصحاب الحسين الذين سفكت دماؤهم معه مسلمين.

ان ثورة الحسين إسلامية وفكراً إسلامياً، ومن كونها كذلك فهي من اسلام القرن الأول الطاهر البهي، الإسلام الإنساني الذي يختص الناس جميعاً حتى غير المسلمين ويريد ويقر العدالة والكرامة والحرية للناس جميعاً حتى لغير المسلمين.

عمر بن الخطاب قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

علي بن أبي طالب قال: «لا تكن عبد غيرك وقد وجعلك الله حراً»[1]، الله تعالى قال: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[2] لا عرق ولا لون ولا عصبية، من هذا المفهوم يجب أن يواجه أهل الفكر وأهل العلم وأهل السياسة الذين يتقون الله في

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧.

أنفسهم وفي الناس أن يواجهوا هذه الحقيقة بشجاعة يحمدهم الله والناس عليها بالتأكيد، لا أتكلم في ذكرى شيعية، نحيي جميعاً ذكرى إسلامية تتمثل من خلال ثورة الحسين تراثاً إسلامياً، لأن حركات التاريخ الكبرى على قسمين، قسم منها يعالج أموراً وقتية آنية عارضة للناس وقسم يعالج قضايا الوضعية الإنسانية، الكرامة، الحرية، طبيعة الحكم وعلاقته بالناس العاديين كم في الحكم من الإنسانية ومن الصنمية التي عبر عنها رسول الله بالكسروية والقيصرية . .

هذه الحركات لا تنقضي بانقضاء وقتها لأنها تباشر الوضعية الإنسانية على مدى التاريخ فالناس كما كانوا، حبهم، خوفهم، آمالهم، كراماتهم، هي من خلق الله، وحتى يرث الأرض ومن عليها الذي يتغير هو طرق الاتصال والهموم واحدة في كل حال والإنسان واحد في جميع العصور وجميع الأزمان، حركات التاريخ التي تتعامل مع أصول الوضعية الإنسانية لا تنحصر بجيل وإنما تغدوا عنصراً ثابتاً في ضمير الأمة وتنبعث في كل عصر وكل جيل من خلال أشخاص وجماعات أخرى من أجل نفس الأهداف والمنطلقات والآمال.

الحسين يتجدد مع أصحابه، وكربلاء نفسها تتجدد لنفس الأسباب ولنفس الأهداف هذه الثورة الظاهرة التاريخية، لأن الثورة الحسينية انبثقت في الأساس من حركة احتجاج على وضع غير عادل وغير إنساني وصيغة علاج يؤنسن الحكم ولجبل الصلة بينه وبين الناس متضمنة للعدالة قال الإمام الحسين (ع): «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر»[1]. والمعروف والمنكر يمكن أن نضع مكانهما أي مصطلح سياسي من وقتنا الحاضر.

من هنا من كون ثورة الحسين تعالج الوضعية الإنسانية الأساسية نعود في كل حين وليس في كل عام إلى الحسين نتعلم منه ونرى فيه درساً متجدداً من دروس القرآن والحسين كبر وظهر لا لأنه ابن فاطمة وعلي بل بالقرآن كبر الحسين .

هذه الحقيقة النهائية والمطلقة في وجودنا الفكري ، هي القرآن الذي يجمعنا

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

دروسا متجددة من دروس القرآن ، كون القرآن رفيع المستوى . فالقرآن الذي تحول في عصور الانحطاط إلى نص كريم هو في أساسه نص إلهي.

الإنسان قد يكون وضيع الذات وقد لا يكون محقق الذات وقد يكون كما في شأن كل الباحثين عن ذواتهم لا ينتمي الى اطاره البشري والإنساني والجغرافي . . .

هذه وجوه لقضية الإنسان الكبرى بحثه عن ذاته وانتمائه إلى عالمه قضية أنسنة الحكم حتى لا يكون الناس عبيداً للطغيان أو مخدوعاً بديمقراطية كاذبة . . . .

كرامة الإنسان وأمنه وحريته وقدرته على العيش بشرف وعلى الإبداع هي قضايا جانبية تعود إلى مسألة العلاقة الإنسانية بين الحكم والمحكوم وتتلخص في قضية طريقة الحكم وأجهزته وأدواته في التعاون مع المحكومين. . . .

لهذا فإننا نرى الحسين (ع) روحاً وفكراً وحركة في كل كائن عادل من أجل قضية عادلة في كل إنسان ينجح على التكلم وفي كل جماعة لا ترضى بالتكلم ولا ترضخ له نراه في الإمام السيد موسى الصدر الإمام الأسير الذي ثار على الظلم في لبنان والنازل بالوطن وطوف في العقول والقلوب والآفاق تخبأ من الحلول فكان مصيره الأسر والاختطاف.

نرى الحسين في الإمام الخميني المنتصر على عرش الطاووس والأحلام الجاهلة لدى الشاه والاستعمار. . . المنتصر بالإسلام الثائر الحي لأجل المستضعفين ولجميع المسلمين. . كما نراه في هذه الأيام في عيون المجاهدين المسلمين في ايران الذين يجودون بدمائهم عن قضية العالم الثالث ضد الهجمة الامبريالية على الجمهورية الإسلامية الإيرانية لإجهاض امكانية انبعاث قوة ثالثة لا شرقية ولا غربية وعلى أية امكانية لمجابهة الصهيونية الباغية في فلسطين. . . . ونرى الإمام الخميني في المجاهدين الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها الذين يصونون شرف الإسلام والعروبة ويسقون بدمائهم مستقبل الأمة.

هذا المستقبل الذي لا يولد في آبار النفط بل في أرض فلسطين. ونرى الحسين في عيون أطفال الجنوب وجميع المحرومين في أي مكان من لبنان مسلمين ومسيحيين.

هؤلاء الذين غدت حياتهم عذاباً وآمالهم سراباً تحت سلطة حزبية طاغية باغية أو في وهم سلطة رسمية غائبة ومنهكة. . . في لبنان لماذا حدث ما حدث؟ لماذا وصلنا إلى ما نحن عليه؟. . لماذا الحرب بين الأهل؟ لماذا تعادى الناس؟ تـحاربوا تقاطعَ الأحبة بعد أن كانوا متجاوزين لكل السدود.

الأسلوب الذي اتبع في معالجة مشاكل الوطن والمواطنين كون المناخات وأوجد القابليات لكل ما نتج من شك وتربص وخوف وفتح الأبواب أمام كل الرياح .

نحن فتحنـا النوافـذ لكل المؤمـرات تحت أمـاني مجنونـة فارغـة فكـانت النتيجـة الخوف الكبيـر والشلل الكبير والمستقبـل الغامض ، النـظام الطائفي ، الـطائفية ، السيـاسـة القـائمـة على الاقـطاع السيـاسي تكـرس ونمـا وأدرج في المسائل الاجتماعية وتسلط على المناطق وفقاً لتوازنات تهمل كل تمثيل حقيقي في الغالب وهو الذي ولد الظلم والتسلط والحرمـان ونزع من الإنسـان المحروم شعوره بالمواطنية والانتماء وجعله على ما هو عليه أمـام كل داعيـة مضلل . . . ولقد عشنا مع عقلية هذا النظام وأسلوبه في التعامل مع المشـاكل فلم نجـد إلا الأوهام وكانت آخر تجربة لنا تجربتنا مع الإمام موسى الصدر هذا الرجـل الذي عمل من أجل لبنان . وقضيتنا مع مجلس الجنوب ليكون عوناً للمواطن في الجنوب .

التعامل مع قضية السيد موسى الصدر قضية كرامتنا، قضية كرامة لبنان واجهنا الإهمال من الدولة ومن الحكومتين المتعاقبتين أو كل الحكومات.

وفي مجلس الجنوب واجهنا الإهمال. . . وقبل ذلك كانت هناك مئات التجارب ذات الطابع الإنمائي فشلت كلها أمام الأسلوب المتبع. . .

هذا واقـــع خيبات الأمل. . . ماذا ولدت ماذا تنتظرون أن تواجه خيبات الأمل. . . هذه الحقيقة ولدت حقيقة جديدة في انسان جديد واع لحقيقة وضعه طامح إلى العدالة عامل في سبيل بلوغها بكل سبيل أشد وطنية أكثر منه في أي وقت مضى. . . أشد رفضاً للظلم والحرمان. تعلم أن يقول كلمة «لا» وكلمة «لا» في تاريخ الشخصية السياسية نضال عريق. . . تعلم أن يقول كلمة «لا» للواقع الذي كان يقبل به مخدوعاً. . .

كلمة «لا» لا تتوخى الهدم أو التخريب لأنها ولدت في مناخ انسان محكوم بالأخلاق الإنسانية ترفض التكلم والتسلط والحرمان ولا تريدها لأحد تتوخى العدالة والكرامة والحرية للإنسان مهما كان مذهبه الطائفي والسياسي . . . كلمة «لا» ولدت في مناخ إنساني إسلامي لتعارض الأسلوب وتصححه في سبيل المساواة والعدالة.

من على هذا المنبر في مثل هذا اليوم من العام الماضي قلت توجد في لبنان صيغ شتى للحكم والتعامل مع الوضع القائم وكررتها وأقولها وسنبقى جميعاً عليها:

نحن أصحاب نظرية الدولة سلطة الدولة حكم الدولة وجيش الدولة ادارة الدولة مؤسسات الدولة دعم سلطة الدولة وتعزيزها مقابل أية جهة أخرى كائنة ما كانت مقابل من يريد أن يفرض السلطة.

الحركة الوطنية أو الجبهة اللبنانية لا تزال حتى الآن على هذا الموقف. نحن مع الدولة وسلطتها الرسمية على كل لبنان وضد كل متسلط على أية منطقة من لبنان وأي شارع وأي حي. وعلى أية جهة لبنانية وتحت أي شعار كان، هذه حقيقة أكررها وأؤكدها . . .

التسليم للدولة بسلطتها وممارسة أسلوبها وطريقة تعاملها لا يعني أبداً أن نسكت عن اخطاء الدولة التي نستطيع أن نتفاداها ولا عن تعجيز الدولة ومنعها من أن تظلم أحداً حين يحدث هذا لا تعود هناك دولة تحمى ولا دولة تصان .

هذه الدولة نريدها أن تحكم بالعدل وتنشر سلطتها وفي الوقت نفسه سنحاسبها من موقع المحاسب القاسي الذي لا يداري من موقف وموقع الكلمة (لا) من دون مواربة ومن دون محاباة . . .

في الماضي كنّا نتحدث كثيراً عن الجنوب وفلسطين وقضايا، غدوت أشعر أن الحديث عنها هو لوك للكلام لأننا لا نملك أي معطى حقيقي ما دام حالنا على ما نحن عليه نقود البلاد ونسوسها بنفس العقلية والروحية قبل عشرين سنة. في ظل الأمن والأمان.

هذا كله تغير وينبغي أن يكون للحكم رؤوسه سنعلن الحكم مغامرة

مستقبـل . قرار لا بـد أن يحدث حتى نخـرج ممـا نحن فيـه . في مـواجهـات قضايا التاريخ لا بد من روح الشجاعة الأدبية وقول الحقيقة وهذا ما يجب أن يتحقق فيها على مستوى الحكم والجماعات والشعب . .

نسأل الله أن يرزقنا شجاعة قول الحقيقة بوضوح ونسعى إليها بوضوح وأن نكون عادلين نرفض الحكم كما فعل الحسين (ع)، حتى نتمتع بجميع الحقوق دون افتات وبدون ظلم.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبـركاته



الذكرى الحسينية

مناسبة للتربية واحتواء المفاهيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً، ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى الأخ الإمام القائد السيد موسى الصدر الذي نفتقده في كل ساعة وفي كل يوم من أيام عملنا الذي أرادت أيدي الخيانة والغدر في ليبيا وفي غير ليبيا أن تحتجزه لتحتجز به نهضة وثورة.. وأرادت أن تغيّبه لتخفي به روحاً عالمة، وإرادة جازمة.. فإن يد الخيانة والغدر في ليبيا وفي غير ليبيا خافت منه.. خافت من وعيه، وخافت من نهضتكم، وخافت من مطالبكم، وخُيِّل إليها، إلى هذه اليد الغادرة، أنها تستطيع أن تضع حداً لهذه النهضة، ولهذه الثورة بإخفاء مفجرها وقائدها، ولكن كما نعلم جميعاً، حَبُط عملهم، لأن النهضات المحقة هي شيء من صنع الله، وهي نور من نور الله، والكافرون يحاولون دائماً أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن الدجالين والمنافقين يسقطون ويبقى نور الله.

والتاريخ يتكرر، كما أراد يزيد بن معاوية أن يسقط نور الله في كربلاء،

(*) ألقيت بتاريخ ٣/ محرم/ ١٤٠٢ هـ - ٣١/ تشرين الأول/ ١٩٨١ م في حسينية الشياح.

فتحول العالم إلى كربلاء.

النظام اليزيدي في ليبيا أراد بإخفاء الإمام موسى الصدر ورفيقيه الأخوين فضيلة الشيخ محمد يعقوب والسيد عباس بدر الدين أن يطفىء نور الله فيكم، هذا النظام الذي بواسطة عملائه وأمواله يحاول أن يدخل من جديد إلى صميم القضيّة اللبنانية وأن ينال البركة من الحركة الوطنية اللبنانية.

التحية والسلام إلى الإمام القائد السيد موسى الصدر الذي ستسقط جميع المراهنات على نسيان قضيته وإهمالها، والذي ستبقى قضية الروح المحركة والحية في كل عمل.

والتحية والسلام إلى شهداء حركة أمل المؤمنين المجاهدين رضوان الله عليهم أجمعين.

والسلام إلى شهداء الإسلام وإلى مجاهدي الإسلام في ايران وفي كل مكان من بلاد الإسلام، وإلى المناضلين في سبيل حرية وكرامة الإنسان.

والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته. نشكر الله تعالى على نعمته علينا في هذا اللقاء الذي قدمه إلينا الإمام الحسين، والذي أقامته لنا ذكرى استشهاده.

هذا اللقاء الذي نجدد فيه العهد مع أنفسنا ومع الله على أن نكون مؤمنين حسنيين في خدمة قضايانا، في خدمة مسيرتنا.

ولكن كيف ننتفع من هذا اللقاء الحسيني، وما هو المضمون الذي يحمله هذا اللقاء والذي نخرج به من عاشوراء؟.

هنا أبدأ عرض طروحات في فهم العاشوراء.

الطرح التقليدي الذي جرى عليه الناس دائماً. وهو أن عاشوراء مناسبة للحزن ومناسبة للبكاء، لأن البكاء على الحسين وعلى آل الحسين وأصحاب الحسين هو سبيل إلى رضوان الله وإلى نيل الحظوة عند الله وكسب الحسنات والثواب من الله. الحزن فقط.. نأتي ونسمع السيرة الحسينية ونحزن ونبكي ثم نخرجُ ونستأنفُ حياتنا كما كانت، وتبقى مفاهيمنا كما كانت.

هذا مفهوم.. وهذا المفهوم خطأ.

المفهوم الثاني، هو آن هذه الذكرى، وهذه المناسبة عند البعض هي مناسبة لسماع التاريخ. . سماعُ قصته، والإطّلاع على التاريخ من خطباء هذا المنبر الحسيني وزيادة الثقافة، زيادة المعلومات. . وفي الطريق يوجد الثواب من عند الله لحضور هذا المجلس، هذا أيضاً خطأ.

ليست الذكرى الحسينية مناسبة للحزن وحده، وليست مناسبة للثقافة المجردة.

الذكرى الحسينية كما أرادها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم هي مناسبة للتربية، ومناسبة لاحتواء المفاهيم الجديدة وتطبيق المفاهيم الجديدة.

ما هي حقيقة الثورة الحسينية بعيداً عن القصّة والتاريخ ؟
ما هي حقيقة الثورة الحسينية؟

المفهوم الشائع أنَّ الحسين خرج، رفض البيعة ليـزيـد بن معاوية، خرج من المدينة ثم خرج من مكة، وجاء إلى كربلاء مطالبا بحقه.

له حق، في أن يكون هو الحاكم بدلاً من يزيد بن معاوية، ويزيد أخذ منه الحكم، فهو جاء ينازعُ يزيداً على حقه في الحكم، وظلَمه يزيد وقتله مع أصحابه، فأصبح الحسين مظلوماً.

هذا المفهوم في مضمون الثورة الحسينية هو تقزيمٌ وتضييـق لمفهوم هذه الثورة، هي ليست نزاعاً بين شخصين، بين الحسين وبين يزيد، كما أنَّ النزاع بين علي ومعاوية لم يكن نزاعاً بين شخصين، كما أنَّ النزاع بين النبيّ وأبي سفيان لم يكن نزاعاً بين شخصين.

هو نزاعٌ بين خطين، بين فهمين، بين أسلوبين، هو ليس نزاعاً شخصيّاً.

الحسين مظلوم!

هو مظلومٌ بلا شك، لكنْ، مظلوم من بعد ماذا؟

يمكن لإنسان أن يكون عنده مبلغ من المال، ثم يأتي إليه لصوصٌ فيهجمون على البيت، يريدن أنْ يأخذوا ماله الشخصي، وهو ككل إنسان كريم يُدافع عن ماله، فيُقتل، فيكون مَظلوماً.

مظلومٌ لأنَّه قُتِل دفاعاً عن أمواله الشخصيّة، وعن ممتلكاته الشخصيَّة.

هل الحسين مظلومٌ بهذا المفهوم؟
قُتِل دفاعاً عن حقِّه في كرسيِّ الحكم؟
أم أنَّه مظلومٌ لسببٍ آخر غير هذا؟

الحقيقة أنَّه مظلومٌ وثائر وشهيدٌ لسببٍ آخر، غير السبب الشخصيّ.

في ذلك الزمان، كان هناك أناسٌ مثلكم ومثلنا.. أناسٌ مسلمون أو غير مسلمين، لهم كرامات، ولهم حقوق ويخافون، ولهم آمال. آباء لهم أولاد، وأمهات لهنّ أولاد، وأزواج لهم زوجات، وزوجات لهن أزواج.

أناسٌ مثلنا.

هؤلاء النّاس كانوا مظلومين، كانوا محاربين في رزقهم، لأنَّ بني أمية وأعوان بني أميَّة، كانوا يستغلّون البشر، كانوا يسمّون الناس رعاة.

هؤلاء الناس الذين كانوا مثلنا، كان لهم آمال في المستقبل... كلُّ إنسانٍ له آمال في المستقبل.

النظام الأموي كان يقطع الأمل عن الناس يجعلهم خائفين على مستقبلهم، خائفين على مستقبل أولادهم، هؤلاء كانوا مسلمين وغير مسلمين.

أتحدّث بالنسبة إلى هذه النقطة عن المسلمين.

كان بنو أميّة يشوّهون إسلامهم، يشوّهون فكرهم، يشوهون عقائدهم بأمثال المرتزقة من واضعي الحديث النبوي الشريف في بعض الصحابة.

بعض التابعين، كانوا بالهجرة يضعون الروايات مصطنعة تشوّه حقيقة الإسلام، .

هؤلاء النّاس الذين هم مثلنا في هذا الزمان كانوا هم قضية الحسين.

قضيته لم تكن الكرسي، قضيته لم تكن الإمتيازات الشخصيّة والعائلية وإنما كانت قضية الناس، رزق الناس، كرامة النّاس، مستقبل النّاس، بقاءُ الإسلام.

كانت هذه قضية الامام الحسين، كان ممكناً جداً، كان ممكناً أن ينال

الحسين أرفع المراكز في المجتمع الاسلامي في ذلك الحين ، ويسكت ويترك قضية الناس، يقول أنا عاجز وأنا لا أتمكن . . .

الله ، الله في نفسي وفي أولادي ، وفي إخواني وفي عشيرتي، ويسكت، ولكنه لم يستطع أنْ يسكت، لأنَّ قضية النَّاس هي قضيته، لأنَّه عندما ثار الحسين، دائماً معنى وجوده هو النَّاس، هو أن يكون حاملاً لقضية البشر.

حاول أيام معاوية، وفيما بعد في أيام يزيد، حاول بكل جهده أنْ ينقذ، أنْ يصحّح ففشل، لم يستطع أنْ يصحّح مسيرة الحكم، ولم يستطع أن يصحّح مسيرة الدولة فاختار قضية الثورة اليائسة . . الثورة لم يكن فيها أيُّ أملٍ بالنجاح، كان مجرد احتجاجٍ دمويٍّ كبير . . لماذا؟

لأجل النّـاس.

هنا نأتي إلى النّاس. كلنا نعلم أنَّ الناس الذين ثار من أجلهم، وقُتل من أجلهم، كان معه منهم مئة وعدّة رجال، وفي المقابل كان يوجد عشرات الألوف شاهرين سيوفهم عليه.

وفي اليوم العاشر من المحرّم، في عشية اليوم التاسع مسـاءً، تفرّق الجميع ، أصبح اليوم العاشر ومجموع مَنْ مع الحسين من أصحابه وأهل بيته أقلّ من مئة وعشرين رجلاً.

أين هؤلاء الناس الذين ثار من أجلهم؟

هؤلاء الناس كانوا على قسمين، قسم مقهورٌ ومحكومٌ لنظام عسكري، لنظام قمعي ، لا يستطيع أن يتحرك، وقسم بالعكس كان قادراً على التحرّك ولكنه أخذ أحد موقفين، إما أنّه سكت، أو أنّه جرّدَ سيفه ضد الحسين.

سمعتم، ولا شك كلمة الشخص الذي سأله الإمام الحسين عن أهل الكوفة، قال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم عليك. . قلوب كل النّاس معه، بعض النَّاس قلوبهم معه وسيـوفهم عليه، وبعض النَّـاس قلوبهم معه وهم محايدون، نموذجهم زهير بن القين الذي خرج من الكوفة لئلا يشهد المعركة، يريد أن يكون على الحياد، لماذا؟ هي من أجل الناس، من أجل البسطاء، من أجل المستضعفين، بل أين كان هؤلاء؟

هؤلاء كانوا منحرفين وفاسدين أخلاقياً. . . الأخلاق ليس بمعنى الأخلاق العادية، عندما نقول (أخلاق) يعني تحمّل المسؤولية، يعني الصدق والأمانة، يعني الوفاء، يعني العفة يعني الشجاعة.

النظام الأموي، أسْكَتَ النّاس، رغّبهم بالحياة الذليلة، ورغّبهم بالطاعة كيفما كانت الطاعة، ولو في معصية الله تعالى.

ثورة الحسين التي كانت من أجل النّاس كان لها مهمتان: أولاً أنْ تدين النظام اليزيدي الأموي، والأمر الثاني أنْ تخلق حالة الوعي وحالة الشعور بالمسؤولية عند هؤلاء الناس الذين كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، لأجل أن تتحرك سيوفهم على هوى قلوبهم لا على هوى مصالحهم الصغيرة الآنية.

إذاً من هذا المفهوم، ثورة الحسين هي موجودة الآن، لأنَّ معطيات واقع هذه الثورة، موجودة، يوجد محرومون يوجد مستضعفون، يوجد ناس خائفون على المستقبل.

هذه الثورة كما قلت أمس في اجتماعٍ آخر، هي ليست ثورة من التاريخ، هي ليست حادثاً من التاريخ، هي حادثٌ من الحياة، حوادث التاريخ هي تمضي، أما حوادث الحياة فهي تبقى.

النهر مثلاً عندنا في لبنان، نهر الليطاني هو موجودٌ الآن في هذه اللحظة، تتدفق المياه فيه، متى وُجد هذا النهر؟ ربما منذ ألوف السنين. . الأحداث، القضايا التي هي قضايا الحياة دائماً متجددة. . ما هو عمر الشمس؟ ربما عمرُ الشمس مئة مليون سنة، لكنها في كل يومٍ موجودة.

ثورة الإمامِ الحسين هكذا كالنهر المتدفق المتجدّد، كالشمس الطالعة في كل يوم، في كلّ سنة.

عناصرُ هذه الثورة موجودة عند النّاس، وإلاّ لماذا نحنُ مجتمعون الآن هنا؟

ما هو الداعي لهذا الاجتماع؟

لأنَّ الثورة موجودة، لأنَّ قضايا الثورة المطروحة موجودة، ماذا ينقصنا لنكون ثواراً، الإنسان المظلوم أمامه طريقان: أحدهما طريق أن يكون ضحيّة، أنْ يسكت، أنْ يسالم، أن يقول «نعم»، في هذه الحالة يكون ضحيّة، يكون

مظلوماً فقط، والطريق الأخرى أن يقول «لا»، أنْ يكافح، أن يجاهد في هذه الحالة يكون ثائراً ويكون شهيداً.

يوجد فرقٌ بين الشهيد وبين الضحية.

يوجد ثلاث مراتب للموت، المرتبة الموجودة في كل الدنيا، حتى الحيوانات أيضاً موجودة فيها هذه المرتبة: الموت الطبيعي بالشيخوخة والمرض والحوادث. الإنسان يموت هذا الموت الأول. أما الموت الثاني: موت الضحايا، موت المظلومين الذين يستسلمون، فيُقال ضحايا النظام الفلاني، ضحايا الظلم والجور، أيضاً هذا لونٌ من ألوان الموت.

الموت الثالث: هو موت الشهادة، هذا لا يحصل عليه كلّ النّاس، يحصل عليه الذين يختارون الشهادة، ويختارهم الله. لا تحتاج إلى اختيار واحد، تحتاج إلى اختيارين: إنسان يضع نفسه على طريق الشهادة، فيقبل منه الله هذا الوضع.

دائماً الأنظمة الظالمة تطلب من النّاس أن يكونوا مستسلمين، لأجل أن يكونوا ضحايا.

الحسين عُرِض عليه ذلك، لكنه، قال: «ألا إنَّ الدعيّ ابن الدعى قد ركز بين اثنتين، بين السِّلة والذِّلة، وهيهات منا الذِّلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله».

السِّلةُ، ما هي؟ الإبرة الموجودة في ساق النحليسمّونها السِّلة. يعني خيّروه بين المصير الصعب والحياة الذّليلة: «يأبى الله لنا ذلك».

وقال: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد». يعني رفض أن يعيش حياة مسهلة من أجل أن يموت موتة صعبة. الموتُ الصعب، هو الشهادة.

الشهادة نتيجة أنّ الإنسان يرفض أن يكون ذليلاً، ومن ثم يرفض أن يكون ضحية، يختارُ أن يكون ثائراً، ويرفض أن يكون ذليلاً ويختار بالتالي أن يكون شهيداً.

نأخذ من دروس الحسين سلام الله عليه، نأخذُ هذا.

كيف يستطيعُ الإنسان أن يختار طريق الشهادة؟ الشهادة لا تكون إلّا بقضيّة

الشهيد الحقيقي لا بدَّ أن يكون له قضية حقيقية، القضية لا بدَّ أن تكون عامة، لا بل أنْ تكون شاملة، كل قضية لا بدّ أن يكون لها أساس، لا بدَّ أن يكون لها فكر، أما إنسان يغضب لأنَّه شُتم لأنَّ مصلحة من مصالحه الخاصة صارت معرّضة، صارت مهدّدة، يأخذ سلاحه ويبدأ بالحرب والقتال، ويسقط، ليس هذا شهيداً.

الشهيد لا بدَّ أن تكون له قضية عامة، وأن تكون هذه القضية العامة قضية عادلة.

هذا الدرس نتعلمه من الحسين، نحن نقتدي به وبأصحابه، أصحاب الحسين، الذين أكثرهم، ليسوا من بني هاشم، إذ ليست لهم قضايا شخصيّة.

كانت لهم قضية عامة مع النظام، ولذلك في ليلة العاشر حينما أظلم الليل، وقال لهم: إني لا أعرف أصحاباً خيراً من أصحابي.. مدحهم، وقال لهم: «هؤلاء القوم لا يريدون غيري.. إنَّ هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً». أعطاهم الإذن بالتفرّغ والإنصراف، فرفضوا وأصرّوا على البقاء، وعلى القتال وعلى الموت، في هذا السبيل، لماذا؟

لأنَّه كانت عندهم قضية عامة، قضية الأمة الإسلامية، قضية كرامة الإنسان، قضية كل مظلوم ومظلومة، قضية دموع الأطفال، جوع النّاس، خوف النّاس.

كانت هذه قضيته، هذه القضيّة تضع شهداء، ويختار الله لها شهداء، وفي كل زمان القضيّة موجودة، ما دام الظلمُ موجوداً، وما دام الكفر موجوداً وما دام الإنحراف موجوداً، القضية موجودة، ما دام هناك مظلومون فهم يبحثون عن حسين وعن حسينيين، ما دام هناك مظلومون فهناك قضية تبحث عن شهداء.

في لبنان، ما هي القضيّة؟

القضيّة هي نحنُ.. هي الجنوبِ المهدّد بالضرب والقتل والتشريد، المهدّد بالضياع.

القضية هي وضعُ المحرومين في لبنان، المحرومين من وضعهم السياسي والمعيشي، ليس المسلمون الشيعة وحسب، وهم جزءٌ من المحرومين، يوجد

محرومون من كل الطوائف، هي قضية الطائفية السياسيّة التي تجعل من المجتمع اللبناني درجات ومستويات في الحقوق السياسية وتنعكس مستويات الحقوق السياسية على الوضع الاجتماعي والإقتصادي. قضية كرامة هؤلاء المحرومين، ومستقبل هؤلاء المحرومين هي ميدان الجهاد، ولكن ميدان الجهاد يحتاج إلى أخلاق لا شهداء بلا أخلاق ولا قضية بلا أخلاق، من أين نأتي بالأخلاق؟ المدّ الأخلاقي من أين نأتي به؟.

من الإسلام الذي يعلّمنا جميع مكارم الأخلاق، لا يمكن لمجرم أو لص أن يتحول إلى ثائر، ومن ثم لا يمكن لمجرمٍ أو لص أنْ يتحول إلى شهيد. الشهادة أكبر، وأكثر الأشخاص الذين التحقوا بالإمام الحسين من جيش عمر بن سعد أو من عرض الطريق، مرّوا في قناة التوبة أولاً إلى أنْ أصبحوا ثوّاراً واستحقوا مرتبة الشهادة ، ومن هنا التركيز الدائم على أنّ الثورة أو أيَّ عمل يجب أن يرتسم بالطابع الأخلاقي.

تحرّكنا، ميزته الأولى أنّه كان تحرّكاً أخلاقياً قبل كلّ شيء قبل أن يكون تحرّكاً سياسيّاً، كان في استطاعتنا وأنتم تعلمون أن نصنع كالآخرين، أن ندخل في الحرب الطائفية، لكننا رفضنا الدخول في الحرب الطائفية لأنَّ هناك همّاً كبيراً هو إنقاذُ المحرومين ومن ثمّ إنقاذ لبنان.

هذه الحرب رفضناها من أول الطريق ودفعنا ثمن رفضنا شهداء، لا يمكن للذي يرفضُ الحرب الطائفية أن يكون طائفياً، من هنا طروحاتنا السياسية: أركزُ على التعاون السياسي الذي يجعل بيننا وبين الآخرين مسافات، نريد أن تنتهي الفتنة في لبنان، ربما الآخرون يريدون أن تقوم الفتنة في لبنان. . نريد إلغاء النظام الطائفي الطبقي، ربما الآخرون لمصلحة الشرق أو لمصلحة الغرب مستعدون للمساومة على بقاء النظام الطائفي الطبقي، نريد أن نحرر البشر من جميع أشكال الإقطاع السياسي والإقتصادي. الآخرون مستعدون للعمل إلى جنب الإقطاع يداً بيد، ومن هنا صعوبة مهمتنا.

من السهل علينا أن نرتمي في أحضان الغرب أو نرتمي في أحضان الشرق، ويسهل كلُّ شيء، ولكننا لا شرقيون لا غربيّون. قراراتنا وفكرنا ورؤيتنا السياسية تنبع من مصالح الناس البسطاء، لا للشرق ولا للغرب.

في لبنان وفي كلِّ مكان شعار اللاشرقية واللاغربية هو شعارٌ قرآني. الله سبحانه وتعالى، حين ضرب مثلاً «الزيتونة» اللاشرقية واللاغربيّة ضرب مثلاً سياسيّاً، هذا مثلٌ سياسيّ: الإنسان الذي ينطلق من فكره ومن أيديولوجيته، ومن مصالح شعبه لا يمكن أن يدخل رهينة عند الشرق أو عند الغرب على الإطلاق، لأنَّ الرهينة ليست حرّة. الأخلاقية إذاً هي التي تجعلنا حسينيين، وتضعنا حقّاً على طريق الثورة، من هذه الأخلاقية، ومن هذه الليالي أرى من واجبي تكرار هذه الفكرة في كلِّ مكان.

من هذه الأخلاقية، كنا نتحدث مع لجنة المتابعة العربية ومع الجامعة العربية ومع الدولة اللبنانية عن وضع الجنوب، وكنا نقول لكم! إنَّ لبنان وطن، وإذا كان وطناً فهو متلاحم، وإذا كان متلاحماً فلا بدَّ أن يُعالج وأن توضع حلول متكاملة وليس حلولاً جزئية، فماذا كانت النتيجة؟

النتيجة، لا شك أنَّ المعالجة بدأت خطأ، لأنَّ المعالجة بدأت بفتح الشوارع في بيروت، ولم تبدأ بحسم الوضع في الجنوب حرباً أو سلماً.

بالنسبة إلى مؤتمر القمة العربي الآتي، هو يواجه هذه القضية، يواجه هذا الإختيار، ماذا يصنع بالقضية اللبنانية؟ وماذا يصنع بالقضية الشرق أوسطية؟.

لا خيار أمام العرب ضد الاسرائيلية سوى خيار الحرب ـ الخيار الوحيد المنتج هو خيار الحرب، خيار السلام هو إما خديعةٌ للنفس وإما خيانة، وهذا كلامٌ قلناه مراراً وتكراراً.

خيارُ السلام ينتج هزائماً، كل خيارات السلام العربية من سنة ٣٦ إلى الآن لم تنتج إلاَّ الهزائم.

الحرب الشاملة بأسرع ما يكون هو الخيارُ الوحيد، نحن حاضرون له في كل لحظة، ولكن إذا رفض العرب هذا الخيار، أو إذا رأوا أنَّ ظروفهم لا تمكنهم الآن من هذا الخيار، فما هو مصير الجنوب؟.

السؤال هنا، هل يقدّم إلى الإسرائيليين ليكون أرضاً محتلة جديدة؟ هل نقدّم فرصة لحزب «أيغودات إسرائيل» الحزب الديني، هل يقدّم الجنوب لهذا الحزب ليمارس فيه سياسته الدينية الاستيطانية المأخوذة من الثورات؟؟!

أيها العرب . . . المسلمون الذين يستحون من القرآن ! ، نقول لكم : هذا الشعب في الجنوب هل يتحول الى شعب مهجر ، ولاجىء ، وثائر ، وتضاف الى اسرائيل ، الى الصهيونية رهينة جديدة الى جانب سيناء والجولان ، فالضفة الغربية نفاوض عليها ، نفاوض على تكثيف المستوطنات فيها ، ماذا نفعل ؟

القضية بسيطةٌ جداً، الحل الإنساني الإسلامي القومي المصلحي هو في الحرب مهما كانت خسائرها، فهي أقل من خسائر السلام، هو سلم بين النعجة والذئب، بين الحمل والذئب، بين القط والذئب.

الحرب، والحربُ الشاملة التي تهدم عشرين مدينة، التي يذهب ضحاياها وشهداؤها، مليون نسمة، وآخرُها النصر، إذا لم يؤخذ هذا القرار ـ لأن التوقيت لا بدَّ أن يكون عربياً ـ بانتظار هذا التوقيت، ماذا نفعل؟.

هل نقدّم لهذا الذئب الصهيوني، أرضاً جديدة وشعباً آخر ومهجّرين آخرين، هذا الأمر بكل وضوح نرفضه.

مؤتمر القمة الآتي، يجب أن يواجه هذا الخيار، يجب أن يضع حلاًّ للقضية اللبنانية، من الجنوب، وإلى أن يكون قرار الحرب لا بدَّ أن تطبَّق القرارات الدولية والعربية في الجنوب في هذه المسألة، نكون قد سلكنا سياسة تحديد الخسائر.

توجد سياسة مكاسب في اعتقادنا ـ الذين يعرفون تماماً سياسة المكاسب ـ هي سياسة الحرب، نكسب من الحرب ضد الصهيونية، اللاحرب واللاسلم الذي هو قائمٌ الآن يحدّد الخسائر، أمّا السِّلم فهو الخسارة العظمى، والخيانة الكبرى.

بالنسبة إلى وضع الجنوب لا بدَّ من موقف واضح لأنَّ الندم بعد الاحتلال، وبعد بناء المستوطنات لا يفيد أحداً.

من هذا المنطلق نمارس أخلاقيتنا، نمارس موقفنا السياسي للقضية اللبنانية، وللقضية الفلسطينية، التي تعني بالنسبة إلينا شيئاً يتجاوز الفلسطينيين ويتجاوز العرب، لتكون قضيّة المسلمين في هذا العصر، قضية المسلمين الأولى . لا حباً بالفلسطينيين ومراعاةً لهم ، تمسكنا بصدق بهذه القضية ،

وأعطيناهم كلَّ شيء وإنَّما لأنَّ الله يأمرنا بذلك، كان يأمرنا ولا يزال يأمرنا وسيظل يأمرنا لأن نكون أوفياء لهذه القضية.

نكون حسينيين أينما كنّا، حينما نكون أوفياء لهذه القضيّة، نكون حسينيين حينما نقول للظالمين «لا».

«لا» لكل أساليب الطغيان وحبائل الطغيان، وكل الإرتهانات حتى التي تكتسي أثواباً تحاول أن تبيع أنفسها لنا.

هنا، في لبنان المتاجرة بالنَّاس، بقضايا النّاس، بهموم الناس، بمخاوف النَّاس وآمالهم في أيِّ مكان.

كفى، السنوات التي مرّت على هذه الفتنة، أحرقت كلَّ شيءٍ، ومن هنا يجب أن يوجّه السلاح لا لخدمة السلاطين الصغار، ملوك الطوائف في الداخل، يجب أن يُوضع حد للاستهانة بالكرامات، وللاستهانة بالحرمات، يجب أن يحكم العالمُ الأخلاقي، ويجب أن يُعرف أننا واعون لكل الإرتهانات التي تريد أن تجعل من مصير البشر ومصير الأرض جزءاً من اللعبة الدولية ننطلق من الإرادة الحسينية من اللاشرقية واللاغربية. يعني في الحق، لا لأجل أن نتسلط نحن ولكن لأجل أن نتساوى مع الآخرين ولأجل أن تكون الدولة والنظام: دولة ونظاماً عادلين، لا توجد فيهما فئوية ولا توجد فيهما طبقية. في اليوم العاشر من محرم يوجد نداء مروي عن الحسين سلام الله عليه، أو مرويّ عن زينب سلام الله عليها «ألا من ناصر ينصرنا الا من ذاب يذب عنا».

ويقول المحدثون من خطباء المنبر أن هذا النداء وجه في الساعات الأخيرة بعد أن قتل كل الرجال وبعض النساء من أصحاب الحسين. لمن وُجِّه هذا النداء؟ وُجِّه للأجيال، لم يوجه فقط للجيش الأموي.

الحسين الأب بشخصه غير موجود ولكن القضية موجودة، قضية الخلافة أيضاً تنادينا. . نستطيع أن نكون أهلها ويشرفنا الله أن نكون شهداء ولكن يجب أن يكون لذلك شروط. الشرط: هو أن نكون مؤمنين أخلاقيين أن تكون المبادىء الأخلاقية هي التي تحكم كل تصرف. أن يكون التكليف الشرعي أن يكون حكم الله، حكم الإسلام هو الذي يحكم تصرفاتنا.

سيرة الحسين أصحاب الحسين هي قضية المستضعفين والثائرين في كل

زمان ومكان. وشاء الله أن يعيد هذه الذكرى ونحن نحملها.

قبل أن أترككم، أنبهكم إلى شيء: بعد أيام تنتهي العاشوراء في يوم السبت أو يوم العاشر تنتهي العاشوراء يوجد مصطلح يوم «الفلة». يعني الناس يفلون، يكونونن مشغولين ويفلّون. كل واحد يذهب إلى بيته، إلى عمله يوم الفلة.

خطأ، الذي يدخل لعاشوراء «بالعيرة» ويفل يوم العاشر أشبه شيء بإنسان عنده جار يعزيه بوفاة أو مصيبة، هو يدخل مقدار ساعتين أو أيام أو أسبوع أو أربعين.

وبعد مدة يأكلون اللحم ويلبسون الثياب ويضحكون. هذه تكون مجاملة. الحسين ليس بحاجة إلى مجاملة على الإطلاق، الذي يريد أن يفل، فليفل من الآن، يجب أن تكون كل الحياة عاشوراء، لا عاشوراء للنوح والبكاء لأننا قلنا من زمان!، الانكسار انتهى إلى غير رجعة.

عاشوراء المبادىء والقيم.. الثورة والرسالة والقضية..

هذه ليس فيها تكليف. التكليف والمهمات تبدأ باليوم العاشر لا تنتهي باليوم العاشر بعد فترة الدروس، فترة إعداد الكوادر، تعميق المفاهيم.

هذه هي الأيام.. تأتي بعدها فترة العمل.. فترة الجهاد.

نسال الله تعالى أن يجعل هذا المفهوم يضيء أيامنا جميعاً بنور الحسين وتتلوّن بدمائه سلام الله عليه.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الثورة الحسينية

واقعة حياة متجددة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله ما بقيت وبقيت السموات والأرض

والتحية والسلام إلى الأخ القائد المجاهد الإمام السيد موسى الصدر الذي أخفته من بيننا يدُ الغدر والخيانة، هذه اليد التي خُيّل لها أنَّ نهضتنا وتحرّكنا مرهونٌ بشخص، وأنَّ هذا الشخص إذا غاب عن المسرح يتوقف كلُّ شيء، وهم لم يعلموا ولم يحسبوا أنَّ هذا الشخص «الإمام موسى الصدر» هو شيءٌ عام، هو روحٌ عامة حلّت بكل شخصٍ منّا، في كل رجلٍ وكل امرأة، وأنَّ روح النهضة، روح الكرامة، وروح التحرير قضيةٌ لا تقهر ما دامَ يرعاها رجالٌ ونساءٌ عاهدوا الله تعالى على أنْ يكونوا مجاهدين.

والتحيّة والسلام إلى شهداء حركة أمل، وإلى مجاهدي حركة أمل وإلى المجاهدين المسلمين في كل مكان، وإلى المناضلين في سبيل الحريّة في كل مكانٍ من العالم.

هذه التحيات إلى المجاهدين والأحرار نوجّهها في حفلٍ كريم ومبارك من حفلات الحريّة ومن حفلات الجهاد.

(*) القيت بتاريخ ٣ / محرم / ١٤٠٢هـ - ٣١ تشرين الأول / ١٩٨١م .

حفلات عاشوراء هي في مفهومنا حفلاتٌ للحريّة، نتعلم فيها الحريّة، ونتعلم فيها روحَ الجهاد، وروح الثبات والصبر.

عاشوراء التي نحتفل بها في كلِّ مكان في هذه الأيام هي ليست واقعة من وقائع التاريخ، والفرق بين وقائع الحياة وبين وقائع التاريخ فرقٌ كبير.

وقائع التاريخَ يلفها النسيان وتصبح ذكرى.

أما وقائع الحياة فهي متجددة.

الشمسُ والقمرُ، الأنهارُ التي تجري، هذه وقائع الحياة.

نهرُ الليطاني مثلاً، ونهرُ النيل أو نهر الفرات، إذا أردنا أنْ نقول ما تاريخه؟.

يرجعُ إلى ألوف السنين، ولكنّه موجود الآن، لا يزال يجري.

رسالة الرسول (ص) ليست من وقائع التاريخ، هي من وقائع الحياة.

يعني أنَّها تتجدد باستمرار . . .
لمـاذا؟

لأنَّ الإنسان حيثما يقوم بعملٍ من الأعمال، هدفُ وغايةُ هذا العمل قد تكون محدودة، صغيرة بمقداره، بمقدار حاجته، أو بمقدار حاجات عشيرته أو بمقدار بلدته.

أو إذا كبرَ يكون بمقدار وطنه.

الثورة الحسينية هي لم تكن بمقدار صغير، هي بمقدار الإنسانية، لذلك هدفها وغايتها مستمرّة، ما دام يوجد إنسانية مظلومة، ما دام يوجد ناسٌ، رجالٌ طغاة، ما دامت توجد أنظمة طغيان. هذا الهدف مستمرٌ، ولذا يوجد شهداء كرام في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الإنسانية، وبالكاد يذكرهم النّاس.

الذكرى الحسينية موجودة لأنَّها كالنهر المتدفق، لأنَّ غايتها لا تزال قائمة، لأنَّه لا يزال هناك مقهورون، مظلومون.

المقهورون والمظلومون لهم طريقان، ثلاث طرق لا يوجد، طريق الصبر، الصبر الإنهزامي،. الصبر السلبي. بهده الحالة، المظلومون لا يسلمون بالصبر،

لا يسلمون بالرضا، يصيرون ضحايا.

والطريق الآخر، هو طريقُ الثورة.

بهذا الطريق يوجد شهداء.. في النهاية موت.

إنَّ الطغيان يقتل ويميت المطلومين، لكنَّ المظلوم هو الذي يختارُ نوعَ الموت، وهو الذي يختار شرف الموت.

هل يكون ضحيّة أو يكون شهيد الثورة الحسينية؟ تعلمُ دائماً أنَّ المقهورين والمظلومين والمستضعفين في كلِّ مكانٍ من العالم، ليس بالضرورة أنْ يكونوا مسلمين.

هؤلاء يجب أن يسلكوا طريقَ الشهادة، لا أنْ يسلكوا طريقَ الذلِ والاستسلام الذي لن ينجيهم في النهاية من الموت، ولكنّ الموتَ وحيداً، وليس الموت الثائر، الموت الذليل، وليس الموت العزيز.

هذا الإنسانُ المظلوم الذي يريد أنْ يسلك طريق الثورة وطريق الشهادة.

هذا الإنسان يجب أنْ يكون متحلّياً بفضائل الثورة، وفضائل الشهادة.

يجب أنْ يكون في مستوى الفضائل العالية التي لأصحاب الحسين وأنصار الحسين.

الصدق، الأمانة، والفقه وتقوى الله، هذه هي الفضائل التي تجعل من الإنسان ثائراً.

لا يمكن لشرف الثورة أنْ يتلّوث بخسّة النفس، لا يمكن لشرف الثورة أنْ يتلوث بالفسق والفجور، لا يمكن لشرف الثورة أنْ يتلّوث بروح الطمع ودناءة النفس، أبداً.

سمعتم وتسمعون أنَّ الإمام الحسين سلام الله عليه، في ليلة العاشر من محرم، حينما عرض على أصحابه أن يتركوه، قال لهم: «إنَّ هؤلاء القوم لا يطلبون غيري، وهذا الليل قد أظلّكم فاتخذوه جملاً، وليلحق كلُّ واحد منكم بأهله».

ماذا أجابوه؟

هو إذن لهم، هو أحلّهم من التزامهم.

قالوا له: لا والله، ألهذا نحنُ تركنا أموالنا وأهلنا ونساءنا وأولادنا لنسأل عنك الركبان، لأجل أن نسأل عنك النّاس والمسافرين، لا والله لا نبرح حتى نموت قبلك.

هذا ما حدث للحسين بن علي مع أصحابه...

هذا الجوهر الإنساني الذي نطمح أنْ نصل إليه، لماذا؟
لأنَّ لنا قضية هنا في لبنان، لنا قضيّةٌ كبيرةٌ جدّاً.

ليست قضيّة الجنوب أو قضيّة البقاع أو قضيّة عكّار أو قضيّة الشوف.. هي قضيّةُ كلِّ لبنان.

أنْ يوجد نظامٌ عادل، أنْ يوجد نظام غير فئوي، أنْ يوجد نظامٌ، كلُّ النّاس يكبرون فيه.

لا توجد فيه طبقات، ولا توجد فيه طوائف، ولا توجد فيه طائفيّة سياسيّة تميّز بين المواطنين بالمذهب.

هذا النظام، نحن نسعى إليه لمصلحة جميع اللبنانيين. طبعاً، على رأس جروحنا الكبيرة، جرح الجنوب الذي يوجد فيه جرحنا الدامي الذي هو قضيّة الإمام موسى الصدر.

ولكنْ في جوهر الأشياء، وفي حقيقة الأشياء، نحن نعمل ونضحّي ليس من أجل أنفسنا، ليس من أجل الطائفة الإسلامية الشيعيّة في لبنان، وليس فقط من أجل جميع النّاس.

لأنَّ الوطن الذي يوجد فيه أغنياء، وفقراء، يكون كلُّه فقيراً.

الوطن الذي يوجد فيه ضعفاء يكون كلُّه ضعيفاً.
الوطن ليس شركة.
الوطنُ هو جسمٌ واحدٌ متكامل.

يوجدُ مفهومٌ إسلاميٌّ، عبّر عنه رسولُ الله (ص)، قال: «مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل هؤلاء كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

جسدٌ ليس فيه مساحتان منفصلتان.

إذا مرضت العين بمرض، يمرض كلُّ الجسد، لأنَّ العين تغذّي كلَّ الجسد. وتتغذّى من كل الجسد. إذا مرضت اليد أو القدم يمرضُ كلُّ الجسد.

الوطنُ هكذا.

الرسولُ يشبّه الوطنَ بالإنسان.

إذا كان لبنان يوجد فيه جنوبٌ مريض لا يمكن أنْ يصح، هذا هو الكلام.

مضمون الكلام الذي قلناه للجنة المتابعة العربية، وقلناه للدولة، وقلناه للجامعة العربية، لا يعقل أن نقسّم، هذه الخانة لا نبحثها، هذه الخانة نؤجلّها.

لا يمكن، لأنَّ المرض في هذا الجسم كله، وفي مقدمة هذا المرض، هذا الجنوب.

هذه الطريقة أدّت إلى النهاية التي نراها الآن.

الذي يبدأ أعمالَهُ بالغلط تنتهي نتائجه بالخطر والغلط.

استُبعد موضوع الجنوب خضوعاً لذاك الضغط العربي أو لذاك الضغط الدولي.

ماذا أنتجت لجنة المتابعة؟.

حتى فَتْحُ طريق في بيروت، طريق، شارع، لم تنتج، لأنَّها فكّرت بالوطن مفرقاً، الوطن لا يُفكّر فيه مفرقاً، يُفَكّرُ فيه جملة واحدة.

إذاً نحنُ حينما نضع أنفسنا على طريق الجهاد وعلى طريق الاستشهاد، لا نضع أنفسنا على هذا الطريق لمصلحتنا نحنُ، لأننا نحملُ هذا المفهوم للوطن.

لا بدَّ أنكم سمعتم ممن حدّثكم بكلمة أمير المؤمنين سلام الله عليه، حينما دخل عليه بعض أصحابه، ورآه يأكلُ طعاماً خشناً، قال له: يا أمير المؤمنين هذا الطعام لا يكفيك للقوت، فأجابه الإمام علي. «لو شئت لإهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة

(اليمن) من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع... أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش... أأقنع من دنياكم بأنْ يقال أمير المؤمنين» (الكلام كان بالكوفة في العراق)، ولعلَّ في الحجاز أو باليمامة (اليمن) مَن لا طمع له بالقرص.

إذاً، الإمام علي يعبّر عن هذا المفهوم للوطن، إنه لا يكفي ما حوله مرتبّاً.

يوجد جزءٌ للوطن لا بدَّ أنْ يُحسب له حساب، حينما نعمل وحينما نجاهد، وحينما نطالب، لا نطالب من أجل أنفسنا.

طبعاً منذ أبعد التواريخ للبنان، منذ سنة ١٩٢٠، للبنان المعاصر يعني قبل ٦١ سنة، وأقرب التواريخ ١٩٤٣، حينما أُعلن استقلال لبنان، يعني منذ ٣٨ سنة، ماذا صُنِع لما نسميّه الآن الفئات المحرومة منذ ٣٨ سنة؟.

- ماذا صُنع لما يسمّى المناطق المحرومة لِلبنان خلال ٣٨ سنة؟
ماذا صُنِع؟.
لا شيء في الجنوب.
الدولة عمّرت الجنوب؟
الناسُ بعرقهم عمروا الجنوب.
في البقاع، يوجد بعض العمران، الدولة عمّرت البقاع؟
النّاسُ بكدِّهم عمّروا البقاع.
في عكار لا يوجد شيء، في الشوف لا يوجد شيء.

ماذا صنعت الدولة اللبنانية المستقلة؟ هذه الدولة خلال ٣٨ سنة لم تنتج شيئاً

أنتجت أنها جعلت المناطق المحرومة سوقاً للاستهلاك.

منتوجات بيروت، وتجارة بيروت، هذا العفن نحنُ نحاربه، وسنظلُّ نحاربُه بهذه الروح الحسينية، روح الطهارة، روح البناء، روح الإنفتاح على الآخرين، روح التعاون مع الجميع.

وإلاّ ماذا صنعت الدولة للمناطق المحرومة، ماذا صنعت للمحرومين طيلة ٣٨ سنة، هي لم تصنع أيَّ شيء.

كثّرت بعض الموظفين والوزراء.

لماذا تتضخم بيروت بالمهاجرين من السهول ومن الجبال؟

لماذا لم يُعمّر الجنوب، ويعمّر البقاع؟.

هذا النظام، الخطأ موجودٌ في صميمه، لا بدَّ من إصلاحِ هذا الخطأ، إصلاح النظام كما قلت ليس لمصلحة طائفة، لمصلحة جميع اللبنانيين.

أمير المؤمنين سلامُ الله عليه، قال في أحد المواقف حينما سُئِل لماذا تحارب وتقاتل وتعادي، قال: اللهم إنَّه لم يكن الذي كان منا منازعة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام.

نحن لم نتحرك من أجل أنفسنا، ولكنّ هؤلاء القوم، كان يتكلم عن النظام الأموي وكل نظام ظالم هو نظام أموي.

الأموية في مفهومنا الحضاري هي ظلم، ولكنّ هؤلاء القوم جعلوا مالَ الله «دولا»، يعني «يتقاسمون الأموال بينهم» تحضر صفقة كبيرة يتقاسمها الكبار، ويتركوا للنّاس الفتات .

جعلوا مالَ الله دولا، وعبادَ الله خولا، والصالحين حربا، والفاسقين حزبا».

إذاً، تحرُّكُ أمير المؤمنين، تحرُّك الإمام الحسين، كان ليس موجَّهاً لحق جهةٍ معينة، مثل الشمس، مثل القمر، للجميع.

تحرُّكنا نحنُ أيضاً ينبعُ من هذه الروح، ليس تحرّكاً طائفياً أبداً، ليست فيه أية ذرةٍ من الطائفية، ليس تحرّكاً فئوياً أبداً، ليست فيه أية ذرةٍ من الفئوية.

وإنما هو تحرُّك وطنيٌّ شاملٌ، وهذا التحرّكُ الوطني نابعٌ من هذه الأرض، من هذا التراب، من هؤلاء الناس.

هو ليس مستوحىً من الشرق أو من الغرب ، لا شرق ولا غرب أبداً، لسنا موظفين عند أحد.

إذاً لسنا جزءاً من اللعبة الدولية في لبنان.

على الذين يدّعون الوطنية هنا وهناك، وهم جزءٌ من اللعبة الدولية في لبنان، أنْ يضعوا حدّاً لتصرفاتهم، لأنَّ لبنان لا يمكن أنْ يخرج من محنته إلَّا إذا

خرج عن كونه رهينة لهذا وذاك .

والجنوبُ لا يخرجُ من محنته إلاّ إذا خرج عن كونه رهينة في هذه اليد أو هذه اليد.

الذكرى الحسينية هي التي تلهمنا، هذه الروح، روح الثورة، وروح الشهادة، والثورة هي ليست كما موجودٌ في كثيرٍ من الأذهان بأنها تهدم وتقتل وتشرّد وتعمل العظائم.

لا . . الثـورة بنـاء ، وبنــاء الثـورة إعــادة تكـوين ، إعــادة تـركيــز ، يوجد بناء مهدّم، يوجد بناء غير مرتب، الثورة تعيدُ تكوينه، وتعيد تصحيحه من روح الحسين، من روح أنصار الحسين تستمدُ هذه الأفكار، وهذه الروح البانية والايجابيّة.

هذا الطريق ليس طريق الضحايا .

من أول الأمـر . طرحنـا على أنفسنا هـذا السؤال ، هل نـريـدُ ان نسلك طريق الضحايا ؟

إذاً نقبلُ بكل شيء، طريق الضحايا هي طريق «نعم»، طريق الموافقة. طريق الشهداء هي طريق «لا».

الإمام الحسين يقول: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»[1] والرسول (ص)، قبل الحسين، حينما عرض عليه أهل قريش أن يعطوه ويعطوه قال: «لا والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه، ما تركته»، وأمير المؤمنين علي (ع) حينما ساوموه وناوروه قال لهم: لا» وترك الخلافة برمتـها قال: لا. . الحسن قال: لا. . الحسين قال: لا. . بقيّة الأئمة قالوا: لا. .

الآن نحن في ذكرى شهادة كربلاء. الإمام الحسين يقول لا أعطيكم «اللا» هي طريق الثورة الصحيحة ، «لا »رشيدة ، «لا »عاقلة ، لا محكومة بالنظام ومحكومة بالانضباط. أمّا «اللا» الفلتانة فهي «لا» تخريبيّة يوجد منها كثير هنا وهناك.

---

(١) البحار : ج ٤٥ ص٧ .

«لاؤنا» نحن تختلف عن اللاآت الأخرى لأنّها محكومة بخوف الله، محكومة بالتقوى، محكومة بالأخلاق، محكومة بالروح الإنسانية، باللاشرقية واللاغربية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ننتفع أكثر فأكثر من هذا الموسم موسم كربلاء، تخرج منه قلوبنا أطهر وعزائمنا أقوى، وبصيرتنا أوضح ونفوسنا أشرف، مقتدين ومتبعين أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم ولأنصار الحسين الذين هم مثلنا الأعلى في الجهاد.

أسأل الله أن يحفظكم رجالاً ونساءً وأن يسدّد خطانا جميعاً في الطريق إليه وأسألكم الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



عاشوراء
والمبدأ الثوري العام



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقيت السموات والأرض ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى الإمام القائد المجاهد السيد موسى الصدر الذي اختطفته وأخفته من بيننا يد الغدر والخيانة يد الغدر التي تدعي الإسلام وتدعي العروبة وهي بريئة من الإسلام وبريئة من العروبة، هي شبيهة بالأيدي المجرمة التي خاطبها الحسين (ع) في العاشر من محرم، حينما قال لجيش بني أمية بعد أن هجموا على المخيم «إن لم تكونوا مسلمين فكونوا عرباً كما تزعمون» ولم يكونوا مسلمين في المعنى الحي الحقيقي للإسلام ولم يكونوا عرباً في المعنىٰ الأخلاقي للعروبة، هؤلاء كأولئك.

اختطف وأخفي لأنه فجّر روح الثورة وروح الوعي ولأنهم يخافون من روح الثورة وروح الوعي في لبنان وفي غير لبنان وخيل إليهم، إلى هؤلاء الغدرة الفجرة

(*) ألقيت بتاريخ ٥/محرم/١٤٠٢ هـ-٢/ تشرين الثاني/ ١٩٨١ م في مسجد الإمام الرضا (ع) في بئر العبد.

في ليبيا وفي غير ليبيا خيل إليهم أن نور الله يمكن أن يطفأ بالأصوات ولكن نور الله الذي هو إرادة البسطاء وإرادة المستضعفين لا يمكن أن يطفئه شيء. نور الله يبقى والغادرون يفنون ونور الله يسمو والفاجرون ينطفئون.

والتحية والسلام إلى شهداء ومجاهدي حركة أمل وإلى سائر شهداء ومجاهدي الإسلام في كل مكان، والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته ونتوجه بالشكر إلى الله سبحانه وتعالىٰ على ما أنعم به علينا في هذه الاجتماعات التي يسرها لنا أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم» في جهادهم الذي لم ينقطع باستشهادهم وإنما استمر مائدة إلهية موضوعة لمصلحة الوعي والنهضة والثورة على الظلم والظالمين والباغين، نشكر الله تعالى على هذه النعم التي ينبغي أن نحسن استثمارها، فنعمة الله بالسمع ولكن الإنسان قد يضيع نعمة السمع فيستخدمها باللهو أو يستخدمها في الحرام، ونعمة الله بالبصر ولكن الإنسان قد يضيع نعمة البصر فيستخدمها في اللهو أو يستخدمها في النظر إلى ما حرّم الله.

ونعمة الله بالقوة الجسدية التي قد يضيعها الإنسان فيستخدمها فيما لا فائدة فيه ولا منفعة منه أو يستخدمها في معصية الله، هذه النعمة التي نحن فيها، هذا الاجتماع الذي هو موجود هنا وموجود في عشرات الأمكنة في لبنان وفي غير لبنان في ألوف الأمكنة ونتحدث عن حالنا نحن، هذا الاجتماع وأمثاله نعمة، أن يجتمع أناس يحدوهم فكر واحد وينتظرون سماع تعليم واحد، الله سبحانه وتعالىٰ عبر عن ذلك بأنه نعمة فقال: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾**.

هي نعمة الإسلام ولكن كل ما يؤدي إلى جمع الشمل وإلى تقريب القلوب وإلى تقوية الأواصر هو شيء من الإسلام إذ أن هـذه النعمة ينبغي أن تستثمر. نعمة هذه الاجتماعات ينبغي أن تستثمر إلى أقصى حد وأول ما يستثمر فيها هو أن تخدم القضية العادلة قضية المحرومين وقضية المستضعفين، أن توظف لا فقط من أجل الآخرة وإنما توظف أيضاً من أجل العمل الصالح الذي يضمن الآخرة، يوجد كما نبين كثيراً من التباين في الفهم، ربما يوجد بين أكثركم تبايناً في الفهم العام.

إن الإنسان إذا صلى أو إذا صام أو إذا حجّ أو إذا حضر مجلساً من مجالس

العزاء أو إذا تلى القرآن أو زار مرقداً من مراقد أهل البيت «صلوات الله عليهم» يكسب ثواباً، هو يكسب ثواباً بلا شك إذا كان مخلصاً وإذا كان واعياً، ولكن يكسب ثواباً أكثر إذا وظف هذا العمل توظيفاً حياتياً، لا يكون هذا العمل ملحوظاً فيه ما بعد الموت فقط، وإنما يلحظ فيه أيضاً ما قبل الموت، أن يلحظ في هذه الحياة أن تكون عزيزة ، أن تكون قوية ، أن تكون طاهرة .

نعلم اننا منذ مئات السنين على الأقل ومجالس العزاء في هذه البلاد تقام في الجنوب في البقاع قبل ضياع كسروان أو جزين، في جزين وفي كسروان تقام لكن ماذا كانت وظيفتها، في كثير من الحالات أو في أكثر الحالات كانت وظيفتها وظيفة بكائية، كانت وظيفتها وظيفة عاطفية ولم تكن وظيفة سياسية، المجالس التي أقامها أهل البيت في عام ٦١ للهجرة وما تلاها من مجالس كانت لها وظيفة سياسية، لكن بعد أن انحطت الأمور بعد أن حصلت حالة التخلف أصبح لهذه المجالس وظيفة بكائية فقط، ربما سمعتم بنفي السيدة زينب «سلام الله عليها» من المدينة إلى مصر، لماذا؟

لماذا نفيت، لماذا طلب النظام الأموي أن تخرج السيدة زينب من المدينة لتذهب إلى مصر أو لتذهب إلى الشام؟ لماذا قبرها في مصرأو قبرها في الشام، لماذا ليس في المدينة؟ لأنها نفيت. . أبعدت. . ! لماذا أبعدت؟ لأنها كانت تقيم مجلس العزاء، لماذا يكون مجلس العزاء سبباً للنفي إذا كانت زينب تجلس مع النساء وتبكي فقط ؟ .

في العراق الآن توجد مجالس للعزاء ما العذر منها ، يوجد وظيفتان، مجلس العزاء كانت له وظيفة سياسية، كان مجلس الشحن الثوري، مجلس الثورة، مجلس الوعي وليس مجلس الانكسار، وكانت له وظيفة حياتية، كان يهدف مجلس العزاء إلى أن يُزْكي كوادر تصنع حياة عزيزة لا تصنع فقط قبراً

وظيفة مجلس العزاءهي وظيفة سياسية بالإضافة الى هذا . ونابعة من هذا وظيفة أخلاقية ، الوظيفة الأخلاقية لمجلس العزاء هي أن يُنَصبْ أمام الناس جيلاً بعد جيل لوناً ومستوى من الأخلاق التي تجسدت في أنصار الحسين في كربلاء رجالاً ونساءً، فكربلاء هي مظهر أخلاقي .

الثورة أي عمل من أعمال البشر هو مظهر أخلاقي ، أخلاق عالية أو أخلاق

عادية أو أخلاق مُنْحَطَّة، كربلاء هي مظهر من مظاهر الممارسة الأخلاقية العليا، من هم وما هي نوعياتهم الذين كانوا في كربلاء، أرى أمامي مجلساً يغلب عليه طابع الشبان والشابات، جيل كربلاء كان يغلب عليه طابع الشبان، في دراسة لأنصار الحسين أجريناها اكتشفنا أن فكرة التغير والذين يحملون إرادة التغيير هم عنصر الشبان في كل أمة وجيل من الأجيال، في كربلاء نجد أن المستويات تبدأ بالأطفال الصغار وتنتهي بمسلم بن عوسجة «رحمة الله عليه وعلى إخوانه» الذين كانوا في السبعين وفي الثمانين ولكن بين الأطفال وبين أمثال مسلم بن عوسجة وزهير بن القين وجد وسط كبير مساحته الغامضة هي مساحة الشبان. لماذا؟ كما قلت لأن هؤلاء الشبان كانوا هدف النظام الأموي، النظام الأموي كان يهدف إلى أن يقبض على هؤلاء بثلاثة أساليب.

أسلوب الإغراء، الإغراء، بالمتع باللهو والأسلوب اللاأخلاقي، الإغراء بأسلوب وسائل اللهو لأجل إيجاد جيل منحل، إيجاد جيل يهتم فقط بالساعة الحاضرة خاصة جيل الحجاز وجيل العراق يسرت لهم أعظم الجواري، الغناء، الخمور لأجل إفساد هذا الجيل أخلاقياً. الأسلوب الثاني أسلوب الإغراء المادي، إفاضة الأموال، إعطاء المنافع. الأسلوب الثالث أسلوب القمع، القتل، الملاحقة، الإعدام، لماذا كان هذا النظام يركز على هذا الجيل جيل الشيوخ جيل كبار السن، أخذ صيغته النهائية الصالح صالح والطالح طالح، الآمال فيه آمال قديمة، ولكن جيل الشبان هو الجيل الذي لم يتشكل بعد، هو الجيل المؤهل لأن يضع يده على المجتمع. كان النظام الأموي يركز على هذا الجيل منذ ذلك الحين، في المقابل نجد أن النخبة الواعية التي كانت مع الحسين «سلام الله عليه» وثبتت إلى النهاية إلى اليوم العاشر حيث تحولوا إلى شهداء أغلبهم من الشبان.

أول خروج الحسين من مكة تبعه الألوف من الناس للمنافع وللأحقاد وللمطامع ولكن حينما رأوا أن الموقف موقف جاد موقف لا يتسم بالمناورة السياسية وإنما يتسم بالحسم الثوري الحسم المبدئي تفرق الناس، بقيت هذه المجموعة الصغيرة التي نتعلم منها دائماً في هذا المجلس وفي أمثاله.

الآن من هذا المنطلق ما هي المسؤوليات ما هي الأخطاء والمسؤولية الكبرى؟ الخطاب الأول موجه إلى جيل الشبان، ماذا نتعلم؟ الثورة ثورة ولكن ما

هو مضمونها وما هي أهدافها؟ ما هي ضمانات الشبان وما هي ضمانات الانتصار؟ نذكر نحن، نعرف على مدى التاريخ ما نسميه بالمثال العقيدي عند الصباح ثمانية عشر ألف يبايعون مسلم بن عقيل عند المساء لا يبقىٰ أحد.

هذا المثال القاتل موجود ما هي الضمانات؟ لماذا بايع هؤلاء الناس مسلم بن عقيل صباحاً وقبل ذلك الصباح؟ طيلة أيام إقامته في الكوفة لماذا خرج ألوف الناس بعد ذلك مع الحسين من المدينة إلى أن وصله خبر استشهاد مسلم بن عقيل وأعلنه للناس فتفرق عنه الناس يميناً ويساراً لماذا تبعوا؟ ولماذا تفرقوا؟ لماذا بايعوا ولماذا تخلوا عن بيعتهم؟ هذه ليست حادثة تاريخية، قلت أن القضية الحسينية من أولها إلى آخرها هي ليست حدثاً من أحداث التاريخ. التاريخ ذهب، الثورة الحسينية هي حدث من أحداث الحياة، الحياة باقية فيه مثلت عند إخوانكم في أمكنة أخرىٰ هذه الثورة بالنهر المتدفق، إذا شئت أن تقول أن عمر هذا النهر مليون سنة، أنت صادق وإذا شئت أن تقول أن عمره خمس ساعات أنت صادق، النيل عمره مليون سنة وعمره خمس ساعات لأنه متدفق متجدد. الحياة هكذا الحياة متجددة، الثورة الحسينية شيء من أشياء الحياة وهذا يفسر اجتماعنا هنا لو لم تكن شيئاً من أشياء الحياة لما اجتمعنا هنا، إذن خصوصيات هذه الثورة، رموز هذه الثورة، مفاهيم هذه الثورة حية موجودة ويجب أن تستعاد باستمرار لماذا بايعوا ؟ ولماذا نكثوا ؟ لماذا تبعوا ولماذا تفرقوا؟ البعض كان يريد مغانم لا شأن لنا بهذا البعض وخاصة الذين بايعوا مسلم بن عقيل كانوا ثواراً حقيقيين وتركوا لماذا؟ كانت الثورة عاطفة كانوا يريدون انتصارات سهلة كانوا يتخيلون أنهم بايعوا وحققوا النصر فوراً كانوا مراهقين، مراهقين ثوريين. لا توجد ثورة بلا ثمن لأنه لا توجد ثورة بلا نظام يقاومها ولا توجد ثورة بدون ثورة مضادة لها ولا بد للثوار أن يدفعوا الثمن والثمن هو الشهادة، الثورة ثمنها الشهادة، ما الذي يجعل هؤلاء الثوار شهداء وعلى طريق الشهادة؟ الذي يجعلهم كذلك هو التربية والمناعة الأخلاقية أن يكونوا منيعين أخلاقياً وأن يكونوا واعين سياسياً، الأخلاق أولاً والوعي ثانياً، الأخلاق لأجل أن يعرفوا أن الخطوة التي يقدمون عليها قد تؤدي بهم إلى الموت وفي هذه الحالة الذي يريد أن يموت يجب أن يكون مستعداً، الذي يسلك هذا الطريق يجب أن يكون مستعداً له، وإلّا فمن الجريمة أن في كل مرحلة من المراحل تتكرر قضية مسلم بن عقيل أن تنمو بذرة الثورة، أن تحبل الأحداث بالثورة ثم أن

تصير الثورة سقطاً ميتاً. جنيناً ميتاً هذه جريمة لأنه ليس من السهل أبداً إعداد المجتمع لحالة الثورة ليس أمراً سهلاً بأي وجه من الوجوه.

من هذه المنطلقات ماذا يواجه جيلكم أنتم ؟

أول ما يواجه هذا الجيل وأخطر ما يواجه هذا الجيل التزييف الأخلاقي في المجتمع المترف في مجتمع الاستهلاك في المجتمع الخاضع لقيم الحضارة الغربية سواءاً بمفهومها الرأسمالي أو بمفهومها الشيوعي المطلوب هو الغاء المناعة الأخلاقية وإيجاد ما نسميه أخلاق الترف أخلاق الترف التي تنمو في مجتمع الاستهلاك هي الأخلاق التي تجعل الإنسان فاقداً لكل القيم، تجعل الهدف الأعلىٰ للإنسان هدف اللذة وهدف الكسب، أي مكان تكسب منه أكثر فهو خير، أي مكان أو صيغة تلتذ فيها أكثر فهي خير، الآن في كل مجتمعات الاستهلاك في العالم الإسلامي وفي العالم العربي واستقراراً في لبنان الصحافة والاذاعة والتلفزة والإعلام الخاص وكل المناخ الفكري موجَّه نحو إيجاد مناخ ثقافي لتدمير القيم في نفوس هذا الجيل في نفوس جيلكم أنتم ابتداءاً من المقال السياسي إلى الإعلانات كلها موضوعة لتدمير المناعة الأخلاقية ومن ثم تدمير الإرادة السياسية هناك علاقة بين الإثنين. أنا أذكركم بقصة من ثورة الحسين «سلام الله عليه» أما في ليلة التاسع من المحرم أو في ليلة العاشر من المحرم اجتمع الإمام الحسين مع عمر بن سعد في آخر مفاوضات وعرض عليه عروضاً ماذا كان جواب عمر بن سعد؟ قال له داري في الكوفة يهدمونها قال له الحسين نعوضك داراً أحسن منها قال له ضيعتي في المكان الفلاني يأخذونها قال نعوضك بضيع أخرىٰ. [الهدف ماذا] الإسلام كله، كل مصير العالم الإسلامي في تلك الساعة كان مرهوناً بكلمة من عمر بن سعد، كل الأمة الإسلامية، كل دموع الأطفال، كل ثكل الأمهات صار يعادل بيت عمر بن سعد. داره في الكوفة وضيعته في السواد وبيع كل العالم الإسلامي بيع كل الأطفال. بيع كل مصير المسلمين بيع. . . ، لأن عمر بن سعد يريد حياة مستقرة. ما الذي يمنع أن يتكرر هذا في كل توجه ثوري ما الذي يمنع أن يتكرر هذا في مصير فلسطين كل فلسطين وكل ما تعنيه فلسطين .

سيتكرر هذا حتماً في مصير فلسطين إذا كان التوجه الثوري عند أمثال

عمر بن سعد المعاصرين للجنيهات الاسترلينية في الماضي وثبات أنظمة في الحاضر، نقول هذا وسنظل نقول أن الطريق الوحيد إلى فلسطين الذي لا طريق غيره على الإطلاق هو طريق الحرب والجهاد ولكن أين من يحارب وأين من يجاهد؟

في العاشر من الشهر القمري في ليلة صيفية، القمر غير مظلم، الحسين يخرج وحيداً يأتي عامل بني أمية، عمر بن سعد يتفاوض مع الحسين على مصير أمة الإسلام يتفاوضان عشر دقائق ربع ساعة، المهم عمر بن سعد يبيع يوازن يضع في كفة الميزان داره وضيعته (المزرعة) والحياة المرفهة المستقرة وبالكفة الأخرىٰ ليس الحسين بن علي فقط بل الأمة الإسلامية كلها بكل أسف، عمر بن سعد وعائلته وضيعته وبيته كانوا أفخم من كل الأمة الإسلامية، لهذا ارتكبت الجريمة ما الذي يمنع أن يحدث ذلك الآن؟ لا شيء.

الرغبة في الحياة المرفهة إيثار اللّذة إيثار السلامة النظرة القصيرة عدم الورع يكرر مليون عمر بن سعد، أسبانيا ضاعت بعمر بن سعد مكرر عشرين مرة وغير أسبانيا وآخرها فلسطين والحبل على الجرار، نعم ما هو النقد؟ ما هي الثغرة في عمر بن سعد؟

عمر بن سعد بن أبي وقّاص أبوه من كبار صحابة رسول الله، سعد بن أبي وقاص أحد كبار أبطال الفتوح الإسلامية، عمر من كبار التابعين من أسرة من أعرق الأسر في الإسلام من الزهريين من بني زهرة ما الذي ينقصه؟ نسب، علم، موقع اجتماعي ثقافة؟ كل هذا موجود، الذي ينقصه هو مكانة أخلاقية، والرؤية الأخلاقية الرسالية. ما الذي ينقصنا نحن؟ أيضاً هذا، لماذا نحن مستضعفون في لبنان؟ لماذا يوجد مستضعفون في لبنان؟ لماذا يوجد مستضعفون في العالم العربي؟ لماذا يوجد مستضعفون في العالم الإسلامي؟ لماذا يوجد مستضعفون في العالم الثالث؟ لماذا يوجد مستضعفون في أي ضيعة تعدادها ٥٠٠ نسمة لماذا يوجد فيها ٤٤٥ مستضعف و٤٥ طاغية؟ لماذا؟ أنتم تقرأون كتاب الله ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك**

مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾[1].

الاستضعاف دائماً هو نتيجة للطغيان ولكن الطغيان لا يمكن أن ينجح إذا لم يوجد قبول للطغيان، يستحيل أن ينجح الطغيان دون أن يوجد قبول للطغيان. الرواية الشائعة المشهورة المستمدة من الآية المباركة، الفكرة التي تقول عن البلاء إذا نزل، المستمدة من قول الله تعالى: **﴿واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾**[2] لأنه يوجد طغاة ويوجد قابلون بالطغاة لماذا يقبل الناس بالطغاة؟ لأنهم بلا أخلاق، أخلاق الكفاح وأخلاق الجهاد وأخلاق الرفض وأخلاق التقشف وأخلاق الزهد تكون معدومة، أخلاق الجماعة المتضامنة تكون معدومة، الطغاة عملهم التفتيت وعملهم الشرذمة وعملهم توزيع القوى كلما توزعت القوىٰ كلما انتصب الطغيان وكلما تعاظم الحرمان من العهد التركي إلى عهد الاستعمار الفرنسي إلى عهد الاستقلال (المدّعى) لماذا يوجد محرومون ومستضعفون في لبنان؟ لأن إرادة التغيير غير موجودة. من يملك إرادة التغيير؟ أنتم. الجيل الماضي جيل الحرب العالمية الثانية أفسدوه، الجيل الذي يملك والذي يحكم الآن من آباء وأمهات أفسدوه، انقسم قسمين قسم دجّن إلى أن أصبح كالخراف، وقسم أفسد إلى أن أصبح في مستوى الخيانة، أصبح حليف الطغاة، حلفاء الطغاة أو الناس السلبيين الذين يقولون مولانا ما لنا وللتدخل في السياسة هذه شغلة السياسيين ـ هكذا أوهموهم ـ كأنّ العلماء وأتباع دين الله يديرون شؤون الملائكة في السماء السابعة والسياسيون يديرون شؤوني وشؤونك السياسية، ولو كانوا يحفرون قبورنا ويجوعون بطوننا ويذلون نفوسنا.

الجيل الماضي جيل خسر جولته ومهمته، الجيل الماضي في لبنان انتج أخيراً أحداث ١٩٧٥، أنتج أن الجنوب في مهب الريح، أنتج ٣٠٠ أو ٢٠٠ ألف مهجّر من الجنوب في بيروت وفي صيدا وفي أبعد أقطار الدنيا ماذا أنتج؟ أنتج ضواحي بيروت، أنتج ضواحي البؤس، أنتج العائلات الممزقة الأب في مكان والأم في مكان والولد في مكان، هذا الجيل فشل، جيلكم أنتم يحمل مسؤولية عظمى أمام الله سبحانه وتعالى هذا الجيل مسؤول أن يكون جيل الخلاص، ماذا

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الانفال، الآية: ٢٥.

نريد؟ ربما هذا الكلام ينقل ويفسره الناس تفسيرات كثيرة، نريد فقط العدل نريد فقط أن لا يكون في لبنان مستويات طبقية، نريد أن لا يكون هناك طائفية سياسية ، نريد أن لا يكون رغيف الخبز بالواسطة أن لا تشعر شابة أو شاب يملك كل المؤهلات ويملك أفضل الأخلاق أنه بحاجة إلى أن يطرق هذا الباب أو ذلك الباب من أجل موقع من المواقع هو أقل مما يستحق ، نريد أن لا يكون هناك أطفال وشبان يقضون أعمالهم في ظلام الجهل لأنه لا توجد مدارس في سنة ١٩٢٠ منذ أسس لبنان الى الآن على الأقل في الجنوب ١٠٠ بلد ليس فيها مدرسة للدولة ويوجد في بيروت عشرات المواخير وعشرات فنادق السياحة والترفيه والمشاريع التي تنفق عليها الملايين وعشرات الملايين لاجتذاب السياح، فن اجتذاب السياح وتهجير المواطنين، (..) فن النظام اللبناني نظام الطائفية السياسية ونظام الـ ٥٪. اجتذاب السياح وتهجير المواطنين، رائدنا كلمة أمير المؤمنين (سلام الله عليه) « اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطّام»[1].

أبداً لا نريد أن نتخلص نريد أن نتساوى كنت أقول أن الرسول (سلام الله عليه) في بعض الأحاديث المروية عنه كان يقول «الناس سواسية كأسنان المشط» كنت أقول ماذا نعرف عن وظيفة المشط ما هي ، المشط يؤدي وظيفة تجميلية إذا كانت أسنانه متساوية تماماً فإذا كان له سن طويلة وسن قصيرة هذه الوظيفة لا يؤديها وإذا ضغط الإنسان عليها يجرح، المجتمع غير المتساوي مجتمع الظلم. المجتمع الذي أسنانه، طبقاته أفراده غير متساويين مجتمع جريمة. مجتمع يعوّد على الجريمة يعود على الفتنة، يعود على الظلم، ماذا نريد؟ نريد أن نخلق من هذا الركام وطناً من هذه الشركة نريد أن نخلق وطناً لا يكون فيه متخمون ولا يكون فيه جياع، لا يكون فيه بطرون ولا يكون فيه محرومون يكون فيه حد أدنى للعدالة - أدنىٰ - ليس الحد الأعلىٰ أيضاً لماذا؟ لماذا تتعاوىٰ الذئاب على هذا التوجه من كل جانب لمصلحة من؟ لمصلحة أميركا والاتحاد السوفياتي الذين نشأوا وهم لا يملكون أن يكونوا أحراراً لا يملكون إلا أن يكونوا مربوطين بالشرق

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

أو بالغرب. يريدوننا أن نكون مربوطين بالشرق أو بالغرب ولن نكون. ومن هنا فالطريق صعب والطريق يحتاج إلى تضحيات. الثورة والتغيير ليسا سهلين «والله العظيم» الذين بايعوا مسلم بن عقيل كانوا ثواراً وكانوا مصممين ولكن أخلاق الثوار لم تكن موجودة عندهم كانوا يظنون أن المسألة نزهة، ليست ذات الشوكة نزهة، الإمام الحسين (سلام الله عليه) قال في اليوم العاشر «ألا وأن الدعّي ابن الدعّي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذّلة. ويأبىٰ الله لنا الذّلة» (السلة هي القتل، الذبح).

فاختار طريق الذبح لأجل أن يضرب مثلاً أخلاقياً نتعلم منه نحن في هذه المعاهد التربوية.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الوعي نحن الآن في حالة عبادة، نحن الآن مجتمعون لنتعلم درساً من الحسين تصوروا أن الحسين (سلام الله عليه) لـيلة العاشر من المحرم أو ليلة السادس كانوا لم يصلوا بعد إلى كربلاء كانوا لا يزالون سائرين في الطريق ومعهم الأولاد، الصبايا، النساء السيدات يعلمون أنهم سائرون إلى الموت. أنا ممن يقول وكتبت وقرىء لي، أنا اعتقد أن الإمام الحسين عند خروجه من مكة كان يقوم بثورة انتحارية، لمصلحة من؟!.. لا لمصلحة الجيل الماضي! لمصلحتكم أنتم لأجل أن تتسامعوا جيلاً بعد جيل بأن الحسين هكذا فعل وأن زينباً هكذا فعلت وأن علي الأكبر ابن الثمانية عشر عاماً هكذا فعل وأن القاسم بن الحسن ابن العاشرة والثانية عشر هكذا فعل تسألون لماذا؟ لماذا مات هؤلاء تتعلمون أنهم ماتوا من أجل إعلاء كلمة الله لأن الأمويين كما قال علي: «جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً» الإسلام الحي الإسلام المتحرك في الشارع وفي الميدان وفي المعمل.

(هُبل) جعل جثة محنطة يجسدها بعض وعّاظ السلاطين ماتوا من أجل هذا وأنتم تعلمون هذا اللون من المرشدين لا تكونوا كأصحاب مسلم بن عقيل وإنما كونوا كأصحاب الحسين الذي قال لهم: «أني لا أعرف أصحاباً أبر من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوفىٰ من أهل بيتي إلا وأن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليلحق كل واحد منكم بأهله فإن هؤلاء القوم لا يريدون غيري ولو امسكوا بي - أخذوني - للهوبي عن طلب غيري»، وهؤلاء الجماعة، الإمام الحسين

يأمرهم يقول لهم: «اذهبوا»: يقولون: «يا أبا عبدالله ألهذا تركنا أموالنا وأولادنا وأهلنا وحلائلنا لنسأل الركبان عنك لا والله حتى نموت دونك»، الثورة تحتاج إلى هذا النوع من الخام البشري نحن مؤهلون لأن نكون من هذا النوع، حظنا الأكبر في الحياة وعند الله أن نكون من أنصار الحسين وعلى طريقه.

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما نجهل وأن يوفقنا بالعمل بما نعلم وأن يجعل لنا الحسين وآله وأصحابه أسوة حسنة وأسألكم الدعاء جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الثورة الحسينية
ونموذج الشهادة الحي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى الأخ الإمام القائد السيد موسى الصدر الذي غيبته يد الخيانة والغدر في ليبيا والذي أرادوا بتغييبه أن يطفئوا نور الله، أن يضعوا حداً وسداً أمام المسيرة الظافرة إن شاء الله للمستضعفين وللمحرومين في لبنان، أرادوا أن يضعوا حداً للمستقبل الذي تمثلونه أنتم وأمثالكم في كل مكان في لبنان، ولكن كما فكر يزيد وكما فكر جميع الطغاة في التاريخ كما فكر يزيد أن يضع حداً لثورة المسلمين عليه باغتيال الإمام الحسين وفشل، كذلك يفشل كل طاغية حينما يتصدى لإرادة الله ونور الله الّذَيْن يتمثلان بإرادة البشر المخلصين.

* *

من هنا يشكل الالتزام العملي بقضية الإمام السيد موسى الصدر، يشكل التزاماً عملياً في القضية الأساسية، قضية نهضتنا وتحررنا.

لأننا إذا حلّلنا إخفاء الإمام السيد موسى الصدر لم نجد في نهاية التحليل

(*) ألقيت بتاريخ ٨/ محرم/ ١٤٠٢ هـ ـ ٥/ تشرين الثاني/ ١٩٨١ م في مسجد جمعية البر والإرشاد الخيرية في المصيطبة.

شيئاً إلاّ الجنوب وإلاّ نهضة المحرومين في لبنان وإلاّ ترشيد الدولة، نجد القضية ليست شخصاً اختفى أو أخفي. . وإنما قضية أرادوا إخفاءها بإخفاء شخص أو أشخاص ونتذكر بكل الوفاء الأخوين الكريمين المجاهدين الشيخ محمد يعقوب والسيد عباس بدر الدين، فالتحية والسلام لهم في هذا المجلس الكريم من مجالس أبي عبدالله الحسين، والتحية والسلام إلى شهداء حركة أمل «رضوان الله عليهم» وفي قلبنا وفي ضميرنا جرح كبير وحي باستشهاد المجاهد البطل الأخ حسن شري «رضوان الله عليه» الذي اتذكره الآن في هذا المكان واتمثله وقلت عنه أن أعداء الله قد أجادوا اختيار حسن شرّي لجريمتهم. ولكن في حركة أمل كل شهيد يرتفع إلى رضوان الله يضرب مثلاً لجميع إخوانه في الشهادة الحية. والتحية والسلام إلى جميع مجاهدي الإسلام في كل مكان مس العالم ونخص بالذكر مجاهدي الإسلام في إيران حيث يعملون ويجاهدون من أجل تحرير الجمهورية الإسلامية الإيرانية من براثن الشرق وبراثن الغرب لتكون بإذن الله قاعدة منيعة قوية لكل الحركات الإسلامية في العالم والسلام عليكم وعليكنّ أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

هذه الليلة هي الليلة الثامنة من عاشوراء ننتقل الآن في المكان، ننتقل إلى مشاهدة كربلاء، وننتقل في الزمان إلى مثل هذه الليلة من سنة (٦٠) للهجرة، فماذا نجد؟ نجد مجموعة من الرجال والنساء والأطفال يقودهم الإمام الحسين متوجهين إلى مصارعهم. . فإذا سألنا أنفسنا لماذا توجهوا إلى هناك؟ الجواب أحد أمرين، يوجد جوابين أحد الجوابين هو أن الحسين نازع يزيد بن معاوية على السلطة وأن يزيد بن معاوية لم يقبل وخرج الحسين ليقاتله لأجل أن يجلس مكانه.

بصراحة هكذا أحد الأجوبة، هكـذا . . ! إنه نزاع على السلطان نزاع على الحكم، وقد بينا أن هذا الجواب هو خطأ. الجواب الثاني الشائع أيضاً هو أن الإمام الحسين خرج لينصر الإسلام، ما هو هذا الإسلام الذي خرج الحسين لينصره؟ وحتى على الجواب الأول لماذا أراد الحسين أن يصارع على السلطان؟

كان يزيد بن معاوية يصلي وجميع أعوانه يصلون، يصلون كما نصلي، وكان على الأقل يتظاهر بالصيام وحج في إحدىٰ السنين حجة الإسلام والمساجد كانت عامرة وكل شيء في الإسلام كان في خير فمن أجل ماذا؟! النساء كنّ

محجبات أيضاً لم يكن هناك أي خطأ ولا أي ضرر على الإسلام من هذا النظام أبداً، كان نظاماً إسلامياً كان يحكم باسم الإسلام وباسم القرآن، ومظاهر الإسلام وشعائر الإسلام كانت معروفة وشعائره مشهورة كان دين محمد مستقيماً «إن كان دين محمد لم يستقم إلّا بقتلي فياسيوف خذيني» ما كان دين محمد ملتوياً. كان مستقيماً إذن لماذا؟ حينما نبحث نجد أنه كان هناك ناس مظلومين ناس مثلنا كانوا مظلومين من قبل هذا النظام، النظام المصلي الصائم المزكّي الحاجّ التالي للقرآن كان يظلمهم.

إذن كان الإمام الحسين قد خرج (وكلمة خرج في المصطلح الثقافي الإسلامي القديم تعني ثار).

كان قد خرج من أجل المظلومين لم يخرج من أجل الشعارات لأن الشعارات كانت موجودة وكانت مرفوعة وكانت معززة مكرمة، وإنما خرج من أجل معنى الشعارات ومن أجل مضمون الشعارات فقط ثقوا لم يكن يوجد شيء سوىٰ أنه يوجد أناس مظلومين هؤلاء المظلومين قسم كانوا مسلمين وقسم كانوا غيز مسلمين، ليس المسلمون فقط كانوا مظلومين أهل الذمة أيضاً كانوا مظلومين كان يوجد سياسة ضرائبية غير عادلة،كانت توجد سياسة اجتماعية غير عادلة تجعل الناس طبقات، كانت توجد سياسة عنصرية ظالمة تفرق بين المسلمين وفقاً لأعرافهم عرب وغير عرب، كان الإنسان في خطر، إذن لم يكن خروج الحسين «سلام الله عليه» وخروج من خرج معه من أهل بيته وأصحابه انتصاراً للشعارات وإنما كان انتصاراً للحقيقة. أهل البيت «سلام الله عليهم» بحسّهم السياسي العالي وهم معصومون كانوا لا يخدعون بالشعارات. نتذكر جميعاً أن الخوارج في عهد علي (عليه السلام). رفعوا شعار «لا حكم إلّا لله» وهو شعار صحيح من الناحية الفكرية. من منّا يقول أن الحكم لغير الله؟ من؟! الحكم لله شعار مستمد من القرآن، ولكن مضمون هذا الشعار كان تكفيراً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إذن المضمون السياسي للشعار كان منحرفاً مع أن المضمون الفكري للشعار كان صحيحاً. الشعارات هي نتيجة للمرحلة السياسية والجهادية، لكل مرحلة شعاراتها وأسلوبها في العمل، وليس الشعار هو الذي يحدد ملامح المرحلة السياسية، إذن لم يخرج الحسين من أجل أن يحمي الشعارات ولم يخرج حتى من أجل أن يحمي الشعائر. الشعارات كانت مصونة والشعائر كانت

مصونة كذلك.

خرج من أجل المضمون السياسي والإنساني للإسلام لأن النظام الأموي كان ينتهك هذا المضمون كان ينتهك المضمون السياسي والمضمون الإنساني للإسلام. كان يمارس بالنحو الذي حدده عليٌ في إحدى خطبه في البصرة حينما قال «أن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً».

إذن المضمون هو الدي خرج من أجله الحسين الآن نحن في الطريق إلى كربلاء نلاحظ ونراقب هذه الجماعة الصغيرة من رجال ونساء وأطفال التي يقودها الحسين وهي متعبة وسألناهم وعرفنا لماذا خرجوا، نتقدم بعد ذلك إلى اليوم العاشر من المحرم بعد الظهر لنسمع الحسين وحيداً جريحاً وهو يهتف «هل من ناصر ينصرنا» «هل من ذاب يذب عنا» أو زينب لا أتذكر أن الحسين أو زينب كان يطلق هذا النداء. في آخر الساعات كان يطلق هذا النداء، نتقدم ساعات بعد هذا الموقف نجد ساحة المعركة مضرجة بالدماء. نجد مجموعة من الأجساد من بينها جسد الحسين القتيل نجد السيدة زينب بقامة منتصبة وبعين جافة تنحني على أخيها فتقبله ثم ترفع رأسها إلى السماء وتقول «إلٰهي تقبل منا هذا القربان»[1] ثم تركب ناقتها وتدخل في مرحلة ما بعد العاشر مرحلة السبي. القربان لمن؟ قبل القربان «هل من ناصر ينصرنا» لمن؟ هل من ناصر لا ينصر الحسين كان الموقف موقف يأس. كل خيار من الخيارات سقط لم يبق على الإطلاق إلّا الذبح وبعد الذبح لم يبق للبقية شيء إلّا السبي، أي ناصر هذا، كان المطلوب، وهو أما أن يقتل وأما أن يستسلم، كان يطلب ناصراً ينصر هذه القضية قضية المحرومين وقضية المستضعفين. إذن هذا النداء هو ليس نداءاً آنياً هو نداء للحياة وهو نداء للتاريخ في كل يوم هذا الصوت يدوي كلما ارتفع شهيد وكلما سقطت ضحية كلما ظُلِمَ إنسان وكلما خاف يتيم ينطلق هذا الصوت من عمق الحياة «هل من ناصر ينصرنا» كلما حدث هذا ينطلق هذا الصوت «اللهم تقبل منا هذا القربان» إذن نحن الآن في هذا الموقف وفي غمار هذه القضية في كلمة لأمير المؤمنين يقول فيها: «أضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تجد إلّا

(١) مقتل الحسين: ص ٣٠٧.

فقيراً يكابد فقره. . ». إلى آخر كلامه الذي مضمونه تجد فقيراً يكابد الفقر وتجد غنياً اتخذ نعمة الله كفراً وتجد حاكماً يمارس الطغيان وتجد محكوماً يعاني الذل وتجد مجتمعاً لا يعرف المستقبل وتجد أطفالاً مستقبلهم في الفراغ. الآن هذا موجود في الإسلام أضرب بطرفك حيث شئت من البلاد هنا فماذا تجد في الجنوب؟ تجد قرى تنام مذعورة مكسورة، تجد أرضاً مقدسة مهددة بالاحتلال الإسرائيلي تجد ناساً أطهاراً وكراماً مسلمين وعرباً تنتهك كرامتهم ويداس مستقبلهم، تجد أسراً ممزقة بعضها في الجنوب وبعضها في بيروت وضواحيها وبعضها في أربعة أطراف الدنيا ماذا تجد؟ تجد أموالاً عربية توزعها الأحزاب والمنظمات من أجل أن تشتري بها كرامة الإنسان من أجل أن تشتري بها اختيار الإنسان من أجل أن تشتري بها قرار الإنسان من أجل أن تفتت وتشرذم، من أجل أن تخلق النزاعات والخصومات، من أجل أن تراوب وتوارب لأجل أن تنسي الناس السيد موسى الصدر. أضرب بطرفك حيث شئت فماذا تجد؟ تجد أن هذا النظام العفن الذي استمر عمره أكثر من أربعين سنة أفلح فقط في أن يدمّر لبنان على مراحل في أن يفرز أحزمة البؤس في أن يوجد الدمار والمستقبل الغامض لأن الطائفية السياسية هي التي تحكمه على الصعيد العام ولأن الإقطاع السياسي هو الذي يحكمه. في داخل كل مجموعة ماذا تجد؟ تجد نفس الصورة ولكن من طراز ١٩٧٥ التي كانت موجودة في سنة (٦٠) للهجرة.

«اللهم تقبل منا هذا القربان» اقتداءاً بزينب نحن أيضاً نقولها دائماً لأن لا بد من قرابين، لا بد من عمل يستمد هذه الروح. ماذا نريد؟ ببساطة نريد وطناً، المحرومون في لبنان ليس لهم وطن أين وطنهم في أي مكان، المحرومون في عكار وفي الشوف وفي الشمال وفي الجنوب وفي البقاع أين وطنهم، وطنهم الذي يجدون فيه الأمن أين هو؟ وطنهم الذي يجدون فيه الكرامة أين هو؟ وطنهم الذي يجدون فيه فرصة العمل العادلة بدون ذل وبدون وسطاء تبدأ من البواب وتنتهي بصاحب المعالي وصاحب السيادة، أين هي فرصة العمل الشريفة؟ أين هي نوعية العمل بدون عمولة؟ أين هي المدرسة التي تلجيء أباً وأماً إلى الهجرة من مكان إلى مكان؟ أين هو المستشفى والمركز الصحي؟ وطن. . وطن بلا كرامة، ولا فرصة عمل ولا مدرسة ولا مركز صحي ولا أمن، أي وطن هذا؟! نريد أن نجعل من هذه البلاد وطناً تكون فيه دولة عادلة، دولة آمنة، دولة كريمة،

دولة خادمة للبشر وليست مجموعة طبقات متسلطة على البشر. من أجل هذا نكافح، الكفاح الذي نشترك فيه جميعاً وتعرفونه جميعاً، هذا الكفاح يحتاج إلى مبادىء لأجل أن يثبت ولأجل أن يستمر هو يحتاج إلى مبادىء يحتاج إلى أخلاق لأن علتنا الأولىٰ هي علة الأخلاق، لا أعني الأخلاق العرفية الاجتماعية التي تقضي علينا بأن نضحك ونستبشر ونستقبل ونمارس ما يسمىٰ بالأعراف والمناسبات الاجتماعية، الأخلاق هي عمل الشدائد هي الصبر هي الوقوف أمام المغريات، هي السير على طريق الشهادة هذه هي الأخلاق التي يمكن أن توجد وطناً أن تخلق من هذا اللبنان الرجعي الإقطاعي الطبقي الموزع المقسم، أن تخلق منه وطناً، إذن نحن الآن نصغي إلى هذا النداء «نداء هل من ناصر ينصرنا» ننتقل إلى المياتم الموجودة الآن فى لبنان، التي فيها أيتام «الفتنة» هؤلاء ينادون «هل من ناصر ينصرنا» هؤلاء يجب أن نضمن لهم مستقبلاً، ننتقل الى عشرات الألوف من المعاقين الذين هم الآن بلا مستقبل هؤلاء يقولون هل من ناصر ينصرنا، ننتقل إلى جيل الأطفال الذين هم بلا مستقبل هؤلاء ينادون هل من ناصر يناصرنا، المسؤولية على من تقع؟ الجيل الذي تمت في عهده وعلى يده هذه الفتنة هو لا يصلح أن يقود مسيرة البناء. جيلكم أنتم هو الذي يستطيع أن يقود هذه المسيرة الجيل الذي اكتوىٰ بهذه النار والذي دفع من لحمه ومن دمه ومن أمته ومن رزقه ثمن هذه الفتنة هو الذي يستطيع أن ينهض بهذه المهمة، إذن نحن جميعاً نتحمل أمام الله وأمام التاريخ هذه المسؤولية، المسؤولية تقتضي الصراحة. لا يمكن أن توجد مسؤولية بالمجاملة، المجاملة تعني أما الخيانة أو الانتحار.

يمكن في الحياة الشخصية في العلاقات الشخصية يمكن أن توجد المجاملة أما في الحياة العامة وفي العمل السياسي المجاملة إما خيانة أو انتحار ليس لها أي بديل عن هذين.

الذي يجامل في المصير السياسي يكون اما خائناً واما منتحراً، الإمام الحسين كان يستطيع أن يجامل وأن ينال أعلى الدرجات لكنه لم يقبل بالمجاملة أبداً ولذلك اختار طريق الصراحة والوضوح. بعد أيام تجتمع لجنة المتابعة في لبنان على مستوىٰ وزراء الخارجية وبعد ثلاثة أسابيع يجتمع مؤتمر القمة العربي في تونس يوجد أمر محدد لا نستطيع أن نجامل فيه أبداً لأننا نسمع هتاف هل من

ناصر ينصرنا لأننا نحمل لا على أكتافنا بل في قلوبنا في عيوننا نحمل البيوت المهدومة والقبور المهدومة، في قلوبنا نحمل دموع الأيتام والأرامل، في ضمائرنا نحمل كل مشكلة المعاقين في لبنان. الجنوب ما هو الموقف منه؟ هذا سؤال محدد وموجه إلى لجنة المتابعة العربية التي ستجتمع يوم عاشوراء وموجه إلى مؤتمر القمة العربي في فاسٍ ما هو مصير الجنوب اللبناني؟ ما هو مصير المسلمين العرب في الجنوب اللبناني؟ يوجد خياران قلناهما وسنظل نقولهما. خيار المجاملة فليسقط تحت الأقدام.

الجنوب أرض مقدسة.

لن يستمر بدون لبنان، إذن الجنوب في صميم القضية العربية من هنا نقول لجميع الفرقاء السياسيين في لبنان أن خلاص لبنان يكون بانتزاعه من خاطفيه، بانتزاعه من الإرتهان الدولي للشرق أو للغرب، لأميركا أو الاتحاد السوفيتي. لا بدَّ أن ينشأ قرار وتنشأ رؤيا وينشأ توجه نابع من صميم هذه الإرادة ومن صميم المصلحة اللبنانية، أما المغامرة بمصير الجنوب كالمغامرة بمصير لبنان استجابة لتوجه دولي من هنا أو لتوجه دولي من هناك، هذا الأمر على مستوى الخيانة أكثر من أي وقت مضى منذ سنة ٧٥ إلى الآن تتحمل لجنة المتابعة العربية مسؤولية تاريخية كبرىٰ ومسؤولية أخلاقية سياسية كبرىٰ، كما يتحمل مؤتمر القمة العربي هذه المسؤولية أيضاً، نداء الحسين الذي طالما تردد في حنايا البيوت وعلى المرتفعات وفي المنخفضات في جبل عامل هذا النداء يضج الآن يقول «هل من ناصر ينصرنا»، الجنوب على طريق الشهادة وعلى طريق العزة والكرامة هو حسين كبير، حسين مجسد في الأرض في الإنسان ويهتف «هل من ناصر ينصرنا»، الاستجابة لهذا النداء هي الخلاص، والاستجابة لهذا النداء تكون في كل واحد منكم، وفي كل واحدة منكن، أن يتمسك بالأخلاقية العالية في الممارسة السياسية، أن يتمسك بالأخلاقية العالية في المحافظة على الوحدة، أن يتمسك بالأخلاقية العالية في روح الانضباط لأنّ الانضباط هو الأساس لكل نجاح، إذن ينادي الحسين «هل من ناصر ينصرنا» تنتصب زينب وتقول: «اللهم تقبل منا هذا القربان» تنطلق في مرحلة السبي من كربلاء إلى المدينة تقيم المجالس الحسينية، ينفيها النظام الأموي ويخرجها من المدينة إلى الشام أو إلى مصر، لأن هذه المجالس لم تكن فقط مجالس تبركية وإنما كانت مجالس

ومؤتمرات سياسية، ما نحن فيه الآن وما هو موجود في كل مكان هو ليس مجلساً للبكاء وليس مجلساً للحزن هو مؤتمر سياسي، وهو اجتماع سياسي، مجالس العزاء التي أسسها أهل البيت بعد كربلاء هي لم تكن مجالس حزن كانت مفعمة بالحزن وكانت مليئة بالدموع ولكنها أبداً لم تكن في وقت من الأوقات تحمل روح الهزيمة وتحمل روح الإنكسار، وإنما كانت دائماً تحمل روح الاقتحام وتحمل روح الهجوم، المجلس الحسيني هو مجلس هجومي هو مجلس اقتحامي، يهاجم ويقتحم صميم المشكلة، وحضّاره هم جنوده. لا يمكن أبداً أن يكون المجلس الحسيني مجلساً للحزن ومجلساً للبكاء ربما في القرون الماضية في السنين الماضية كانت الثقافة السائدة تجعل أمثال هذه المجالس. . . أما الآن فلا. لم يعد أمامنا إلّا الوقوف الصلب في وجه كل المؤامرة التي تريد أن تحتوي الجنوب وأن تحتوي لبنان وأن تركز على انهيار الوضع العربي برمته، لا بد من الوقوف الصلب أمام هذا التوجه. بكم أنتم إذن نفهم هذا المجلس على أنه استجابة لهذا النداء، نداء «هل من ناصر ينصرنا» في دموع الأطفال وفي خوف الخائفين وفي مستقبل الذين لا مستقبل لهم نحن بمقدار ما يشرفنا الله نستطيع أن نخط هذا الطريق وأن نقتحم هذه العقبة. الله سبحانه يقول: **﴿فلا اقتحم العقبة﴾** هذه العقبة عقبة الخوف، عقبة التردد وعقبة.

يوجد خياران لا ثالث لهما، أما أن يؤخذ قرار حرب ضد إسرائيل تفتح له كل الجبهات العربية وندخل كلنا في هذا الجهاد الطاهر المبارك، إذا كان قرار حرب بكل ما تعنيه هذه الحرب أما إذا لم يكن هناك قرار حرب وبطبيعة الحال نحن ضد أي قرار سلمي، وبوضوح نقولها ضد أي قرار سلمي إن جاء من أنور السادات أو غير أنور السادات ما هو العمل؟ يترك الجنوب للمجاملة؟ إذا جاملت الدولة اللبنانية بمصير الجنوب وبمصير لبنان ماذا يحدث؟ .

إلى أين نذهب إذا أحتل الجنوب وأصبح أرضاً محتلة كسيناء والجولان والضفة الغربية ماذا نصنع إذا بدأت المستوطنات الإسرائيلية تبنى على أرض جبل عامل؟ نبعث باحتجاجات إلى الأمم المتحدة، وننتظر صدقات الدول العربية وتنتصر حينئذ القضية الفلسطينية وتنحل قضية الشرق الأوسط. أمام القمة العربية خياران، أول خيار وأشرف خيار هو خيار الحرب، الحرب المفتوحة الحرب التي

لا تصمم على أساس وقف إطلاق النار، الحرب المفتوحة دائماً هذا خيار الخلاص وإذا لم يحدث الآن فلا بد أن يحدث في المستقبل، خيار الخلاص؛ خيار الحرب، إلى أن يحدث هذا لا بد أن تعالج القضية اللبنانية انطلاقاً من الجنوب لأن الانتظار والتأجيل يجعل من الجنوب كربلاء جديدة، يجعل من الجنوب أرضاً محتلة ومستعمرات استيطانية ولاجئين. هذا الأمر نرفضه رفضاً مطلقاً ولا يمكن لأي حل من الحلول أن ينجح وأن يستمر إذا لم يجعل مسألة الجنوب في صميمه وفي عنوانه أريد أن أعود إلى التفكير بموضوع الشعارات والمضامين، كل شعار، شعار الحرب ضد إسرائيل هو نتيجة للمرحلة، هذه المرحلة هي مرحلة حرب، ولكن الحرب من أندر الأشياء التي تتحمل التلاعب، الحرب حقيقة كبرى، أنت تستطيع أن تناور في كل شيء ولكن في لعبة الحرب لا تستطيع أن تناور. المحارب محارب لأن الحرب تتناول أصل الحياة وليس كيفية الحياة، يمكن في مشروع اجتماعي في سياسة اجتماعية في منهاج سياسي في منهاج اقتصادي يمكن أن تناور أما في الحرب فأمامك الموت الذي لا يحتمل أية مناورة نحن نواجه حالة حرب نحن نواجه عدواً لا يريد السلام، إسرائيل لا تريد السلام إطلاقاً وجدت من فكرة حرب وبنت مجتمع حرب، وتهيء نفسها لحرب تمتد لمائة سنة، هذه إسرائيل هذه الصهيونية، لا يمكن أن تواجه إلّا بنفس الفكرة وبنفس الأسلوب.

الحرب الشاملة لها أسلوبها، وقلنا علناً وسراً أن الحرب الجزئية، الحرب بالأقساط كما حصل منذ سنة ٣٦ إلى الآن تنتج هزائم بالجملة. الحرب الجزئية تنتج هزائم كلية، إسرائيل لا بد أن تواجه بإرادة حرب شاملة، إلى أن يحدث هذا يجب أن يبقىٰ الجنوب. لا يجوز أن يذهب الجنوب نتيجة لسياسة المجاملة وسياسة الفرار من الحقائق، وسياسة الهروب من الواقع الموضوعي لا يمكن أبداً، الجنوبيون ليسوا سعداء بأن يكونوا في بيروت وليسوا سعداء بأن يتوزعوا في أربعة أقطار الأرض بحثاً عن الأمن وبحثاً عن العمل، ولبنان لا يمكن أن يستمر بدون الجنوب، والاستقرار في المنطقة لا يمكن اللاوضوح. نحن نقتحمها بهذه الروح الحسينية وبهذه الروح الاستشهادية، الآن يفكر الناس جميعاً في الخلاص من الفتنة، ولكن الخلاص من الفتنة إلى ماذا؟ إلى نظام كهذا النظام الذي ولّد هذه الفتنة إلى واقع كهذا الواقع الذي أنتج هذا المجتمع الذي يستشري فيه كل

مرض هذا الأمر لا يمكن أن نرضى به لأن النظام الذي يوجد التخلف يجب أن يستبدل يجب أن يصحح، من هنا حينما نتوجه لا نتكلم عن الأشخاص، الأشخاص يذهبون ويأتي غيرهم ويذهبون ويأتي غيرهم. نتكلم عن النظام عن الطائفية السياسية التي ميزت بين الناس التي جعلت من الوطن أوطاناً والتي جعلت من الناس عبارة عن مجموعات من القطيع كل قطيع له راعي وله سيد وله محتسب يجبرهم لهذا النظام. هذا الأمر هو ما نرفضه وندينه لأننا لا يمكن أن نرضى بأن يتخذ عباد الله خولاً لا نقبل بأن يتخذ المال العام دولاً أين هذا المال؟ كيف ينفق هذا المال؟ أين المدارس أين المستشفيات أين الطرق؟ أين هي؟ مدرسة بكاملها تصغر وتصغر وتصغر تصبح ورقة صغيرة تنزل في جيب متزعم وفي جيب منتهب ويبقىٰ مئات الأطفال بدون تعليم ويبقىٰ مئات البيوت بدون صحة وتبقىٰ مئات القرىٰ بدون مرافق، أي نظام هذا؟!.

أن توجد واجهات للنظام من الفنادق الفخمة والشواطىء الفخمة هذا هو الوطن؟ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيننا هذه الروح الحسينية التي تستجيب لنداء المظلومين والمقهورين كما قلت لكم الحسين خرج وجاهد واستشهد وتمت عملية السبي من أجل المظلومين من أجل المذلّين ومن أجل الخائفين نكون حسينيون بمقادر ما نكون أنصاراً لهؤلاء.

يحفظكم الله ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصلحة الأمة
منطلق الثورة الحسينية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليكم مني سلام الله ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

التحية والسلام إلى الإمام القائد المجاهد السيد موسى الصدر وإلى الأخوين المجاهدين الشيخ محمد يعقوب والسيد عباس بدر الدين ـ الذين خطفتهم يد الغدر والخيانة في ليبيا بمؤامرة من أشنع وأبشع المؤامرات التي شهدها عصرنا.

والتحية والسلام إلى شهداء حركة أمل المجاهدين «رضوان الله عليهم».

والتحية والسلام إلى مجاهدي حركة أمل وإلى جميع المجاهدين والشهداء المسلمين في إيران وفي كل مكان من بلاد الإسلام.

والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

في هذه الأيام الصعبة والكادحة المملوءة بالأخطار والمملوءة بالمسؤوليات نتذكر في كل لقاء من هذه اللقاءات المباركة على ذكر أبي عبدالله الحسين، نتذكر ليالينا وأيامنا واجتماعاتنا ومعاناتنا المشتركة مع الإمام موسى الصدر،

(*) القيت بتاريخ ٩/ محرم/ ١٤٠٢ هـ ـ ٦/ تشرين الثاني/ ١٩٨١ م، في مسجد الطيّونة.

لنكتشف أن قضية الإمام موسى الصدر ليست قضية شخص غاب عنا نكن له الحب والوفاء، إننا نكتشف يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة أنها ليست شخصية، وإنما هي جزء أساسي في القضية الكبرى، قضية لبنان، وقضية الجنوب، وقضية المحرومين.

وإن هذه القضية ما كانت لتحدث لولا العلاقة بينها وبين القضية الكبرى.

لو سألنا أنفسنا لماذا؟ خاصة في نهاية سنة ٧٧ وفي سنة ٧٨ لماذا كان الإمام موسى الصدر يطوف في الآفاق بين الدول هنا وهناك ، لماذا ؟

لوجدنا الجواب أنه كان يرسم ويبحث دائماً عن خطوط نافعة للجنوب وللبنان. من أجل أن يتوقف القتل والإرهاب، من أجل أن تتوقف الإعتداءات الإسرائيلية.

إذاً هذه القضية هي جزء لا يتجزأ من القضية العامة.

في كل وجه من وجوه القضية العامة نجد أن قضية الإمام موجودة، ومن هنا فإنه يكون من الجريمة التنكر أو التجاوز لقضية الإمام موسى الصدر في كل ظرف من الظروف وفي كل اجتماع من الإجتماعات، ويكون الذين يريدون أن يتجاوزوا هذه القضية تحت أي شعار من الشعارات يكونوا من حيث لا يعلمون قد ساهموا في خدمة المتآمرين، لأن إخفاء الإمام موسى الصدر، كان الهدف منه إخفاء هذا الخط والقضاء عليه، ولأجل إطفاء هذه النهضة.

طبعاً فشلوا، استطعنا جميعاً بوعينا وإرادتنا وتسهيل الله لنا، استطعنا أن نحبط المؤامرة وأن نستمر في القضية وفي الجهاد.

هذه الليلة هي الليلة التاسعة من المحرم، أول ليلة قضاها أهل البيت في كربلاء، في ظلمة الليل، هذه الليلة باتوها في ساحة المعركة، وكانت الآمال لا تزال حية، وكانت الآمال لا تزال قوية، في أن يأتي النظام الأموي، وتصل المفاوضات إلى إعادة الأمر شورى بين المسلمين، فلا يكون هناك نظام طغياني مفروض على الناس بالقوة، بالمال، بالسيف، بالتسلط، وإنما يكون الناس أحراراً.

وفي آخر جلسة بين الإمام الحسين وبين عمر بن سعد، عرض الحسين

على ابن سعد أن ينسحب من الدخول في هذه المهمة الإجرامية، وأن يتركه مع الناس. اعتبر ابن سعد أنه في هذه الحالة، سيهدم ابن زياد داره في الكوفة.

قال له الحسين: أنا أعطيك داراً خيراً منها.

ولكن ابن سعد ظن بأنهم سيصادرون مزارعه في العراق.

قال له الحسين: نحن نعطيك خيراً منها من أموالنا في الحجاز.

اعتذر بعذر ثالث، عذر الولاية.

قال له الحسين: لا شربت من ماء الفرات، ولا أكلت من قمح العراق.

أجاب ابن سعد بسخرية: يا حسين بالشعير الكفاية.

المغزى في هذه القصة هو أن الإمام الحسين كان يحمل بين يديه ليس مصير بني هاشم، وليس مصير أهل الحجاز، كان يحمل بين يديه مصير الأمة الإسلامية.

كل وجود المسلمين وحرية المسلمين ومستقبل المسلمين وكرامة المسلمين في كفة، وبيت عمر بن سعد في الكوفة ومزرعته في كفة أخرى.

هذا نموذج، النموذج الثاني: هو الحر بن زياد الرياحي الذي كان قائداً كبيراً في الجيش الأموي، وكان في موقع إجتماعي كبير جداً. في نهاية الأمر وردت الموازنة عنده في أن يبقى محتفظاً بمنصبه وموقعه ومستقبله السياسي أو أن يترك كل شيء ويتحول إلى فرد عادي بدون أي رتب، بدون أي مناصب وينتهي أمره بالموت.

تسمعون من قراء المنبر أنه حينما أخذ يفكر ويرتجف، ويضطرب سأله سائل ما بك؟ قال: إني أخير نفسي بين الجنة والنار.

ثم انتقل من معسكر الأمويين إلى معسكر الحسين.

هذا الرجل أيضاً واجه نفس مواجهة عمر بن سعد.

وازن بين الحسين ومصير الأمة الإسلامية من جهة، وبين مصلحته الشخصية من جهة أخرى.

فاختار أن يكون في جانب الأمة على حساب مصلحته الشخصية.

من كربلاء، هذان نموذجان لنوع الرجال الذين أداروا معركة كربلاء.

رجل يضع الأمة في جانب وبيته ومزرعته في جانب.

ورجل يواجه نفس التجربة، فيختار جانب الأمة والشعب.

مصير الحر الرياحي أنه شهيد كبير في تاريخ الإسلام وتاريخ الإنسانية.

وتاريخ عمر بن سعد أنه جزء من قمامة التاريخ، رجل مجرم حقير انتهى دون أن يحزن له أحد.

نحن من هذه الرؤية، كما ذكرت مراراً وتكراراً، موضوع الحسين، هو مدرسة الإنسان، خاصة نحن، وخاصة في هذه المرحلة من حياتنا الجهادية، نحن بحاجة لأن نتعلم من أسلافنا الذين منهم الحسين .

الحسين أيضاً واجه نفس الشيء، واجه بين أن يبقى رجلاً من أعظم شخصيات المجتمع الإسلامي، وأن يبقى مع أهله وأولاده ومع عشيرته في سلام وأمان، وبين أن يترك كل شيء ويأخذ جانب الشعب، جانب المظلومين.

ترك كل شيء، واختار جانب الأمة.

في النساء، النساء اللواتي كن في كربلاء، هن نساء عاديات مثل سائر النساء، فهن الزوجة والأخت والأم، مثل ملايين الأخوات والزوجات والأمهات.

في عصرهن، وفي كل عصر كان، لكل إمرأة منهن همومها الخاصة، هموم زوجها وأولادها ونفسها، مثل سائر النساء.

أيضاً، واجهن هذه المواجهة:
أن أختار نفسي أو أختار الأمة.
أن أختار زوجي أو أختار الأمة.
طبعاً، أغلبهن، كان أزواجهن معهن، أو أبناؤهن معهن.

نجد مثلاً واحداً أو مثالين في كربلاء لزوجات أو لأمهات ترددن تردداً قليلاً، وبعد ذلك انصرفن في المعركة، لأن موضوع كربلاء هو ليس موضوع رجال، هو موضوع رجال ونساء ولولا وجود نساء في كربلاء لما حصلت كربلاء

بالشكل الذي نعلم، كما أنه لولا وجود الرجال في كربلاء لما حصلت كربلاء بالشكل الذي نعرف.

الرجال والنساء أكملوا بعضهم بعضاً قبل المعركة، وفي أثناء المعركة وبعد المعركة.

في مرحلة السبي، مهمة ما بعد المعركة، قادتها النساء.

زينب ومن معها، ترى هل هذه التجربة، تجربة الإختبار بين الذات وبين الأمة، بين المصلحة الخاصة الشخصية وبين المجموع. هل هي مقصورة ومحصورة في رجال ونساء كربلاء.

كــلا!

هذه سنّةُ الحياة، كلُّ واحدٍ منّا، وكلُّ واحدةٍ منّا، تأتي مراحل وتأتي مستويات من الإمتحان، تواجه فيها نفس السؤال.

أنا والآخرون، كلُّ موظف، كلُّ عامل، كلُّ فلّاح يواجه نفس السؤال. المثقف، العامل، الجامعي، يواجهُ نفس السؤال.

هل أدجّل، هل أتحادث مع الظالمين، أو أختار المظلومين، وأقفُ معهم.

يواجه نفس السؤال، الحاكمُ، الوزير، الموظف الكبير.

هذا إمتحانٌ للوقت اليومي، في الحالات اليوميّة، الإنسانُ يرتاح، تكون مصلحته غير متعارضة مع مصلحة المجموع، أما في الحالات الإستثنائية قد تتعارض في كثير من الحالات، المصلحة الشخصية، الأنانية، مع مصلحة المجموع.

ماذا نرى نحنُ هنا، في هذا المكان الشريف، في الشيّاح، في الضاحية الجنوبيّة، في بيروت؟.

كم يوجد أيتام كم يُوجد أرامل محروقات القلب، كم يوجد معاقون مقطوعو الأيدي، كم يوجد أناسٌ خائفون؟ أكثرهم جاءوا من الجنوب، إمّا هرباً من الخوف أو هرباً من الذل، أو بحثاً عن الرغيف.

مَن المسؤول عن هذا كلِّه؟

هل قَدَرٌ إلهيٌّ أنْ يوجد مظلومون، وأنْ يوجد محـرومون، وأنْ يوجد مستضعفون؟.

هل هو قدرٌ إلهي أن توجد قرى بلا مدارس، وبلاد بلا طرق ومرضى بلا مستشفيات؟

هل هو قدرٌ إلهيٌّ، كلّ ما نحنُ فيه؟

الله سبحانه وتعالى يقولُ لنا: **﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**(1).

الله سبحانه يقول ذلك.

﴿فبما كسبت أيديكم﴾(2)، **﴿وما ربك بظلّام للعبيد﴾**(3).

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿فإنَّ العزةَ لله ولرسوله وللمؤمنين﴾.

ذلك بما صنعت أيديكم، أيدي مَن؟

أنا وأنتم أوجدنا هذا الظلم.

مَن الذي أوجده؟

مَن الذي أوجد جياعى، ومُذلّين ومُهانين ومُطارَدين وخائفين؟

في هذا النظـام الذي نعيش فيه في لبنان، الذي أنتج كلَّ الفتن وكلَّ المذابح وكلَّ الأخطار على الجنوب وعلى غيره.

هذا النظام العفن، نظام الطائفية السياسيّة، نظام تصنيف النّاس إلى فئات، نظام رأس المال الذي لا رابط له، هو ليس مجرد مجتمع إقتصاد حر في لبنان، بل إقتصاد السرقة في لبنان، لأنَّ الإقتصاد الحر الذي نادي به ونتمسك به يجب أنْ يخضع لخيوط توجيهية تحكمه حيث لا يتحوّل رأس المال إلى جلّاد. يزيد بن معاوية لم يكن شخصاً؛ كان شخصاً ولكنه كان رمزاً لنظام، كان رمزاً

(1) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(2) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(3) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

لممارسة، كان رمزاً لنهج.

ومن هنا فكلما وُجد ظلم كلما وُجد خللٌ في حقوق البشر.
يجبْ أنْ نواجه، فكيف نواجه؟

لو أنَّ الإمام علي، قال لنفسه، ما شأني والناس، لماذا أتعب نفسي؟
لماذا أعرّض مصالحي ومصالح عائلتي للخطر؟.
ولو أنَّ الإمام الحسن، قال هذا الكلام.

ولو أنَّ الإمام الحسين سمع لنصح الناصحين... نصحوه! مالك وللناس.. نصحه العقلاء، المتدبرون، المفكرون.. حتى عبدالله بن عباس.

ماذا كان سيحدث؟
كان يحدث أنْ لا تكون عندنا كربلاء.
كان يحدث أنَّ الأمة تُخذل وتستسلم وتتحول إلى قطيع.

هذا الإختيار الذي حدثتكم عنه، الذي واجه الحسين وواجه عمر بن سعد وواجه الحرّ وواجه النساء والرجال في كربلاء، هو يواجهنا الآن، هو الآن يواجهنا.

هل نختار أنفسنا أفراداً وعائلات، هل نختار مصالحنا، هل نختار أنانيتنا، هل نختار دائرتنا الضيقّة؟
أو نختار الشعب، نختار الأمة؟.
نفسُ السؤال ونفس المواجهة.

بمقدار ما يكون جوابنا العملي في مستوى التحدي، وبمقدار ما يكون جوابنا بمستوى المرحلة ننجح، نكون حسينيين، نحصل على إحدى الحسنيين، على النصر أو على الشهادة.

بمقدار ما نكون جبناء، بمقدار ما نكون رجعيين نحمي مصالحنا، نعم..

ولكن يأتي بعد ذلك من يفعل بنا كما فعلوا بعمر بن سعد، الذي وضع مصير الأمة الإسلامية في كفة، وبيته ومزرعته في كفة، لم يُترك حيّاً ليستمتع بالبيت وبالمزرعة، ذُبح في المرحاض، في الحمام ذُبح الذين اختاروا مصلحتهم

الأنانية في الجنوب، في كل قرية، وفي كل دسكرة من سنة ٧٢ ـ ٧٣ إلى سنة ٧٥ ـ ٧٦.

ماذا حصل؟

قسمٌ منهم مهجرون، لأنّ الله سبحانه وتعالى وضع قانوناً تاريخياً حضاريّاً مطلقاً.

حينما يكثر الجبناء، حينما يكثر الرجعيون، حينما يكثر المتمسكون بمصالحهم الشخصية تحت أي شعار بما فيه شعار مالنا وللسياسة.

وإذا سكت عنهم الواعون يأتي الطوفان فيجرف الجميع.

الله يقول: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة**﴾.

ظلموا: يفسروها تفسيراً خاطئاً.

ظلموا: يعني الطغاة،

لا . . .

الفقراء، الجبناء، المستضعفون الذين يكتمون أفواههم ظالمون. الفلاح الذي يسكت ظالم، مثل الطاغية الذي يظلم.

الظلم هنا، هو المعصية، الظلم هنا هو السكوت عن قول كلمة الحق وعن نصرة الحق.

إذاً، في المجموع العام، إختيار الشعب، إختيار الأمة إختيار المصلحة العامة مربحٌ دائماً لا يخسر.

الآن في هذه المرحلة من عمر الفتنة في لبنان نواجه هذا الإختيار في الجنوب، وفي كل لبنان.

في مضمون النظام، نظام الطائفية السياسية، العفن، الرجعي، الظالم الإجرامي، الذي يجعل الوطن سقوفاً. يوجد سقف لي مستواه متر، يوجد سقف لشخص آخر مستواه متران.

سقوف. . . هذا ليس مجتمعاً، هذا إجرام.

وقد آلينا أمام الله أنْ نحطمّ هذا الإجرام، لا يمكن أنْ يستمر مجتمع

الطائفية السياسيّة على الإطلاق في لبنان، لأنَّه في النهاية سيهزمُ لبنان.

لا يمكن في العائلة الواحدة أن يوجد أبناء أعزاء مائة بالمائة، وأبناء أعزاء خمسون بالمئة، وأبناء أعزاء خمسٌ وعشرون بالمائة.

هؤلاء الأبناء سيتحولون إلى أعداء فيما بينهم، ولأبيهم ولأمهم.

في لبنان، الطوائف التي تعاني من الحرمان، من التميـيز، لا تعرف معنى الوطن، لا يوجد في لبنان وطن.

طيلة ستين سنة من سنة ١٩٢٦ إلى الآن، لم يفلح هؤلاء الحّكام في بناء وطن. أفلحوا في بناء مقاطعات،

أفلحوا في بناء عائلات، وفشلوا في بناء وطن.

هل يفكر الجنوبي بألم إذا حصلت نكبة في الشمال، هل يفكر ابن الجبل بألم إذا حلّت نكبة في الجنوب. أبداً!!

عوالم، توجد عوالم، حينما يتحدثون معي يقولون، أنتم تحملتم الكثير، هو ليس من لبنان، الجنوب، وليس من لبنان عكار، وليس من لبنان الشوف.

إذاً، أين هذا اللبنان؟.
في الفراغ موجود، في السماء موجود؟!
في كتب التاريخ المشوَّهة التي تدرّس في المدارس؟.

لبنان موجودٌ في الأطفال الذين لا يجدون مدرسة، موجود في الرجال والعائلات المُطاردة من الخوف، موجود في الأرض المستباحة من الإسرائيليـين.

الإختيار ـ هنا.
وطن أم مزرعة؟
وطن أم مجموعات فئوية؟

لا بدَّ أنْ يُبنى لنا وطن، والوطن لا يمكن أنْ يُبنى إلاَّ بإقامة الدولة العادلة، وتهديم دولة الإمتيازات.

نفس الحالة الحسينية هي موجودة الآن، الآن في لبنان موجودة وفي كل مجتمع فاسد موجودة، وفي كلِ نظام فاسد موجودة.

إذاً ، الإختيـار المـطروح ، إختيـار داري أو الأمـة يـواجهنـا ، مصلحتي الخاصة أو مصلحة ملايين الأطفال والنساء العاجزين تواجهنا الآن .

من روح الحسين وأصحابه ومن روح زينب وصاحباتها، من روح هؤلاء جميعاً، نتعلم دروس الجهاد ودروس الشهادة ودروس النصر،

نسألُ الله سبحانه أن يسددّ خطانا في الطريق إليه وأن يتقبل عملنا، واسألكم الدعاء جميعاً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كربلاء
ثورة من ثورات الحياة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة على نبيِّنا محمدٍ وآله الطاهرين والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواحِ التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلامُ الله ما بقيت وبقي الليلُ والنهار ورحمة الله وبركاته.

التحيّة والسلام إلى إخواننا المجاهدين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الذين يخوضون معركة الإسلام لا في الجبهة ضد العراق فحسب وإنما في مواجهة الإستعمار الجديد كله.

التحيّة والسلام لشهداء هذه الثورة (رضوان الله عليهم) ولمجاهديها وقادتها على رأسهم إمام الأمة الإمام الخميني.

والتحية والسلام إلى مجاهدي حركة أمل وشهدائها (رضوان الله عليهم) وإلى الأخ الإمام القائد المجاهد السيد موسى الصدر والأخوين المجاهدين الشيخ محمد يعقوب والأستاذ عباس بدر الدين.

والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

نحنُ الآن في أمسية اليوم التاسع من عاشوراء، نعود بخيالنا وقلوبنا إلى

(*) ألقيت بتاريخ ٩/محرم/١٤٠٢ هـ ٦/تشرين الثاني/ ١٩٨١ م، في حسينية الجمعية الخيرية الإسلامية في برج البراجنة بدعوة من سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت.

مثل هذه الليلة في صحراء كربلاء في سنة ٦٠ للهجرة، فماذا نجد تماماً في هذا المساء في سنة ٦٠ هـ في صحراء كربلاء؟ ماذا نجد؟ نجدُ مجموعة من الرجال والنساء والأطفال فيْ هذه الصحراء، يواجهون جيشاً كبيراً هو الجيش الأموي، يواجهونه بقيادة الحسين بن علي، وقد تقلّص عددهم وانتهوا إلى العشرات حينما وصل إلى حتمية المواجهة، لم يزيدوا كثيراً عن مئة رجل وعن بضعة عشرات من النساء، لأن ثورة كربلاء، ثورة الحسين، لم تكن ثورة الرجال فقط، كانت ثورة النساء أيضاً، لولا النساء لم تكن كربلاء كالتي نعرفها، لولا جهادهنَّ، ولولا سبيهنَّ ولولا صَبْرهُنَّ لم تكن كربلاء هذه التي نعرفها.

لماذا، مَن الذي شرّدَ الحسين وأخرجه من بيته؟ مَن الذي أخرجه من المدينة؟ ومَن الذي أخرج الحسين من مكة؟ ومَن الذي جاء به إلى كربلاء؟.

الخوف؟ هل كان خائفاً؟ لم يكن خائفاً، لم يخف، كان عزيزاً منيعَ الجانب.

الذل؟ لم يكن الحسين ولا أحدٌ من أهل بيته ذليلاً، لا الخوف ولا الذل.

الجوع؟ لم يكن الحسين أو أحدٌ من أهل بيته جائعاً.

لماذا؟

لماذا يثور الناس؟ لأنهم خائفون، لأنهم ذليلون، لأنهم جائعون؟ لا الخوف ولا الذل ولا الجوع، لم يكن هناك أيُّ سبب من هذه الأسباب، يدعو إلى الخروج، لم يكن هناك من سبب من هذه الأسباب، ولذلك النظام الأموي تعجّب، وعّاظ السلاطين، مثل عبدالله بن عبّاس وأمثال عبدالله بن عباس تعجبّوا.

لماذا تخرج؟ «الله، الله في دمك، الله، الله في هذه النسوة». كانت المناشدات التي تحثُّ الحسين على عدم الخروج كثيرة، ومع ذلك نحنُ أمام كربلاء.

الآن في هذه الأمسية موجودون في كربلاء، يواجهون الجيش الأموي، لماذا؟.

الحسينُ في بيته في حرم رسول الله، في مكة في حرم الله، في مدن

الحجاز، في بوادي الحجاز، كان يرى النَّاس، هو لم يكن جائعاً، لكنه كان يرى الجياع، هو لم يكن مقهوراً، لكنه كان يرى المقهورين، ولم يكن خائفاً، لكنه كان يرى الخائفين.

لم يكن يعاني شخصيّاً، ولم يكن يعاني عائلياً، كان يرى النَّاس أمثالكم أنتم وأنتنَّ يراهم بدون مستقبلٍ ولا كرامة ولا عزَّة.

عزّة الإسلام تحوّلت إلى طغيان الحاكم، وذل المحكوم.

عدالة الإسلام تحوّلت إلى الإستئثار بالفيء، وإتخاذ مال الله دِوَلاً.

أمانُ الإسلام تحوَّل إلى رعبٍ وخوف...
وحدةُ الإسلام تحوّلت إلى قبَليّة...
عالميّةُ الإسلام تحوَّلت إلى عنصريّة، تحوَّلت إلى عروبة...

كان يرى الإسلام موجوداً في الشكل ومهدوراً في الجوهر.

أيُّ إسلام؟ تُرى لم يكن يزيد ونظام يزيد يصلّي أو يصوم أو يحجُّ؟

كان يفعل كلَّ هذا، كانت الصلاة قائمة في المساجد، كان شهر رمضان مُعَظَّماً كان الحقُّ قائماً، كانت المساجدُ ملأى بقرّاء القرآن.

ولكن في الوقت نفسه كان الإسلامُ مهدوراً.
لماذا؟.

لأنَّ الصلاة والصيام وقراءة القرآن وارتفاع المساجد وكثرة الحجيج يجب أنْ تُترجم إلى حياة، يجب أنْ تُترجم إلى كرامة، إلى رغيف الخبز، يجب أن تترجم إلى عزَّة النفس.

إذاً، جوهرُ الإسلام كان منتهكاً ومهدوراً، جوهر كرامة البشر كان منتهكاً ومهدوراً.

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه، صوّر هذه الحالة في أيام معاوية، قال: «إنَّ هؤلاء القوم قد اتخذوا مالَ الله دِوَلاً، وعبادَ الله خِولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً».

وهؤلاء كان يصومون ويصلّون ويحجّون.

إذاً، الحسين الذي لم يكن خائفاً، والذي لم يكن جائعاً ولم يكن ذليلاً، كان مسؤولاً لأنَّ النّاس كانوا جائعين وخائفين وإذلاّء.

لهذا السبب خرج. . لهذا السبب نجده الآن في كربلاء يواجه الموت، يواجه المصير النهائي المحتوم الذي لا أمل فيه بأيّ انتصار آني، بأيٍّ انتصار فوري.

الإقدام على العمل الإنتحاري، لماذا؟

الإنسان يثور لأجل أن ينتصر، إذا هو لم ينتصر، ينتصر الذين معه.

لماذا واجه الحسين الثورة الإنتحاريَّة؟

قطعاً ويقيناً، حينما تكشفت كلّ الأمور، تبيّن أنّ الحسين سيستشهد وأنَّه لن يكون هناك نصرٌ في الحاضر، وستُسبى عياله ومع ذلك بكل تصميم، استمر، لماذا؟. لأنَّ الناس الجياع الذين سار الحسين منْ أجلهم، ولأنَّ الناس الأذلاء الخائفين، الذين ثار من أجلهم، كانت عندهم مصيبة أخرى، كانوا مخدّرين، مضلّلين، كانوا قد وصلوا إلى حالة الإعتقاد بأنَّ حالتهم هي قدرٌ من الله، كانوا قد وصلوا إلى حالة الإعتقاد، بأنّه لا يمكن التغيير، كانوا في حالة تخدير ونوم.

وهذا كلّ الثقافة المُضلِّلة وكل الأحاديث الموضوعة التي حرّمت على النّاس الثورة وحرّمت عليهم الإحتجاج، وأمرتهم بإطاعة الحاكم الجائر كلها خدّرتهم.

بهذه الثورة أراد الحسين أنْ يُحدث صدمة. أنْ يُحدث هيجاناً، أن يجعل النّاس يفيقون، يرون أنَّ ابن بنت الرسول يُقتل وهو يرفعُ شعار الحرية «ألاّ وإنَّ الدعيّ ابن الدعيّ، قد ركز بين اثنتين بين السِّلَّة والذِّلة، وهيهات منا الذّلة».

إما الذلُّ وإمّا القتل.
رفض واختار القتل لأجل أنْ يعيَ النّاس.

في كل مجتمع، في كلٍّ نظام من الأنظمة توجد هذه الحالة، توجد الثقافة التي تقولُ للنّاس: لا تغيّروا، والتي تقول للنّاس ليس في الإمكان أحسن مما كان، توجد الثقافة التي تخوّف النّاس من التغيير. في مجتمعات الطغيان والظلم كل هذا يُوجد.

والظاهرة التي دفعت الحسين إلى الثورة، والتي دفعته إلى الثورة الانتحارية هي موجودةٌ الآن، موجودةٌ الآن هنا، وفي مكانٍ آخر من العالم الإسلامي ومن العالم الثالث عالم المسحوقين والمستضعفين تحت نير الاستعمار الجديد، استعمار القوى العظمى. والتي تخلق في المجتمع حالة الترف والاستهلاك والرضى بالموجود لتجعل الناس منصرفين عن حالة التغيير.

حينما نتعامل وحينما نتعلم من الثورة الحسينية، نتعلّم هذه الحقيقة، نبكي ونحزن ونتألم ونثور.

في الماضي كانت هذه المجالس بحكم الثقافة الخاطئة، كانت تعلّم الإنكسار والخنوع، كانت تعلّم الرضى عن النفس.

ماذا كنا نتعلّم، كبارُ السن يعرفون هذا، أن الإنسان العاصي لله غير الملتزم، الإنسان الذي لا يؤدي حقوق الله، والغني البخيل والحاكم الظالم، والإقطاعي الطاغية، والفاسق الفاجر، كانوا في عاشوراء يأتون إلى مجلس الحسين أو يقيمون عزاء للحسين، ويأخذون صك البراءة من الله، ومن محمد بأنّهم صالحون ، وأن طغيانهم مغفور وبخلهم مغفور وبأنَّ فجورهم مغفورٌ، كذلك النّاس الأذلاء، والناس المسحوقون الذين يجب أنْ يتحركوا ويتحرروا كانوا يأتون إلى مجلس الحسين ويرضون بالبكاء عن أنفسهم، تحصل ما يسمّى حالة الإحباط. هذا العزاء الحسيني باطل، خروجٌ عن أساس المبدأ الحسيني، الطغيان لا تغسله الدموع الكاذبة، الفجور لا تغسله الدموع الفاجرة، لو أنَّ الطغاة أقاموا المناحات العظمى على الحسين، ومن طغيانهم طفلٌ خائفٌ، ومن طغيانهم رجلٌ ذليلٌ، لا ينفعهم قناطير الدموع، لأنَّ ثورة الحسين لم تكن فرصة للهروب وإنَّما فرصةٌ للإمتحان وفرصةٌ للإقتحام.

هذه الثقافة وكبار السن يعرفون هذا وفي كل مكانٍ من البلاد التي تقيم عزاء الحسين، يأتي الفجرة الكفرة الطغاة فيبكون دموعاً قليلة، ويعتبرون أنهم قد غُفِر لهم.

لن يغفر لهم، الدموع لن تغفر، العمل هو الذي يغفر، إذاً، الثورة الحسينية، هي ليست ثورة الرضى عن النفس، وإنَّما هي ثورة الثورة على النفس، ثورة الغضب على النفس، ثورة محاسبة النفس.

أنْ نأتي إلى هنا لنتعلم كم تفصلنا مسافاتٌ عن فهمنا الحقيقي الصحيح للإسلام الذي يقولُ لنا: كونوا أحراراً، وكونوا كراماً.

ماذا كان سيحدث لو أنَّ الحسين نتيجة للمفاوضات والعروض قَبِل أنْ يبقى ساكتاً؟.

ماذا كان سيحدث؟

قبل الحسين ماذا كان سيحدث، لو أنَّ علي بن أبي طالب نتيجة للمفاوضات قَبِل أنْ يسكت؟.

ماذا كان سيحدث لو أنَّ محمد بن عبدالله (ص) نتيجة للمفاوضات قَبِل أنْ يسكت؟

ماذا كان سيحدث الآن، لو أنَّ الإمام الخميني نتيجة للمفاوضات قَبِل أن يسكت؟.

كان سيحدث أنَّ النَّاسَ ستُسحق بالطغيان، وأنَّ أيَّ أملٍ من آمال الحريّة سينتهي.

كان سيحدث أنَّ أيَّ أملٍ من آمال الكرامة سينتهي، كان سيحدث أنَّ الظلم والجور يعمُّ العالم.

ولذلك منذ عهد رسول الله، منذ كلمة لا يا عم،«لو أنهم وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري على أنْ أتركَ هذا الأمر أو أهلكَ دونه ما تركتُه».

«لا» منذ تلك «اللا» الأولى حدثت هذه التغييرات العظيمة، وُلِدت هذه الآمال العظيمة، هذه «اللا»، هذا الرفض، هذا النفي لمفاهيم الطغيان ولمنطق الطغيان، هو المطلوب منّا نحنُ لأجل أنْ نكون حسينيين..

مَن هو الحسيني؟

الحسيني هو الذي يبكي؟

هو الذي يحضر هذه المجالس؟

لا.

الحسيني هو المجاهد الأخلاقي، لا المجاهد الفوضوي، لا النفعي، لا العاصي لله.

المجاهد الأخلاقي هو المجاهد الحسيني، هو الذي يحمل كربلاء في قلبه، في عينيه وفي فكره، وإنْ لم يحضر أيَّ مجلس من مجالس العزاء، كربلاء ليست مؤسسة، كربلاء ليست ديواناً من الدواوين.

كربلاء روحٌ تمشي في الشارع، وتمشي بين النَّاس. هي حالة وليست ثقافة وليست تاريخاً.

قلتُ لكم هنا وفي أمكنة أخرى، الثورة الحسينية ليست شيئاً تاريخياً.

الآن، توجد تاسوعاء، تاسوعاء سنة ٦٠ للهجرة الآن موجودة وستبقى موجودة، التاريخ ليس من كربلاء، كربلاء ثورة من ثورات الحياة، وليست ذكرى من ذكريات التاريخ، كربلاء كالنهر المتدفق، تستطيع أنْ تؤرخ لها في ألف سنة، وتستطيع أنْ تقول هذا المساء ولدت الآن، كربلاء موجودة دائماً حينما يوجد أهلُها، كربلاء أنتم، أيتامكم، ذلُّكم، مستقبلكم الغامض، الجنوب الذي يبحث عن هويّة، الجنوبيون الذين يبحثون عن وطن، المسحوقون في لبنان الذين لا وطن لهم، ولا كرامة ولا مستقبل لهم في ظل هذا النظام الإقطاعي.

كربلاء في كل يتيم، وكل ذليلٍ وخائف توجد كربلاء. فكربلاء حينما نتعامل معها كتاريخ تصبح كفتح روما.

إذا أردنا أنْ نقول. أنَّه حدث منذ ١٤٠٠ سنة، حدث كذا وكذا، هل هم أرحامُنا؟ هل هم إخواننا؟ هل سفك الأمويون سنة ٦٠ هـ دمنا؟

أبداً! لماذا لأيِّ شيء نحن هنا؟
من أجل أن نحصل على ثواب في الآخرة؟

لا ثواب لكم في الآخرة من هذا الإجتماع وغيره إذا لم تحاولوا أن تحوّلوا كربلاء إلى عملٍ سياسيّ دنيويّ، إذا لم تحاولوا أنْ تغيّروا حياتكم بها، تغيّروا ذلَّكم وجوعكم بكربلاء.

إذاً ماذا تصنعون؟

ماذا صنع لكم يزيد بن معاوية، سبى نساءكم؟ لا، قتل آباءكم، أيضاً لا.
هو قتل الحسين بن علي.
ما شأنكم بالحسين؟

لماذا لا تقيمون مجلس تعزية ليحيى بن زكريا؟ أيضاً قتله طاغية زمانه.

هذه نقطة مهمة، نبيّ الله يحيى (ع)، بواسطة بغيٍّ مومس، طاغية زمانه قطع رأسه ظلماً وعدواناً.

لماذا لا تقيمون له مجلس العزاء؟

لماذا يُقام مجلس العزاء للحسين، لماذا؟

وذاك نبيٌّ، نحن نعظّم يحيى بن زكريا، ولكن يوجد شيء، قضية ابن زكريا لم تدخل في الدائرة التاريخية لنا.

فالحسينُ جزءٌ منَّا، وإذا لم نشعر أنَّه جزءٌ منا فلا داعي لهذه المآتم.

لا ثواب ولا رضوان من الله إذا أردنا أنْ نفهم أنَّ القضية مجرد قضية دموع، وإننا بالدموع وبانكسار القلب نستطيع أن ندخل الجنّة.

هذا ضحك!

الله أحكم وأعدل وأقوى وأعلم من أنْ يُخدع عن جنته.

أنْ تظلم أو تقبل أن تكون مظلوماً!

أنْ تذل أو تقبل أن تكون ذليلاً!

أنْ تنافق أو تقبل من الآخرين أن ينافقوا!

وتأتي إلى هذا المجلس وتجلس وينكسر قلبُك لأنَّ صوتَ المقريء جميل، وتبكي خمس دمعات، وتدخل الجنّة.

هذا سخفٌ، هذا تفكير سخيف.

الحقيقة أنَّك تأتي لأجل أن تولد هنا مرة ثانية، لأجل أن تتعلم كم أنت مخطيء، كم أنت مقصِّر.

لا تأتِ لأجل أن ترضى عن نفسك، بل لأجل أنْ تغضب على نفسك، ولأجل أن تخرج من هنا إنساناً آخر، له نظرةٌ أخرى، له آمالٌ أخرى، ومسؤولياتٌ أخرى.

حينما وقفت زينب في مثل يوم غد على جسد الحسين الطاهر وأجساد الشهداء وقالت:

«اللّهم تقبّل منا هذا القربان».
القربان لمن؟
القربان لنا. . .
لشيء ضائعٍ في السموات؟ لا!

هو قربانٌ لكم، لكم ولأمثالكم، هو ذبيحةٌ من أجلكم، لأجل أن تتعلموا، حينما وقفت في ظهيرة ذلك اليوم، وقالت:

«هل من ناصرٍ ينصُرنا، هل من ذابٍ يذبُّ عنّا». كان يمكن أن تقول، ما الذي أتى بكِ إلى هذا البلاء؟ لماذا جئتِ وأنت تعلمين أنَّ لا ناصر؟.

هي كانت تناديكم، وستظلُّ تناديكم، لا من أجل أنْ تنصروها، وإنَّما من أجل أن تنصروا أنفسكم، من أجل أنْ تضمنوا لأطفالكم مستقبلاً أعمّ وأطهر وأقوى، من أجل أنْ ينتصر الحق، وأنْ تنتصر الفضيلة، من أجل أنْ تتحقق كلمات الإمام الحسين حينما خرج من مكة في وصيته المشهورة:

«إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، إنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمةِ جدّي رسول الله فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق».
الحق، العدالة، حينما نعمل نحن هنا في لبنان، حينما نواجه هذه الدولة، وحينما نواجه هذا النظام، ماذا نريد؟ هل نريد أن نكون ظالمين بعد أن كنا مظلومين؟ لا! نريد العدل، أنْ نكون عادلين، وأنْ تكون دولة عادلة لا تصنّف النَّاس إلى طبقات، ولا تصنّف الطوائف إلى مراتب، ولا تجعل من الأفراد، كل واحد مصيره كله يرتبط بنوع المذهب الذي ينتمي إليه.

هذا هو الظلم، الذي بروح الحسين، وبدم الحسين وبقربان زينب سنحاربه، وسنحاربه جميعاً يداً واحدة إنْ شاء الله.

التحية والسلام إلى الثورة الإسلامية، ونحن نتشرف بحضور هذا المجلس الكريم الذي أقامته السفارة، ونتعلم منها، يعني من الإسلام، ومن مجاهديها ومن شهدائها ومن قادتها، نتعلم منها فكرها السياسي وفكرها الثوري، وروح القادة، عقيدة الشهادة التي وُلدت من هنا، التي حوّلت المأتم الحسيني إلى معملٍ للإنسان يعيد تكوين عقل الإنسان وروح الإنسان.

هذا النوع من المجالس الحسينية التي وُلدت داخلها الثورة الإسلامية في إيران .

التحية لها ولمجاهديها ولشهدائها ولقياداتها .

والتحية والسلام إلى إمام الأمة، الإمام الخميني.

والسلام عليك يا أبا عبدالله في هذه الليلة المجيدة، ليلة الحزن وليلة الإنطلاق.

استودعكم الله واسألكم الدعاء في هذه الليلة التي بات الحسين وأهله وأصحابه ولهم دويٌّ بتلاوة القرآن، كدويٍّ النحل ما بين قائمٍ وقاعدٍ وراكعٍ وساجدٍ يوصون بعضهم بعضاً بالثبات، واصبحوا غداً وواجهوا الله سبحانه وتعالى أشرف ما يواجهه إنسانٌ.

في هذه الليلة نستقبل غداً العاشر من محرم، بقلوب مفتوحة وعقولٍ مفتوحةٍ للتغيير، وليس للرضى عن النفس، للسخط على النفس ولنعطي أحسن ما عندنا.

استغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الثورة الحسينية
معاصرة للأجيال البشرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله ما بقيت وبقيت السموات والأرض ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى الأخ الإمام القائد المجاهد السيد موسى الصدر الذي أخفته يد الخيانة والغدر ولا تزال تخفيه، لتقطع باخفائه الطريق على حل محنة الجنوب ووضع حد لها ولتبقى في محنة لبنان عنصراً من عناصر التعطيل الذي يقف بكل توجه وكل مبادرة أمام هذه القضية والسلام عليكم أيها الأخوة ورحمة الله وبركاته.

نعود في هذا العام إلى الثورة الحسينية من بيت في الجنوب، ندخل إلى الثورة الحسينية من فجوة أحدثتها القنابل الإسرائيلية في هذا البيت، ندخل إلى كل الذكرى الحسينية من هذه الفجوة التي أحدثتها قنبلة إسرائيلية. لا ندخل إليها من باب التاريخ ولا ندحل إليها من باب الفكر، وإنما ندخل إليها من باب الحياة، ندخل إلى الثورة الحسينية من فجوة أحدثتها القنابل الإسرائيلية الأميركية

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/محرم/١٤٠٢ هـ - ٧/ تشرين الثاني/ ١٩٨١ م في الكلية العاملية.

الصنع في بيت فلاح لبناني في جبل عامل، وندخل إليها عبر جثة ابن هذا الفلاح المضرجة بالدماء، وندخل إليها من دموع زوجته الثكلى وندخل إليها من الصمود البطولي لهذا الفلاح، صموده على أرضه المخضبة بالدماء وتصميمه على أن يبقى وعلى أن يبني وعلى أن يحمي بلحمه العاري هذه الأرض الطاهرة جبل عامل، ويحمي بصموده ما وراءها من أرض العرب والمسلمين وكرامتهم ويقول بلسان الحال للصهيونية الباغية (لا) لا أعطيك بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لك إقـرار العبيـد كمـا قـال الإمـام الحسين لأولئـك الـذين أرادوه أن يسكت ويستكين، أيضاً ندخل إلى ذكرى الثورة الحسينية من باب الإمام موسى الصدر الذي تلخص قضيته كل محنة لبنان وكل محنة لبنان الجنوبي كما تلخص هذه القضية في الوقت نفسه كل علل العرب التي جعلتهم عاجزين عن حرب التحرير الشاملة لتدفع بهم نحو تجارب السلم المستحيل. هذه القضية أيضاً ستبقى إلى أن تحل مدخلاً دائماً (نابضاً) إلى الذكرى الحسينية، تدخل في كل ضمير من ضمائر اللبنانيـين ومن ضمائر المخلصين في كل مكان لتناشد كل مسؤول في العالم العربي وفي العالم الإسلامي أن يجد طريقاً لحل هذه القضية لأنها ستبقى إذا لم تحل ـ فلن تموت، ستبقى وستكبر ـ ستظل هاجساً دائماً لا يموت.

ندخل إلى الثورة الحسينية من باب الثورة الإسلامية في إيران، هذه الثورة التي حررت شعبها من الارتهان للغرب أو للشرق فكانت لا شرقية ولا غربية لتبني دولة الإسلام الذي يحقق الأمل في خلاص العالم الإسـلامي من عبوديتـه للاستعمار الجديد بجميع صيغه الشرقية والغربية، ونحيـي شعب هذه الثورة وقائدها العظيم الإمام الخميني، ندخل إلى الثورة الحسينية من باب الثورة الفلسطينية التي تمثل في العالم العربي إرادته الحية الشريفة والكريمة والصادقة في الحرية والاستقلال والكرامة والتحرر والإنعتاق من الصهيونية التي تمثل أعتى صيغ الاستعمار الرأسمالي الجديد، نحيـي صمودها وجهـودها وانتصـاراتها ونعاهد الله على الذكرى الحسينية وعلى كل ما تحمل هذه الذكرى من معاني الصدق والوفاء أن نبقى معها لا كشركاء وإنما كأصحاب قضية لأن العرب ولأن المسلمين أخطأوا ويخطئون حين يتعاملون مع القضية الفلسطينية من موقع الصديق أو من موقع الشريك ولا يتعاملون معها من موقع صاحب القضية.

من كل هذه المداخل والمسارب نعود إلى الذكرى الحسينية بكل وهجها

وتألقها وامتدادها في القلوب والعقول في حاضر يجابهنا بالتحديات التي تقتضيها هذه التحديات بأعلى المناقب لنواجه ونصمد وننتصر، وهـذه المناقب هي الدروس الخالدة في الثورة الحسينيـة لأنها ليست محـدودة، وليست نتيجة للتوازنات التي تجعلها نسبية وإنما هي نتيجة لتحد وجودي اقتضى من الحسين وآله وصحبه أن ينعتقوا من جميع توازناتهم، توازنات مصـالحهم الخاصـة وعشائرهم وقبائلهم وأقاليمهم ويتعاملوا مع قضية الإنسان المطلقة خيفته وتحديه وانتصاره، ومن هنا من كون هذه القيم وهذه المناقب مطلقة، من هنا تكون معاصرة الثورة الحسينية لكل جيل لأنها بذلك لا تكون شيئاً من أشياء التاريخ ولا حدثاً من أحداث الزمان الماضي وإنما تكون شيئاً من أشياء الحياة وقوة من قوى الحياة كالنهر المتدفق الذي تستطيع أن تؤرخ له قبل ألف سنة وتستطيع أن تقول عنه أنه جديد الآن.

حينما نتعامل مع المناقب المطلقة للإنسان، جذر من التاريخ يسقط ويبقى الإنسان، من الثورة الحسينية المعاصرة، اجترح شيئاً عظيماً في الماضي من أجل خير البشر، يبقى انجازه حياً ومعاصراً لأنه يخرج عن دائرة التوازنات التي تجعل من فعل الإنسان حياة دائمة.

من هنا معاصرة الثورة الحسينية لكل جيل يعاني من المظالم ويواجه التحديات الوجودية كما هو حال المسلمين والعرب الآن في حرم الثورة الحسينية نحن الآن قبيل الظهر في كربلاء أمام الجيش الأموي وأمام قلة صغيرة من الناس والرجال والنساء والشبان يقودهم الحسين بن علي، هناك نواجه التحدي، نواجهه الآن هناك، نحن الآن منها نحن الآن نشهد إرادة موت في سبيل ماذا؟، في سبيل توازنات شخصية للحسين؟، في سبيل دفع خوف أو جلب نفع؟. لم يكن الحسين خائفاً ولم يكن ذليلاً ولم يكن جائعاً، لم يكن يعاني من شيء، كان فقط يرى الناس، الذين قال عنهم أبوه علي، قال عنهم وعن النظام الذي يحكمهم أن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً والصـالحين حربـاً، والفـاسقين حـزبـاً هؤلاء النـاس هم الـذين حـركـوه، وهم الـذين دفعـوا به لأن يثور لأنه كان إذا لم يثر يفقد ذاته ودوره وسبب وجوده المعنوي.

إذن من أجل أمثالكم أنتم ثار الحسين، ومن أجل أمثالكم أنتم كان في

كربلاء، لا ليحقق نصراً آنياً، فقد كان يعلم أنه لا يوجد نصر آني ، كان يعلم أنه يواجه قوى لا تغلب، ولكنه كان يواجه حالة من التخدير الديني ، كان يواجه حالة من الإنفلات والضياع، أراد أن يغرس الثورة عليها في كل قلب، فكانت ثورته، وكانت شيئاً من أشياء التاريخ.

نحن الآن في كربلاء نطل على عالمنا الإسلامي وعلى عالمنا العربي وعلى لبنان، فماذا نجد؟.

نجد أن العالم الإسلامي يتخلى عن دوره، المسلمون الذين أراد الله لهم الفكر القرآني أن يتحدوا وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، وأن يكون منهم شهداء شهود على حضارة البشر، هؤلاء المسلمون تخلوا عن دورهم في تحرير العالم الثالث من أسر القوى العظمى وعبثاً نفر حينما تنكر هذه الحقيقة هذه القوى ممثلة بالغرب وبالشرق هي سر عللنا جميعاً، في آسيا وفي أفريقيا وفي أميركا اللاتينية، هي التي سببت هوان الإنسان وإنسحاق الإنسان، لا يستطيع هذا العالم أن يتحرر إلا بأن يجمع نفسه وإلا بأن يعرف مصالحه الحقيقية وإلا في أن يجابه.

الإسلام هو المؤهل لهذا الدور، هو الذي يجمع أكبر كتلة بشرية في هذا العالم، هو الذي يمثل أعلى مستوى حضاري في هذا العالم، هو الذي يملك صيغة فكرية في هذا العالم، هو الذي يملك الثروة والجغرافية في هذا العالم، كل الحقائق السياسية الجغرافية والاقتصادية تعطيه هذا الدور والمسلمون تخلوا عن هذا الدور تخلوا، لماذا؟ لأنهم استسلموا لضعفهم ، لوهم العجز الذي يساورهم ولأنهم وقعوا في فخاخ هذه القوى العظمى في فخاخ الغرب أو الشرق لتمزقهم وتستنزف ثرواتهم وتلهيهم بالنزاعات القومية تارة، وبالنزاعات الإقليمية تارة ولتمسخ شخصيتهم الثقافية والحضارية وتلغيها نهائياً، هذا العالم الذي نجده في ذكرى الثورة الحسينية التي كانت احتجاجاً على مسخ الإسلام وعلى تشويه الإسلام ، عليه أن يأخذ دوره .

نطل من الثورة الحسينية على العالم العربي الذي خرج وأطل على العالم بعد الحرب العالمية الأولى بشعار الوحدة بشعار الوحدة العربية، نجده الآن تمزقه النزاعات، وتمزقه المخاوف، نجده الآن بدل أن تقل دوله وتعظم تنظيماته

يسعى من هنا أو من هناك نحو تأسيس دول جديدة، الجامعة العربية مرشحة لأن يزيد عددها وإذا نجح المشروع الاستعماري الصهيوني فلعل الجامعة العربية يبلغ عدد دولها كعدد دول الأمم المتحدة، تبلغ الخمسين أو الستين، هذا العالم العربي الذي أطل على العالم بعد الحرب العالمية الأولى بشعار الوحدة، كيف نجد حاله الآن، كيف نجد وضعية الحدود بين دولة ودولة ونظام ونظام، كيف نجد وضعية كتب التاريخ وكتب التربية الإجتماعية بين مدرسة ومدرسة ونظام ونظام.

هذا العالم العربي تمزقه النزاعات الإقليمية وتمزقه المخاوف من القوى العظمى في الشرق أو في الغرب تفتعل له المشاكل، تخلق له المخاوف لأجل أن يبقى أسيراً في يدها ولأجل أن تبقى ثرواته مستنزفة، تفتعل له القوى العظمى المشاكل والنزاعات لترتهن ثرواته ومواقعه الاستراتيجية، وقراره السياسي وأخطر ما ارتكبت هذه القوى في الشرق وفي الغرب، أخطر ما ارتكبت جريمة فلسطين التي شردنا منها لا أقول شرد الفلسطينيون منها، شردنا جميعاً منها بالمادة والمعنى بالحياة وبالفكر، شردنا جميعاً منها نحن العرب والمسلمون في كل زاوية في العالم، وغصبت منا أرضها لتقام فيها دولة إسرائيل لماذا؟ لتقطع الطريق على آمال الوحدة والتكامل، وتحول دون انطلاق النمو السياسي في العالم العربي وتحتل المزيد من أرضنا، وتهدد كل أرض وكل مستقبل، ومن السخريات بعد كل هذا أن الأميركيين يقولون لنا أن عدوكم الأول ليس إسرائيل.

نطل من كربلاء التي تقترب الآن من ذروتها يقترب الآن موعد ذبح الحسين قبيل الظهر أو عند الظهر نطل على لبنان. فماذا نجد، نجد أن الفتنة لا تزال مستمرة، أن الإنقسام الوطني والجغرافي، الإنقسام الذي يتسلل إلى الجامعة اللبنانية ويكاد أن يتسلل إلى المؤسسات المالية العامة، ويكاد أن يتسلل إلى كل مؤسسة نجده لا يزال مستمراً، الفتنة بكل شرورها وكل أفاعيلها وكل مشروعات الشرور المستقبلية بعد سبع سنوات تقريباً لا تزال هذه الفتنة مستمرة في لبنان تأكل الأرض وتأكل الإنسان.

والاستمرار في العدوان، وتضع الجنوب اللبناني في بؤرة الأخطار الوجودية وفي مقدمتها خطر الإحتلال الإسرائيلي وإقامة المستوطنات المسلحة

على أراضيه التي تقضم فترة بعد فترة. هذا ما نجده في لبنان.

الخوف الكبير من قياداتهم كلها، سواء كانت تعتنق هذا الفكر أو هذا الفكر لأن الأمر إذا انتهى إلى دمار الإنسان وإلى سقوط الوطن وإلى نمو القبور يوماً بعد يوم وإلى نمو المعاقين يوماً بعد يوم فماذا ينفع الفكر وماذا تنفع الأيديولوجيات؟ أليست هي من أجل خير البشر؟ أليست هي من أجل كرامة البشر؟ أليست هي من أجل حرية البشر؟ ماذا تنفع كل هذه العصبيات وكل هذه الأيديولوجيات، اليمينية هنا واليسارية هناك، ماذا تنفع؟.

اللبنانيون أنفسهم، هم المسؤولون هم الذين هدموا وطنهم بأيديهم وأيدي غيرهم، وهم الذين يطالبون بأن يضعوا حداً لعملية الهدم ويصمموا على عملية البناء.

يجب أن يبدأ الوفاق من اللبنانيـين أنفسهم الذين يجب أن يكونوا جميعاً قد وعوا أنه لا يمكن لأي فئة أن تقهر فئة أخرى، وتظلمها أو تستمر في قهرها، وظلمها، وعليهم الوصول إلى هذه الغاية أن ينعتقوا كما انعتق الحسين وآله وصحبه، أن ينعتقوا من التوازنات التي تجعل هذا الفريق منهم أو ذاك أسيراً لعلاقات يتوهم أنها تحميه وهي في حقيقتها أسر اختياري يضع نفسه فيه فيضيع الوطن ويحرمه بيديه.

إن الوفاق هو الذي يضع لبنان على طريق الخروج من هذه الفتنة وهذا الوفاق يقوم على أن العدو الأول هو إسرائيل بكل ما يقضي به هذا المعتقد من مواقف سياسية ومؤسسات ومناهج عملية وتحالفات ويقوم على إعادة سلطة الدولة بكل ما تعنيه هذه السلطة في الأمن وفي الإدارة، وأن يعطي اللبنانيون الذين توزعوا هذه السلطة هنا أو هناك، أن يعيدوها لصاحبها الحقيقي الذي هو الدولة، ويقوم على السعي نحو بناء الدولة العادلة هذه الدولة التي تحكم بالوفاق يجب أن تكون دولة عادلة لا كما هي عليه الآن، وكما كانت في الماضي.

أذكر لكم أن من الرموز الفكرية التي نتجت عن ثورة الحسين، رمز الغربة، الحسين يسمى الغريب أو غريب كربلاء، وقف وحيداً غريباً كيف كان الحسين غريباً؟ الحسين مسلم وكربلاء أرض إسلامية، إذاً هي وطن، إذاً هو لم يكن غريباً، الحسين عربي، وكربلاء أرض عربية، إذاً هو لم يكن غريباً، كان في

حالة حرب وعداء وثورة نعم، ولكن على أرضه وعلى وطنه، الحسين عاش أغلب سني صباه في الكوفة والحيرة ولعله وصل في تجواله وأسفاره إلى كربلاء لم تكن حتى الأرض غريبة عليه، كيف كان غريباً هذه الغربة التي يتحدث عنها التاريخ هي ليست غربة جغرافية ولم تكن غربة سياسية كانت غربة انتماء. الحسين والمستضعفون والمسحوقون الذين سار من أجلهم الذين كان جوعهم وعطشهم وذلهم يشكل أيديولوجية الحسين في الثورة هؤلاء كانوا غير منتمين لم يتح لهم أن يشعروا أن في السلطة يداً حانية وحامية، كانت غربة في الإنتماء.

في لبنان يوجد شيء من هذا، توجد غربة في الإنتماء، هذه الغربة في الإنتماء هي التي عطلت بناء مفهوم الوطن، هي التي عطلت نمو معنى الوطن في القلب وفي العقل هي التي جعلت اللبناني يشعر بعائلته، ويشعر ببلدته ويشعر بمنطقته أكثر مما يشعر بلبنان. لم نستطيع أبداً أن نكون المفهوم الحضاري للوطن المفهوم الذي عبر عنه رسول الله (ص) حينما قال: «المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء بالحمى والسهر».

هل يتداعى لبنان حينما يصاب شماله أو نتحدث عن الشمال كما نتحدث عن أرض غريبة؟ إلا إذا كان لنا فيه أرحام نطمئن عليهم، هل يتأذى لبنان إذا تعذب جنوبه؟، هل يتأذى لبنان إذا هدد جبله؟، معنى الوطن في النفس غير موجود، هو مهتز، الكلام عن الطوائف، والكلام عن المناطق، والكلام عن البلدات والقرى ولا يوجد كلام وفكر واهتمام عن الوطن، غربة الإنتماء هي المسؤولة عما حصل هي التي كونت ما قلناه مرة قبل مدة الخلل في البناء الوطني، هو الذي مكن من نمو الفتنة ومن نمو عواملها ومن تهيئة المناخ للقوى الخارجية لتتدخل في لبنان.

المقياس في مواجهة ما نحن فيه هو تحديث الفكر الوطني لنجعله فكراً وطنياً حقيقياً، لنجعله فكراً وطنياً إنسانياً، من هنا في الحلول الآتية وفي الصيغ الآتية، وفيما يسمى الاستحقاقات الآتية لا مجال للتوقف عند الأشخاص حتى عند أخلاقهم الشخصية والتاريخية التوقف عند المناهج، الذي يجب أن يحكم ليس الشخص، وليس مجموعة الأشخاص، الذي يجب أن يحكم هو منهج،

كفى يجب أن نخرج منذ الآن، أن نضع أقدامنا على عتبة الطريق الذي يخرجنا من صيغ الأشخاص ومن توازنات الأشخاص لندخل في المناهج وفي المبادىء لندخل في النظام الوطني الإنساني الذي يحقق الاستقرار والكرامة والمستقبل للبنانيين.

المقياس ليس الشعب، المقياس هو المنهج، والأساس في الخروج من الفتنة هو إصلاح النظام، وفي الدرجة الأولى وضعية المناطق المحرومة والفئات المحرومة، في الشمال وفي الجنوب وفي البقاع وفي الشوف، وفي كل مكان لم تنزل عليه نعمة التاريخ في العمل الماضي والأجهزة الماضية في لبنان.

المحتوى الطائفي والمحتوى الفئوي للبنان يجب أن يصحح لأننا لا نستطيع أن ندخل القرن الواحد والعشرين ولا نستطيع أن ندخل عهد التغييرات العظمى في المنطقة بعقلية كهذه وبنظام كهذا وبتركيب سياسي اجتماعي كهذا نجتمع الآن ونحن ندخل من الساحة الدامية في كربلاء إلى ساحتنا الدامية في لبنان من بيروت الغربية هذه التي شهدت مئات الشهداء بالقنابل الإسرائيلية إلى أقصى نقطة في الجنوب، وإلى أقصى نقطة في الشمال وإلى أعلى ذروة في الجبل، ندخل وبعد قليل تجتمع لجنة المتابعة العربية لتتابع عملها في بحث المشكلة اللبنانية، وفي اقتراح المخارج والحلول، نجتمع الآن ولجنة المتابعة العربية تتأهب للاجتماع لتتابع النظر في القضية اللبنانية وسبل معالجتها وإذا كنا نرى في لجنة المتابعة العربية ضرورة لبنانية وضرورة عربية نستمر في تأييدها ودعمها والحرص عليها، لأنها الضمانة الوحيدة والوثيقة للإمساك بالفتنة في لبنان، فلا تعود إلى الإنفلات، ولأنها اللجنة، تترجم المسؤولية العربية عن لبنان وعن مصيره، إذا كنا لا نزال وسنبقى على هذا الموقف.

نعود إلى التأكيد للدولة اللبنانية وللجنة المتابعة العربية بأن الجنوب اللبناني هو المفتاح لحل الأزمة في لبنان وأن أية معالجة للوضع يجب أن تنطلق من معالجة الوضع في الجنوب، وقد مضى زمن كاف على محاولات اللجنة وصيغها في بيروت وعلى مستوى الوطن لتثبت كل عمليات الفشل التي وقعت فيها اللجنة، أن الحل يبدأ من الجنوب، أن يحصل في الجنوب أو أن يوضع في التصور للحل المتعاقب المراحل هذا شأن، ولكن ما حدث، والقادة السياسيون يعلمون أن الجنوب استبعد من أي بحث عملي، الخطأ هو هنا، فليضعوا التصور

للحل الشامل المتكامل الذي يبدأ من الجنوب وليبدأ الحل بالتدريج بما يتوافق مع المخاوف ومع الضرورات ومع خصوصيات الموقف العربي وخصوصيات الموقف الدولي.

أما تأجيل البحث في الجنوب، إلا قبل أن تحل أزمة المنطقة فهذا أمر نرفضه، ونقول منذ الآن أنه عقيم، لأن الجنوب سيحبط أي حل يستبعده وأي حل يستثنيه. وهذا الواقع بعينه، الواقع الذي تواجهه لجنة المتابعة العربية الآن هو ما يواجه مؤتمر القمة العربي الذي سيعقد في المغرب في نهاية هذا الشهر.

أولاً: أعظم انجاز يمكن أن يحققه هذا المؤتمر هو التضامن العربي لأننا تجاوزنا حدود الفضيحة وتجاوزنا حدود الخسارة، ووقفنا على حافة الكارثة نتيجة غياب التضامن العربي، التضامن العربي والتضامن على انقاض كمب ديفيد على أنقاض المؤامرة الدولية على فلسطين ولبنان وعلى الحق العربي، يجب أن ينبت التضامن العربي لا الحد الأدنى منه وإنما الحد الأعلى لأن المرحلة لم تعد تحتمل حدوداً دنيا لأننا نتوقع أن تجيب إسرائيل على هذا المؤتمر بعملية اجتياح، ونحن نعرف، أصبحنا نعرف أن إسرائيل قادرة على أن تضرب من مرجعيون إلى ضواحي بغداد، وهذا لا يمكن أن يواجه إلا بتضامن عربي يضع القوى العظمى أمام الخطوط الحمراء لما يمكن أن تتعرض له مصالحها في هذه المنطقة.

وأعظم انجاز يمكن أن يحققه العرب في هذا المؤتمر هو التضامن على أنقاض كمب ديفيد الذي سبب للبنان أعظم المآسي ووضع جنوبه في خطر ضياع فالوضع في لبنان كما نعلم ويعلم الأخوة العرب جميعاً الوضع في لبنان هو مفتاح الوضع في المنطقة العربية، لبنان المهدد بالاجتياح والتفتت، والمقاومة الفلسطينية المهددة بالتقزيم، فالوضع في لبنان هو مفتاح التضامن والوضع في الجنوب هو الضرورة الملحة لإصلاح الوضع وتسوية الوضع في لبنان، وإلا فإن إسرائيل وهذا أمر متوقع قد تختار جوابها للعرب في هذه المرة وفي الجنوب في صيغة تجعل من الجنوب أرضاً محتلة جديدة وتخلق مشكلات لاجئين جديدة بكل ما لها من تفاعلات وأخطار.

أما الذكرى الحسينية نستعيد كل هذا مسلمون وعرب ولبنانيون لنعود فنؤكد أن هذه الثورة ليست هاشمية وليست حجازية وليست شيعية ولا سنية، هي ثورة

في الفكر ثورة إسلامية، قلت بين أيديكم في السنة الماضية لم يشترك فيها العلويون فقط، اشترك فيها العثمانيون الذين تربطهم بالخليفة عثمان بن عفان، تربطهم به صفة الولاء السياسي. هذه الثورة الحسينية الإسلاميةالتي ليست من حق الشيعة أبداً أن يدّعوها لأنفسهم وليست من حق الشيعة أبداً أن يلونوها بلونهم. ينبغي أن تكون هي الوسيط الذي يعيد صهر المسلمين في لبنان وصهر المسلمين في العالم الإسلامي وإعادة الاعتبار إلى هذاالفكر الحي الذي أنتج هذه الثورة، هذه الثورة حينما نتجاوز بها هوية الفكر الديني هي في صميمها في بعدها الأعظم والأصفى والأنقى هي ثورة إنسانية، ليست من حق المسلمين أبداً أن يدعوها لأنفسهم لأن مسيحيين قد اشتركوا فيها كما يثبت التاريخ. هذه الثورة هي كما قلت اقتضت من الحسين وآله وصحبه أن يواجهوا أعلى وأعتى التحديات ولذا تخلوا عن كل التوازنات ليدخلوا في صميم قضية مصير وخيبة الإنسان ومحاولة الإنسان وانتصار الإنسان في النهاية لأن الإنسان بالتأكيد سينتصر في النهاية.

استغفر الله سبحانه وتعالى لي ولكم، وأسأله أن يعيد هذه الذكرى على الناس جميعاً وقد عمهم الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الانضباط
في
العمل الثوري



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، والصلاة والسلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى الأخ الإمام السيد (موسى الصدر) الذي شهد له هذا المكان المبارك وقفات كثيرة. كانت معالم على الطريق وكنا نسمع الآن وتسمعون احدىٰ هذه المعالم.

وكم كنت أوّد لو أن هذه الخطبة [وكانت خطبة جمعة تليت] وآمل أن تتلىٰ في الليلة القادمة (سأقول للأخ الشيخ عبد الأمير) أن يأمر بتلاوتها بأناة وبطء ليلحظ المسائل الكبيرة بين الحلم والرؤيا التي كانت تحكمها، وبين الواقع الذي آلت إليه الأمور لنعرف ما علينا وما لنا.

(عادة يقولون ما لنا وما علينا) يبدو لي أن ليس لنا شيء، ولذلك أقول: لنعرف ما علينا ولنضع أيدينا علىٰ الداء الخفي الكبير الذي سبب هذه المسافة الكبيرة، أن نلقي باللوم على الآخرين فهذا خطير والآخرون في داخل لبنان

(*) ألقيت بتاريخ ٨/محرم/١٤٠٣ هـ - ٢٥/تشرين الأول/ ١٩٨٢ م في حسينية برج البراجنة.

وخارجه مسؤولون عن كثير مما حصل وبصراحة أقول: عند أية محاكمة لن نخرج أبرياء.

التحية والسلام للأخ الإمام السيد (موسى الصدر) الذي كما قلت قبل مدة تمثل قضيته القضية المركزية في اهتمامنا. وفي عملنا بما هي نتاج وتعبير عن حالة عامة نعيشها الآن وكنا نعيشها في الماضي. حالة تمثل الإحباط والحرمان والتخلف والقهر وما إلى ذلك.

حينما فكرت اليوم أن أزور هذا المكان الحبيب استعرضت في ذهني العناوين، عناوين دروس عاشوراء لأجل العنوان المناسب لمرحلتنا التي نمر بها، عنوان الشهادة عنوان الإيثار على النفس، عنوان التضحية، عنوان الصبر وغير ذلك من العناوين.

رأيت أن العنوان الملائم لمرحلتنا الحاضرة هو غير هذه العناوين جميعاً.

العنوان الملائم لمرحلتنا الحاضرة والتي يمكن أن يكونٰ تعبيراً وأن تكون ذكرىٰ أبي عبدالله (ع) وأصحابه (رض)، أن تكون مدرسة في هذا العنوان هو الانضباط. وهو عنوان الاستقامة في مرحلتنا فيما نستقبل من أمورنا في لبنان فعلينا أن نستعيد درس الانضباط.

لا أدري إن كنت في السنة الماضية، وفي مثل هذه الأيام تحدثت في هذا المكان عن هذه المسألة. مسألة الانضباط تحدثت عنها في بعض المرات في الماضي ولكن الآن تبدو قضية كبيرة وضرورة كبيرة جداً.

أولاً نعرف الانضباط ما هو؟

ونطرح الآن سؤالاً لو أنه بعد أن انحسمت الأمور في كربلاء. وبعد أن تبين الطريق والمصير لهذه المئة وبضع رجل والنساء اللواتي كن معهم.

عدد أصحاب الحسين من أقربائه من الهاشميين وغيرهم لا أظن أنه يصل إلى مئة وخمسين (أقل من ١٥٠) وبعضهم مجموعة من النساء.

لو أن الإمام الحسين (ع) كان يطرح فكرة من الأفكار في المفاوضة السياسية أو في تصدّ قتالي. وكربلاء كان فيها خطان للعمل، كما كان فيها مفاوضات سياسية كان فيها تصد قتالي.

فلو فرضنا أنه قرر شيئاً ثم إنَّ:

(العباس) مثلاً (سلام الله عليه) اجتهد اجتهاداً معيناً وأخذ مجموعة من عشرة أشخاص أو عشرين شخصاً وأدار المسألة السياسية على ذوقه هو، (زهير بن القين) رحمة الله عليه، لو فرضنا أنه أيضاً اجتهد اجتهاداً آخر وأدار المسألة على ذوقه هو.

لو أن شخصاً ثالثاً من الرؤساء والمتميزين في أصحاب الحسين (ع) لو افترضنا أنه أخذ المسألة على ذوقه.

هل كانت في هذه الحالة توجد كربلاء التي نعيشها الآن؟

وهل كانت كربلاء تكون بهذه العظمة، وبهذه القداسة، وبهذه الفاعلية في التاريخ.

قطعـاً لا.

كانت هذه المجموعة المؤمنة التي لا شك في إيمانها وفي رسالتيها، كانت تتشرذم، تتوزع، تتمزق، وتفقد ثمن التضحية، تفقد نتيجة التضحية.

لأنه في مثل هذه الحالة المصيرية لم يكن هناك انضباط وإنما كان هناك عدة اتجاهات وعدة اجتهادات.

الذي حصل في كربلاء هو غير هذا، هو أنه حينما تمت ملامح المرحلة وتحدد خط السير الكبير الجميع صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، انضبطوا، كل الآراء وكل الإرادات تكرست كلها في تيار واحد هذا التيار الواحد أنتج في التاريخ كربلاء.

قبل كربلاء والإمام الحسين (ع)، عندنا صفين.. كانت صفين والإمام علي (ع) وصفين كان فيها قرار سياسي وعسكري ولكنه لم يكن فيها انضباط. كان فيها شُعب. واتجاهات وبحسب اصطلاح التعبير في هذه الأيام (كواليس)، حسـب ظهور في بعض الناس، وتسديد فواتير لبعض الناس، واخلاص من بعض الناس؛ ولكنه اخلاص أعمى وليس اخلاصاً بصيراً.

في الإسلام لا نجد اخلاصاً أعمى، الاخلاص دائماً يكون بصيراً.

لأنه لم يكن في «صفين» إنضباط خسرت معركة «صفين» وكانت النتيجة انتصار الخط المنحرف الذي هو خط معاوية.

الجميع كانوا مخلصين الجميع كانوا رساليـين. ولكن لم يكن الجميع منضبطين.

صفين انتجت الخوارج، وانتجت التحكيم، وانتجت المعارضة، لأنه لم يكن هناك إنضباط.

البطولات، التضحيات، حجم الشهادة الذي أعطي في «صفين» أبداً لا يقل عن البطولات والتضحيات وحجم الشهادة الذي أعطي في «كربلاء» مع فارق السن و«عمار بن ياسر» العملاق الكبير في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الإنسانية هو من شهداء صفين.

ولكن صفين انتجت تحكيماً وخوارج ومعارضة لماذا؟! لأنه لم يكن هناك إنضباط. قبل (صفين) كان النبي (ص) (سلام الله عليه)، في محطتين: بدر وأحد.

في بدر وجدنا قلة في العدد، وفقراً في السلاح، وعزلة دولية.

ودولياً كان الإسلام معزولاً، وكان النبي وحيداً وكان في بحر من الشرك والكفر والإلحاد.

كان في بدر إنضباط، الثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً الذين كانوا في بدر كانوا منضبطين حينما يصدر قرار. . يكون القرار قانوناً مبرماً وحتمياً وينفذ.

بدر انتجت أعظم انتصار في كل تاريخ الإسلام في عهد الرسول (ص).

في (أُحُدْ) وجدنا كثرة في العدد، وغنى وكان الإسلام منتشراً، ومع ذلك حصلت هزيمة (أُحُد) لأنه لم يكن هناك إنضباط، ولأن الفريق. الذي وضعه الرسول (ص) في سفح الجبل اجتهد وأراد أن يشارك في الغنائم، وكانت الهزيمة.

الإنضباط هو السمة الكبرىٰ في الإسلام، وهو العلامة الكبرىٰ في سيرة الرسول (ص)، وهو السمة الكبرىٰ في سيرة أهل البيت.

إن الله سبحانه وتعالىٰ في خطابه للرسول (ص) في ما يتعلق في هذه

النقطة يقول له ﴿استقم كما أمرت﴾[1] يعني انضبط، يعني لا تجتهد.. يعنى ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين﴾[2].

الإجتهادات ربما في بعض الأحيان تكون ضد الإنضباط ومن ثم تولد الخذلان.

إن الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[3].

أنا رأيت بعد التفكير أن الدرس الكبير والضروري من عاشوراء هو لنا ـ صراحة ـ يعني المسلمين الشيعة اللبنانيين، والمسلمين بوجه عام في لبنان. إن الدرس الأعظم والأكبر الذي يجب أن نستعيد تعلمه من عاشوراء هو هذا الدرس (درس الإنضباط والاستقامة)، ولن أدخل في التفاصيل فكل شخص شريك في حالة الضعف الموجودة الآن، وهو يعرف كيف ساهم في هذه الحالة.

هناك حالة تكاد تبلغ حد العمل الإجرامي ـ تفتت ـ استعراض ـ روح استعراضية ـ روح بعيدة عن كل مسؤولية وخطرة جداً.

لا أتحدث عن فترة الأعمال الحربية والاحتلال، ولكن أتحدث الآن عن المرحلة السياسية التي نمر بها، والتي تقتضي أكبر قدر ممكن من الإلتزام والإنضباط.

فإني أقول لكم إنَّ اللاإنضباط (اللاإستقامة) يقابله في التعبير القرآني تعدي حدود الله. ﴿ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[4]. وبالتعبير العامي (الشرذمة ـ التناحر ـ الروح الاستعراضية روح الطاووس).

هذه حالة خطرة جداً نكسب فيها أفراداً ولكنها تدمر جماعة وجيلاً كاملاً.

في كل التاريخ على صعيد الفرد، على صعيد الأسرة، على صعيد الجماعة أو الضيعة أو العشيرة أو الطائفة، على صعيد الوطن، على صعيد الأمة،

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩

اللاإنضباط هو عمل انتحاري.

أمثل لكم مثالاً فردياً: أي واحد منا بالأكل والشرب والتدخين مثلاً إذا لم يضع لنفسه حدوداً يقف عندها (لا يضبط نفسه في الطعام، وفي الشراب، وفي التدخين، وفي السهر، وفي اللهو) فبالنهاية يدمر نفسه، وصحته وقد يموت.

الذي لا يضع قوانين يلتزم بها في النفقة في المال هو ينفق ما يملك، وينفق ما يسرق، وفي النهاية أيضاً لا يجد شيئا وكلما اشتهى شيئاً يشتريه وكلما أعجبه ثوب، أو طعام، أو لهو، يشتريه، وفي النهاية لا يبقى عنده شيء يشتري به إذا لم يكن مضبوطاً ينتهي به الأمر الى الإفلاس، والحرمان هذا على الصعيد الفردي، أو على صعيد العائلة، أو على صعيد الجماعة.

أما على الصعيد العام فعملية اللاإنضباط من (التشرذم) و(التناحر) و(التمزق) واتباع الأهواء، وخلق الأصنام وعبادتها كلها عمل انتحاري.

طبعاً، الناس البسطاء سيجدون دائماً من يضللهم، البسطاء سيجدون دائماً من يرفع لهم شعارات، ولكن البسطاء يجب أن يكونوا واعين.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الثورة الحسينية
والمواقف
المتجددة مع الزمن



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

دولة الـرئيس

إخواني وأبنائي

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى رسول الله (ص) وإلى آله والحسين منهم في هذا اليوم (بوجه خاص). في هذا اليوم الذي تعورف أن يُسمى تاسوعاء وهو اليوم التاسع من المحرم ويحمل نكهةً ومعنىً خاصين يختلفانِ في ملامحهما عن معنىً ونكهةِ عاشوراء ـ إذا شئنا أن نُعطي للأيام التاريخية معاني ومضامين.

أتذكر أيضاً الآن وأنا في كلية الحقوق وفي تاسوعاء الحسين (ع) وبين يدي عهد جديد في لبنان، أتذكر قضية الأخ الإمام القائد السيد موسى الصدر، في كلية الحقوق، في تاسوعاء الحسين وفي مستهل عهد جديد في لبنان، يفترض أنه تحرر كثيراً مما كان يغل لبنان ولهذا المنبر ولغيره من المنابر في المناسبة ذكريات للإمام موسى الصدر.

(*) ألقيت بتاريخ ٩ /محرم/ ١٤٠٣ هـ ـ ٢٦ / تشرين الأول/ ١٩٨٢ م في قاعة كلية الحقوق.

نعـود الـــى تاسـوعاء ، وليس الى عـاشـوراء . تاسـوعـاء تمثـل ذروة الحادثة .

فعاشوراء (وكما تعهدون وتسمعون) يتحدثون عن عاشوراء بأنها يوم الفلة ـ العوام في القرىٰ وفي الأحياء يتحدثون يوم عاشوراء عن الفلة وعن الإنصراف والتفرق.

يوم تاسوعاء كان يمثل الذروة في الحدث الحسيني في كربلاء. حينما تراكمت كل عناصر الماساة وكل عناصر البطولة وكل عناصر التصميم وحينما فشلت كل محاولات التخذيل والتجبين، وكل محاولات التفاهم وواجه الجميع خيارهم الوحيد. فريق واجه خيار أن يكون شهيداً وفريق واجه خيار أن يكون جلاداً.

لعله في مثل هذه الساعات الأخيرة من يوم تاسوعاء لسنة ٦٠ للهجرة كان يجري حدث نادر في التاريخ البشري تكرر أو حدث مثله قليل في هذا التاريخ، حينما تتصادم إرادات البشر وطموحات البشر من جهة، وخسة البشر من جهة أخرى،يولد شيء يتجاوز اللغات والقوميات والأديان ليصب في المجرىٰ الإنساني الكبير: كما حدث في مثل هذا اليوم، في تاسوعاء.

هذا الحدث الذي كان يتهيأ في مثل هذه الساعات، هذا الحدث لا يمثل نداءً عاطفياً وحدثاً عاطفياً فقط. ولم يمثل أيضاً موقفاً عقلياً فقط، كان تعبيراً عن العقل والقلب وهو لا يزال نداءً للعقل والقلب، حيث يتكامل الإنسان لا بعقله وحده ولا بقلبه وحده وإنما يتكامل من خلالهما معاً.

عاشوراء كتعبير عن العمل الاحتجاجي الذي حدث سنة ٦٠ للهجرة والذي لا يزال يتجدد وينبغي أن يتجدد باستمرار، كدرس وتعليم ثابت في الفكر الإسلامي ومن ثم في الفكر الإنساني، هذا الحدث كان استجابة لنداء إنساني إنطلق من خوف الناس في ذلك الحين كخوفهم في كل حين على هويتهم، النظام الأموي أيضاً كان يهدد الهوية، كان يهدد أن يحتفظ بالشكل ويذهب بالمضمون الإسلامي للمسلمين في ذلك الحين، وكان يهدد كرامتهم هـؤلاء الناس الذين كانوا خائفين على هويتهم كانوا منتهكين في كرامتهم، وكانوا أيضاً خائفين على دنياهم، على رزقهم الحلال الشريف، على حريتهم كانت عاشوراء

هي استجابة لهذا النداء الذي إنطلق من كل مكان في العالم الإسلامي في ذلك الحين، وخاصة في المنطقة العربية الإسلامية.

حينما نراجع الحوارات التي تمت بين الإمام الحسين (ع) وبين ناصحيه بالتريث أو بالانكفاء أو بالاندفاع نجدهم متنوعين فيهم من العراق وفيهم من سوريا الكبرىٰ وفيهم من اليمن وفيهم من الحجاز، من كل مكان نجد محاورين في ذلك الحين.

إذاً كان هنالك هاجس عام، وكان هناك خوف عام، هذا التعبير لا يزال قابلاً لأن يتجدد، الحقيقة هي أن الإنجاز البشري الحقيقي، الإنساني الحقيقي، هو بلا وطن وبلا زمن، لأنه يتناول وضعية الإنسان الوجودية في العالم.

قضيـة كـربـلاء حُملت وسمت إلى هـذه المـرتبـة العـاليـة ومن هنـا لذا فهي في كل مكان من العالم الإسلامي ربما كما قرأت وسمعت في أمكنة شتىً من العوالم غير الإسلامية، الثقافية في آسيا، هناك حياة دائمة لهذه الذكرىٰ، ويجد الناس فيها دائماً.. في احداثها.. وفي تراثها الذي ولدته.. يجدون فيها دائماً ما يتحدثون به عن حالهم الحاضرة.. عن القهر الذي يتعرضون له، وعن الحرمان الذي ينـؤون تحت وطأته، وعن الخوف الذي يعمر قلوبهم، ويجدون فيها عزاءً أو يجدون فيها نداءً كيفما كانت ثقافتهم، وكانت الزاوية التي ينظرون منها إلى مشكلتهم الخاصة.

من هذا المنظار نجد الآن في لبنان نحن، في هذه الذكرىٰ وفي مناسبتها ما يجيب على أكثر من سؤال بالنسبة إلى حالنا الحاضرة، وما يثير أكثر من سؤال بالنسبة إلى حالنا الحاضرة أيضاً.

أول ما نجد أننا في مطلع عهد، ودّعنا عهداً ونحن الآن في مطلع عهد، هذا العهد الذي يعد بالكثير، مُطالبٌ بالكثير أيضاً ومُطالب بالكثير في وقت قصير نسبياً، وأول ما يُطالب به هو الموضوع الإسرائيلي بكل وجوهه وبكل أبعاده وكل ثنياته وحناياه... الوجود العسكري وشتىٰ أنواع الوجود الأخرى، مروراً بالسياسة والثقافة والأمن والهوية.

هذا العهد بكل أجهزته وكل أدواته يواجه هذا التحدي ويواجه الوفاء بالعهود والوعود المقطوعة وغير المقطوعة التي نُطالب وسنظل نطالب بالوفاء بها.

لأن إسرائيل بالنسبة إلينا (ونحن نتكلم في يوم تاسوعاء) تُمثل اليزيدية في مقابل الحسينية، كربلاء لبنان التي كانت تاسوعائها إبتدأت في حزيران الماضي.. وبلغت ذروتها، وأكلت من لحمنا ومن دمنا ومن كياننا كله، وسنحمل إلى قبورنا بصماتها.. هذه التاسوعاء يجب أن تنتهي لا بالتسليم، وإنما بالانتصار عليها.. هذا التحدي الذي يُواجهنا يعني كثيراً بالنسبة إلينا...

نقول بصراحة الآن.. وسنظل نقول: الإسرائيليون بالنسبة إلينا لا يمثلون عدواً سياسياً أو اقتصادياً أو سياحياً أو ما شئتم مما يتناول عرض الحياة الدنيا.. إنه يتناول بالنسبة إلينا الدنيا والآخرة معاً.. يتناول بالنسبة إلينا صميم وجودنا، لا اليهودية، وإنما هذا الوجود الشرير الشيطاني في فلسطين الذي يواجهنا.

قد نكون نحن أسوء حالاً من كل العرب، نحن اللبنانيين والمسلمون اللبنانيون أسوء حالاً من كل المسلمين بالنسبة لهذا الموضوع. قد يجد كل العرب عذراً من هنا وعذراً من هناك في أن يجدوا مخرجاً أو مدخلاً أو غطاءاً أو ما أشبه ذلك، ولكننا في لبنان لا نملك شيئاً من ذلك..

حريتنا بالنسبة إلى الإسرائيليين قبل كل أحد في الدنيا، وسيادتنا بالنسبة إلى الإسرائيلين قبل كل أحد في الدنيا، تعني بالنسبة إلينا وجودنا نفسه، لا تعني فقط أن تنتهك حريتنا أو إقتصادنا، أو ما يشبه هذا وذاك... تعني وجودنا بالذات.

والمسلمون اللبنانيون هم أسوء حالاً بالنسبة إلى هذه القضية من جميع المسلمين في العالم.

قد يجد المسلمون في كل العالم في وقت ما. مخرجاً أو مدخلاً أو عذراً، ولكننا نحن المسلمين في لبنان ليس لنا إلاّ أن نرفض الإسرائيلين بكل وجه من الوجوه، ليس لنا إلاّ أن نضع حكم التحريم المطلق على كل شيء إسرائيلي..
نضع حكم التحريم المطلق على كل شيء إسرائيلي..

هذا التحدي في تاسوعاء لبنان يواجه العهد.. كلُّنا.. وأثق وأعتقد أنني أتكلم بقلب وعزيمة كل لبناني.. نحن ندعم بشكل مطلق تماماً كل توجه يؤدي إلى هذا الإنتصار...

هذه المواجهة لها شروط.. شروطها كثيرة.. يلخصها أمران:

أحدهما تحدثت عنه قبل أيام. . هذه تحتاج إلى الإنضباط، ولم يمر على اللبنانيين وقت (فيما أعلم) في عصرهم الحديث وبعد استقلالهم لم يكونوا فيه منضبطين، كما مرت عليهم السنين الماضية الأخيرة، كانوا ممزقين. . مزقوا أنفسهم بأيديهم وأيدي الآخرين إلى دينين وإلى شتىٰ المذاهب وإلى عشرات أو مئات المذاهب والنزعات السياسية واحتربوا وتقاتلوا حتى حلَّ بهم ما حلّ. كانوا يمثلون أحط أنواع الهمجية بالنسبة إلى قضية الإنضباط واللاإنضباط.

من المعروف في كل الحضارات والثقافات أن العتبة الأولى لدخول الإنسان إلى عالَم الحضارة بما تعني من فكر وعلاقات إنسانية، لا بما تعنيه من انتاج صناعي، الذي يمثل ظاهرة عادية وغير ذات أهمية إطلاقاً في المسألة الحضارية، العتبة الأولى والشرط الأول في المسألة الحضارية بما هي كفكر وعلاقات إنسانية ونوعية إنسانية هي أن يكون الإنسان منضبطاً. . يخرج من عهد الهمجية والبداوة والجاهلية، حينما يسيطر على نفسه. . ويسيطر على شبكة علاقاته، حينما يمثل الإيجابية في العلاقات ولا يمثل السلبية في العلاقات.

في كتاب الله سبحانه وتعالى خطاب لرسول الله (ص) يقول له الله: ﴿استقم كما أُمرت﴾.

الأمر والاستقامة عليه. والحديث النبوي الذي يتناول هذه النقطة يعمم هذا القانون على الأمة كلها.

في المجتمع اللبناني التحدي الذي لا يواجه الحكم وحده، بل يواجه القيادات كلها، هو أن تعمم وتعمق حالة الإنضباط، أن تكون هناك حالة تمنع من التفسخ، أن لا ننجر إلى الانفعال. . وإلى السلوك الخاضع للعاطفة والخاضع للأنيات والأنانيات، وإنما أن نرى المستقبل مرهوناً بمقدار ما نكون منضبطين.

الإنسان الذي يلبي شهوته وغضبه وحبه وبغضاءه دون أن يأبه للأيام الآتية أو لما حوله من الناس، هذا الإنسان يصير قوة مدمرة في المجتمع.

نحن مررنا بهذه التجارب طيلة سنين. . ودمّرنا ما تراه أعيننا وما تراه قلوبنا أيضاً. . دمرّنا العمران ودمّرنا الإنسان. . ودمّرنا محتوى الإنسان.

الإنضباط مسؤولية كل القيادات التي تستحق هذا الاسم. في الجامعة وفي

الصحافة وفي دور النشر وفي الاذاعات المرئية والمسموعة. قضية كبرىٰ نواجهها هي قضية الإنضباط.

الأمر الثالث هو أن هذا العهد لأجل أن يكون عهداً، ولأجل أن لا يكون مرحلة، لأجل أن لا يكون أياماً عابرةً في تاريخ لبنان يجب أن ينطلق من مبدأ العدالة في بناء الدولة وفي بناء المجتمع وفي بناء الإنسان:

دولة عادلة لمواطنين أحرار.

وكما قلنا دائماً وكما سنظل نقول: لبنان عظمته في أنه ليس مجتمعاً من نتاج الطبيعة، وإنما هو وطن من نتاج الإنسان نفسه.. لم نكن محكومين رغم إراداتنا بهذه الصيغة وبهذا الكيان وبهذا الوطن... هذا نحن أوجدناه... قلوبنا وعقولنا التي عبّرت عنها إراداتنا هي التي أوجدته.

لم توجده إرادة واحدة.. ولم توجده إرادة غالبة.. أوجدته كل إرادات بنيه.. كل عائلاته الروحية وكل مجموعاته الثقافية.

الأوطان.. أغلبها في الدنيا هي من نتاج الطبيعة. هي نتيجة لما يشبه قدراً على أهلها، أنهم وُجدوا في جغرافيا واحدة، وأنهم يتكلمون لغةً واحدة.. وأنهم يدّعون أنهم ينتمون إلى عرق واحد.. وقد يكونون في الغالب ينتمون إلى دين واحد.. وإلى ثقافة واحدة.

في لبنان هذا شيء لم يحدث أبداً. هناك أديان وثقافات وعروق.. (إن كانت في الدنيا عروق)، إجتمعت كلّها وتفاعلت كلها بنتاج الضرورة في بعض الحالات، وبنتاج الاختيار الحر في أكثر الحالات.. لتنتج هذا الوطن.

إذاً لا يمكن أن يستمر بما هو ذو معنىً وبما هو ذو رسالة، وبما هو ذو دور في محيطه وفي العالم بدون أن تكون فيه دولة عادلة لمواطنين أحرار.

نحن خائفون.

إذاً سيعطي هؤلاء الناس أفضل ما عندهم.. أطهر ما في قلوبهم.. وأقوىٰ ما في عزائمهم.. وأشجع ما في أرواحهم، في سبيل أن يُعاد توليد لبنان من هذه الإرادات الحرة، من أجل هذا الهدف: دولة عادلة لمواطنين أحرار.

الضمانة.. هي التي تنبع من داخل الإنسان.. ومن داخل الجماعة، ومن

داخل المجتمع، لا توجد أية ضمانة يمكن أن تأتي من الخارج على الإطلاق. كل شيء يأتي من الخارج يمكن أن يزول، يمكن أن تطوش به متغيرات السياسة الدولية. الثوابت هي في داخل الوطن، وهي في داخل المواطن.

الإنضباط.. والإرادات الحرة كانت أعظم ما ميّز تاسوعاء، عرض الحسين (ع) في مثل هذا اليوم وعند أول العشية على أصحابه بعد أن جمعهم، وقال لهم: «إن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سـواده فإن القوم إنما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»[1].

كان جواب الرجال والنساء والشبان والشيوخ جواباً واحداً متعدد العبارات ولكنه واحد المضمون: التصميم بحرية وبإختيار تام على أن تبلغ هذه الحادثة.. هذه الواقعة ذروتها وأن تجد حلّها بالشهادة.

ولنتصور جميعاً عظمة الحدث البشري حينما يجد بطله أنه يأس من كل شيء وأنه لم يعد يوجد أي خيار إلّا أن يموت.. ويموت.

ذروة الحرية هي هذه.. أن يختار الموت طائعاً وهو في كل لحظة قادر على أن يختار الحياة... على أن يختار الشهادة طائِعاً وفرحاً وهو في كل لحظة قادر على أن يختار السلامة.

نحن كل واحد مِّنا في حياته الفردية.. وفيما نواجه من أمور وطننا الآن سنواجه خياران، هي بالتأكيد لن تبلغ مستوى الشهادة.. هي تبلغ مستوىٰ التضحية، هي تبلغ مستوى الصبر، علينا أن نكون في هذا المستوى لنكون جديرين بكرامة الإنسان وبإعتبار الإنسان.

السـلام على الحسين وعلى أصحاب الحسين وعلى أنصـار الحسين.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص٣١٦.



ديمومة
الثورة الحسينية
وانتفاء الخصوصية عنها


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمةُ الله وبركاته.

والتحية والسلام إلى فارس هذا المنبر، على امتداد مأساة لبنان، وأحد العناوين الكبرى في مأساة لبنان، وفي نكبة لبنان، الأخ الإمام السيد موسى الصدر الذي يشكل كل موقف من هذه المواقف.

إن تغييب الإمام الصدر يشكل إدانة لكل نظام عربي، وكل نظام إسلامي ، وكل مؤسسة دولية تهاونت وتواطأت على استمرار قضيته، وقضية رفيقيه دون نهاية سليمة.

والسلام عليكم أيها الأخوة جميعاً، ورحمة الله .

دولة رئيس الوزراء، إخواني العلماء، أيها الأخوة الكرام:

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/محرم/ ١٤٠٣ هـ - ٢٧/ تشرين الأول ١٩٨٢ م.

تبلغ احتفالات عاشوراء الآن ذروتها ونهايتها لهذه السنة، وقد درج الناس هنا في لبنان على تعبير يصفون به هذا اليوم، وهذه الساعات الأخيرة، ساعات الظهيرة من هذا اليوم بأنه يوم (الفلَّة) وساعات (الفلة) التي يُنهي الناس فيها مراسيم عاشوراء، وينصرف كل منهم إلى استئناف حياته المألوفة، وهي لأنها كذلك، هي ساعة المراجعة الشاملة، والتقييم لما استفدناه من عاشوراء، ولما نأمل أن نتزوّد به لسنتنا المقبلة، إن ما نتزود به لسنتنا المقبلة وما ننظر به إلى جميع شأننا نظرة نقدية عادلة ومستقبلية، كل ذلك يستمد مقوماته من معنى عاشوراء.

نحن الآن في سنة ثلاث وأربعمائة وألف للهجرة. بالنسبة إلى عاشوراء نحن في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة للهجرة، هذا التقليد الذي نرى الآن في هذا المجلس العريق الكريم نموذجاً نموذجياً له هو بدأ سنة ستين للهجرة، بدأ في الكوفة، وفي مكة.. وفي المدينة، وفي بعض خرائب (حلب) و(بعلبك) و(دمشق) ونما حتى غدا هذه المؤسسة التي تشكل رافداً، يمكن في نطاق العالم الإسلامي، أن يكون مؤسسة ثقافية عظمى.

هذه الروح مما نشأت؟

نشأت من أن هذه المناسبة الحسينية الكربلائية التي تعارف الناس على إحيائها في ذكراها من الأيام التي تستهل بها السنة الهجرية، أنها في عموميتها، وفي تجديدها وانتفاء خصوصيتها، تجاوزت بالتأكيد الإطار الخاص السياسي والثقافي لأهل البيت (ع) كما تجاوزت الإطار الخاص السياسي والثقافي للمسلمين لتغدو في مستوىً من مستوياتها إسلامية وفي مستوى أعلى وأبعد مدى إنسانيّةً حيث أن القضية التي حركت الحسين (ع) وصحبه الكثيرين جداً، والذين تساقطوا خلال المرور والدخول في نفق التجربة حتى غدوا قليلين جداً في النهاية.

هذه التجربة، لم تكن تجربة علوية هاشمية، ولم تكن من أجل الهاشميين، ولم تكن من أجل شيعة أهل البيت، ولم تكن في المدى الأوسع والأبعد في فكر الإسلام وروحية الإسلام من أجل المسلمين، وإنما كانت من أجل الإنسان في الدولة الإسلامية التي كان يحكمها (يزيد بن معاوية)، وتحكمها

بطانته ن حوله، وأن تبلغ أزمة المصير عند قيادة من القيادات، أن تبلغ إلى حد سقوط جميع الخيارات، خيار السكوت، أو خيار الرضى، أو خيار التسويات، وأن يبقى خياراً واحداً فقط هو الشهادة.

يعني أن الأزمة لا يمكن أن تحل بأي أسلوب تعارف عليه الناس، ويعني أن الفساد لا يمكن السكوت عليه من أية قيادة واعية من الناس.

وهكذا نفهم إن جميع مراحل الحوار والتفاوض التي بدأت منذ آخر عهد (معاوية بن أبي سفيان) واستمرت طيلة الأشهر الأولى من بيعة (يزيد) أسقطت كل خيار ولم يبق إلا خيار هو خيار الشهادة.

هذه الشهادة كانت خياراً حراً ولم تكن مفاجأة فالنصوص تدل على أن الحسين (ع) حينما خرج من (المدينة) قبل أن يصل إلى (مكة)، وقبل أن يصل إلى (العراق)، كان يعلم أنه سيستشهد، كان يسير نحو الشهادة، لم يكن يسير في رهان سياسي يمكن أن ينجح ويربح.

كان يسير نحو الشهادة، ونحو هذا الموقف الانتحاري، الذي كان خيارهُ الوحيد.

في النصوص أن بعض محاوريه طلبوا منه أن لا يخرج معه عياله . لما أخبرهم أنه سيستشهد قال لهم في (المدينة) . وهو يعد لخروجه ، شاء الله ، ـ لم يشأ البشر ـ أن يراني قتيلاً ، وشاء الله أن يراهُنَّ سبايا .

إذاً أن يصل المأزق الإنساني السياسي إلى هذا الحد، يعني نحن أمام وضعية تتجاوز مصلحة مجموعة من الأشخاص لأنه لا شيء في الدنيا، من المصالح يمكن أن يستحق الشهادة ولا مصلحة عشيرة، أو طبقة، أو حزب سياسي، لأنه لا شيء من مصالح العشائر والأحزاب يمكن أن يعطي للقتل معنى الشهادة، فقط شيء واحد هو الذي يُعطي للقتل مضمون الشهادة، أن تكون الحياة من أجل الناس جميعاً، أن يتحد مصير الشهيد مع مصير البشر، دون أن يكون لهم دين، أو وطن، أو لغة، أو ثقافة، فقط هويتهم الإنسانية، إنسانيتهم وحدها هي التي تستحق أن يموت من أجلها الإنسان، وهي التي تعطي لمقتل الإنسان، معنى الشهادة.

هكذا كان حال الناس في صدر الإسلام في هذه النكسة التي حلت بهم في عهد «يزيد»، الناس كانوا خائفين، الذين يقرأون التاريخ بعمق، يعرفون أن الناس كانوا فريقين:

فريق مستسلم وهم أكثرية الناس.

وفريق خائف، وهم الواعون، الذين لا يزالون على شيء من القوة في نفوسهم، وفي أخلاقهم.

وأخطر ما يواجه أمة أن تستسلم للطغيان، وأن تستسلم للتضليل، جيل واحد مستسلم في الأمة، يحكم على الأمة بقرن كامل من الاستسلام، يصبح الاستسلام ثقافة، ويصبح ديناً، ويصبح نهجاً سياسياً. وفلسفة كثير من مرتزقة الأعلام، ومرتزقة الدعاية، يحولون الاستسلام إلى دين، وإلى فلسفة، في تاريخنا الإسلامي باب كبير من وضع هؤلاء الذين زينوا للناس، الاستسلام للحاكم الظالم، والاستسلام للقانون الظالم.

إذاً الناس الخائفون مستسلمون، والنخبة الخائفة مُدارِيَة، وجبانة، لا تملك القدرة على الاحتجاج لأنها تريد الحسنيين معاً، تريد أن تصحّح وأن تنتصر، وتريد في الوقت نفسه أيضاً أن تحتفظ بدنياها، وبامتيازاتها. وبرخائها. وبنعومة عيشها.

إنَّ الله سبحانه وتعالى، لم يقل أن الناس يحصلون على الحسنيَيْن معاً، يحصلون على إحدى الحسنيين، الحسنى التي هي النصر الآتي لم تكن متاحة في ذلك الحين، فكان لا بد من قطع الطريق على روح الاستسلام، كان لا بد من تسجيل منارة الشهادة وغرسة الشهادة، وكانت كربلاء، التي تجرّدت من كل هوية إلا من هويتها الإنسانية. النابعة من صميم روح الإسلام وإنسانية الإسلام. بحيث سمحت ـ كما يقول التاريخ ـ أن «نصارى» وقفوا وتأملوا، وقتلوا مع الحسين (ع).

إذاً عالمية كربلاء، إنسانيَّة كربلاء هي التي جعلتها تدوم إلى الآن: في حجم الفاجعة، في عدد القتلى، في التاريخ الكثير الكثير مما هو أكثر وأعظم، ولكن في معناها لا يوجد الكثير.

١ ـ إذاً المصدر الأول لديمومتها هو هويتها الإنسانية.

٢ ـ المصدر الثاني لديمومتها، هو أن الواقع التاريخي في العالم الإسلامي، في جامعاته، في شعوبه، في أوطانه، في أنظمة الحكم فيه، كان دائماً يغذيها. ويوجد لها المبررات، كان يقدم دائماً صيغ الظلم، وأفانين الظلم والقهر التي تجعل من كربلاء حاجة يومية دائماً للإنسان المظلوم المعزول، تقوي قلبه ونفسه، وتمدُّه بالزاد لئلا يستسلم، كانت هي قوتهُ التي تعطيه دائماً وأبداً، مثالاً كبيراً نازفاً وطاهراً هو الحسين (ع) وآله وأصحابه (ع) ونساؤه وأطفاله، الذين يقولون له :

أيها الإنسان المستضعف! أيها الإنسان الذي لا اسم له! أيها الإنسان المعروف في السماء، المجهول في الأرض! لا تستسلم، لأن الاستسلام ليس من حقك!

في فترات التاريخ الكبرى، قد يكون من حق بعض الناس أن يستسلموا، ولكن في أكثر فترات التاريخ، ليس من حق الناس أن يستسلموا!

لأنهم حينما يستسلمون يكونون قد قطعوا الطريق على أجيال آتية قد لا تستسلم، يجب أن تستمر إذاً روح المقاومة، وروح الصمود أمام مشاريع الظلم، وواقع الظلم، أمام مشاريع القهر وواقع القهر، لئلا يكون هناك استسلام.

بهذه الروحية، وبهذه الرؤية، برؤية أنَّ عاشوراء مدرسة وأنها منارة، ندخل إلى حالنا، وإلى واقعنا الآن.

إن النداء الذي يقول لا تستسلموا هو الذي يسلّط أفكارنا وبصائرنا الآن على واقعنا الذي كنا فيه، والذي نريد أن نخرج منه في لبنان إلى حال أفضل، وإلى عالم أعدل ماذا أمامنا في لبنان؟!

أمامنا في لبنان (٨) ثماني سنوات تقريباً من التقاتل والتباغض، لم يكن أبداً في واقع هذا الشعب مسيحييه ومسلميه، التباغض الذي كان يقال. هذا فضلاً عن الحروب الأهلية.

أمامنا عددُ من القتلى، قد يبلغون المائة (١٠٠) ألف ضحية، فيهم شهداء كثيرون جداً. من هؤلاء وهؤلاء، قتلوا سعياً وراء حلم، عن لبنان إنساني وتقدمي، وعادل.

أمامنا مئات الألوف ربما من المشوهين في أجسادهم، وأنفسهم، وأزواجهم، من أجل ماذا؟؟

إنَّ الذين سعوا وراء هذا الحلم من الفريقين، من المسلمين والمسيحيين من يسار ويمين: أفاقوا على حقيقة لا بد أن تكون كريهة للجميع، أفاقوا على حقيقة إسرائيل المحتلة التي استباحت كل شيء، الحلم الذي سعى الجميع وراءه كان يقطفه إسرائيل لماذا؟؟

هذه الحرب لماذا حصلت، حربنا نحن اللبنانيين، هل لأن الغرب والشرق هما أرادوها؟؟

هل لأن العالم العربي الذي دخل في القضية الفلسطينية ولم يعرف كيف يخرج منها هو الذي أرادها؟؟؟

نعم، ولكن ليس السبب الوحيد، هو هذا السبب؟ الذي أدى إلى هذا. هو نحن! هو بُنية النظام في الداخل! هو أن هذا النظام منذ أُسسّ لبنان ومنذ استقل لبنان، جعل هذا الشعب قابلاً لأن يُفتَن، وقابلاً لأن يُغوى، ولأن يُشتّت بالبنية الداخلية الهشة، والبنية الداخلية غير المتوازنة، وغير العادلة والبنية الداخلية التي يعمرها الخوف بحق، والتي يعمرها الغبن بحق، والخوف حق عند الخائفين، والغبن حق عند المغبونين.

هذه البنية الداخلية هي التي فتحت أبواب هذا البيت لتدخل إليه كل الرياح وكل العواصف، ولتؤدي به في النهاية، إلى أن يدمرُه الآخرون مع أبنائه على رؤوس أنفسهم.

وخاتمة ذروة المأساة هي إسرائيل، أفقنا على وجود إسرائيل، لم ينتصر أحد منا على أحد، هزمنا جميعاً ولم ينتصر أحد، ولم تنتصر فئة، ولم تنتصر ثقافة ولم تنتصر نظرة سياسية.

تحدثت هنا في السنة الماضية وفي أمكنة أخرى عن النظرات الأحادية الجانب التي كانت تتجاذبنا وتمزقنا، وتفرّق فيما بيننا، مرة نظرة الجبهة اللبنانية، ومرة نظرة الحركة الوطنية، النظرات الأحادية الجانب التي تريد أن تصوغ لبنان على صورتها، صورة هذه النظرة، أو تلك. . . وكنا نقول، حذار، لبنان يبنى من

خلال نظرة تكاملية، تجمع الناس ولا تفرقهم، تزرع الحب ولا تنشر البغضاء، تزرع الثقة ولا تقوم على الشك.

ولكن ها هي النظرات الآحادية الجانب التي دفعت إلى اليأس جميع الناس الذين لم يكونوا مختلفين، هذه النظرات أدت إلى إلغائها جميعاً، وإلى دخول إسرائيل، وإلى مشروع تعدُه إسرائيل للبنان، يُلغي الجميع، ويحاول أن يزرع النظرة الإسرائيلية والمشروع الإسرائيلي في هذا البلد الذي يقوم كيانهُ، وثقافتهُ، وحضارتهُ، على نظرة نقيضة تماماً، ليس ضداً، وإنما نقيض للمفهوم الإسرائيلي، في المجتمع، وفي الثقافة، وفي الدور، وفي الإنسان، وفي الدولة، وفي كل شيء.

لم ينتصر فينا أحد، الذي انتظر هو الشيطان، الذي انتصر هو «يزيدنا».

أنا قلت البارحة، إنَّ (يزيد) لبنان الآن هو إسرائيل.

ولكل إنسان كربلاؤه، وخياراته، ولكل جماعة، ولكل مجتمع، ولكل دولة، كل له كربلاؤه وخياراته!

في لبنان، كربلاء انتصرت فيها الآن إسرائيل وبيدنا أن نحولها إلى كربلاء حسينية لنكون أوفياء فيها لجميع الشهداء من جميع الفرقاء الذين فيهم الكثير ممن قتلوا سعياً وراء حلم، لبنان تقدمي، عادل وطاهر وإنساني، ونموذج لكل منطقة، لكل أنظمتها بما فيها من قمع، وبما فيها من يزيدية، وبما فيها من ترف.

يمكن أن يكون لبنان المنارة، الآن هو الهاوية، هاوية نفسه، وهاوية محيطه.

ولكن يمكن أن ينبعث هذا اللبنان، ونحن مسؤولون عن بعثه، وعن إحيائه حينما ندرك أين هو الخطر المستقبلي والآتي.

لقد بدأت إسرائيل احتلالها تحت شعار (أمن الجليل) ولكن هذا الاحتلال تطور، وانكشفت وجوهه، وأبعاده ليصل إلى استغلال المياه والموقع الاقتصادي، ليصل إلى إلغاء هوية لبنان كمشروع ثقافي وحضاري، وإنساني، ليصل في النهاية إلى تفتيت لبنان، بإيجاد الفعل ورد الفعل.

الفعل الإسرائيلي ورد الفعل العربي، أو الفعل العربي ورد الفعل

الإسرائيلي، وبين شِقّيّ هذه الرَّحى يتفّتت لبنان.

وهنا تبدو كم هي عظيمة ـ إلى جانب مسؤوليتنا نحن ـ مسؤولية العرب.

هذا التفتّيت يمكن أن يجزئهُ إلى هويات طائفية.

أقول لكم: لا نزال في صميم هذا الخطر، خطر التفتيت الطائفي، لا نزال في صميمه، دولياً وإسرائيلياً، هذا التفتيت الذي يُلغي لبنان ـ يُلغيه أولاً كهوية ومشروع حضاري إنساني أكبر من وطن، مشروع أكبر من وطن، مشروع ريادة ـ ويكون هو الصخرة هو الثقل الذي يجر كل المنطقة إلى الإنهيار والتفتّت لمصلحة المشروع الإسرائيلي.

ما هو الموقف بصراحة؟

وضع الجنوب، ومصير الجنوب، غامض، وهو في العشرة الأخيرة أشد غموضاً وأشد خطراً، عمى القلوب، وعمى البصائر الذي يمكن أن يرى أننا خرجنا، لا نزال في صميم الخطر، ولا نزال في ذروة التحدي، مصير الجنوب غامض وخطر، ومن هذا المصير الغامض والخطر، مصير لبنان كله غامض وخطر، ليس على الجنوب وحده، وليس على المسلمين وحدهم، بل على الجميع.

لا نزال في ذروة التحدي، نستسلم للخوف، أو نستسلم للراحة الخادعة، هنا تنتصب كربلاؤنا لتقول: «لا» لاتستسلموا، الراحة الخادعة، أو الخوف من مقارعة الخطر، ومن منازلة الخِطر لا يصلحان مبرراً للاستسلام ونملك قوى كثيرة، نملك أنفسنا ووعينا، نملك إرادة التوحيد، وإرادة الاستقلال، وإرادة استعادة الدور، ونملك الوعي الدولي للخطر. الذي يمكن أنْ يؤدي إليه نجاح المشروع الإسرائيلي.

ولكن الوعي الدولي بصراحة يمكن أن ينكفيء، وضمانة استمراره هو نحن، وهو أن نتوحد. بدأت ثورة كربلاء بجمهور كبير، وانتهت بقليلين. وكان خيارها الوحيد هو الشهادة، لأجل أن تقطع الطريق على الإستسلام للواقع، بدأت هكذا، واستمرت هكذا هي لم تنته، ولن تنتهي.

من هنا خيبات الأمل قاتلة، وليست خطرة مدمّرة، أن نخرج، أن نتجاوز كل شيء. أعني اللبنانيين، كل اللبنانيين، أن نتجاوز كل شيء. أن تنفتح القلوب والعقول على بعضها، أن تنفتح البصائر على المستقبل، أن نستعيد الحلم الذي قتل مَن قُتل سعياً وراءه، لنسعى إليه بالسلام، وبالإرادة الجامعة، أعظم جريمة أن تنتكس هذه المسيرة، ولكن هذه المسيرة، لا بد أن تقوم على أساس من الحقائق، ولا بد أنْ تقوم على أساس من الموضوعية..

ما هو الوطن؟؟ هل هو أرض وهواء وشمس وخضرة، هو هذا وهو كرامة، وهو بيت، وهو رغيف حلال، وهو مدرسة، ومستشفى، وهو قدرة على المشاركة، على التعبير، على النقد، الوطن هو الإنسان، هو إنسان مكتمل، هو الإنسان في الجغرافيا عندما تتفاعل معه ويزدهر الإنسان، هذا وطن.

أما حينما يكون الوطن مكاناً فقط، فالسجن مكان، والمنفى مكان، والغربة مكان.

فالوطن هو تفاعل بين الإنسان والإنسان في الجغرافيا، وتفاعل مع الجغرافيا وليس تنمية الجغرافيا، النمو في النهاية يجب أن يكون في الإنسان.

مَن هو المسؤول؟؟

إن النظام هو المسؤول، النظام، الدولة، الحكومات هي التسلسل الذي ينقل الإنسان من سجين إلى غريب إلى منفى يضعه في صيغة المواطن.
في هذه الحالة، يجب أن نكون إكفاء للمواجهة مع الإسرائيليين، كلنا. وهذا واجب شرعي، كلنا يدُ واحدة، وإرادة واحدة من أجل مقارعة إسرائيل وإخراجها، لا بصيغة الانسحابات المتوازنة نريد أن يكون كل لبنان، بجميع حدوده الدولية، خالياً من كل قوة مسلَّحة غير لبنانية، كل لبنان يحكمه جيش لبناني، وقوى أمن لنانية، وإداريون لبنانيون وحكومة لبنانية.

في مقابل ماذا؟؟؟:

في مقابل المشروع الذي يتحدث عن انسحابات نهايتها أن تبقى إسرائيل

على تخوم الليطاني.

قلت لكم أن وضع الجنوب ومصيره غامضين من هنا أجدد النداء والبيان إلى جميع اللبنانيين، وبحكم التشريع الملزم إلى جميع المسلمين اللبنانيين، أن أي شكل يفترضه العقل للتعامل مع الإسرائيليين والرضى القلبي بهم، أعظم محرّم يمكن أن يرتكب، كما لو رضينا بأن يذبح (شمر بن ذي الجوشن) الحسين (ع)، لا يمكن أبداً أن نرضى أية مهادنة. الإسرائيليون يجب أن يخرجوا، ويجب أن لا يبقى لهم ظل لا في السياسة ولا في الاقتصاد، ولا في الثقافة، ولا في السياحة ولا في أي شيء على الإطلاق: «وَمن يوادد من حاد الله ورسوله فهو عدو لله ولرسوله».

من هنا قلوبنا تدمى، ونخاف حينما نقرأ ولا نصدق أن ثمة مَن يرضى بهذه الإسرائيل، نحن لا نصدق سنتّهم أعيُننا، وسنتّهم أذاننا ولا نصدق، سنعتقد دائماً أن الإنسان اللبناني الذي هو أغنى تاريخياً، وأغنى حضارة وتراثاً، وأبعد مدى في المنطقة وفي العالم كله، لا يمكن أبداً أن يعتبر أنه يمكن أن يرضى أو أن يواد إسرائيل.

إذاً أمام هذا التحدي الذي دخلناه، الذي اخترناه، ودخلناه اختياراً واعياً، لأننا نريد أن نُلقي النظرات الأحادية الجانب، وأن تولد هذه الجمهورية الثانية من خلال الإرادة الجامعة الواحدة التي تضع أمامها لبنان كما ورد في وثيقة (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) وطناً نهائياً لأبنائه.

هذا شرطهُ الأول أن تتحّد إرادتنا مع هذا العهد على أن نتخلص من جميع وجوه الاحتلال الإسرائيلي، وأن لا يعود لبنان كما كان في العهود الماضية هشاً ضعيفاً، فيه قسم خائف، وفيه قسم مغبون، وثالث متخم، ورابع محروم، أن لا يكون هناك أي شيء من هذا، لئلا يكون البناء هشاً وتعود الفتنة من جديد، كما عادت كثيراً في الماضي، وكان آخرها ما نحن فيه الآن.

إذاً بعد الواجب الرسالي الذي يجعل إسرائيل قضيتنا الأولى، ويجعل إعادة السلطة الشرعية إلى لبنان، إلى كل لبنان واجبنا الأول، تأتي الى قضية بناء الوطن، والدولة، والشعب، والمؤسسات.

قلنا ونكرر الآن ـ دولة عادلة لمواطنين أحرار، فالدولة العادلة ليس لها دين، دينها أن تكون عادلة، وصميم رسالتها أن تكون عادلة، وليس لها لغة، وليس لها هوية، إلا كونها معنية بهذا الإنسان اللبناني، بأن تجعله عزيزاً، وسعيداً، وذا مستقبل، وأن يكون مستقبله هنا في أرضه لا أن يكون مستقبله في أي مكان من العالم. وتكون غربته في أرضه في الماضي وفي أي بلد كان اللبناني يجد مستقبلهُ. وكان يجد الغربة في وطنه، الآن يجب أن يجد الوطن في وطنه، والغربة في الخارج، بحيث تنعكس الأمور ببناء الدولة العادلة.

من هنا نقول: إن أهل الحكم مسؤولون عنها، أهل الحكم الذين في الحكم أو الذين يمكن أن يكونوا في الحكم، حالاً ومستقبلاً، كما في الماضي، هم مسؤولون عن إيجاد هذه الدولة العادلة. فالإنسان المواطن يمكن أن يقهر، وهو يقهر حينما يجد أن العدالة بعيدة عنه، أنه لا صوت له، مشلول، لا يعبر أحد عن رأيه، عن إرادته، وعن تطلعاته، يشعر بأنه محبط، أنه مقهور، حينئذ يمكن أن تأتي الرياح كُما أتت في الماضي ويمكن أن يتجدد البلاء، كما تجدّد في الماضي.

أنا قلت في أثناء كلامي، أن لكل إنسان كربلاء، ولكل جماعة كربلاؤها بالمعنى الإنساني الذي ذكرناه، المعنى الذي يضع الإنسان أمام خيارين، خيار أن يرتفع وأن يضحي، وخيار أن يخون وأن يظلم، كل واحد منا، عامة ونخبة، كل واحد منا يواجه يومياً في علاقاته مع مواطنيه، وفي علاقاته مع وطنه يواجه هذا الخيار، لذلك خيارنا الكبير جميعاً هو أن نختار هذا الوطن، وأن نختار هؤلاء المواطنين وأن نختار هذا اللبنان العادل لمواطنيه الأحرار.

في هذه المناسبة، وفي الحديث عن الكربلاءات، لا أريد أنْ أترك هذا المنبر قبل أنْ أتحدث إليكم جميعاً عن قضية تشكل مشروع جرح كبير، هذه القضية التي تمثل اختباراً عالياً لشعورنا بالمسؤولية، ولقدرتنا على الإنضباط، ولروح العدالة فينا، ولروح المسؤولية، وهي قضية جزئية ولكن أرى وراءها شيئاً كبيراً، يُجبرني على أن أثيرها، وعلى أن أتحدث بما تنذر به، وبما توحي به، وهي تتصل بمفهوم المستقبل الذي دخلنا فيه وبالروحية التي ولد بها هذا العهد، وبفكرة العدالة التي حكمت كل تصرفات هذا الشعب سواء مَن تحارب فيه أو مَن لم يتحارب فيه، هي قضية مخالفات الأبنية التي فيها عائلات، وفيها سكان،

البيوت التي خالفت في الأرض، أو في البناء.

نحن قلنا منذ أثيرت هذه القضية إننا بالتأكيد من دون أية مواربة مع تنفيذ القانون، نؤكد أن ينفّذ القانون.

هذا القانون يجب أن يكون له قلب، يجب أن يكون بعيد النظر، من هنا قلنا: إن هذا القانون يجب أن يقترن بالحلول المناسبة للمشكلة التي أدّت إلى مخالفته، أولاً.

ثانياً: المشكلة التي يمكن أن تتوّلد عن تطبيقه.

ـ أتكلم عن المساكن التي يسكنها البشر.

ـ المواطنون اللبنانيون ـ هذه القضية لها حل ممكن على مرحلتين.

مرحلة سريعة ومؤقتة، ومرحلة دائمة.

المرحلة السريعة المؤقتة، هي المرحلة التي تهيىء مساكن مؤقتة لمن ينبغي أن تهدم بيوتهم تنفيذاً للقانون.

والمرحلة المستقبلية الدائمة تقوم على شعبتين.

١ ـ الشعبة الأولى: تتناول قضية التهجير بكاملها حيث أن معظم هؤلاء الناس، أو الكثيرين منهم يملكون بيوتاً في أماكن أخرى، قد يملكون بنايات بكاملها، ولا أعني سكان الضاحية الجنوبية في هذا، أعني كل من اكتوّوا بنار هذه الفتنة، من (الخيام) إلى (البقاع)، مرورا بـ(الدامور) و(الجنوب) و(الساحل) و(الجبل).

المطلوب هو مبادرة شجاعة رسولية ورسالية في حل هذه القضية التي تشكل تحدياً لنا جميعاً.

٢ ـ الشعبة الثانية: هي وضع سياسة إسكانية، فورية، لمجمّعات سكنية يبدأ بها فوراً يتم تزويد المواطنين بها بأسعار تعاونية، ويمكن أن يعرف الخبراء رسائل تطبيقها بالتأكيد..

هذه القضية، أتمنى وآمل أن ينظر إليها، لا بحرفية القانون، وإنما بروحيته لأنها تشكل تحدياً كبيراً، واختباراً كبيراً لا يمكن أن ندخل عليه، ونطل عليه في

هذه المرحلة من حياتنا، لأنها يمكن أن تكون هدية حب وتفهمّ وعقلانية فيما نواجههُ من أمورنا.

أعود لأقول، أنَّ التحدي الكبير الذي نستفيدهُ من كربلاء، هو أن ننجز بناء هذا الوطن الذي يخلو من الخوف، ومن الغبن، والذي يقوم على بناء الدولة العادلة للمواطنين الأحرار.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه السنة المباركة، مباركة على لبنان، وعلى المسلمين جميعاً، وعلى الناس جميعاً، وأن يُعيدها عليهم بالخير.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته



ثورة الحسين (ع)
مهرجان العدالة في الاسلام
والمجتمع



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. والتحية والسلام إلى الأخ الإمام السيد موسى الصدر الذي نسألَ الله سبحانه وتعالى أن يّمن علينا بسلامته، وبالفرج عنه إن شاء الله.

والتحية والسلام إلى سماحة الأخ الشيخ عبد الأمير قبلان وإخـواني العلماء.

والتحية والسلام إليكم أيها الأخوة المؤمنون:

في بداية هذا العام الهجري الذي هو بداية ذكرى أبي عبدالله الحسين (ع)، هذه الذكرى التي خلّدت نفسها في جهاد المجاهدين وأخلاق المؤمنين على مدى العصور، والتي كانت دائماً وستبقى موسماً للوعي، وموسماً لمراجعة الذات ونقد الحاضر، والإنطلاق منه بوعي ومسؤولية نحو المستقبل، ذكرى أبي عبدالله الحسين وآله وصحبه (سلام الله عليهم جميعاً)، هي ذكرى الثورة في الإسلام، وذكرى الثورة في المجتمع، وفي نفس الوقت هي مهرجان العدالة في الإسلام ومهرجان العدالة في المجتمع. الثورة غير التمرد وغير العصيان.

يوجد مصطلحان سياسيان أحدهما مصـطلح الثورة، والآخـر مصطلح التمرد، أو العصيان.

(*) ألقيت بتاريخ ١/محـرم/ ١٤٠٤ هـ - ٥/تشرين الأول/ ١٩٨٣م في حسينية برج البراجنة.

أما العصيان فهو مخالفة سلطة عادلة، والتمرد كذلك.

العصيان ، والتمرد يفترضان أن هنـاك سلطة عادلـة في المجتمع ، تأتي مجموعة من الناس لا يعجبها وضع العدالة، فتعصى وتتمرّد.

أما الثورة، فهي لا تكون على سلطة عادلة، هي دائمّاً تكون على سلطة جائرة، وإلا لو كانت هذه السلطة عادلة لما كانت هذه الثورة.

بالنسبة إلى أبي عبدالله الحسين (ع) وأصحابه: تُرى هل كانت حركة كربلاء عصياناً وتمرداً أو أنها كانت ثورة؟.

إن النظام اليزيدي في ذلك الحين صورّها على أنها تمرّد، أن الحسين (ع) شق عصا المسلمين، أن الحسين (ع) خرج على إمام زمانه، لأجل أن يُعطي خروج الحسين (ع) طابع العصيان، ومن ثم يُعطي مبرر القمع، ومبرر الحرب.

في المقابل المسلمون جميعاً كانوا يقولون عن الحسين (ع) أنه ثائر من أجل الإسلام.

ما هو المقياس الذي يدلنا على أن الحسين ثائر أو متمرد؟

إن المقياس هو القرآن، هو الإسلام أترى هل كان النظام اليزيدي موافقاً للقرآن، ليس بالصلاة والصيام والحج وما إلى ذلك، بل في المسألة السياسية، وفي مسألة الحرية. في المسألة الاقتصادية، في كرامة الإنسان.

تُرى هل كان النظام اليزيدي موافقاً للقرآن؟

إن أبسط مسلم في ذلك الحين، وابسط مسلم في هذا الحين، وابسط مسلم في المستقبل يطّلع على ممارسات هذا النظام اليزيدي مع المسلمين وغير المسلمين يكتشف فوراً أن هذا النظام لم يكن موافقاً للقرآن، ولم يكن مطابقاً للإسلام

إذاً الحسين لم يكن متمرداً، ولم يكن عاصياً كما حاول ذلك النظام أن يصورُه، وكما حاول بعض وعاظ السلاطين في ذلك الحين أن يصوروه، وإنما كان ثائراً على نظام غير عادل وصوّر وعبر (سلام الله عليه) عن ثورته. وعن نهجه في كلامه المشهور إلى أخيه عبدالله بن الحنفية (رضوان الله عليه) حينما كتب

إليه كتابه المشهور، الذي غداً من أعظم الوثائق التاريخية في الثورة الحسينية «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر »[1] .

إذاً كان هناك معروف متروك، وكان هناك منكر رائج كما قلت، المعروف المتروك لم يكن الصلاة ولم يكن الصيام، ولم يكن الحج، كان الناس يصلّون، ويصومون ويحجون، وكانت المساجد عامرة، وكان المنكر المرتكب ليس شرب الخمر، وما إليه، المعـروف والمنكر هما المعروف السياسي والمنكر السياسي، والمعروف الإقتصادي، والمنكر الإقتصادي والمعـروف الإنساني، والمنكـر الإنساني.

كان هناك إخلال بالمسألة السياسية، وبالمسألـة الإقتصاديـة وبكرامـة الإنسان.

كلام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) قبل الحسين (ع) وهو في طريقه الى حرب الجمل: قال: «ألا وإن هؤلاء القوم قد جعلوا مال الله دولا، وعباده خولا، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً»[2] هذه ليست صلاة ولا صيام، هذه هي المسألة الأساسية، وهذه هي المسألة الجوهرية، في نظام كل مجتمع.

إذاً هناك ملازمة دائمة بين الثورة وبين العدالة، حين تكون هناك عدالة، لا تكون ثورة، وحينما تكون ثورة عادلة ومستقيمة لا يكون هناك ظلم، وعدوان، وتسلّط.

من هذا الدرس الذي نتعلمُه من مدرسة الحسين (ع) ماذا نستفيد منه في شأننا الآن، في لبنان مثلاً.

مثال آخر، مثال معاصر من المفيد جداً ذكرهُ، ونأتي بعد ذلك إلى لبنان.

في إيران حينما تحرّكت إيران، هل كان هناك تمرّد، أو كانت هناك ثورة؟ هل تمرد الإمام الخميني (حفظه الله) وعلماء الدين وأحرار إيران ومؤمني إيران،

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٢) انظر كما في نهج البلاغة: كتاب ٦٢.

وشعب إيران، تمردوا على شاه إيران؟ كذلك أريد في ذلك الحين أن يصوّر أنّ هناك عصياناً تمرداً، أن الناس هم في أسعد حال في نظام عادل. وهؤلاء مجموعة من المنشقين، مجموعة من العابثين، لكن الواقع أثبت أن هذه ثورة، لأنه لم يكن هناك عدالة لا بمقياس القرآن ولا بمقياس الغرب، لم يكن هناك عدالة، كان هناك ظلم، كان هناك قمع، ولذلك انطلقت هذه الثورة المباركة في إيران، وقادها الإمام الخميني ومعاونوه، وهذا الشعب كله تبين أنه ثائر، الشعب لا يثور على نفسه، الشعب يثور على الظلم، إذا كان هناك ظلم، وهكذا في كل وقت، في الثورة الفرنسية، وفي الثورة الأمريكية القديمة وفي كل الثورات، وجد ظلم دفع الناس إلى الثورة، يحاولون بالسياسة، وبالنصح، وبالإرشاد، كما فعل الإمام الحسن (ع)، كما فعل الإمام الحسين (ع) قبل أن يثور، حينما لم ينفع الإرشاد، حينما لا ينفع النصح ولا ينفع إلا أن يبيع الإنسان نفسه لله سبحانه وتعالى تكون الثورة.

إذاً نفهم أن هناك ملازمة كاملة، ومنطقية بين أن يكون الإنسان ثائراً وبين أن يكون مظلوماً، لا توجد ثورة مع وضع عادل، الثورة هي سعي في طلب العدالة، الإحتجاج الثوري هو لأجل أن نأخذ العدالة، لأجل أن نسترد الحق.

في لبنان، توجد الآن حالة، هذه الحالة نعرفها جميعاً، ونعيشها لا بآذاننا وألسنتنا، نعيشها بلحمنا، بأعصابنا في لبنان يوجد مجتمع متنوع .

هذا المجتمع المتنوع، فيه مسلمون وفيه مسيحيون، يفترض أن يكون هذا المجتمع مجتمعاًواحداً من الناحية السياسية، لا مسيحي ولا مسلم، يفترض أن ينشأ في هذا المجتمع السياسي نظام حكم، نظام حكم - كما عبّرت في عاشوراء الماضية - بلا دين، يعني لا مسلم ولا مسيحي، لأجل أن لا يدخل الطائفية في عملية الحكم.

الآن بسبب عجز هذا النظام، بسبب خلخلة هذا النظام حدثت طيلة الأربعين سنة الماضية نكسات كبرى، اقتصادية وإنمائية وسياسية، حدثت نكسات، ولم يفلح القيمون على هذا النظام أن يصلحونه، دائماً كلما حدثت نكسة يقال أن الأجانب هم الذين تدخلوا في شؤون لبنان الداخلية ، دائماً يُلقى العبء ويلقى الإتهام على الأجانب تحت هذا الستار مورست طيلة الأربعين

سنة الماضية ـ هيمنة طائفية، وكان الآخرون، كان المسلمون وقيادات المسلمين يحاولون دائماً أن يضعوا لها حداً أن يجعلوها عاقلة، عادلة، وتوالت النكبات إلى أن حدثت النكبة الكبرى التي كنا دائماً نحذّر أنفسنا، وأهلنا، ومواطنينا جميعاً في الداخل منها، وكنا نحذّر منها جميع إخواننا وأصدقائنا في الخارج، نكبة الإحتلال الإسرائيلي.

وهنا نحن جميعاً قد عشنا هذه النكبة ساعة بساعة ويوماً بيوم، أصبح لبنان محتلاً. وأصبح الجنوب كله في مهب الريح، أصبحت وحدة لبنان كلها في مهب الريح، أصبح المشروع الكانتون كله وارد وحاضر، وممكن الحصول بين يوم وآخر، ومع ذلك قلنا من أول السنة الماضية.

أيها القوم، أيها المواطنون أيها الحكم، أيتها الطوائف، قلنا سراً وعلناً في اجتماعات. جمدوا المسألة الطائفية، ولننصرف جميعاً إلى المسألة الكبرى مسألة الإحتلال الإسرائيلي التي تهدد هذا البلد، والتي كنا نحن ضحاياها، نحن لم نأتِ بالإسرائيلي، نحن لم نهدم مشروع الدولة، نحن قاتلنا كل أحد من أجل هذا المشروع.

ولكن الذي حصل أيضاً، أن مشروع الهيمنة بقي مستمراً وتمظهر في حزب، وتمظهر في أجهزة، وأخذ يلتزم هذه الدولة ومواقعها شيئاً فشيئاً، ونحن تحت وطأة الإحتلال الإسرائيلي، الذي أخذ جانباً آخر يدخل بين طائفة وطائفة فيفصل ما بينها ويقطع عُرى المعاشرة والعيش المشترك والمواطنة، والتعاون ويخلق حالات العداء والخصام بين هذه الطوائف.

الإسرائيليون يفعلون أكثر من ذلك الآن، يدخلون داخل كل طائفة، داخل الشيعي، وداخل السني، وداخل الدرزي، وداخل الماروني، والرومي الأرذوكسي وغير ذلك من الطوائف اللبنانية، يفتتون الطائفة بنفسها من الداخل يجعلونها مجموعات مجموعات، وقلناه منذ اليوم الأول في صراخ، وليس في همس، أن مشروعهم تفتيت لبنان إلى قطع صغيرة، قطع طائفية واقليمية، قطع يحكمون بها الكل، وينفذون من هذه القطع إلى كل منطقة الشرق العربي، ويفتتونها أيضاً.

نحن حذرنا الجميع، وحذرنا الحكم من أن أية سياسة يمكن أن تهيج

المسألة الداخلية، وتهيج المسألة الطائفية، ويمكن أن تؤدي إلى نكبة عظمى وكبرى، لأن العامل الإسرائيلي سيدّمر كل شيء.

ولكن ويا للأسف لم يسمع أحد، ولم يعِ أحد إلى أن وقعت واقعة حرب الجبل بكل ما حملتهُ من الآلام، وبكل ما حملته من أخطار: بسبب ماذا؟

كل ذلك بسبب الهيمنة! لماذا ذهبت القوات اللبنانية إلى الجبل، ماذا لديها في الجبل، لماذا؟ لماذا هيىء المسرح لهذه المعمعة، ولهذه المذبحة ولهذا الشق العظيم الخطير الذي يوماً بعد يوم تنجلي أخطاره، لا على الموارنة والدروز فقط، وإنما تنجلي أخطاره على كل لبنان.

في حينه قلنا لهؤلاء ولهؤلاء، قلنا للطرفين، هذا الجبل ليس لكم فقط. نحن أيضاً لبنانيون، وهذا الجبل موحد مع سائر لبنان لا معنى للعبث به، بهذا الشكل لأنه سيفتح الخطر والنار على كل لبنان، ولكن لم يسمع أحد، ولم يرعوِ أحد.

إن الغرور وحب التسلّط كان مالكاً مستحوذاً متسلطاً إلى أن كانت النهاية التي نعيشها الآن.

وأقول: بصراحة لكم أيها الأخوة والأخوات بصراحة مطلقة، وسأقول في كل يوم، أخطر الساعات هي هذه الساعات، واخطر الأيام هي هذه الأيام، في الماضي كان يقال مصير البلد في خطر، مصير الوطن في خطر..

والحقيقة هي حينما يتفتت هذا الوطن إلى قطع، ومشروع التفتت ماضٍ بقوة، مستمر بقوة حينما يتفتت إلى قطع لن يربح أحد، أنا قلت قبل مدة في كلام علني، قلت أن الشيعة لا يريدون الطائفية، وورقة عمل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى تقرأ حرفاً حرفاً ليس فيها أي مادة طائفية أبداً نحن نريد أن نخرج من الطائفة إلى الوطن، نريد أن نربح وطن، ربما بعض الآخرين يريد أن يقلّص الوطن ليكون بحجم الطائفة، وهذا هو سبب الدمار من أربعين سنة إلى الآن، أن هناك فريقاً دائماً يريد أن يلخّص لبنان بكل ما فيه، على شكله هو، على شكل طائفة، والآن على شكل حزب.

هذا أمرٌ مستحيلٌ. هذا الأمر لن نسمح به، ولن يكون أبداً، وهذا الأمر لن يجعل أحداً سالماً، لن يربح أحد، من هنا كان التوجه الإسلامي الذي توجهنا

نحوه بكل إخلاص لله وللناس، التوجـه الذي أنتج الثوابت الإسلامية.

إن هذه الثوابت الإسلامية بُنيت على أساس وطني محض، ليس فيها على الإطلاق أي جهة طائفية، قلنا فيها أننا لا نريد أن نؤكد الذاتية الإسلامية على حساب الذاتية المسيحية.

ولكن في نفس الوقت لا نقبل أن تتأكد الذاتية المسيحية على حساب الذاتية الإسلامية، يجب أن يكون هناك تكافؤ، ويجب أن يكون هناك مشاركة ويجب أن يكون هناك عدالة لأجل أن توجد ذاتية وطنية لا يوجد أحد فيها مقهور.

المسلمون بعد الإحتلال الإسرائيلي وبعد العنجهية التي ظهرت بسبب هذا الإحتلال قُهروا، والمسلمون يرفضون أن يقهروا **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾**[1] .

ما هو سبب هذا الوضع؟.

لماذا حدثت حرب الجبل؟ ويا ليتها لم تحدث.

لماذا حدث هذا الإضطراب العظيم يا ليتهُ لم يحدث؟ لأن عنصر العدالة مفقود كما تعلمون، نحن رفعنا شعار الدولة العادلة، أنا قلت لسفراء الدول الكبرى، ولسفراء دول السوق الأوروبية المشتركة عندما استقبلناهم، قلت لهم لا نريد شيئاً، أقول لكم الآن، لا نريد شيئاً، اللهم إننا لا نريد علوّاً في الأرض ولا فساداً، نريد شيئاً بسيطاً، هو أن نوجد في لبنان دولة مثل دولكم مثل فرنسا، دولة عادلة فقط. دولة يشعر فيها الناس أن حقوقهم واصلة إليهم.

هل ممنوع في آخر القرن العشرين زمن الحضارة والمدنية والتقدم والنزعة الإنسانية هل ممنوع أن يطالب إنسان بأن يكون كسائر الناس، مواطن.

قلت قبل أيام، أنا أحمل هوية لبنانية، وأبواي وجداي أيضاً، وتوجد عندنا قبور للبنانيـين عمرها ألف سنة، في أحسن الحالات، المواطن هو مثلي، هو عتيق في لبناذ كعتقي، أقول له أنا أريد أن أكون مثلك.

هل ممنوع أن أكون مثله؟

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

هذا شيء لا يمكن أن يحدث هذا إخلال عظيم جداً بمبدأ العدالة ولذلك في لبنان، مبدأ العدالة هو الذي يجب أن يسود.

أيهـــا الأخوة:

يجب أن يكون الإنسان بصيراً في أي توجه من هذا القبيل، لا يجب أن يتعامل مع مصيره الخاص، ولا مع مصير جماعة من الناس ولا مع مصير جيل من الناس، وإنما يجب أن يتعامل مع مصير وطن بكامله، وشعب بكامله، لا بد أن يكون هناك وعي وأن يكون هناك شعور بالمسؤولية على المستوى الشرعي وليس فقط على المستوى السياسي.

من هنا وعلى هذا الضوء، على أساس وعي المستوى الشرعي والسياسي معاً، وعلى أساس وعي المستوى السياسي من منظور شرعي، نحن حينما بدأت هذه المحنة الأخيرة قلنا رأينا واضحاً صريحاً في ما يتعلق بالتقيـيم السياسي للموضوع.

قلنا أن مشروع الهيمنة يجب أن يسقط، ويجب أن يسقط بأي ثمن، وتحت أي شعار من الشعارات اختبأ، ويجب أن تقوم دولة عادلة في لبنان، تنصف الجميع ويشعر الجميع أنهم أبناؤها، لا يشعر البعض أنه ابنها المدلل، ويشعر الآخر أنه في ملجأ للأيتام.

وفي نفس الوقت قلنا أن هذه الضاحية، وأن عمقها الإسلامي في بيروت وأن الحالة الإسلامية يجب أن تتجنّب السقوط في المزيد من الآلام، ومن المذابح، ومن الخراب، ومن الإكتواء بنار الحرب، ولو أن هذا يؤدي إلى مزيد من أحكام الموقف ولو أن هذا يؤدي إلى مزيد من عدالة الموقف لَما بالينا.

ولكن كنا دائماً نلاحظ، ونحن نسير على حد السيف، أن علينا أن نؤمن المعادلة التالية التي أوصيكم أن تجعلوها دائماً نصب أعينكم وهي أن نجاهد ضد مشروع الهيمنة، والا نسقط في الوقت نفسه في أي فخ من أفخاخ إسرائيل التي تنصبُ أفخاخاً في كل مكان، لأنها كانت تعمل قبل أن تدخل ولا زالت بعد أن دخلت على الحالة الطائفية، وتقدم نفسها للعالم الخارجي على إنها رسول سلام، ماذا تقول إسرائيل؟ تقول أنا كنت في الجبل، فكان هناك سلام فخرجت من الجبل، أصبح هناك حرب، أنا موجودة في البقاع الغربي، يوجد سلام، أنا

موجودة في الجنوب يوجد سلام، في الأماكن غير الموجودة فيها يوجد حرب، اضطراب، أصبحت نتيجة لهذه الحالة إسرائيل عند كثير من اللبنانيين، وهذا كلام قلته قبل الآن، وقلته علناً، إما عامل محايد في الصراع الدائر، أو حليف وحامي.

إن إسرائيل بكل ما تمثل من شر مطلق، الآن ينظر إليها في لبنان، على أنها تمثل خطر من درجة ثانية، هذا الفخ منصوب في كل لبنان في الجنوب الذي يمر الآن في أشد ساعاته خطراً، بينما إسرائيل تنصب أفخاخاً بين الطوائف، بين المسيحي والشيعي، وبين الدرزي والمسيحي وبين الكل والكل. وتهيىء الجماعات المسلحة هنا وهناك، وتعلن إسرائيل عن وشك أن تغلق الجنوب.

هذا الفخ يمكن أن يلتقط أقدامنا عند أي غلطة، على هذا الأساس، على أساس عدم الوقوع في الأفخاخ الإسرائيلية، أن لا يكون جهادنا من أجل العدالة ذا مردود على الحالة الإسرائيلية المنتشرة في لبنان.

إذاً كان المنطلق من هذه الجهة، إسرائيل كانت وهي الآن، وستبقى دائماً العدو الأول، ليس لأنهم يهود، لا.

إسرائيل هي العدو الأول، لأنها قوة استعمارية، توسعية استيطانية، لا تريد السلام، وإنما تريد التوسع. إسرائيل تمارس فن الكذب، إسرائيل لا تريد لبنان، تريد إمارات، وكانتونات، وقطع صغيرة.

نحن في أي تحرك سياسي نقوم به في سبيل العدالة ومن أجل العدالة يجب أن نضع في كل الحسابات عندما نحسب، العامل الإسرائيلي لئلا نقع فيه، ليست الهيمنة وحدها هي العدو، إسرائيل أيضاً هي عدو.

ومن هنا صعوبة الموقف، تنقل قصة عن أمير المؤمنين (ع) في صفين أنه جاء أحد المجاهدين، وأظنه عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) أوغيره قال يا مولاي أنت مثلاً، قتلت كذا، وأنا قتلت نفس العدد، إذاً أنا مثلك نحن مثل بعضنا، أجابه الإمام (سلام الله عليه)، لا: يوجد فرق، يعني عمار قتل عن جنب طرف - كما يقال باللغة العامية - أمير المؤمنين (سلام الله عليه) لا، كان يعرف رؤوس الفتنة، ورؤوس الكفر.

هذا فرق بين أن يذهب الإنسان بدون وعي ليكون أسيراً لحالة بعينها، وبين

أن يكون الإنسان في حالة الوعي للمسألة السياسية على أساس الوعي الشرعي الواسع النظر الواسع النطاق، لا يجوز أبداً، وأمام أي إعتبار من الإعتبارات، أن نقول إسرائيل محيّدة، إسرائيل هي في صميم الفتنة وهي جزء من المشكلة، بل هي الجزء الأكبر من المشكلة حالة الظلم أيضاً جزء منها الحالة الإسرائيلية، أي مواجهة لمشروع الهيمنة، يجب أن نحسب حساب أن لا يكون على حساب المهادنة والتساهل وغض النظر عن العامل الإسرائيلي.

إن أي عمل يمكن أن يؤدي إلى تصديق إسرائيل في إدعاءاتها، أي عمل يمكن أن يؤدي إلى تشجيع الدعاية الإسرائيلية عن لبنان، وعن طوائف لبنان، أي عمل يمكن أن يعطيها دور المحايد، أو الحامي هو عمل محرمٌ لأن فيه نصر مباشر أو غير مباشر لإسرائيل، وحينئذ نكون قد فررنا من بلاء إلى بلاء، ومن ظلم إلى ظلم آخر، ومن خراب إلى خراب آخر.

خلاصة الموقف هي هذه، فيما يتعلق بالرؤية الشاملة، نحن لن نقبل تحت أي إعتبار من الإعتبارات، وتحت أي وجه من الوجوه، مشروع الهيمنة تحت أي ستار، المسيحيون يحتاجون إلى ضمانات، أنا قلت ـ منذ أوائل الإحتلال في حزيران الماضي، أن المسلمين الذين كانوا مغبونين، أصبحوا خائفين وقلت قبل مدة، قبل أسابيع، أن هؤلاء الشيعة الذين كانوا مغبونين ومحرومين دائماً، أصبحوا خائفين أيضاً، وهم يحتاجون إلى ضمانات لوجودهم ولحقوقهم.

في نفس الوقت، ونحن نقول هذا ونعمل من أجل هذا، نعي باستمرار أن أية ممارسة أن أي اتصال ، أن أي تركيبة سياسية تجعل من اسرائيل عاملاًمحايداً، عاملاً مؤجلاً هو خدمة لإسرائيل ، وهو تحقيق لأهداف إسرائيل في لبنان ككل ، وفيما بين طائفة وطائفة وفي داخل كل طائفة بنفسها ، لأجل أن لا تبقى أي وحدة سياسية في لبنان، كما نكافح على تلك الجبهة، نكافح على هذه الجبهة.

قلت أن أي ثورة تنطلق من مفهوم العدالة، هي ضد الظلم أن يكون هناك وضع عادل، يعني أن لا تكون ثورة، أن تكون هناك ثورة، يعني أن الوضع غير عادل.

إن الوضع في لبنان وضع غير عادل، ولذلك يجب أن يصحح بأي ثمن

لمصلحة الجميع، لا لطائفة من الطوائف.

إن أي طائفة لا يمكنها أن تجيّر لبنان لنفسها، أو تحمي نفسها، إذا لم يحتمي الكل في نظام متكامل عادل للكل لا نظام ظالم يضيع الجميع ويكون الرابح هو إسرائيل، ومن وراء إسرائيل، هؤلاء هم الذين يربحون، وتكون ليس بداية العصر الإسرائيلي.

أقول اليوم العصر الإسرائيلي بدأ، ولكننا قادرين على أن نضع له حداً، وأن نضع له سداً، إذا وعينا هذه الحقيقة، إذا لم نجعل إسرائيل عدو من الدرجة الثانية، إذا لم نسقط في اعتبار أنها محايدة في النزاع إنها في صميم النزع، وهي تريد أن تخلق الحرب والدمار والصراعات الطائفية في كل منطقة من لبنان، لأجل أن تهدم كل علاقة وكل امكانية للتعايش بين اللبنانيـين.

هذه هي الحقيقة التي يجب أن ننتبه لها، وهذا هو الدرس الذي ينبغي أن نأخذه من هذه الذكرى الحسينية المباركة. التي أسأل الله تعالى أن يجعلها بركة على الجميع.

أيها الأخوة، نحن بالأمس يوم الجمعة دخلنا في سنة هجرية جديدة، هي سنة ١٤٠٤، هذه السنة الجديدة، كما ورد عن رسول الله (ص) وعن أئمة أهل البيت (ع) هي فرحة جديدة للإنسان ليتوب إلى الله، وليتقي الله وليزداد قرباً منه هي فرصة عمل جديد، عام مضى، نستغفر الله تعالى من كل ذنب أذنبناه فيه، ونسأله العفو والعافية، وعام جديد نسأل الله تعالى أن يستخدمنا فيه لطاعته، وأن يقربنا إليه، واسألكم الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



مفهوم ثورة

الامام الحسين (ع)



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أخي صاحب السماحة، إخواني المؤمنين: السلام عليكم.

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك لنا جميعاً، في هذه السنة الهجرية الجديدة التي بدأناها منذ أيام، وبدأناها كعادتنا في كل عام، بذكرى أبي عبدالله الحسين (ع) التي هي مستمرة بالنسبة إلى المسلمين، ومدرسة مفتوحة دائماً لكل طالب في الحياة.

وما أحوجنا إليها في هذه الأيام في بلدنا هذا لبنان وفي العالم الإسلامي عموماً، لما تحفل به من دروس حيّة على نهج مدرسة القرآن في التاريخ، حيث أنه كما بين الله سبحانه وتعالى في آياتٍ كثيرةٍ، ليس للذكرى. وليس للتزكية وليس للافتخار فقط، وإنما هو للعبرة وللدرس في الحاضر، فماضي البشر كحاضرهم وكمستقبلهم في القضايا الكبرى وأكبر القضايا هي قضية العدالة في المجتمع، وقضية الكمال في السلوك.

هذه هي قضية البشر دائماً منذ قابيل وهابيل العدالة والكمال أن يكون

---

* ألقيت بتاريخ ٣/ محرم/ ١٤٠٤هـ ـ ٨/ تشرين الأول / ١٩٨٣م في مسجد الامام الرضا (ع) في بئر العبد.

الإنسان في سلوكه كاملاً، وأن يكون المجتمع في نظامه عادلاً، وثورة الإمام الحسين (ع) هي التعبير الساطع عن هاتين المسألتين، مسألـة الكمال في السلوك، ومسألة البحث عن العدالة في المجتمع، في أصحابه وأنصاره والذين تعاطفوا معه ولم يوفقوا للحرب معه، والذين اتبعوه بإحسان إلى يومنا هذا بإخلاص وبإحسان على نهج رسول الله، وعلى نهج الله، يمثلون الكمال في السلوك، أو السعي نحو الكمال في السلوك وفي ثورته بما هي تعبير عام، قاده هو (صلواته وسلامه عليه) يعبر عن هذا الشوق إلى العدالة في المجتمع أو في النظام.

وفي لبنان، أو في كل مكان في مرحلتنا هذه، هذه القضية مطروحة باستمرار أن نكون كاملين في سلوكنا، وأن نكون في مجتمع عادل وفي نظام عادل.

أما الثائر الذي يبحث عن العدالة ويعمل من أجلها بالحسنى ـ كما سمعتم الآن من صاحب السماحة ـ يعمل من أجلها بالسلم، كما آثر الإمام الحسن أن يعمل لأن ظروفه قضت عليه بذلك، أو ما بعد الإمام الحسين (ع) منذ الإمام زين العابدين (ع) إلى الإمام العسكري إلى الإمام الحادي عشر (ع).

لنا أن نسأل أنفسنا، تُرى الإمام الحسن (ع) هل كان ثائراً، أو كان موالياً للنظام الأموي؟

بعدما يسمى صلح الحسن (ع) الإمام زين العابدين (ع) هل كان ثائراً؟ أو كان مسالماً وموالياً؟

ومن بعده الأئمة الطاهرون، الصادق، والباقر، والرضا. إلى آخرهم، إلى الحادي عشر منهم، (صلوات الله وسلامهُ عليهم).

هؤلاء الأئمة المعصومون، هل كانوا ثواراً، أو كانوا مسالمين وموالين؟

لا شك كانوا ثواراً، وكانوا في أعلى الدرجات الثورية وإن كانوا يمارسون الثورة بأسلوبهم وحسب ظروفهم.

فالثورة ليست دائماً هي العنف، وليس التعبير عن الثورة دائماً بالسيف.

إن الموقف، هو الذي يحدد ما إذا كان الإنسان ثائراً أم لا.

فالموقف يعبر عنه بالكلمة، ويعبر عنه بالسكوت، وإلا إذا أردنا، أن نجعل هناك مجانسة مستمرة بين العنف وبين الثورة وأن مَن لا يكون عنيفاً، لا يكون ثائراً، أين نصنّف أئمة أهل البيت (ع) بعد الإمام الحسين (ع) والثورة كانت موجودة عندهم جميعاً، منذ الإمام الحسن (ع) حينما حاول واكتشف طبيعة مجتمعه آثر أن يسلك الطريق الآخر، وأن يعمل بأسلوب آخر ثم تغيّرت الظروف والشروط والمخاطر، في عهد الإمام الحسين (ع) ثم جاءت ظروف جديدة وشروط جديدة، ومخاطر جديدة بعد استشهاد الإمام الحسين (ع).

إذاً لم يكن هناك تغييرُ في الموقف الثوري، وإنما كان هناك تغييرُ في الأسلوب.

نحن نحتاج فيما نواجه على صعيدنا في لبنان أو فيما نحتاج فيما نواجه، على صعيد العالم الإسلامي كله في نطاق نهضة الإسلام الحديثة، واندفاعة الإسلام الحديثة في كل مكان في العالم الإسلامي، وفي مناطق خارج العالم الإسلامي أيضاً إلى أن نعي هذه الحقيقة وعياً كاملاً.

إن الثورة، وإن النزعة التغييرية، ليست مشروطة في أن يكون التعبير عنها دائماً بالعنف أو بالحرب.

أعظم الثورات، ربما أعظم المواقف الثورية لا يكون فيها عنفاً مادياً، وإنما يكون فيها صلابة الموقف، وإرادة الحق، التي تواجه الباطل، هذه نقطة ينبغي أن تدرك.

المسألة الأخرى التي تلح إلحاحاً كبيراً، هي مسألة الفتنة، غالباً ما يقع التباس بين الثورة والفتنة والحركة الإصلاحية، ربما تكون هناك ثورة وتسمى فتنة، كما سُميت ثورة الإمام الحسين (ع) من قبل النظام «اليزيدي»، سميت فتنة، سميت شقاً لعصا المسلمين، ربما الفتنة التي لا يتبين فيها الحق والباطل تسمى ثورة، ربما بعض الفتن تسمى عدالة وإصلاحاً، في تاريخنا الإسلامي توجد حالات كثيرة أذكر لكم بعض الأمثلة وهي أبرز الأمثلة:

حركة الخوارج ضد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أمير المؤمنين خليفة رسول الله، ولي الله، الخوارج تمردوا عليه، تمردوا على نهجه السياسي، وتمردوا على توجهه العام، وشهروا عليه السيف، ماذا نسمي فعل الخوارج؟

هل نسميه ثورة، أو نسميه تمرداً؟

بمقياس من المقاييس، ربما كان نفس الخوارج يسمون فعلهم ثورة.

ولكنه لا بمقياسنا نحن، وإنما بالمقياس القرآني لا يستحق عملهم إلا أن يسمى تمرداً، وأن يسمى فتنة، لأنهم تحركوا ضد إمام عادل، قلت في موقف آخر، هناك مؤاخاة وتطابق بين الثورة والعدالة. حيث توجد عدالة لا توجد ثورة، وحيث توجد ثورة يوجد ظلم، لا توجد عدالة.

أمير المؤمنين، (ع) أعداؤه على كل صعيد، أعداؤه في التوجه السياسي، وأعداؤه في الحياة العامة، في النهج الفكري، كانوا يناقشون في كل شيء.

ولكنهم لم يكونوا يناقشون في أنه إمام عادل.

إذاً نهج الخوارج، لا يمكن أن نسميه ثورة، نسميه فتنة، ونسميه تمرداً، الإنسان في المجتمع يخاف أو يأمن، الإنسان الذي يأمن يتصرف تصرف الآمِن، أما الإنسان الذي يخاف، نسأل أي إنسان مما يخاف.

من أي شيء خاف الحسين (ع)؟

من أي شيء خاف الخوارج؟

تارة الإنسان يخاف من الحق، فيفتعل ثورة، يفتعل تمرد ضد الحق، كما قال أمير المؤمنين (ع) عن قوم تركوه ولحقوا بمعاوية، في نهج البلاغة. ما معناه، إنهم عرفوا الحق وتركوه إلى الظلم، وإلى الأثرة، يعني إلى التمييز الطبقي.

إن الإنسان العادل يخاف من الباطل، الحسين (ع) من أي شيء خاف؟

ما الذي كان يخيف الحسين (ع)؟

ما الذي كان يخيف أنصار الحسين (ع)؟ هو لم يقنعهم بأن يتبعوه، هو أقنعهم بأن يتركوه، لا بد سمعتم في هذا المجلس أو في غيره، أو تسمعون أنه جمعهم وقال لهم إن هذا الليل قد أقبل فاتخذوه جملاً، واتركوني، والقوم لا يطلبون غيري هو حاول أن يقنعهم بتركه، لم يُقنعهم باتباعه، الذي جعلهم يتبعونه، هو أنهم كانوا خائفين مثله، كان يجمعه معهم ويجمعهم معه خوف واحد، من أي شيء؟

هل كان خائفاً على منصبه الإجتماعي؟.
هل كان خائفاً على ثروته أن يأخذوها؟.
هل كانت له مطالب وظيفية ولم يعطوه إياها؟.
من أي شيء خاف إذاً؟

كل هذه الأمور كانت ميسرة منصبه الإجتماعي، ومركزه الديني الفائق كان محترماً ومبجلاً لم يمسُّه أحدٌ بسوء.

الثروة والأموال كانت متاحة بين يديه على أوسع نطاق، أصحابه وجلهم من أعيان الناس، كانوا محترمين ومبجلين، عند الحكم اليزيدي، الظلم لم ينلهم، إذاً على أي شيء خافوا؟.

الخوف الحقيقي لم يكن على الحالة الخاصة، لم يكن على الحق الخاص، الحق الخاص كان محفوظاً، الخوف كان على الكيان العام، الحسين (ع) ليس رجلاً خاصاً، الحسين (ع) رجل عام، الحسين (ع) إمام معصوم، عنده مشروع دائم التحرك، منذ نزل الوحي على رسول الله (ص) إلى عهد الحسين (ع) وإلى عهدنا هذا، مشروع دائم التحرك، ودائم النمو.

الإمام الحسين (ع) عنده مشروع الإسلام، الإسلام بما هو حي، بما هو كدافع البشر، وحرية البشر وهداية البشر، وتكامل البشر، لا بما هو منصب معين، أو راتب معين، أو حياة راقية.

كان المشروع مهدداً، لم تكن حياته الشخصية مهددة.

وكلكم تعلمون لو فقط وافق على أن يسكت نصف سكوت، وليس سكوتاً كاملاً، لأعطيت له كل الدنيا.

ولكن المشروع كان في خطر، كما قال أمير المؤمنين (ع) في طريقه إلى البصرة: «إن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، والصالحين حرباً والفاسقين حزباً»[1].

كان المشروع الإسلامي برمته في خطر، الخوف إذاً هو الذي يدفع إلى

---

(١) أنظر كما في نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

التحرك، الإنسان الآمن، لا يتحرك، الإنسان الخائف هو الذي يتحرك.

الآن في حياتنا الشخصية، وهذه مناسبة مباركة، حينما نفكر في الآخرة، نفكر أننا بعد أيام أو شهور، أو سنين ـ أسأل الله أن يطيل أعماركم جميعاً ـ سنموت، ويحفر لنا في التراب وندفن تحت التراب، ونحاسب قبل القيامة، ونحاسب في القيامة، وأن مصيرنا هو الجنة، أو النار نخاف، الذي يخاف يتحرك، يتوب، يصل نفسه بمصدر الأمان الذي هو الله سبحانه وتعالى.

الإمام الحسين (ع) إذاً كان خائفاً، عمر بن سعد، ماذا كان شأنه؟

هل كان خائفاً حتى تحرك هذه الحركة التي تزعم بها قتال الحسين (ع)؟، «شمر ابن ذي الجوشن، عُبيدالله بن زياد، يزيد، الحقيقة كلهم كانوا خائفين أيضاً، كانوا خائفين من مشروع الحسين (ع) ولذلك تحركوا المهم مما يخاف البشر، عبيد الله ابن زياد، أو يزيد أو ابن سعد، أو ابن الجوشن، كانوا خائفين على مصيرهم الخاص، يزيد بن معاوية لم يكن لديه أي مشروع، كان لصاً موجوداً في السلطة، لص، كان يسرق المشروع الإلهي المحمدي، عبيدالله بن زياد، أيضاً كان لصاً.

والسلطة أيضاً فيها لصوصية، ليس المال فقط فيه لصوصية، خاف كل منهم على مشروعه الخاص، مشاريعهم الخاصة، هي ضد المشروع العام، ضد مشروع كرامة البشر وعزة البشر وتكامل البشر.

هذان الخوفان أوجدا حركتين متقابلتين، متناقضتين، كانت ثورة كربلاء.

في كل ثورة، الثائرون العادلون يخافون على مشروع عام، يشمل أوسع جماعة من الناس، من البشر، في كل دائرة ثقافية، وليس فقط في الإسلام، والظالمون يكون لديهم مشاريعهم الخاصة التي يخافون عليها.

من هنا، حينما نقول في مثل هذه المجالس، أننا جزء من حالة الحسين (ع) يعني أننا جزء من مشروع الحسين (ع)، جزء من المشروع الإسلامي، كما قلت، مشروع الحسين (ع) لم يكمل ولكن في النظرية هو مكتمل، **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1] في

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

النظرية على يد رسول الله (ص) وعلى يد الأئمة الطاهرين المعصومين (ع)، المشروع النظرية كامل، لكن المشروع كحركة في التاريخ هو دائم، نحن نعيش ونموت، ومن بَعدنا يعيشون ويموتون في انتظار الإنجاز على يد الإمام المنتظر، (ع).

هذا المشروع الإلهي كان يقف في طريقه يزيد، ويقف في طريقه يزيد كل زمان، الخوف على أي شيء، هو الذي يحدّد نوعية التحرك.

انطلاقاً من هذا المفهوم، نحن الآن من أي شيء نخاف في لبنان؟

وهل هناك أوليات في المخاوف؟

أولاً توجد أوليات، نحن نخاف من المشروع الإسرائيلي، نحن نخاف من مشروع الهيمنة الحزبية الكتائبية على الدولة، هذه قضيتنا الخاصة، يوجد خوفان كبيران تتفرع عنهما جميع المخاوف التفصيلية ارجع قليلاً إلى زمان أمير المؤمنين.. (ع) حصلت مشكلة السلطة والخلافة، حصلت ملابسة السقيفة، واجه أمير المؤمنين (ع) خوفان، ثم حصلت خلافة عمر، واجه خوفان، حصلت خلافة عثمان فلم يواجه إلا خوفاً واحداً.

ما هما الخوفان؟.

خاف أولاً على الإسلام ككل، وخاف ثانياً على التنظيم الداخلي للمجتمع الإسلامي هل يستمر الإسلام أوْلا؟ وإذا استمر هل ينظم تنظيماً صحيحاً من الداخل أولا؟ جاءه أبو سفيان وطلب منه البيعة، فطردهُ لأنه قال في نهج البلاغة في الخطبة الشقشقية، «حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام»[١] بدأت الردة، أعطى أولوية للخوف الأكبر على الخوف الأصغر، هذه قاعدة، وهذه القاعدة فقهية، فالأمور تواجه بأولوياتها.

الآن نحن نخاف خوفين، الخوف الأول، هو الخوف من المشروع الإسرائيلي في لبنان الذي هو مشروع تفتيت لبنان، إلى أربع قطع أو خمسة قطع، على قاعدة الكانتون وصهينة الجنوب.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

والخوف الثاني، هو مشروع الهيمنة، الذي كان موجوداً طيلة الأربعين سنة الماضية، ولكنه عبّر عنْ نفسه بشراسة وبروح مكشوفة، وهجومية أيضاً في السنة الماضية، نحن يجب أن نواجه كلا الخوفين. بشرط واحد، لا أقول يوجد خوف رقم واحد. وخوف رقم ثاني، وإنما، نواجه الخوف الثاني شرط أن لا نقع في الفخ الإسرائيلي لأن إسرائيل فجّرت المسألة الطائفية، وتفجّرها الآن في الجنوب، وفي البقاع الغربي، لأجل أن تكون هي قوة السلام في لبنان، لأجل أن ينظر إليها اللبنانيون، أنها محايدة، أو أنها حامية. وليست معتدية ومحتلة، إذاً نواجه كلا الخوفين.

في هذه الليلة أريد أن أتكلم عن المتعاملين مع إسرائيل في الجنوب تحديداً. من أي شيء يخاف هؤلاء ؟ .

ما هو الخوف الذي يحركهم، يخافون من حزب الكتائب، يخافون من بعضهم بعضاً، هل الخوف من حزب الكتائب يدفع نحو الصهيونية؟ هل يدفع نحو التعاون العسكري مع إسرائيل؟ طبعاً سمعتم مراراً وتكراراً، كلمة الإمام السيد موسى الصدر الثانية، «إسرائيل شر مطلق»، والتعامل مع إسرائيل حرام.

إن الموقف الفقهي من هذه المسألة شديد الوضوح، وشديد البساطة، من قبيل أن يكون الزنا حرام، وأي شر أعظم من التعامل مع عدو الإسلام، منذ بدأ الإسلام.

أي شيء يدفع إلى التعاون الإقتصادي مع إسرائيل التجار الذين يستوردون بضائع إسرائيلية بالجملة، ويأتون بها إلى السوق اللبنانية.

هؤلاء ما هو الفرق بينهم وبين الذين حاربوا الحسين حينما زاد عبيدالله أعطياتهم مئة بالمئة، الجنود الذين جندهم عبيدالله بن زياد لمحاربة الحسين (ع) أعطوهم زيادة راتب مائة درهم ما هو الفرق بين هؤلاء وبين عبيدالله بن زياد الذي وُعد بولاية الري ؟ هل انحصر الرزق ـ لعنة الله عليه من رزق ـ بالمتاجرة مع اسرائيل .

التعامل الثقافي والسياحي، هل انسدت أبواب الدنيا، الثقافة انسدت إلا بالكتاب الإسرائيلي، والتلفزيون، والراديو، والبرنامج السياحي الإسرائيلي؟.

وأخيراً التعامل العسكري .

أولاً : في صيغة حرس القرى ، وقد أعلنا مراراً وتكراراً تحريمها ، ثم في صيغة الحرس الوطني ، وأخيراً في صيغة ما يسمى الجيش الشيعي ، هؤلاء ليسوا خائفين ، هؤلاء أمرهم يتردد بين أمرين بين أنهم مضللين ومخدوعين ، وبين أنهم مجرمين المخدوع يبين له بأن هذا العمل في أعلى درجات التحريم ويجب أن يحارب ، والعميل المتصهين ، هذا يجب أن يَرْعَوي ، وإلا فيحارب ، الهدف ليس حماية الذات . وإنما هو غير ذلك .

أيها الأخوة، وهذا الكلام موجه لكل اللبنانيين، هذا العمل ليس من أجل حماية القرى والذات، هذا العمل ينطوي على مشروع شيطاني يتجاوز نصرة إسرائيل، إلى حرب الأهل وتفتيت البلاد.

المشروع الإسرائيلي هو عيناً وتماماً إعداد المسرح بالصورة التي أُعد بها في الجبل هنا، تفتيت الطوائف، إثارة الأحقاد والبغضاء فيما بينها، إثارة الشكوك، تحريض بعضها على بعض، وإفلات بعضها على بعض لأجل تفتيت المنطقة، وإنشاء إدارات منفصلة لكل مجموعة طائفية فيها، والتحكم بكل مجموعة طائفية من قبل الإسرائيليين، المشروع هو هذا، ليس فقط تعامل مع إسرائيل، هو تنفيذ عملي للمخطط الإسرائيلي.

ما هو هدف عبيدالله بن زياد.؟ وما هو هدف أدواته الصغيرة، في كربلاء؟. هل كان حماية المشروع الإسلامي،؟ هل كان الهدف حماية المسلمين من الحسين؟، هل كان الهدف حماية المجتمع من الحسين؟.

كان الهدف حماية المشروع اليزيدي، وما يسمى بالجيش الشيعي هدفه حماية المشروع الصهيوني الإسرائيلي ،وحمايته ليس فقط في لبنان بل اعطاؤه قاعدة انطلاق في لبنان نحو العالم العربي والعالم الإسلامي.

المسلمون وبشكل خاص ـ اشعر طبعاً بمسؤولية خاصة عن المسلمين الشيعة ـ المسلمون عموماً، والمسلمون الشيعة خصوصاً، يخرج منهم مجموعة من الضالين، لأجل تنفيذ وحماية المشروع الإسرائيلي، ومتى؟ بعد انطلاق وانتصار الثورة الإسلامية. المباركة في إيران، وبعد تأسيس الجمهورية الإسلامية

في إيران، وبعد انطلاق الحركة الإسلامية في كل العالم بعد هذا أيضاً، هل يتصور عقل هذا؟.

هذا الأمر لا يجوز السكوت عليه، ولا الرضى به هذا الأمر نحمل جميعاً، واحداً واحداً، وواحدة واحدة رجالاً ونساءً مسؤولية احباطه ودحضه.

انقل لكم قصة تعرفونها عن مسلم بن عقيل، إنه حينما خرج كانت المرأة تأتي إلى ابنها وزوجها وأخيها، فتقول له ما لنا وللشر، كانت هذه النسوة الغبيات، القصيرات النظر يعطّلن مشروعاً إسلامياً، محمدياً، حسينياً، كان يقوم به مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) في الكوفة.

الآن، كل واحد من هؤلاء، وكلنا ينتسب إلى قرى وإلى عوائل، كل واحد من هؤلاء، يجب أن تأتيهُ أمهُ، وأختهُ، وصديقهُ، ورحمهُ، ويبين له أن هذه خدمة للمشروع الإسرائيلي بكل معنى الكلمة.

إن هذا العمل عمل يزيدي بالمعنى الحضاري لليزيديه، بما هي شر، وبما هي عدوان، يقال أن اليزيدية أكثر من الصهيونية، نقول، لا، هي ليست أكثر من الصهيونية، . . .

إذاً الناس يخافون فيثورون، والناس يخافون فيتمرّدون، والناس يخافون فيكونون حسينيين والناس يخافون فيكونون صهاينة أويزيديين المدار على نوع الخوف ما هو: أن تخاف على مشروع عادل، فأنت حسيني، أن تخاف على مشروعك الخاص الذي تريد أن تظلم به الدنيا فأنت يزيدي.

فالثورة هي أيضاً تنشأ عن خوف. ولكن عن خوف عادل، عن خوف على مشروع عادل عن خوف على مشروع إلهي.

أما المشروع الدنيوي، أو الطبقي، أو العائلي، لا يجوز أن يخالف من أجله حكم إلهي. من مدرسة الحسين، (صلوات الله وسلامه عليه)، نواجه حالتنا الآن، نواجه المشروع الإسرائيلي على كل صعيد، ونواجه مشروع الهيمنة على الدولة والنظام في لبنان على كل صعيد، ولكن دون أن نقع في الفخ الإسرائيلي، أن نقول: أن نعمل على المسألة الطائفية، وحقوق الطوائف، وما إلى ذلك، ونقول فليكن، ولنستعن بإسرائيل هذا أمرٌ محرم، وهذا انتحار سياسي، لأن

إسرائيل لم يأتِ منها أي خير، إسرائيل لم يأت منها إلا الشر المطلق، هي لا تحمي الماروني، ولا تحمي الشيعي، ولا تحمي السني، ولا الدرزي، ولا تحمي المسلم، ولا تحمي المسيحي، هي تــريد أمنها الخاص، ومشروعها الخاص، مشروعها ليس ضد العرب فحسب، وإنما هو ضد الإسلام وضد الإنسانية.

أما أن نقع نتيجة لذلك في المسألة الطائفية، أن نقع نتيجة لذلك في الفخ الإسرائيلي، هذا من أسوأ ما يمكن أن يقع به العاملون والمجاهدون على الإطلاق، وهذا هو الشرف الإسرائيلي، إسرائيل جاءت لتحمي المسيحيـين من المسلمين، الآن أخذت دور أن تحمي المسلمين من المسيحيـين، تريد أن تحمي الشيعة من المسيحيـين في الجنوب وتحمي الدروز من المسيحيـين في الجبل، وتحمي المسيحيـين من الدروز في الجبل وهكذا، وهي دخلت في صميم كل طائفة، فتحمي جماعة فلان الشيعي من جماعة فلان الشيعي أيضاً، وتحمي هذا الفريق السني من هذا الفريق السني، والدرزي من الدرزي.

أي إجرام أن نقع في الفخ الإسرائيلي، أن نقع في تيار العنف، الذي يمكن أن يجر إلى الفخ الإسرائيلي.

الله سبحانه وتعالى بيّنِ في القرآن وعلى لسان رسول الله (ص) وأهل بيته الطاهرين في السنة، يبيّن هذه الأمور بتمامها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من ذوي البصائر، يوجد مصطلح إسلامي ورد في كربلاء كثيراً يتحدث عن أهل البصائر، وليس أهل الأبصار، الذين يرون الرؤية المادية، أهل البصائر الذين يَرُوْن الموقف على حقيقته من غير التباس.

اسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل البصائر وأن يختم لنا بخير .

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الثورة الحسينية

ومفهوم الغربة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا مولايَ يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقيت السموات والأرض.

والسلام على إمام المسلمين، الإمام الخميني وعلى المجاهدين المسلمين في دولة الإسلام في إيران. والسلام على الإمام المغيَّب السيد موسى الصدر.

والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

كالعادة في كل عام هجري، وفي العشرة الأولى من محرَّم، المسلمون الشيعة يحتفلون بذكرى كربلاء، وذكرى الإمام الحسين وأصحابه. حينما تبدأ السنة الهجرية في اليوم الأول من محرَّم، تبدأ عاشوراء. سنة جديدة تبدأ بذكرى قديمة. كأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يدخل الناس إلى سنتهم الجديدة بهذه الذكرى بما تشتمل عليه من معاني وعِبر. السنة تختم بموسم الحج. الحج يكون في الشهر الثاني عشر القمرية، ومحرَّم هو الشهر الأول من السنة القمرية. ختام السنة «الحج» وبدايتها «عاشوراء». بكل ما يحمل الحج من معاني من تجديد الصلة بالله والتجرُّد من كل أهواء النفس، والإنخراط الكامل في المشروع

(*) ألقيت بتاريخ ٧/محرم/ ١٤٠٤ هـ - ١٢/ تشرين الأول/ ١٩٨٣ م.

الإسلامي. كما تعلمون وبعضكم قد مارس عبادة الحج. الذكر الواجب عند الإحرام هو التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لـك والملك، لا شريك لك لبيك». تلبية على ماذا؟ على السفر إلى مكة؟ لا. لبيك للمشروع بكامله. المشروع الذي بدأ في مكة، وينتهي في العالم. المسلم يختم سنته بالحج، بتجديد البيعة مع الله وتجديد المعاهدة مع الله هذا المشروع. والمسلم يبدأ سنته بإحدى مراحل هذا المشروع.

ما هي عاشوراء؟

لماذا خرج الحسين بن علي، وخرج من خرج معه من أصحابه؟ (رضوان الله عليهم)، وفاوضوا، وفشلت المفاوضات، وقاتلوا، وقُتِلوا. لماذا؟

من أجل المشروع؟ المشروع إصطدام بالحكم اليزيدي، الحكم الذي حاول أن يحوِّل الإسلام إلى مؤسسة وأن يحوِّل الإسلام إلى شركة مساهمة، أن يحوِّل الإسلام إلى دين طبقة. هذه عقبة من عقبات نمو الإسلام. في زمان يزيد بن معاوية وكانت نهضة الحسين (ع) باعتباره من أصحاب مشروع «لبيك». إذن، هذه السنة مثل ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين سنة، تبدأ بذكر عاشوراء، ومهما بقيت هذه الدنيا مستمرة بأمر من الله سبحانه وتعالى، ستبقى عاشوراء مدخلاً إلى السنة ومدخلاً إلى عمل السنة.

بعد ثلاثة أيام أو أربعة تنتهي الإحتفالات والمجالس بهذه الذكرى. أظن بأنني قلت لكم في السنة الماضية وفي هذا المكان أو في غيره، بأنه توجد عبارة شائعة في لبنان بشكل خاص. أن يوم العاشر من عاشوراء يسمَّى في عرف الناس «يوم الفلّة»، يعني أنه بعد أن يقرأ الناس «المصرع» يفلّون، ينهون واجباتهم ويذهبون.

هذه الفلّة تصوِّر عقلية عاشوراء القديمة، عقلية عاشوراء المريضة. كأن الحسين (ع) جارنا، أو يمتّ بصلة القرابة إلينا، وعلينا واجبات إجتماعية تجاه أهله. فنقيم الفاتحة، وينتهي الأسبوع ونأخذ بالخاطر، «ونفل».

عقيلة عاشوراء ليست هكذا. عاشوراء ينبغي آن تحمل في القلب، آن لا يكـون هناك «فلّة»، أن نكـون دائماً مـوجودين فى عـاشـوراء، أن نكـون دائمـاً «معوشرين» لأن، عاشوراء ليست موسماً للحزن، وننهي مراسم الحزن الرسمي

في يوم معيَّن، وإنما هي موسم للوعي، ومدخل للوعى، أشبه ما يكون أن طالباً في مدرسة من المدارس ويجري إمتحاناً، ويترك المدرسة . وهو لم يترك العلم والمفروض أن علمْ المدرسة يطبّق في الحياة، مهندس أو طبيب تخرج بشهادة الهندسة أو الطب. علم الهندسة أو الطب لا يتركه في الجامعة، وإنما يخرج به إلى الحياة، يبني به البيوت والمؤسسات، أو يعالج به المرضى والمصابين.

إن عاشوراء مدرسة نتعلم منها دروس الجهاد والتضحية، نتعلم منها دروس الصبر والمثابرة، نتعلم منها دروس الوقوف في وجه الظلم، نتعلم ونخرج من المدرسة لنطبِّق؛ وإلا كيف نترك ونعتبر أننا أدَّينا واجبنا.

في زيارة عاشوراء وبعض الزيارات الأخرى يوجد تعبير عظيم جداً لأئمة أهل البيت (سلام الله عليهم) «السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة، السلام عليك يا صاحب الدمعة الساكبة». «السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة». يقال إمام راتب في المسجد، أي أنه موجود دائماً، والمصيبة الراتبة تعني المصيبة الدائمة، أي ليس لها حد معين تقف عنده .

إذن ندخل إلى هذه السنة، سنة ١٤٠٤ هـ، ندخل من باب عاشوراء، من باب ذكرى الحسين والزهراء وزينب وأمثال هؤلاء. في المقابل، يوجد ناس كثيرون يدخلون إلى السنة من باب آخر، من باب يزيد بن معاوية، من باب شمر بن ذي الجوشن. هذه باب ثانية وأيضاً هي موجودة دائماً. باب الله وباب الشيطان، باب الحق وباب الباطل.

١ ـ مشروع «لبيك اللهم لبيك».

٢ ـ والمشروع الآخر الذي يحارب الله ورسوله والناس.

من أي باب ندخل؟ نحن الآن هنا، وأمثالنا في طول العالم الإسلامي وعرضه، في أمثال هذا المجلس، نحن ندخل من باب عاشوراء. في عاشوراء توجد مُثُلْ، توجد دروس كثيرة. تحدثت في الليالي الماضية وفي مجالس أخرى، كما في السنين الماضية عن بعض هذه الدروس، وقلت أننا دائماً نتعلم من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، ومن الإمام الحسين في هذه الأيام، ومن أصحابه (ع).

من جملة العناوين التي ترد في فكر عاشوراء، الفكر الحسيني، عنوان الغربة. يقال عن الحسين (ع) أنه غريب، يقال عن الإمام الرضا مثلاً أنه غريب. «السلام عليك يا غريب الغرباء». في زيارة الإمام الرضا (ع). ما معنى الغربة، وكيف كان الحسين (ع) غريباً في كربلاء؟

نريد أن نفهم هذا الفكر، فكر الغربة. الحسين (ع) إمام المسلمين. كربلاء معروفة في العراق وهي جزء من البلاد الإسلامية. مسلم في بلد مسلم، كيف يكون غريباً؟ مظلوم هذا معلوم وواضح. ولكن كيف يكون غريباً؟ أكثر من هذا.

إن الإمام الحسين (ع) سكن مدة طويلة في حياة أمير المؤمنين (ع) في الكوفة، وذلك بعد بيعة الإمام علي (ع) إنتقل من المدينة إلى الكوفة. كذلك إنتقلت كل العائلة الشريفة مع الإمام إلى الكوفة. الحسن والحسين وزينب وبقية البنات والأولاد. الكوفة على مرمى حجر من كربلاء، يعني أن الإمام سكن في العراق، ومع ذلك في عبارات موجودة في الزيارات في الشعر وفي اللغة الشعبية «اللهم بغربة أبي عبدالله».

كيف يكون الإنسان غريباً بحسب الفهم العام؟

الإنسان حينما يسافر إلى بلاد أخرى، إلى لغة أخرى، إلى قوم آخرين، إلى دين آخر، من المعقول في هذه الحالة أن يسمَّىٰ غريباً. أما إنسان موجود في بلده وبين قومه وبني دينه وأهل لغته، ويسمَّى غريباً، فهذا أمر على المقاييس الطبيعية غير واضح، ومع ذلك الحسين كان غريباً.

إن مفهوم الغربة هذا، هو أحد المفاهيم الإسلامية الدقيقة جداً في موضوع الفكر، وفي موضوع الإنسان. ما هي مظاهر الغربة؟ ماذا يصيب الغريب؟ يكون الغريب غالباً ضعيفاً، لأنه في مكان لا يعرف فيه أحداً؛ ويكون الغريب غالباً محتاجاً، لأنه يكون بعيداً عن مصادر ثروته ، والمصادر التي يمكن أن يأخذ منها المال والطاقة وما إلى ذلك. يكون الغريب غالباً وحيداً، أو شبه وحيد لأن من حوله من الناس لا يعرفهم ولا يعرفونه، ويكون الغريب غالباً حزيناً لأنه لا يوجد حوله من يؤنسه ويسلِّيه. هذه المفاهيم ليس لها مكان.

فالغربة هي غربة القضية وغربة الفكر، هي غربة النهج وغربة الطريق.

فلنرى الحسين (ع). في الحكم اليزيدي كان يوجد نهج سياسي مناقض تماماً لنهج «لبيك اللهم لبيك»، لنهج المشروع الإسلامي. كانت كل السلطة وكل القوة وكل الأجهزة موجهة ضده. كان حينما أراد أن يتوجه إلى كربلاء، إلى العراق وقبلاً إلى الكوفة قبل أن يعلم باستشهاد مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه)، كانت الناس معه، فلما عُرف أن مسلماً قد استشهد، تفرَّق الناس عنه وبقيت هذه القلة الصغيرة الذين لا يبلغون المئة رجل أو يزيدون قليلاً عن المئة رجل. وكانت صيحته: «هل من ناصر ينصرنا»؟ فحصَّل بعض الأنفار من جملتهم الحر الرياحي (رضوان الله عليه). وكل الأمة والناطقين باللغة العربية من المسلمين كانوا في جانب وهو في الجانب الآخر لوحده مع أنصاره.

كان (ع) يتكلم بكلام، يطرح مفاهيم، يطرح قضية الإسلام، يطرح قضية المستضعفين يطرح قضية الكرامة البشرية، لا أحد يسمع. ويقول له شمر بن ذي الجوشن: «يا ابن فاطمة، إنّا لا نفهم ما تقول». يتكلم بلغة أخرى، يتكلم بمفاهيم أخرى، يرى ببصيرته عالماً آخر. هو يسعى إلى مجتمع عادل وسعيد، بينما يواجه بمجتمع مظلوم ومقهور. ما هي الغربة؟

الغربة ليست في كربلاء. لقد كان في المدينة غريباً أيضاً. الغربة هي إذن غربة النهج، غربة الطريق، وليست معاشرة الأجساد. أن نتكلم لغة عربية أو غير عربية واحدة، أن نكون في بلاد وُلدنا فيها، الغربة القاسية، الغربة الحقيقية هي غربة الذات، غربة الروح. الإمام الحسين (سلام الله عليه) وصل إلى أعظم درجات الغربة، أعظم درجات الغربة في الكون كان يعانيها الإمام الحسين. يتلفت يميناً وشمالاً، في طول العالم الإسلامي وعرضه، ماذا يجد؟ في كلمة لأمير المؤمنين (ع) أبو الأئمة، أبو الشهداء علي أبو الغرباء، الغريب العظيم هو الإمام علي (ع). يقول (سلام الله عليه): «إضرب بطرفك حيث شئت من الناس» وهذا الكلام موجود في نهج البلاغة، وهو من أعظم النصوص السياسية «إضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، وغنياً بدل نعمة الله كفراً»[1]، وصفات أخرى يعدُّها للعلماء وللحاكمين وللوجهاء.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩.

حينما يقرأ الإنسان النص يشعر أنه كان غريباً، لأنه يبحث عن هدف وعن عالم وعن مجتمع لم يكن موجوداً؛ كان يحاول أن يخلق هذا المجتمع. واستشهد بسيف عبد الرحمن بن ملجم، واستشهد أيضاً بسيف «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

كنت أقول لبعض إخواني أنه ليس دائماً الشعار الفكري يكون مطابقاً للمبدأ السياسي. شعار «لا حكم إلا لله» الذي خرج به الخوارج على عليٍّ (ع)، كانت نتيجته السياسية قتل الإمام عليّ (ع). الجيش اليزيدي في كربلاء، جيش عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وعبيدالله بن زياد، وكان أفراد هذا الجيش يصلّون ويصومون، ولكنهم كانوا يصلّون ويصومون بدون مشروع سياسي.

حينما تبتعد الصلاة عن المشروع السياسي تصبح سهلة كثيرة، لكنها لا تكون أبداً من الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر. المشروع السياسي العادل هو دائماً التعبير العملي عن الصلاة.

كان عمر بن سعد يصليّ، وكان الحر بن يزيد الرياحي يصليّ. لكن صلاة الأول جعلته يستمر في مشروع يزيد وصلاة الحر جعلته ينتقل إلى مشروع الحسين (ع).

وهنا الفرق أن الصلاة الثانية لها مضمون والصلاة الأولى ليس لها مضمون إنها صلاة اللسان، وليست صلاة القلب والضمير.

إذن نستخلص أن الإنسان يمكن أن يكون غريباً في وطنه بالمصطلح السياسي الإداري، الحسين (ع) في كربلاء كان موجوداً في وطنه كانت دولة واحدة. كربلاء مثل المدينة، مثل مكة، ومثل أصفهان، لها سلطة مركزية واحدة والناس تعيش فيها تحت تلك السلطة.

إنتقل الحسين من المدينة إلى كربلاء، وكأنه إنتقل من المدينة إلى مكة، وكأننا نسافر من بيروت إلى صيدا. وكان في وطنه وداخل حدود الدولة الإسلامية، ومع ذلك كان غريباً.

إذن يمكن للإنسان أن يكون غريباً في وطنه، وكيف يكون الإنسان غريباً

في وطنه؟ ما هو الوطن؟ مفهوم الغربة ينقلنا إلى مفهوم الوطن. فما هو الوطن؟ نحمل ورقة جنسية ونقول إننا عراقيون أو مصريون أو لبنانيون أو ما أشبه ذلك؟ نولد في مكان وُلد فيه أبونا وأمنا وجدنا ولنا فيه قبور كثيرة؟ نتتقل من مكان إلى مكان بدون حواجز جمركية ومن دون حدود؟ هل هذا وطن؟

فلو فرضنا أن كل هذا موجود، ولكننا (جعنا) ولم نجد طعاماً، وعرينا ولم نجد ثياباً، ومرضنا ولم نجد دواءً، وجهلنا ولم نجد مدرسة، وانهدم بيتنا ولم نجد بيتاً، وجلسنا في بيتنا ولم نجد كرامة، وعملنا من أجل المستقبل ولم نجد أي مستقبل، وفكرنا في أمر أطفالنا ولم نعلم ماذا سيكون عليهم، فهل هذا وطن؟ لعنة الله على هكذا وطن!!

هذا ليس وطناً، بل هذا خدعة، الوطن ليس جغرافية وهواء وفضاء وحدود، الوطن رغيف حلال، لا بالسرقة ولا بالذل، والوطن مدرسة، والوطن بيت، والوطن سرير في المستشفى، والوطن كرامة ومستقبل.

أما من دون هذا فينعدم الوطن وتوجد الغربة.

الغربة في الوطن هي أقسى أنواع الغربة: أن يكون الإنسان غريباً في بلاد غريبة، بين قوم غرباء وفي لسان ولغة غريبين وفي تاريخ غريب، هذا أمر طبيعي موجود منذ فجر التاريخ وسيبقى إلى يوم القيامة.

حتى عند الحيوانات موجود: توجد فصائل عند الحيوانات تعيش في مناخ طبيعي معيَّن. مثلاً مناخ بارد، فإذا نُقلت إلى بلاد حارة تصبح غريبة، وإذا أصبحت غريبة تمرض وتموت. والإنسان أيضاً طبيعي أن يشعر بالوحدة والوحشة، والذل، والضعف، حينما يكون في بلاد غريبة وبين قوم غرباء. أما أن يشعر بهذا وهو في وطنه فهذه هي الغربة الحقيقية.

إن الحسين (ع) كان غريباً بهذا المعنى، وغربة الحسين (سلام الله عليه) كانت غربة مضاعفة. الناس العاديون يكونون غرباء لأنفسهم. إذا كان الإنسان عنده زوجة يكون غريباً ويحمل همّ زوجته. وإذا كان عنده أولاد يكون غريباً ويحمل غربة زوجته وأولاده. أما الحسين (سلام الله عليه)، فكان يحمل همّ الأمة كلها، لأنه كان يحس أن الأمة كلها غريبة. كانت الغربة تطبق عليه من جميع الجوانب، لا لأنها غربته هو (سلام الله عليه)، ولا لأنها غربة زينب، أو

علي ابنه، أو علي الأصغر (سلام الله عليهم جميعاً)، لا، وكما قال والده: «إضرب بطرفك حيث شئت من الناس». غربة شاملة.

وهكذا كل إنسان في موقع المسؤولية الكبرى، فهو حينما يواجه حالة لا يواجه حالته الخاصة، ولا حالته العائلية، وإنما يواجه حالة الأمة بكاملها، حالة الشعب بكامله. من هنا يكون عذابه أكبر، ومرارته أشد، وغربته أقسى، لأنه يحمل همَّ الجميع بمفهوم الغربة ومفهوم الوطن. في هذه السنة كما في السنة التي قبلها والتي بعدها، دخلنا إلى سنتنا الجديدة من باب (محرَّم)، من باب كربلاء ومن باب الحسين (ع) والحر، ومسلم بن عوسجة، وزينب بنت علي، وعلي الأكبر، والعباس. ندخل أيضاً على وضعنا، على لبنان.

لبنان وطننا. إنَّه المشروع الذي أسس منذ أربعين سنة؛ أسس من هذه الطوائف الموجودة فيه، والتي يجمعها عنوان المسلمين والمسيحيين. بكل أسف إن تجارب الأربعين سنة على مدى العهود، فشلت في إيجاد هذا المشروع على أسس صحيحة، لأن العدالة لم تكن موجودة. من أين تأتي الغربة؟ كيف يضيع الوطن؟ حينما لا تكون هناك عدالة. لأن العدالة لم تكن موجودة على أي مستوى من المستويات مشروع بناء وطن كان دائماً يُواجه بالعثرات. إلى أن وقعنا في الفتنة الكبرى، ولا تزال الغربة في الوطن موجودة. نحن غرباء في وطننا لأن العدالة غير موجودة! وحينما تكون العدالة غير موجودة في مثل لبنان خاصة، يستحيل أن يوجد وطن.

إن الظالمين لا يهنأون في ظلمهم، وهذه شواهد طيلة هذه الثمان سنوات مستمرة آخرها في الجبل.

في لبنان، أساس المشكلة وكما قلنا للسفراء الأجانب حينما أعلنا الثوابت الإسلامية، بأن مشكلة لبنان كانت دائماً مشكلة عدالة، مشكلة فريق يريد أن يأخذ كل شيء، ومشكلة فرقاء آخرين بعضهم يريد العدالة وبعضهم يريد المشاركة في الظلم. بكل أسف، هذه إحدى الحقائق التي لا تقال علناً، ولكن من الآن وصاعداً سنقولها علناً. الطوائف في لبنان مثل مجموعة اللصوص الذين لا يثقون ببعضهم وكل طائفة تريد أن ترتب سرقتها الخاصة من النظام، والنظام يوازن بين مجموعات اللصوص، وأمراء اللصوص. هذا هو السبب.

الكلمة الخالدة الموجودة في ضمير الأمم «العدل أساس الملك» ليست موعظة عرضية، إنها إحدى حقائق الوجود السياسي. قامت السموات والأرض بالعدل ولولا العدل لم تقم سمٰوات ولا أرض. ولو لم يكن مبنياً بصورة عادلة موزونة ومحسوبة، لكان ينهار.

يستحيل أن تقوم حياة من دون عدل، ويستحيل أن يكون تقدُّم من دون عدل، ويستحيل أن تنشأ حضارة من دون عدل.

لبنان متحضِّر؟ «يا عيب الشوم»!. متحضِّر وفيه أناس لا يجدون مدرسة، فيه مرضى ليس لهم سرير في مستشفى، وفيه أناس لا يحصلون على رزقهم بكرامة. يوجد عدل؟! الغربة في الوطن ولبنان ليس وحيداً.

لم يشهد العالم العربي برمته عهد غربة هائلة كما شهد في القرون الأخيرة! لماذا؟ لأن العدالة غير موجودة. وما دامت العدالة غير موجودة يستحيل أن يوجد في لبنان وطن ويستحيل أن تحكم طائفة بقية الطوائف، ويستحيل أن تحكم مجموعة تحالف طائفي معين طوائف اخرى، يستحيل ذلك وإن حدث فيدمر كل شيء.

هذا الدمار الذي ترونه ليس كله من الخارج، لا! الخلل الداخلي أيضاً، عدم التوازن في الداخل أيضاً، هو الذي جعل هذا البيت ينهار، ويصبح لبنان متفنناً، بحفر القبور.

فبدل أن تصدر الدولة والشعب والهيئات بيانات، سنوية وموسمية، كم سرير في مستشفى وُضع؟ كم صف في مدرسة أنشىء؟ لا يمكن أن نصدر بيانات نحقق فيها تفوقاً. كم قبراً حفرنا؟ هذه حضارة! لبنان متحضِّر؟ لا والله. الحضارة خلق وعدالة وإنصاف وتوازن!

إذن، في ما نستقبل من أمورنا، لا يمكن أن يقوم شيء في لبنان، ولا يمكن أن يحصل استقرار في لبنان من دون أن تبنى دولة عادلة.

وكما قلنا دائماً: «دولة عادلة لمواطنين أحرار، وأحرار غير مرتهنين، ومن جملة الإرتهانات، الإرتهان الطائفي، يعني أن كل طائفة تسلِّط أولادها على الطوائف الأخرى.

قلتَ مراراً نحن نريد أن نخرج من الطائفية. من أجل أن ندخل في الوطن، لا نريد أن نحوِّل الوطن إلى مشروع طائفي.

من هنا الثوابت الإسلامية، أقمناها لا من أجل أن تكون مشروعاً إسلامياً في مقابل مشروع مسيحي، لا. لأجل أن تكون مشروعاً وطنياً، يمثل نظرة المسلمين إلى دولة عادلة في مقابل دولة الإمتيازات، والتفاوت وعدم التوازن.

الثوابت الإسلامية تمثِّل حجر الأساس في بناء هذا البلد إذا أُريد أن يُبنى على أساس صحيح، وليس على أساس هش، يمكن أن ينهار عند أول زوبعة.

الثوابت الإسلامية لا تمثِّل رؤية طائفية، بل تمثِّل رؤية المسلمين الموحَدّين المتوحدين الموحِدِين. ورؤيتهم إلى مشروع الدولة العادلة. تشكل المشروع الذي ليس فيه فئة عليا وفئة سفلى.

لا نريد أبداً أن نعود إلى أية صيغة تُنشىء في هذا البلد فئة المتخمين وفئة المحرومين.

لا بد أن يدخل البلد عصر الحضارة الحقيقية الذي هو عصر العدالة، حتى لا تكون تجربة الغربة في الوطن.

ألم نقل عن الإمام الحسين (ع) إنه كان غريباً في وطنه؟ هذه الغربة موجودة الآن، حيثما يكون ظلم حيثما لا يكون توازن، تكون هناك غربة.

إن الغريب لا يسأل عن شيء، فهو يهدم ولا يبني. المواطن المنتمي فقط هو القوة والطاقة والضمانة. المنتمي كيف؟

يعني أن يحمل إخراج قيد وهو جوعان؟! أن يحمل إخراج قيد وهو من دون مدرسة؟! وأن يفتش عن طبيب يتصدَّق عليه لتطبيب زوجته أو ابنه؟! هذا الشيء لا يكون إنتماءً بل تزويراً، ولا يكون مواطناً بل غريباً. فمثل هذا الإنسان لا يشعر بالإنتماء.

الثوابت الإسلامية تريد أن تنشىء وطناً. هذا المشروع يجب أن يُنشأ على أسس عادلة وإلا لا ينشأ.

أكثر من أربعين سنة تجارب. من (١٩٤٣) حتى يومنا هذا.

أربعون سنة، لبنان عامر؟ نعم عامر، الجنوب عامر، الجبل عامر، البقاع عامر. . . عامر «بمراجل» الدولة والنظام؟ أبداً!! إنه عامر بكدح الناس وعرقهم وهجرتهم.

هل يعقل أن تبني الناس الآن غرفتي صف في القرية من خلال تبرعات يقومون بها من أهل القرية؟ هذا الأمر يجب أن ينتهي.

هذه الدولة يجب أن تكون موّحدة، وليست (دولة كانتونات). أو شيء يسمونه وهو جديد على اسماعكم «كونفيدرالية». هذا تقسيم وأشر من التقسيم إنَّه تفتيت. هذا يقسم لبنان خمسة أقسام على الأقل. إنه المشروع الإسرائيلي.

وهناك شعور وانطباع أن مشروع التقسيم يمضي باندفاع، إنه ينفَّذ الآن تحت ستار الحوار والإتصالات وما أشبه ذلك ومشروع التقسيم ينفَّذ. ما يجري في الجنوب هو إعداد لمشروع تقسيمي.

تنبَّهوا. إن المشروع الإسرائيلي بسبب الفوضى الطائفية، بسبب النظر القصير، يوشك أن يظهر برأسه الرهيب والمخزي.

نحن سنتصدى، سنعاقب كل من يشارك في هذا المشروع. وإسرائيل تعلن أنها تريد أن تغلق المنافذ إلى الجنوب، وتجعل الدخول إلى الجنوب يتم بموجب إجازة مسبَّقة، وهي في الوقت نفسه تحرِّض وتشعل نيران الفتنة الطائفية بين الطوائف في الجنوب، كما صنعت في الجبل، وفي البقاع الغربي، وكما تصنع الآن في أقليم الخروب، وقلوبنا على أقليم الخروب.

هذا المشروع التقسيمي ينبغي أن تعوه وعياً كاملاً. ويمكن أن أعطيكم مثلاً. إنسان يريد أن يلهي أهل البيت عن شيء في سبيل السرقة أو القتل، فيفتعل ضجة تجذب انتباه أهل البيت ثم ينفذ مؤامرته في البيت وإسرائيل تصنع هذه الخطة الآن. فتخلق الفتن الطائفية. وتُشغل الطوائف ببعضها، وتخلق مخاوف وتجعل نفسها حامية. وأنتم تسمعون الإذاعات وتقرأون الصحف.

راقبوا. إسرائيل دخلت دخولها الكبير يوم (٤ حزيران سنة ١٩٨٢). الآن نحن في (١٢ آب سنة ١٩٨٣). مضى عليها هنا سنة وأربعة أشهر والشعور العام في الصحافة وعند الكثير من الناس أن إسرائيل لا تزال عدواً عند الكثيرين،

والبعض الآخر من الناس أخذ يعتبرها حامية ومحايدة ولم تعد تُعتبر عدواً ولم تعد تشكل أي خطر.

إن إسرائيل تريد إتفاقاً مع الدولة اللبنانية، ولكن إسرائيل تريد الإتفاق مع الشعب والبوابة الكبيرة التي تدخل منها هي البوابة الطائفية. هي تطبِّع الشعب.

أين شعارات وخطب وعنتريات العداء لإسرائيل؟ من الجميع، لا استثني أحداً حتى الأحزاب؟ أين العداء لإسرائيل التي تنفِّذ جريمتها الآن باستمرار؟

بعد مسرح الجبل الدموي يمكن أن يتكرر هذا الوضع في أماكن أخرى من لبنان، وتقع عملية التفتيت الكبرى. حينئذٍ تعَدِّ كل مجموعة زاوية لإقامة دولة، أو إمارة، أو (كانتون) تحت الحماية الإسرائيلية، وكيف سيكون الوطن؟.

الآن نتحدث عن الغربة. الآن نواجه بالإضافة إلى المشروع الداخلي الذي يجب أن يكون عادلاً وأن يقوم على العدالة لأجل أن تزول الغربة، سنبقى نواجه العدو الخارجي، العدو الجديد، والقديم، والمستقبلي الذي هو إسرائيل، التي هي عبارة عن شر مطلق. ولا يمكن أن يستقيم أمر في لبنان من دون إقتلاع جذور إسرائيل واحتلالها للبنان.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل عملنا بأحسن قبوله، وأن يعطينا الشجاعة في مواجهة الحقيقة وأن نكون حسينيين إذا لم نوفَّق أن نكون معه (صلوات الله وسلامه عليه).

في مثل هذه الليلة، (ليلة السابع من محرَّم) وفي التقليد القديم هذه الليلة مسماة على العباس، على قمر بني هاشم. هذا المجاهد العظيم. علينا أن نكون في خدمة أبي عبدالله الحسين مع العباس وأمثاله من أهل البيت والأصحاب، أن نكون في خدمة مشروع الحسين الذي هو مشروع العدالة ومشروع الحق، الذي هو مشروع الإنسانية وكرامة الإنسانية، ليس فقط للمسلمين، بل للناس جميعاً. العدالة لكل البشر والكرامة لكل البشر، والسعادة لكل البشر، هذا هو المشروع...

نسأل الله أن يتقبل أعمالنا جميعاً بأحسن قبوله، وأن يعيد عاشوراء علينا ونحن أفضل حالاً بجهادنا، وبقوتنا، وبعزتنا، وبوحدة كلمتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عاشوراء
ثورة دائمة ومتجددة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

تمثل كربلاء في الضمير الإسلامي ذروة التضحية والعطاء من أجل الإسلام ومن أجل الإنسان، فنموذج الشهادة الساطع الذي جسده الحسين وآله وصحبه يبقى دائماً الأسمى والأعلى يغذي العقول والقلوب ويمدها بالقيم التي ترتفع بالإنسان إلى مستوى الإنسانية العالي الذي أراده الله تعالى للمسلم الصادق في رحاب الإسلام.

والإسم ثورة دائمة وحركة دائمة وتجدد دائم في الإنسان، إنه إنجاز كامل على الصعيد النظري، وحركة دائمة على صعيد الحركات التاريخية، إنجاز كامل على الصعيد النظري بشهادة قول الله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[1].

وحركة دائمة على صعيد الحركة التاريخية بشهادة قوله تعالى: **﴿كنتم خير**

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/محرم/ ١٤٠٤ هـ - ١٥/تشرين الأول/ ١٩٨٣.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1] وقوله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[2]

ولأن الإسلام ـ على صعيد الحركة التاريخية حركة دائمة وثورة دائمة ـ فهو يقدم الشهداء باستمرار، فهو خلال ظهوره قدم الشهداء من أجل النصر وفي الطريق إليه في مقابل قوى الجاهلية وقيمها، وبعد اكتماله استمر في تقديم الشهداء من أجل المحافظة على النصر في مواجهة قوى الردة والتحريف ففي كل ثورة يرتفع شهداء، شهداء في الطريق إلى النصر، وشهداء للمحافظة على النصر.

وفي مواجهة كل ثورة تنشأ ردة على قيم الثورة وعلى أهدافها، ومهمة هذه الردة أن تغتال الثورة وتغتال المستقبل، ومن هنا عظمة الشهادة ضد الردة، إنها شهادة المنتصرين الذين لم يقعوا أسرى لامتيازات النصر، بل استقاموا على طريق ذات الشوكة حتى بعد أن نالوا نعمة النصر، ليصلوا إلى النعمة الأعظم. نعمة الشهادة.

وهكذا كان الحسين (ع) وصحبه، لقد كان الحسين منتصراً، وكان قادراً باستمرار على أن يتمتع بامتيازات انتصار الإسلام في مجتمع إسلامي يضعه في أعلى الدرجات.

ولكنه رأى حركة الردة تنمو تحت ستار الإسلام، وتحول الإسلام في حركة الردة هذه الى مؤسسة جامدة، تحول الى قيصرية وكسروية وملك (عضوض) كما حذر رسول الله (ص) من ذلك، ومن وعيه أن الإسلام ثورة دائمة، ومن وعيه أن هذه الثورة معرضة للإغتيال بحركة الردة ومعرضة للتجميد في مفاهيم الملك العضوض، ومعرضة لأن تصبح أداة للقمع ومبرراً له.

من هذا الوعي إنطلق لينخرط في التزام الشهادة من أجل المحافظة على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

جوهر الإسلام وعلى نقائه في مقابل حركة الردة والتحريفية التي أخذت تطغي على مؤسساته.

وهذا الإسلام الذي التزم الإمام الحسين (ع) الشهادة من أجله، ليس نظرية معلقة في الفراغ وليس تجريداً محضاً، إنه الإسلام على الأرض، إنه المجتمع المسلم والناس المسلمون، مخاوفهم، وآمال حياتهم وكرامتهم، ومستقبل أجيالهم.

ولم يكن الحسين (ع) وصحبه شهداء منذ قتلوا فقط، لقد كانوا شهداء أيضاً وهم أحياء، فالشهادة ليست بالموت فقط، إنها تكون بالحياة أيضاً. إن الإلتزام بقضية عادلة، قضية الفرد والأسرة والجماعة، لتكون قضية المجتمع بأسره، وقضية الأمة بكاملها حاضرها ومستقبلها، وجعل هذا الإلتزام موصولاً بالله تعالى بتوجيه الله وتعليمه، والسير على مبادىء التقوى السياسية.

إن الإلتزام على هذا النهج هو الذي يعطي الحياة معنى الشهادة، ويعطي الموت معنى الشهادة، أن تكون الحياة من أجل الناس جميعاً، أن يتحد مصير الشهيد مع مصير البشر هو الذي يمنح امتياز الشهادة للإنسان.

وهذا هو واقع مهرجان الشهداء في كربلاء، إنها دخلت التاريخ من باب الإنسانية الواسع الرحب، لم تدخل التاريخ من باب العشائرية والطائفية والإقليمية، دخلته من باب الإنسانية لأنها كانت تعبيراً عن الإلتزام بقضية الإنسان بما هو مخلوق كريم له الحق في الكرامة والسعادة والمستقبل.

وقال الله تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾**[1].

إذن عالمية كربلاء، وإنسانية كربلاء هي التي جعلتها تدوم إلى الآن في ضمائر الناس ومشاعرهم وعقولهم تغذيها بالقيم التي تنقل الإنسان من صنم الذات إلى محراب العمل العام من أجل الجماعة، من أجل سلامتها، وكرامتها، ومستقبلها على هدي ما ورد عن رسول الله (ص) «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) كنز العمال: خ ١٤٧١٠.

ومن هذه الرؤية لثورة الحسين، وشهادة الحسين (ع) وآله وصحبه، ندخل إلى الواقع اللبناني وما آل إليه أمرهُ وماذا يستقبل من أخطار، لقد فشلت بنية النظام منذ أسس في أن يوجد دولة عادلة ترسخ في كيان الإنسان معنى الوطن والتضامن الوطني وتتعدى مفهوم الحكومة إلى مفهوم مؤسسة الخدمات والرعاية بالوطن وتأمين فرص العمل والأمن والكرامة والثقة بالمستقبل، وقد فشل النظام لأنه أنشىء على أسس غير متوازنة وبصورة عشائرية غلب عليها طابع التسويات العرقية التي لم تلحظ الواقع الحيّ، ولم تلحظ حقائق المحيط، ومن هنا فقد ولد هذا النظام وهو يواجه الأزمات باستمرار إلى أن وقع في أزمته الكبرى التي لا نزال نعيش تفاعلاتها الخطيرة منذ ١٩٧٥ - وفتح الباب واسعاً أمام جميع الرياح من الخارج بإرادة هذا الفريق اللبناني أو ذاك أو بغير إرادة أحد.

ولقد تفاعلت الفتنة مع التركيب الطائفي في وطن تكوّن من الأساس على توافق الإرادات بين الطوائف، وانطلق من حقيقة أن ضمان سلامه وازدهار كل طائفة إنما يكون من ضمن المجموع، ومن خلال صيغة تكاملية بين المواطنين جميعاً، وبين جميع المناطق اللبنانية، وقد أدى تفاعل الفتنة مع التركيب الطائفي إلى بروز مظاهر خطيرة تهدد وحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات وسلطة.

ومنذ بداية الفتنة كنا نوجه الأنظار دائماً نحو التساؤل عمن له مصلحة في الغاء لبنان وإنهاء وجوده بما له من تميز خاص، وكنا نجد دائماً إسرائيل التي هي نقيض كامل للمفهوم الذي يقوم عليه لبنان، نقيض كامل في المجتمع، وفي الثقافة، وفي الدولة، وفي الدور، وفي الحضارة وفي كل شيء.

واستمرت الفتنة تتصاعد وتتفاعل دون أن ينفع نذير أو تحذير إلى أن وقعت مصيبة الإحتلال، وغلبت إسرائيل الجميع وألغت أهل اليمين واليسار ومشاريعهم وبدأت تعمل من داخل لبنان وعلى أرضه لتنفيذ مشروعها الخاص في تفتيت لبنان وإلغائه كياناً ودوراً ومحتوى وتحويله إلى كيانات طائفية تحت حمايتها تنفذ منها إلى المنطقة العربية بأسرها.

نحن حذرنا من هذا المشروع مراراً وتكراراً وعملنا بكل ما نستطيع من خلال المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبانفتاح كلي على جميع اللبنانيين في سبيل إنقاذ مشروع الدولة الموحدة للبنان الموحّد على أساس أن تكون دولة

عادلة متوازنة لا هيمنة فيها من طائفة أو فئة، أو حزب، ولا استضعاف فيها لأحد، وعلى أساس رفض إسرائيل وعدم تمكينها من تحقيق مكاسب نتيجة لإحتلالها العدواني.

وقلنا أن لبنان بعد الإحتلال الإسرائيلي ليس فيه منتصر ومهزوم، إن الجميع قد هزموا بالإحتلال الإسرائيلي، ولا يشرّف أحداً أن يكون منتصراً بإسرائيل.

من هنا فقد قلنا ان من أخطر ما يهدد الوحدة الوطنية هو اعتبار بعض الناس أنفسهم منتصرين واعتبار أن من حقهم أن يحكموا لبنان، هذا هو المنطق الذي دمرّ لبنان، ودمرّ شعبه، ودمرّ هؤلاء الذين يدّعون أنهم منتصرون.

لقد قلت في السنة الماضية من على هذا المنبر إننا لا نريد أن نصدق أن في لبنان فئة تعتبر نفسها منتصرة بإسرائيل، سنعتقد دائماً أن الإنسان اللبناني الذي هو أغنى تاريخاً وتراثاً وأبعد مدى في المنطقة وفي العالم كله لا يمكن أبداً أن يرضى بوجود إسرائيل، أو لن يوادّ إسرائيل.

ولكن ويا للأسف فإن نمو مشروع الهيمنة الحزبية وتعطيل مشروع الدولة والإرهاب المستمر للمواطنين في المناطق التي تسيطر عليها الدولة نفسها وعجز الدولة حيال كل ذلك... هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن استغلال إسرائيل لتفاعلات مشروع الهيمنة والممارسات إلى جانب خططها الأخرى، هذا وذاك أديّا إلى بروز المشكلة الطائفية بكل حدتها. وضراوتها وإحباط جميع المساعي التوحيدية.

وهكذا استحوذت المشكلة الطائفية على اهتمام الجميع علي حساب مواجهة الإحتلال الإسرائيلي وهكذا ربحت إسرائيل حقلاً جديداً لعملها التخريبي في البنية اللبنانية. وغدت عاملاً محايداً عند البعض، وغدت حامياً عند البعض الآخر وها هي تقدم نفسها للرأي العام الدولي على أنها قوة سلام في لبنان بدل أن تكون قوة عدوانية محتلة، وها هي تنشط في تنفيذ مشروعها لتفتيت لبنان وتحويله إلى كيانات طائفية.

لقد قلت في مثل هذا اليوم في السنة الماضية، ومن على هذا المنبر، إن وضع الجنوب ومصير الجنوب غامض وإنه غدا في الأيام العشرة الأخيرة أشد

غموضاً وأشد خطراً، قلنا هذا قبل عام، ونقول الآن إن الغموض أخذ ينجلي وإن الخطر أخذ يتضح، إن الجنوب اللبناني يبتر عن جسم لبنان، إن إسرائيل تبتر الجنوب وتتهيأ لإغلاق منافذه من جهة، وتهيىء في داخله للفتنة الشنعاء، فتنة الإقتتال الطائفي عن طريق خلق المخاوف بين طائفة وأخرى، وعن طريق خلق المخاوف داخل كل طائفة ومن ثم تكوين الجماعات المسلحة المرتبطة مع إسرائيل بشكل أو بآخر لتتربص كل جماعة بأختها، وتتربص كل منطقة بأختها والنتيجة هي تفتيت لبنان، وحينئذ لا يبقى وطن لا يبقى سوى قطع من الأرض تبحث عن هوية في ظل المشروع الإسرائيلي وتحت الحماية الإسرائيلية.

أقول لكم بصراحة، لقد بلغ الأمر باللبنانيين درجة الكارثة، لقد بدأت تتفكك بنية الوطن بالفعل، على الأرض وفي الضمائر، لقد بدأت الطوائف تفكر بمصيرها الخاص بعيداً عن صيغة الوطن الموحد، كالمرض الخبيث بدأ الخوف الغامض يسري في أفكار الناس العاديين، وفي أحاديثهم، إنهم لا يتساءلون عن مصيرهم ضمن لبنان، وإنما يتساءلون عن مصيرهم خارج صيغة لبنان الموحد، وهذا هو الضياع الرهيب. . . .

إن إسرائيل تنصب أفخاخها وشباكها للجميع، وتقف بالمرصاد لتلتقط من يسقط، إننا نعيش الآن أياماً حاسمة، إننا نعيش في بؤرة الخطر، إننا نعيش في عين الإعصار:

إن كل هذا نشأ عن عمل إسرائيل ومن الاستجابة لخططها عن وعي أو عن غير وعي، ونشأ أيضاً من مشروع الهيمنة الحزبية الفئوية على الدولة ومرافقها ومؤسساتها ومن تفاعلات هذا المشروع من واقع الإحتلال الإسرائيلي، ومن استغلال إسرائيل لتفاعلات هذا المشروع وما أثاره من مخاوف على المصير في قلوب سائر اللبنانيين.

إن الوضع خطير، إنه في مستوى الكارثة، ولكنه ليس يائساً، لا يزال ثمة آمال جيدة في تجاوز الأخطار وإنقاذ لبنان من الفخ الإسرائيلي.

إن مواجهة الوضع الخطير ترتكز على ترسيخ الموقف الإسلامي الموحد. وهنا أريد أن أؤكد على أمر كتبته ثم محوتهُ وهو أن على الشيعة أن يغادروا كهوفهم إلى رحاب الإسلام، وإن على السنة أن يغادروا كهوفهم إلى الإسلام،

إن المسلمين اللبنانيين يواجهون قدرهم ومصيرهم الآن وعليهم أن يتحدوا صفاً واحداً، وقلباً واحداً ويداً واحدةً لإنقاذ لبنان من براثن إسرائيل ومشروعها الشيطاني الذي يستهدفهم بالدرجة الأولى، ولإنقاذ لبنان من مشروع الهيمنة بجميع وجوهه وأشكاله.

إن مواجهة الوضع الخطير إسلامياً، ترتكز على الأمور التالية:

أولاً : سنستمر في مواجهة مشروع الهيمنة بكل قوة لا من أجل هيمنة أخرى بديلة ، وإنما من أجل دولة عادلة متوازنة ، إننا نتفهم المخاوف وسنعطيها حقها ، ولكننا نرفض الهيمنة الكامنة في صميم النظام، ونرفض الهيمنة بصيغتها الجديدة ولن نسمح لها بأن تستمر ، نقول للمرة الألف إن لبنان لا يمكن أن يحكم من فئة أو من حزب أو من طائفة ، إنه في هذه الحالة سيتحطم ، وحينئذ لن يربح أحد ، وإنما سيخسر الجميع وتربح إسرائيل وحدها .

وأكرر هنا ما أقوله دائماً هو أن مواجهة مشروع الهيمنة لا يجوز أبداً أن تدفع بأحد إلى الوقوع في الفخ الإسرائيلي ، ولا يجوز أبداً أن تحمل على الظن فضلاً عن الإعتقاد بأن إسرائيل عدو من الدرجة الثانية، وعلى جميع الذين يتصدون لمشروع الهيمنة أن يثبتوا في الوقت نفسه إنهم أيضاً ضد إسرائيل من خلال المواقف والممارسات والتضحيات.

ثانياً : إذا كانت إسرائيل تقول لأمريكا وللغرب إن الأرخص والأسهل هو تفتيت لبنان والتعامل مع أشلائه على أساس طوائفي ، فإني أقول لأمريكا وللغرب ، وبكل مسؤولية إن الأرخص والأسهل والأعدل والأرفق بحقوق الإنسان هو إعادة وحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات على أساس الدولة الموّحدة لا على أساس الكانتونات والولايات وإعادة السيادة الكاملة لسلطته على جميع أراضيه ، وإخراج أسرائيل منه دون شروط . عملاً بقرارات مجلس الأمن الدولي التي وافقت عليها أمريكا ، وإحباط مشروعها في إنشاء اسرائيل الكبرى ، وإلا فإني نذير بأن الإنصياع للمشروع الإسرائيلي لن يضمن أبداً أمن إسرائيل وسيؤدي الى ضرب مصالح أمريكا وكل من يتواطأ مع اسرائيل في

مشـروعها ، ليس في أشـلاء لبنـان فحسب ، وإنمـا في العـالم الإسـلامي كله وستفتح معركة لا يعلم إلا الله مداها وأمدها .

إن المسلمين في العالم لن يسمحوا أبداً للصهيونية العالمية أن تلتهم وطناً عربياً آخر بعد فلسطين بتواطؤ القوى العظمى . . . . . .

ثـالثـاً : من روح كـربـلاء ، وروح المقـاومـة في عـاشـوراء ومن أجـواء التضحية والبذل والعطاء ، نعلن المقاومة المدنية الشاملة ضد وجود إسرائيل في لبنان وضد خـططها وأسـاليبها ونعلن أنهـا تقوم على الأسس التـالية ، وسنعمـل بالتعاون الكامل مع الأخ الجليل سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيـخ حسن خـالد على بلورة هـذه المقاومـة على كل صعيـد ومع جميـع علمـاء المسلمين والهيئـات والجماعـات والشخصيات الإسـلاميـة ، ونمـد يـد الخـلاص للبنـان وللبنانيين من أجل لبنان وسلامته ومجده الى جميـع القيادات المسيحيـة الدينيـة والزمنية من أجل إعطاء هذه المقاومة بعداً وطنياً شامـلاً يخلص لبنان من محنتـه ويعيد إليه دوره الرائد في محيطه وفي العالم .

إن المبادىء التي تقوم عليها المقاومة المدنية الشاملة ضد إسرائيل هي التالية :

أولاً : نؤكد على أن التعامل مع اسرائيل بجميـع وجوهـه وأشكالـه حرام شرعاً حرمة مطلقة لا رخصة فيه لأحد ، وهو خيانة وطنية عظمى .

إن هذا النداء موجه بحكم التشريع الإسلامي الملزم إلى جميع المسلمين اللبنانيـين .

ثانياً : نؤكد إنطلاقاً من التشريع الإسلامي الملزم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، على وجوب نبذ المتعاملين مع اسرائيل إجتماعياً ووطنياً .

وهنا يجب التحذير من بيع أي أرض لأي جهة إسرائيلية تحت أي ستار، والبيع باطل شرعاً، وتجب مقاومة أي بائع، أو وسيط في البيع.

ثالثاً : نؤكـد على أبنائنـا واخواننـا في الجنوب . خـاصة وجـوب التشبث بالأرض وعدم تركها مهما كانت المخـاطر ومهمـا كانت التضحيـات كبيرة وهـذا

الموقف موقف جهادي شرعي بكل معنى الكلمة .

رابعاً : نؤكد على وجوب التشبث بكل قوة بوحدة لبنان أرضاً، وشعباً، ومؤسسات، ورفض ومقاومة كل أنواع التجزئة والتقسيم والتفتيت من أي جهة أتت وتحت أي شعار كان.

وهنا نوجه تحذيراً صريحاً إلى إسرائيل من إغلاق الممرات إلى الجنوب ومنه على نهر الأولي أو على أي نقطة من نقاط احتلالها، وإذا أقدمت على هذه الجريمة فإننا سنواجهها بموقف يتجاوز مجرد المقاومة المدنية إلى مستويات من المقاومة أعلى بكثير:

خامساً : نؤكد على وجوب الألفة والتضامن فيما بين أبناء الوطن الواحد لبنان خصوصاً فيما بين أبناء الجنوب إلى أي طائفة إنتموا، ووجوب التصدي لكل ما يؤدي إلى إثارة النعرات والفتن بكل قوة وحزم وقد قال الله تعالى : **﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾**[1] وليعلموا جميعاً إن إسرائيل تلعب بالجميع لأجل تدمير الجميع .

وأناشد بكل رجاء جميع القادرين والمؤثرين في الجنوب وفي إقليم الخروب من قيادات روحية وسياسية وثقافية ومن وجوه إجتماعية أن يجندوا أنفسهم في سبيل وأد الفتنة وإطفاء شرارة النار التي تريد إسرائيل أن توقدها في الجنوب وفي إقليم الخروب وأن يتذكروا أيام الصفاء والتعاون وأن يتذكروا المواطنية الصالحة لخير الجميع .

سادساً : نؤكد على وجوب التشبث بالمؤسسات الرسمية الوطنية ودورها ودعمها والضغط بصورة مستمرة وفعّالة على السلطة الرسمية من أجل إعطاء المؤسسات العاملة في الجنوب أقصى الرعاية والإهتمام لإشعار المواطن بالإنتماء ، ولعدم ترك الجنوب أرضاً سائبة لإسرائيل .

سابعاً : نؤكد على وجوب التصدي لممارسات العدو الإسرائيلي وإحباط مخططاته بجميع الوسائل ومواجهة حملات الإعتقال حين وقوعها بموقف واحد من جميع أهل البلدة المستهدفة ، وعدم الإنتظار الى حين وقوع العدوان .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩١ .

وبهذه المناسبة أوجه تحياتي إلى إخواني في بلدة السكسكية وجوارها إلى الأخوين المجاهدين الشيخ يوسف دعموش، والشيخ عفيف النابلسي وإلى جميع اخواني العلماء العاملين في مواجهة الإحتلال والتصدي له . .

إن هذه المبادىء هي الأسس التي تقوم عليها المقاومة المدنية الشاملة ضد الإحتلال الإسرائيلي وممارساته ومخططه، وإنطلاقاً من هذه المقاومة نتوجه إلى جميع شعوب العالم، وإلى الهيئات الدولية الإنسانية من أجل أن تضغط على حكوماتها لتعمل على خلاص لبنان من الإحتلال الإسرائيلي، والمحافظة على وحدة أرضه وشعبه ومؤسساته في دولة واحدة.

أيها الأخوة الأعزاء.

إن لكل إنسان كربلاء، وإن لكل جماعة كربلاء بما لكربلاء من معنى إنساني شامل، المعنى الذي يضع الإنسان أمام خيارين، خيار أن يرتفع وأن يضحي وخيار أن يخون وأن يظلم.

كل واحد منا ـ عامة ونخبة ـ يواجه يومياً في علاقاته مع مواطنيه وفي علاقاته مع وطنه هذا الخيار.

في الماضي ربما وجد كثيرون كانوا يفشلون في هذا الخيار، أما الآن فإن الفشل في هذا الخيار يعني الموت السياسي، والوطني والوجودي، لأن إسرائيل بالمرصاد، لذلك فإن خيارنا الكبير الشريف جميعاً يجب أن يكون اختيار هذا الوطن واحداً غير مجزأ بأي شكل من أشكال التجزئة، واختيار هؤلاء المواطنين على اختلاف المذاهب والطوائف نتعاون جميعاً على إقامة دولة العدالة والمساواة.

والسلام عليك يا أبا عبدالله . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثورة الامام الحسين (ع)

ثورة

من أجل المستقبل والتغيير



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله الحسين، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته. والسلام عليكم أيها الأخوة الأعزاء، والأخوات العزيزات هنا، وفي كل مكان من لبنان، ورحمة الله وبركاته.

قبل الدخول في رحاب الحسين نتذكر ونستعيد حياةً حاضرة، قوية، فاعلة، ووجوداً حياً فاعلاً؛ نتذكر فارساً كبيراً من فرسان هذه الذكرى وهو الأخ الإمام السيد (موسى الصدر) الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله سالماً، وأن يعيده سالماً، ونسجّل سنة بعد أخرى كل الخزي، وكل الروح اليزيدية في عملية إختطافه، وإخفائه، وحجزه مع رفيقيه أخوينا العزيزين فضيلة الشيخ (محمد يعقوب) والأستاذ السيد (عباس بدر الدين). واستمعت الآن بألم، ولم أكن أعلم أن بيت العلم هذا، أن العاملية تتوقف بعض مشاريعها لعجزها.

أظن أن هذا ينبغي أن يحفز الهمم من القادرين الأخيار على أن يسدوا هذا العجز لتكبر هذه المؤسسة الإسلامية الوطنية وتتابع أداء دورها في خدمة المسلمين وفي لبنان.

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/محرم/ ١٤٠٥ هـ ـ ٥/تشرين أول ١٩٨٤ م.

وبعـد:

فإننا إذ نستعيد ثورة الحسين المجيدة في مستهل هذا العام الهجري الجديد، كشأننا في مستهل كل عام هجري، نفعل ذلك لنستهدي بالقيم التي دفعت إليها، وتجسدَّت فيها، من خلال سلوك قائدها وأصحابه وآله، الذين غدوا شهداءها، فغدوا على مدى التاريخ شهداء المسلمين وشهودهم.

ندخل إليها من بابها الإسلامي الرحب، ومن بابها الإنساني الواسع، ليس لها باب آخر ندخل منه. ليس لها باب مذهبي، وليس لها باب طائفي، ومن يريد أن يدخل إلى هذا الإنجاز الإسلامي الإنساني المطهَّر النقي، من الباب المذهبي أو من الباب الطائفي، فإنه يضيع في متاهات لن تؤدي به إلى ثورة الحسين.

أقول: لن تؤدي به أبداً إلى ثورة الحسين. قد تؤدي به إلى رؤية مذهبية للثورة، تقزِّمها وتحجِّمها، ومن ثمَّ لا يكون الحسين موجوداً فيها، لأنه كبير، كبير، لأنه إمام المسلمين وإمام المستضعفين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وقد تؤدي به إلى رؤية طائفية، الثورة بريئة منها، والحسين بريء منها؛ لأن الثورة الحسينية في ذاتها كانت إدانة كبرى للنهج الطائفي في الحكم وفي المجتمع، وفي علاقات الناس والجماعات داخل المجتمع السياسي.

ومن هنا ندرك مدى ما يجب أن نتحلّى به من إنضباط وتسام ومناقبية في أسلوب إحيائنا لهذه الثورة، واستعادتنا لوقائعها، واستلهامنا لقيمها وعبرها.

ومن هنا ندرك مدى الإساءة إلى هذه الثورة، وإلى الإمام الحسين وآله وصحبه ـ شهداءها الأبرار ـ حينما يتخذ إحياؤها أشكالاً وممارسات تتنافى مع جلالتها وقداستها، وعظمة الحسين وجلالته، وحين يتخذ إحياؤها أشكالاً تتنافى في بعض وجوهها مع الشرع، وتتنافى في بعض وجوهها الأخرى مع ما تقضي به أخلاق الإسلام من ترفع وإنضباط وكفٍ عن الأذى، وبُعدٍ عن الإبتذال.

إننا أمام قداسة الذكرى ينبغي أن نقف خاشعين لله، مسلِّمين أمورنـا إليه، مسلمين له، معتمدين عليه، معتذرين مما قد لابس إحياء هذه الذكرى مما لا يليق بها، عازمين على أن نرتفع إلى مستواها الأخلاقي الإنساني الإسلامي النبيل في الحرص على وحدة المسلمين، وصونها، وترسيخها بالعمل والممارسة، قبل

الكلام والشعارات؛ وفي الحرص على وحدة اللبنانيين جميعاً، وإرادة الخير والسلام والكرامة لهم جميعاً.

ندخل إلى رحاب الحسين وكربلاء وعاشوراء. إذن ندخل من بابها الإنساني الإسلامي لنقتبس منها النور في الظلمات التي تحيط بنا، والرجاء أمام عوامل النفس التي تواجه مسيرتنا نحو حياة عزيزة كريمة قوية عادلة لنا ولسائر بني وطننا، لأن الحسين، كما ورد على لسان أئمة أهل البيت (ع) مصباح الهدى، وسفينة النجاة، في حياته وثورته وشهادته.

فماذا نجد؟ إن لهذه الثورة المجيدة أوجهاً كثيرة، وأبعاداً شتى، ومضامين متنوعة. أبرز ما يتصل منها بحاضرنا أنها ثورة من أجل المستقبل، وأنها ثورة من أجل التغيير، وأنها ثورة في مقابل التسوية.

إن ثورة الحسين لم تكن ثورة من أجل الحاضر، وإنما كانت ثورة من أجل المستقبل، لأن النصر الآني فيها كان مستحيلاً.

لقد كانت جميع عناصر الواقع الإجتماعي والسياسي في ذلك الحين تقضي باستحالة تحقيق إنتصار آني على النظام الأموي، ولكن الحسين مع ذلك مضى في ثورته إلى ذروتها التي تحققت بالشهادة له ولجميع من كان معه من آل وأصحاب. فلماذا؟

هل الإحتجاج على واقع فاسد يقتضي التعبير بالإنتحار؟ إن قراءة صحيحة ومستنيرة للواقع القائم آنذاك تقضي بأنه لا بدَّ من عمل إنتحاري يعيد الحرية، والوعي، والحركة، إلى الأمة.

وعلينا أن نعي في هذا المجال أن الحسين لم يكن سياسياً يخوض صراعاً على سلطة مع خصم سياسي، ولم يكن رئيس تجمّع قبلي أو حزبي، يقود حرباً قبلية ضد تجمّع قبلي آخر، ولم يكن إنساناً خيالياً مغامراً؛ وإنما كان رجلاً رسالياً صاحب قضية هي قضية الإسلام والأمة الإسلامية الممتدة في الزمان، والمكان، والأجيال.

والأمة الإسلامية إنما وجدت بالإسلام. وقد كان السكوت يعني إعطاء شرعية لنظام يزيد كما يعني إعترافاً بالنهج التحريفي لمفهوم السلطة السياسية في الإسلام، وإعترافاً بالنهج التحريفي لمبدأ الحركة في الإسلام. وهذا وذاك كانا

يعنيان جعل شخص الحاكم، وليس الشرع الإسلامي مصدر شرعية السلطة، والقضاء على مبدأ الحركة في الإسلام.

هذا المبدأ الذي يجعل من المجتمع رقيباً دائماً وناقداً دائماً للسلطة على قاعدة مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بما هو مبدأ أساس في الفقه السياسي الإسلامي.

والأمة الإسلامية كأية أمة، كأي مجتمع حضاري سياسي، كأي تعبير مجتمعي سياسي عن صيغة حضارة، لم تكن محصورة في الجيل الذي كانت مكوَّنة منه في عصر الحسين. لقد كان فيها في ذلك الحين إلى جانب جيلها الذي يملك الأرض والسلطة، كان فيها جيل الشبَّان، وكان فيها جيل الأطفال، وكان فيها أجيال وافدة في ضمير الغيب تجدِّد شبابها باستمرار، وتجدِّد شبابها بحضورها بالعالم باستمرار، وستبقى هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد كانت الأمة في حاجة إذن إلى صدمة عنيفة توقظها من سباتها، وتكشف عيونها على النهج التحريفي، وتوجه في الوقت نفسه خطاباً متجدِّداً باستمرار إلى الأجيال القادمة لئلا تقع في فخ الإتجاهات التحريفية، ولئلا تستسلم للطغيان على أنه يحمل شرعية الإسلام.

يمكن أن ينتصر الطغيان، ولكنّه يبقى طغياناً خارج شرعية الإسلام، ولا يكون أبداً تطبيقاً للإسلام، وتعبيراً عن الإسلام.

لقد تضمَّنت الثورة في سنة (ستين) للهجرة خطاباً للشبان وللأطفال، في تلك الحقبة، ولأجيال المستقبل حتى يومنا هذا؛ إنها خطاب متجدِّد ضد التحريفية، وضد الطغيان؛ ضد الظلم الظاهر وضد الظلم المقنَّع في أي نظام، وفي أي جيلٍ.

هذه الثورة من أجل المستقبل كان هدفها التغيير، تغيير الإنحراف بالاستقامة، وتغيير الفساد بالإصلاح، وتغيير الظلم بالعدالة.

الأمة كيان متجدِّد من خلال تعاقب الأجيال، ولكل جيل حاجاته، ومطامحه، وهمومه، ومخاوفه.

ولا يمكن أن تحصر الأمة في صيغة قبلية طائفية يقوم عليها النظام

السياسي، ولم ينفع الحوار طيلة عهد الإمام الحسن (ع)، وطيلة العهد السابق على ولاية يزيد.

لقد كان النقد يقمع بالإرهاب، والقتل، والحرمان الإقتصادي، فكان لا بد من كسر الطوق الذي أريد للأمة أن تسجن فيه.

يقول الإمام الحسين في طريقه إلى كربلاء: «أيها الناس ألا وإن هؤلاء ـ القوم ـ قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحق ممن غيَّر»[1]. .

في المسألة المالية، في مسألة الحريات، في المسألة القضائية، في المسألة السياسية كان هناك تحريفية شاملة عبَّر عنها في هذه الكلمات. «وأنا أحق ممن غيَّر».

هذه الثورة التغييرية من أجل المستقبل كانت تعبيراً عن رفض التسوية التي عرضت على الحسين. لقد عرضت عليه التسوية في جميع مراحل الثورة منذ إعلانها في المدينة، إلى ذروتها في مثل هذا اليوم في كربلاء.

لقد كانت التسوية تقوم على التخلّي عن الموقف المبدئي وهو إعادة حق الإختيار الى الأمة على أساس مبدأ الشورى، في مقابل ضمان الوضع الشخصي، والعائلي، والفئوي، للحسين وآله ونهجه، وكان الحسين قادراً على أن يختار التسوية ويكون أعظم الشخصيات ومراكز القوى في الدولة الإسلامية، ويتخلى عن الأمة، ومستقبلها، وأجيالها، ويكون شريكاً للنظام في رؤيته وسلوكه.

ولكنه رفض التسوية، واختار الموقف المبدئي، الرسالي، المستقبلي، التغييري. وتحمَّل مع آله، وأصحابه، واتباع نهجه، وذراريهم، طيلة قرون، تكاليف هذا الإختيار، مطاردة وتنكيلاً، وإرهاباً، وقتلاً؛ وبذلك أعاد الإعتبار والحيوية إلى مبدأ الحركة في الإسلام، وأطلق في الأجيال جذوة التغيير، والنقد، والتصحيح.

لقد كانت عاشوراء حقاً يوم الدم، ولكنها كانت كذلك يوم النور. بهذا

---

(١) مقتل الحسين: ص ١٨٥.

المفهوم، وبهذه الرؤية، نستعيد الذكرى. الحسينية في حاضرنا، ونهتدي بنورها في مواقفنا من المشاكل التي تلابس حياتنا، والأخطار التي تهدد وجودنا وهويتنا. وأول القضايا وأعظمها أهمية في المنظور الإسلامي هي قضية وحدة المسلمين اللبنانيين.

إنَّ محافظة المسلمين على وحدة كلمتهم في الإلتزام السياسي، ووحدة صفهم في مواجهة الأخطار، واجب ديني شرعي نابع من كونهم مسلمين وهي وحدة نابعة من أنهم أمة واحدة وهي وحدة لا ينافيها أبداً تعدُّد المذاهب الفقهية والكلامية.

وهذه الوحدة واجب سياسي: فإن مصلحة المسلمين جميعاً، ومصلحة كل فئة من المسلمين لا يمكن أن تتحقق إلا بهذه الوحدة ومن خلالها. وإنه لخطأ كبير أن تتوهم فئة من المسلمين أن مصلحتها، ومستقبلها. يكونان في الفرقة، أو في التفرُّد، أو في الإنفراد. إن الذي يحصل من ذلك هو الضعف والتباعد.

وهي واجب وطني لأن وحدة المسلمين واجب وطني، لأن وحدة لبنان وتحرير لبنان، وإصلاح النظام السياسي في لبنان على قاعدة المساواة الحقيقية، والعدالة الحقيقية. كل ذلك يتوقف على وحدة كلمة المسلمين في الإلتزام السياسي، ووحدة صفّهم في مواجهة الأخطار.

والخطر على هذه الوحدة يأتي أولاً من المسلمين أنفسهم، ومن الخوف على المراكز الطائفية لهذا الفريق أو ذاك، والخوف على الحصص الطائفية في هذه الإدارة وتلك، وهذه الوزارة وتلك؛ ومخاوف أخرى أتفه وأقلّ شأناً من هذا وذاك.

والخطر على وحدة المسلمين يأتي ثانياً من التآمر الخارجي. من إسرائيل التي تريد أن تُبقي تيار الإنقسام غالباً لتؤكد نظريتها عن عدم وجود شعب واحد في لبنان، وعدم وجود مجتمع سياسي واحد في لبنان، ومن قوى الاستعمار الجديد وأدواته التي لا يمكن أن تقبل بأي حال وعي المواطن المسلم العادي على أنه جزء من المسلمين وليس جزءاً من طائفة. ورجل الدين المسلم على أنه ممثل المسلمين ومسؤول عنهم، وليس عن طائفة. ووعي الرجل السياسي على أن مسؤوليته تتجاوز إنتماءه المذهبي، ووعي الحزب السياسي المسلّح أو غير

المسلَّح على أنه لا يجوز أن يكون أداة هيمنة، أو مشروع هيمنة، وإنما هو أداة تنظيم لقوى المسلمين من أجل المسلمين، ومن ثم من أجل لبنان.

هذه الوحدة التي نشكر الله على ما وفَّقنا له في مجالها من إنجازات مع سائر إخواننا المسلمين الواعين من علماء المسلمين وغيرهم؛ وفي مقدِّمتهم سماحة الأخ مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد.

هذه الوحدة ينبغي أن نتجاوز بها المرحلة التي بلغتها إلى مستوى أعلى من خلال مؤسسات ترتكز عليها، وتعبِّر من خلالها عن تطلُّعات المسلمين اللبنانيين، وهو ما نسعى إليه ونعمل من أجله مع المخلصين إن شاء الله تعالى، ونسأل الله التوفيق فيه...

إن هذه الوحدة الإسلامية ليست ضد المسيحيين في لبنان. وربما يتوهم بعضهم أنَّ فرقة المسلمين ضمان لقوة المسيحيين وسلامتهم.

إنَّ وحدة المسلمين في لبنان هي من أجل لبنان قوي، معافى، مزدهر، وموحَّد، حر وسيد، لجميع أبنائه على قاعدة العدالة الحقيقية، والمساواة الحقيقية.

وفرقة المسلمين ليست قوة للمسيحيين، وإنما هي ضعف للبنان، وفتح للثغرات في بنيانه، وسبب للخلل في كيانه.

وقد كان المسلمون في الماضي أكثر فرقة، وأقلَّ توحّداً، مما هم عليه الآن، فماذا أفادَ ذلك لبنان؟ وماذا أفاد المسيحيين في لبنان؟

إن خطاب الوحدة الإسلامية يتضمن رؤية إنسانية، ولبنان لايقوم على قاعدة الطائفية والفئوية كما عبَّرنا عن ذلك أوضح تعبير في إعلان الثوابت الإسلامية.

وقد كان من بركات هذه الوحدة الإسلامية، ومن توفيقات الله تعالى بسببها نشوء المقاومة الشاملة ضد إسرائيل التي اعتقدت أنها تواجه حالات طائفية في لبنان تمكِّنها أن تنجح في مخططها للسيطرة والاستحواذ عليه، فواجهتها حالة فاجأتها، وفاجأت العالم وهي إعلان المقاومة المدنية الشاملة ضد إسرائيل.

ويذكر الجميع أنه منذ عام كامل في مثل هذا اليوم، ومن على هذا المنبر

كشفنا النقاب مع سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ (حسن خالد) عن المقاومة المدنية الشاملة. وها هي المقاومة بحمد الله تعالى وحُسْن توفيقه، تتوسَّع، وتتعمَّق، وتأخذ أبعادها الكاملة، وتحقق شموليتها بجميع أشكال المقاومة وتعابيرها على الصعيد السياسي والتعبوي، وعلى الصعيد القتالي. وقد غدت حقيقة كبرى في المعادلة السياسية المحلية والإقليمية والدولية؛ وهي لا تزال كما بدأت مقاومة يخوضها المسلمون اللبنانيون. فهي من هذه الجهة لا تزال مقاومة إسلامية، ولكننا لا نريدها أن تبقى كذلك. إننا نريدها أن تتوسَّع لتستوعب جميع اللبنانيين مسيحيين ومسلمين، وجميع القوى السياسية والجماعات السياسية في لبنان.

لقد قلت من على هذا المنبر وفي مثل هذا اليوم من السنة الماضية ما أكرر نصَّه الآن: «إننا نمدُّ يد الإخلاص للبنان وللبنانيين، من أجل لبنان، وسلامته، ومجده، إلى جميع القيادات المسيحية الدينية والزمنية من أجل إعطاء هذه المقاومة بُعداً وطنياً، يخلِّص لبنان من محنته ويعيد إليه دوره الرائد في محيطه وفي العالم». هذا ما قلناه قبل عام، ونكرِّره، ونؤكده الآن.

هذه المقاومة ستبقى إلى أن يتحقق جلاء إسرائيل الكامل وغير المشروط عن جميع الأراضي اللبنانية، بحيث لا يبقى أثر للإحتلال الإسرائيلي على الإطلاق.

ومن هذا المنطلق فإننا نعلن رفضنا للمبادرة الأميركية الجديدة التي حملها السيد «مورفي» ولكل مبادرة أخرى أمريكية، أو غير أمريكية، تتضمن أية شروط.

إنَّ الشيء الذي يجب أن يتحقق هو بكل بساطة: إنَّ على إسرائيل المعتدية أن تسحب جيشها وتخرج من لبنان من دون شروط، وبدون مخلَّفات عسكرية أو سياسية مما يدعى جيش لبنان الجنوبي أو غيره.

إنَّ الشيء الوحيد الذي ينظِّم علاقة لبنان بها هو إتفاقية الهدنة في (آذار عام ١٩٤٩)، وقرارات مجلس الأمن الدولي سنة(١٩٨٢). رقم (٥٠٨ و٥٠٩)، ولا شيء غير ذلك على الإطلاق. وهذا وضع يجب أن يتولاه لبنان بالتوافق الكامل مع سوريا عن طريق الأمم المتحدة، ومجلس الأمن فقط.

ولذا فإننا نحذِّر الحكم والحكومة من الدخول في أية مفاوضات مع

إسرائيل، لأن أية مفاوضات تعطي شرعية لوجود إسـرائيل، وتعتبـر إعترافـاً بإسرائيل. وعليهما «الحكم والحكومة» أن يتعاملا مع إسرائيل على أنها عدو، وليس من حق أية سلطة في لبنان، وليس من حق السلطات كلها في لبنان، أن تُدخِل أي تغيير أو تعديل على إعتبار أنَّ إسرائيل عدواً للعرب وللمسلمين. . .

إن المقاومة المدنية الشاملة لا تريد من الدولة اللبنانية شيئاً على الإطلاق. لا تريد مساعدات الدولة، ولا إعتراف الدولة بها وبشرعيتها. إنها وُجِدَتْ وهي تفرض نفسها، وهي تكوِّن شرعيتها.

إنَّ المقاومة تريد من الدولة ومؤسساتها أن تقوم بواجبها في دعم اللبنانيـين في المناطق المحتلة، بتوفير الخدمات بسخاء، وإنفاق الأموال بسخاء على سكان المناطق المحتلة، لتساعدهم على الصمود وعلى التصدِّي. . .

هذا الإحتلال الإسرائيلي الذي تواجهه المقاومة الشاملة، هذا الإحتلال الذي يشكل الخطر الماحق على وحدة لبنان، ومن ثم على وجود لبنان، ومن ثم على سلامة ومستقبل جميع اللبنانيـين.

هذا الإحتلال يمثّل ذروة النتائج التي أدت إليها طبيعة هذا النظام اللبناني الطائفي وتناقضاته، وتفاعلاته مع محيطه في الخارج، ومع مشاكله في الداخل. هذه النتائج في حياة اللبنانيـين السياسية، وفي علاقاتهم مع بعضهم، وفي نظراتهم إلى لبنان كوطن، وفي سياسات التنمية في المناطق تلفت النظر.

لقد فشل هذا النظام بسبب مضمونه الطائفي والفئوي في إيجاد وطن؛ بل لقد فشل في المحاولة على إيجاد مشروع وطن، وهو ما بدأ العمل من أجله منذ سنة (١٩٤٣)، ولم يتحقق حتى الآن، بل الذي تحقق هو العكس من ذلك، هو التراجع في مشروع إيجاد وطن. وها نحن بفعل الإحتلال الإسرائيلي وتفاعله مع طبيعة الطائفية لهذا النظام، أمام واقع الإنقسام ومناخات التقسيم إلى كيانات طائفية تحقق المشروع الإسرائيلي في لبنان، وهو نموذج المشروع الإسرائيلي الأمبريالي للمنطقة كلها.

ومن هنـا إدانتنا لهـذا النظام الـطائفي، ودعـوتنـا إلى تغيـيره بنـظام الديموقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى، بحيث لا تكون الطائفة هي الوحدة السياسية في النظام السياسي، وإنما تكون الوحدة السياسية هي المواطن

الفرد، وهذا هو ما يمكِّن من إقامة دولة عادلة إنسانية في لبنان، يتساوى فيها المواطنون في الحقوق والواجبات مساواة حقيقية.

ومن هنا عدم موافقتنا على التسوية السياسية التي يراد منها إعادة الإعتبار إلى هذا النظام الفاشل، ومن ثم إعادة إنتاجه لأن هذه التسوية لا تحقق الحد الأدنى من العدالة للمسلمين، ولا تفيد في تصحيح وضع النظام الذي سيبقى بسبب تركيبه الداخلي يوِّلد الأزمات للوطن وللشعب.

وها نحن نجد أنه قد فشل في التغلب على أية واحدة من أزماته ومشاكله، وعجز عن الإجابة على أي واحد من تحدياته الكبيرة والصغيرة، فازداد إغراقاً في الطائفية إلى حدٍ يثير الفزع ويثير السخرية. وإسرائيل تتأهب إلى تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقسام فضلاً عن تقسيم سائر لبنان، والنظام ينتظر التحرير من (أمريكا)، و(إسرائيل)، ويتشبث بالأوهام التي تتضمنها تصريحات المسؤولين الإسرائيليين عن قرب الإنسحاب.

أيها الأخوة والأبناء والمواطنون الأعزاء!

إن لكل إنسان كربلاء، وإن لكل جماعة كربلاء، وإن لكل شعب كربلاء لما لكربلاء من معنى إنساني شامل. المعنى الذي يشتمل على خيارين، يقف الإنسان فرداً وجماعة ومجتمعاً أمامهما:

إختيار أن يرتفع وأن يتوحَّد وأن يعدل وأن يضحِّي.

وخيار أن يظلم وأن يخون.

وكل واحد منا عامة ونخبة، يواجه يومياً في علاقاته مع مواطنيه، وفي علاقته مع وطنه، هذا الموقف.

في الماضي القريب، ربما وُجِدَ كثيرون كانوا يفشلون في الإختيار وبالرغم من فشلهم كان الوطن يجتاز محنته ويستمر.

أما الآن فإن الفشل في الإختيار يعني الموت السياسي والوطني والوجودي لأن إسرائيل بالمرصاد.

لذلك فإن إختيارنا الشريف الوحيد وجوب أن يكون هذا الوطن واحداً غير

مجزأ بأي شكل من أشكال التجزئة والتقسيم، وإختيار التحرر الكامل من إسرائيل وإحتلالها وآثار إحتلالها، وإعتبارها عدواً لا لغة معه إلا لغة المقاومة، إلى أن تنسحب من وطننا بغير شروط.

وإختيار هؤلاء المواطنين جميعاً، مسلمين ومسيحيين على قاعدة التعاون على البر والتقوى لإقامة نظام غير طائفي يؤسس في لبنان دولة العدل والمساواة الحقيقية لجميع اللبنانيين، وبين جميع اللبنانيين.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك يا أبا عبد الله .

والسلام عليكم جميعاً، ورحمة الله وبركاته



موقف الحسين (ع)
في كربلاء
ترجمة لمواقف الأنبياء



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والتحية والسلام في أيام الشهادة هذه أيام عاشوراء إلى أرواح الشهداء الأبرار، شهداء الإسلام، حيثما كانوا، على كل أرض، وتحت كل سماء، في لبنان، في جبل عامل والبقاع الغربي وغيرهما، وفي إيران، وفي كل مكان، يواجه الإسلام فيه الطغيان والكفر والاستعمار بكل وجوهه وأشكاله، التحية والسلام لهم جميعاً.

والتحية والسلام إلى المجاهدين على كل أرض وتحت كل سماء وإلى باعث الثورة الإسلامية ومحرك الإسلام في العصر الحديث الإمام الخميني، هذا الرجل الذي يعتبر بحق على رأس باعثي الحركة الإسلامية في العالم في هذه السنين.

والصلاة والسلام على أبي عبدالله الحسين (ع)، أبي الشهداء وقد تعارف في الزيارة المشهورة: «والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار

(*) ألقيت بتاريخ ١/محرم/ ١٤٠٦ هـ - ١٥/أيلول/ ١٩٨٥م في مسجد الإمام الرضا (ع)، في بئر العبد.

ورحمة الله وبركاته»، هذا الدعاء، وهذه الزيارة تعبّر عن صلة حيّة ودائمة بين المسلم وبين الحسين (ع).

الحسين كنهج، وكطريق، وليس فقط كشخص، الحسين (ع) هو تحوّل من كونه شخصاً مقدساً ومباركاً، إماماً معصوماً إلى كونه نهجاً وطريقاً، ولم يعد الولاء للحسين (ع) ولاءً للشخص، وإنما غدا الولاء للحسين ولاءاً للنهج، ولاءً للطريق والإسلوب والمبدأ.

في حياة الحسين (ع) وفي ثورته دروس، في حياة كل شخص، كل إنسان توجد محطات، توجد مفاصل. الإنسان حياته لا تسير على وتيرة واحدة، وإنما بين وقت وآخر، تمر حياته في محطات، يولد، يدخل المدرسة. يأخذ الشهادة، أو يرسب في المدرسة، يختار عمل معين يتزوج، ينجب، يختار أصدقاؤه، يختار أعداؤه، الأصدقاء هم اختيار، والأعداء هم اختيار أيضاً.

هذه محطات في حياة الإنسان، كما في حياة كل إنسان توجد محطات، في حياة الحسين (ع) أيضاً توجد محطات منذ وُلد وإلى أن استشهد، كل محطة كل موقف هو منبع للعبر وللدروس، الفرق بين الإنسان العادي، وبين الإنسان المبدئي الرسالي هو هذا.

إن الناس العاديين حياتهم متشابهة، متماثلة، يمكن أن تنحصر في شكل واحد، أو في أشكال محدودة، الناس العاديين.

أما الناس المبدئيين الرساليين على اختلاف مراتبهم من الأنبياء إلى الأوصياء إلى الأولياء والصالحين، إلى العلماء العاملين، إلى المجاهدين العاملين، هؤلاء حياتهم فيها شيء من الفرادة من التميز لأنهم بعملهم الرسالي المبدئي، يتميزون بالعمل، وليس بمجرد التميز الإدعائي، التميز الذي ليس له أساس، بالعمل يتميزون، محطات حياتهم تكون فيها دروس وعبر لكافة الناس ولسائر الناس.

الحسين (ع) من هؤلاء، في ولادته، في طفولته في حياته ويفاعته مع رسول الله (ص) في شبابه ورجولته مع أبيه ومع أخيه الإمام الحسن (ع) في رجولته وبقائه وحيداً فريداً بعد استشهاد أبيه الإمام علي وأخيه الإمام الحسن (ع) وهذه السنين التي قضاها بعد استشهاد الإمام الحسن (ع) إلى أن بدأ بثورته

وختمها بالشهادة توجد محطات، الناس ـ ونحن منهم ـ يتوقفون عند هذه المحطات، عند كل موقف من مواقف التاريخ، وعند كل موقف من مواقف الحياة، لأجل أن يتعلموا المفاصل الكبيرة في حياة العظماء، هي دروس دائمة دروس طويلة الأمد، طويلة الزمن، ربما بعض العلماء حياته تصلح أن تكون نموذج خمسْين سنة، بحيث إذا الفترة التاريخية تغيّرت، ينتهي أمره، ويصبح من التاريخ الجامد ـ الميت ـ مثلاً؛ عالم من العلماء في الفيزياء والكيمياء اكتشف مادة معينة طبقت هذه المادة، وهذه النظرية، لمدة خمسْين سنة جاء تطور آخر في علم الكيمياء، أعلى مستوى، ذاك السابق انتهى، استهلك عمره وانتهى يبدأ مستوى جديد.

في حياة الأنبياء والأولياء والأوصياء. (لا) نماذج حياتهم هي بمقدار عظمتهم، هي نماذج خالدة، تستمر بمقدار استمرار حياة البشر، من هؤلاء، ومن هذه النماذج حياة الإمام الحسين (ع) الآن نحن في مطلع سنة ١٤٠٦ هجرية، الحسين (ع) استشهد في مطلع سنة الستين هجرية، يعني مضى على استشهاده (ع) ١٣٤٦ سنة، وها نحن موجودون الآن نتحدث عن الحسين (ع) وكأنه ابن الساعة، لماذا؟ ما هو السر؟.

السر إن نسيج الحياة، إن القضايا، إن المشكلات التي عاشها وعاناها، وعالجها وقاومها واستشهد من أجلها هي مشاكل الإنسان، منذ آلاف السنين أو منذ ملايين السنين، الإنسان يأكل، أو يتنفس، الإنسان يحزن أو يفرح، الإنسان يكون عزيزاً، أو ذليلاً، أو يكون مظلوماً أو يكون ظالماً، هذه حقائق موجودة في صميم الطبع البشري، في صميم التكوين البشري، حقائق خالدة، بعد ألف وثلاثمائة وستة وأربعون سنة يجتمع الناس ويتحدثون، ويتألمون، وقد يبكون على الحسين (ع) وكأنه ابن الساعة، لأن محطات حياة الإمام الحسين (ع) هي محطات حياة الإنسان، الإنسانية، هذا سر الخلود.

في الزيارة التي تلوناها الآن، «عليكم مني سلام الله أبداً» لأن الحقيقة التي يمثلها هي حقيقة إنسانية، ما دام يوجد بشر يوجد حسين (ع) ما دام يوجد بشر يوجد عيسى، موسى، إبراهيم، محمد (صلوات الله وسلامه عليهم) لأن هؤلاء يمثلون حقيقة الإنسانية، لا يمثلون أشياء عارضة، وإنما يمثلون أشياء ثابتة

ودائمة من اللوحات، أو من المحطات التي نريد أن نجعلها مورداً لاستفادتنا وتعلمنا في هذه الأمسية.

أحد مواقف الإمام الحسين (ع) في كربلاء الحوار مع رسل النظام الأموي قال مخاطباً لهم بالقول الذي نعرفه جميعاً، «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»[1] «ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ. قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منا الذلّة»[2] فلنتصور الموقف، الحسين (ع) في مجموعة من الناس من بني هاشم وأنصاره قليلون معزولون عن العالم، لأنهم كانوا في حالة حصار، يقابله نظام أمبراطوري بالكامل، جيش ضخم، وراء هذا الجيش نظام بكامله، وامبراطورية بكاملها، لأن الخلافة الإسلامية في عهد يزيد منذ عهد معاوية بدأت تفقد صفة الخلافة، وتأخذ صفة الأمبراطورية، بدأت تفقد صفة السلطة الدينية الإسلامية، وتأخذ صفة السلطة الزمنية المحضة الخالية من المضمون والروح والجوهر الإسلامي.

هذا الرجل القليل في العدد، الضعيف في الإمكانات يقول: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل»، إذاً هو يشعر بالعزة مع القلة، ومع الخذلان ومع الحصار، ومع الإنقطاع الكامل، هو لا يشعر بالذلة. يشعر بالعزة، «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد» ماذا كانوا يعرضون عليه. وماذا رفض؟

إن العبارة توحي وكأن هذا الموقف موقف شخصي، يعني الحسين، يشعر بأنه عزيز، أنه قوي، أنه ابن علي، ابن الزهراء، ابن محمد (ص).

الحقيقة إذا فهمنا الموقف نعرف أن هذا الكلام لا يعبر عن حالة شخصية، وإنما يعبر عن حالة سياسية وعن موقف سياسي...

ماذا كانوا يعرضون عليه.؟ كانوا يعرضون عليه.

أولاً: أن يسلّم، وأن يكف عن الثورة.

ثانياً: أن يسلّم بأصل شرعية النظام القائم.

---

(١) البحار: ج ٤٥ ص ٧.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٧.

ثالثاً: أن يدخل معهم في مفاوضات، أو في حوار، أو في مباحثات لتسوية المشكلة السياسية، بينه وبينهم.

كان مطلوب ثلاث عناصر، الكف عن الثورة، يعني ترك الثورة، ترك الموقف، يعني ترك الخروج الذي عبّر عنه في بيانه الأول، الذي وجههُ إلى أخيه محمد بن الحنفية، «إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر. . . ، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[1].

هذا البيان، هذا الإعلان يدور مدار الحق قد يكون الحق العقائدي، أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص) وسائر العقائد الإسلامية . وقد يكون، الحق هو الحق السياسي، الذين ثار عليهم الإمام الحسين (ع) كانوا معترفين وملتزمين بالحق العقائدي، كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص).

كان مورد الخلاف والنزاع هو الحق السياسي، هو المسألة السياسية، إذاً العرض كان يتضمن هذه العناصر الثلاثة التخلي عن الثورة، الكف عن الخروج، أولاً، ثم الاعتراف بأصل شرعية النظام، إن هذا النظام الأموي الذي يحكمه يزيد بن معاوية هو نظام شرعي وصحيح، هو الدخول في حوار لأجل التفاهم وإزالة الإشكال . لكنه (ع) قال لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، هو لا يعني حالته الشخصية، حالته الشخصية لم يتعرض لها أحد: من الذي تعرض للحالة الشخصية للحسين (ع) من الذي اعتدى على شخصيته أو ماله أو كرامته، أبداً، طلب منه شيء واحد، الشيء الذي طلبه منه مروان بن الحكم في المدينة، هو إعطاء الشرعية للنظام، هو مبايعة «يزيد» وإلا أصلاً، لم يعانده أحد ولم يزاحمه أحد.

الإمام الحسين (ع) حالته الشخصيه لم تمس، أصل الخلاف، جوهر الخلاف، هو هذه المسألة، هو المسألة السياسية، ما طلبوه منه في إحدى مراحل المفاوضات في كربلاء هو هذا الطلب، هو الإعتراف، هو تنفيذ هذه الأمور

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

الثلاثة، الحسين (ع) رفض، أن يتخلى عن الثورة، ورفض أن يعترف بشرعية وعدالة النظام، ومن ثم رفض أن يدخل معهم في مفاوضات على هذا الأساس، قال في إحدى مراحل المفاوضات.

دعوني، اتركوني، وليكن الأمر شورى، المسألة ترجع إلى الأمة، إلى الشعب، إلى الاستفتاء العام، رفضوا هذا العرض، وطلبوا منه التسليم بهذه الأمور.

إذاً. كان هناك تعارض بين نظرتين وبين موقفين.

موقف النظام، وأهل النظام الذين يصرون على اعتبار أنفسهم صالحين، وشرعيين.

والموقف الآخر، الذي يقول، لا، هذا النظام ليس شرعياً، ونصوص الثورة الحسينية، منذ إعلانها في المدينة وإلى مكة، ثم في الطريق إلى كربلاء، ثم في كربلاء إلى يوم العاشر من المحرّم. هي مملوءة بالشواهد على هذا الأمر.

هذه محطة من محطات الحسين (ع) وثورته، عادة ـ كما قلت لكم ـ أن حياة العقلاء والصالحين، هي نماذج، وهي مناهج للسلوك وللتعلم، وتلابس حياة الحسين (ع) وثورته. وتداخل وتخالط حياة الناس، لأنها كما ترى جزءُ من حياة الناس المتّبعين له والمتمسكين بحبله، كما قال رسول الله (ص) عن أهل بيته، «هم سفن النجاة»[1]، كيف نتعلم من هذا الدرس، درس «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد» في حياتنا الحاضرة، وفي موقفنا الحاضر، وفي المرحلة التي نجتازها الآن، ماذا يوجد؟، يوجد النظام اللبناني، الذي نعرفهُ نظام (١٩٤٣) الطائفي الرجعي، والفاسد.

قلنا مراراً أنّ هذا النظام لو كان رجعياً وناجحاً لشفع له نجاحه، لو كان صالحاً وفاشلاً، لشفع له صلاحهُ. أما وهو رجعيٌ وفاشلٌ أيضاً، فما الذي يشفع له، يشفع له بعض المنتفعين منه، وهؤلاء انتفعوا من أرزاق الناس، ومن مستقبل الناس ومن مستقبل الأجيال، هم الذين يحافظون عليه، ويريدون استمراره، بيّنا مراراً وتكراراً رأينا فيه، وفي أهله والمنتصرين له.

---

(١) انظر كما في العوالي: ج ٤ ص ٨٥.

الآن ماذا يراد، حدثت الفتنة، تطوّرت الفتنة هدّمت الأملاك هجِّر الناس من جميع الطوائف، هجِّروا من جميع المناطق، كبرت المقابر، وحفرت الأحياء والمدن، جاءت إسرائيل. . .

هذا النظام هو الذي جاء بالإسرائيليين، هذا النظام وأهل النظام وأركانه، ليس الموجودين فيه فقط، لأن بعض غير الموجودين فيه، هم من أعظم أركانه، هذا النظام بالتواطؤ مع الأمريكيين، هو الذي جاء بالإسرائيليين، لأجل أن يحتمي ويتقوى بالإسرائيليين، .وها هي إسرائيل، قتلتنا وهدمتنا وظلمتنا في سبيل ماذا؟

في سبيل هذا النظام، هذا النظام يبحث عن أسباب الحياة، ويبحث عن أسباب النجاة.

كل الأنظمة الرجعية الفاشلة، أو غير الفاشلة، تبحث عن أسباب القوة والاستمرار، النظام كائن حي مثلنا، كائن إجتماعي، هيئة إجتماعية حيّة، عندها سبعة أرواح ومائة روح، وليس روح واحدة.

نحن ـ كما تعلمون ـ طرحنا مراراً نظرية التغيير هذا النظام الرجعي الفاشل، لا يجوز أن يستمر لأنه يستمر بقتل الناس، وإفقار الناس، وتهديد الناس.

ماذا يؤمنني إذا سُكت عن هذا النظام وسمح له بإعادة الحياة، أن بعد عشر سنوات لا يستدعي أمريكا وإسرائيل مرة ثانية؟ ما الذي يؤمنني؟؟ لا يوجد أية ضمانة على الإطلاق أبداً التغيير من الأساس، قلنا هذا النظام سقط ولا يجوز إصلاحه، ولا يمكن إصلاحه، وإذا أمكن إصلاحه، فلا يجوز إصلاحه، أصلاً لا بد من قلبهِ بالكامل وتغييره بالكامل، وإقامة نظام جديد بالكامل.

قلنا نريد دولة عادلة لمواطنين أحرار، ليس لطوائف، الفخ الكبير، الفخ الشيطاني هو حكاية الطوائف وحقوق الطوائف.

ما هي حقوق الطوائف؟ أنتم تعرفون ما هي حقوق طائفتكم؟. إن شخصاً، أو اثنين، أو عشرة، أو مائة شخص لم تروهم في حياتكم، ولن يروكم في حياتهم، يمثلون بعض المراكز والمفاصل بعنوان حقوق الطائفة، لعنة الله

على حقوق الطائفة، أي حقوق طائفة؟ هذه حقوق مستغلين.

هذه حقوق طبقة مستغلة، فئة مستغلة، تريد أن تركب الحمار الطائفي وليس الحصان الطائفي، لا تستحق أن يكون حصان، حمار؟، نعم هم يعتمدون على غرائز وعلى جهل الناس، وعلى براءة الناس، لأجل أن يدجّلوا بحقوق الطوائف هم قتلوها، أية طائفة لم تقتل، ولم يقتل أفرادها، لم تهدم أملاكها، أي طائفة؟.

هذا النظام قلنا لا بد من تغييره على أساس المواطنة، دولة عادلة لمواطنين أحرار الناس أحرار، هم عبادُ فقط وفقط لله تعالى، والله سبحانه وتعالى هو الأكبر، ولا كبير غيره.

بعد ذلك حاولنا أن ننصح، حاولنا أن نُسدد أهل النظام، والذين يسمّون أنفسهم معارضة النظام، ولكن لم ينفع نُصح، ولم ينفع ارشاد، ولم تنفع هداية، واستمرت الفتنة، واستمر البحث عن صيغ، صيغ سياسية، إصلاحية، النظام يبقى، ونرقّعه رقعةُ هنا ورقعةُ هناك، ونخلق صيغة مخادعة، جديدة، كالصيغة التي ولُدت في العهد الشهابي، في العهد الشهابي، حدثت ثورة من فوق، أهل النظام هم أحدثوا الإصلاحات في النظام يعني أعادوا إنتاج النظام ببعض الرتوش، والتغييرات الشكلية، وبقي الفساد على حاله بل زاد، وبقي الشر على حاله بل ازداد.

نحن أعلنا برنامج ومشروع سياسي للتغيير الكامل، التغيير الإنقلابي الذي يدعو إلى ايجاد نظام جديد، على أساس العددية، ومبدأ الشورى الديمقراطية، العددية القائمة على مبدأ الشورى وليس على مبدأ الطوائف، وطرحت كما تقرأون وتسمعون مشاريع أخرى، وهذه المشاريع تنطلق في أساس واحد، الإعتراف بشرعية هذا النظام ومحاولة إصلاحه، النهج الإصلاحي النهج الترقيعي، نهج الخديعة والغدر، لإعادة إنتاج النظام، وانتاج الطوائف، وإنتاج الرموز، وإنتاج نفس الطبقة، بحجة الإصلاح.

نحن قلنا، أن هذا النظام غير قابل للإصلاح، الآن تكثر المشاريع ويتحدث عن مشاريع تطوير وتفاوض، واتحادات وجبهات ومؤتمرات وطنية، أحب أن أقول بصراحة ليس من حقي فقط، وإنما من واجبي أيضاً، نحن

مصممون على التغيير الكامل، وعلى أساس المشروع الذي أعلناه، وهو مطروح للنقاش والبحث، ونحن على استعداد للإجابة على كل تساؤل، ولتفسير كل غموض، خارج إطار الطوائف، وأنا اتكلم ولي صفتي التي تعرفونها جميعاً، ويعرفونها جميعاً، وأقول في نطاق الطوائف، وفي نطاق حقوق الطوائف. لا أعمل، ولا أمكّن أحداً أن يعمل على قاعدة حقوق الطائفة الشيعية، لا توجد حقوق للطائفة الشيعية، توجد حقوق للمواطن، ليكن واضحاً، نحن مصممون من الآن وإلى عشر سنين، وإلى عشرين سنة، وإلى مائة سنة على التغيير الكامل، كفا لعباً، وخداعاً، واستغلالاً للناس، كل الأقنعة سقطت، وكل الغش بان هذا أولاً.

ثانياً: من نفاوض؟ يوجد تاريخ لهذه الإحدى عشر سنة. وانكشف تاريخ لما قبل الإحدى غشر سنة، انكشف تاريخ لأيام الإنزال الأمريكي أيام كميل شمعون، انكشف كل التاريخ كل الأقنعة سقطت، من نفاوض؟، الذين تلطّخت أيديهم بدماء الأبرياء، من المدنيين العُزل، من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا وعلى ماذا؟ نفاوضهم على حل إصلاحي، على حل يعيد إنتاج النظام، نحن شعارنا في هذه المسألة هو شعار الإمام الحسين (ع): «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لم اقرار العبيد» وليعمل كل امرىءٍ على شاكلته.

بوضوح، لن ندخل في أي عمل تفاوضي، وفي أي متجمع تفاوضي على أساس الإصلاح، والاحتفاظ بجوهر النظام الطائفي، ولن ندخل في أي حفل، أو اجتماع، أو ندوة تفاوضية مع أي كان، لأننا لن نفاوض الذين تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء اللبنانيين، من مسلمين وغير مسلمين من تل الزعتر، إلى صبرا وشاتيلا، وما بعدهما وإلى يومنا هذا، وليكن واضحاً أيضاً، وأقول هذا الكلام عمداً، ليس لتضييع الوقت، ليس لنا ممثلون في أي اجتماع، وليس لنا وكلاء في أي اجتماع، لم نفوّض ولن نفوّض أحداً في أي اجتماع، المبدأ، الذي نعتمده هو مبدأ التغيير على قاعدة المشروع الذي أعلناه ونحن على استعداد، وانفتاح لأن نتحاور على أي مشروع تغييري آخر، تغيير جذري وعلى غير أساس العلمنة، بكل وضوح، لبنان لا نسمح بأن يكون علمانيا.

إذاً، كما نرى، أن الإمام الحسين (ع) في موقفه كان قادراً، وبكلمة بسيطة، على أن يقلب الموقف برمته، على أن يقول نعم، نعترف لهذا النظام

بشرعيته، نكفُّ عن موقفنا، عن خروجنا، عن ثورتنا، نتفاوض على هذا الأساس، كان من الممكن أن يكون أكبر دعامة في ذلك النظام ، بل بالتأكيد سيكون أكبر دعامة فيه، ولكن لم تكن لتوجد كربلاء ولم يكن ليوجد شهداء، ولم يكن ليوجد نهج تاريخي بالتأكيد ، كان سيبقى الإسلام ، ولكن كبعض هذه الإسلامات التي نعرفها والخالية من كل روح والخالية من كل فعالية، والتي تحتفظ بالشكل دون الجوهر، لكن هو قال، «والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد» لا أساهم في إعادة هذا النظام، ولا أساهم بالتفاوض على مصائر الناس وكرامتهم وحريتهم وإنسانيتهم، أمير المؤمنين (ع) قال: «ما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم»[1]، هذا عهد، والإمام الحسين (ع) هو من أعظم الوُفاة بالعهود.

نحن على هذا الطريق، نتعلم من هذا الدرس، ونشرب من هذه العين، في كربلاء حينما ندخلها في أيام عاشوراء، الدخول يكون هكذا في العمق، في صميم الأشياء، وتقاس الأشياء على أمثالها، وعلى نظائرها، حياة البشر هي حياة تتحرك، الحسين (ع) ترجمة لمحمد في صراعه مع أبي سفيان ترجمة لعيسى (ع) وطغاة عصره، ترجمة لموسى (ع) وفراعنة زمانه، ترجمة لإبراهيم خليل الله وطغاة زمانه. لنوح وطغاة زمانه، وهكذا تتعاظم حركة التعارض والصراع حتى نصل إلى مثل ابن آدم، هي نسخة واحدة تكرّر، التاريخ لا يتكرر كأشخاص وكأحداث صغيرة، لكن كخطوط عريضة، التاريخ نسخة واحدة تكرّر.

ومن هنا، وهذه ناحية أُلفت الأنظار إليها، وهذا النص العظيم زيارة وارث، «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله. السلام عليك يا وارث نوح نبي الله. السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله. السلام عليك يا وارث موسى كليم الله. السلام عليك يا وارث عيسى روح الله. السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله». الوراثة هي هذا الخط التاريخي، هي وارث وقائد، وضحية، وشهيد، في هذا الخط التاريخي زيارة وارث تصوّر هذه الحقيقة، نص سياسي عظيم، نص أيديولوجي عظيم، زيارة وارث تصوّر هذه الحقيقة الراسخة.

الإمام الحسين (ع) هكذا، وهذه الوراثة تستمر ويعبّر عنها هذا النص

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

الشـــريف، إن الله أخذ على العلماء إلا يـقارّوا على كظة ظـالم التخمة، بالمال الحرام، والسمعة الحرام، والإعلام الحرام، وكل الحرام في الحرام، هذا معنى الكظة، «ولا على نصب مظلوم» الجوع، هذا مقتضى الوراثة، وهذا مقتضى الأمانة.

نحن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبّتنا على القول الثابت عنده، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، حفظكم الله جميعاً ورعاكم، وأسألكم الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثورة الحسين (ع)
ليست حادثاً عابراً



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين والسلام عليكم أيها الأخوة والأخوات والأبناء الأعـزاء ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله تعالى أن يبارك في جهودكم في هذا المجلس الميمون الذي أسعدني كثيراً.

أسعدني كثيراً أن يعقد هذا المجلس في هذه السنة بالشكل الذي يعقد عليه الآن.

والحمد لله على نعمته وفضله علينا جميعاً.

قبل الدخول في الحديث في أجواء الإمام الحسين (سلام الله عليه) أُنبهكم على أمر لاحظته الآن، وهو أنه حينما كان قارىء القرآن يتلو تلاوته، كان اللغط يسود المجلس ولاحظت أن اللغط بين الرجال أكثر منه بين النساء.

الله سبحانه وتعالى، يقول: ﴿**إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا**﴾[1] لأنه كلام الله الحيّ يتلى علينا وأقل مراتب الأدب مع مقام القرآن الكريم هو الصمت والإنصات له.

قلت: بارك الله لكم في هذا المجلس وأكرر أني كنت عظيم السعادة لأنه

(*) ألقيت بتاريخ ٤/محرم/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٨/أيلول/ ١٩٨٥ م.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

عقد في هذه السنة بالشكل الذي عقد عليه، وبالشكل الذي ينعقد عليه الآن، تجتمع فيه العقول والقلوب والإرادات ويكون ذكر الحسين، ومجلس الحسين (ع) مظهر توحُّد وتعاون على البر والتقوى، وهذه من بركات أهل البيت، (صلوات الله وسلامه عليهم).

كما تعلمون، وكما سمعتم مراراً وتكراراً أن نهضة الإمام الحسين وثورته ليست حادثاً عابراً من حوادث التاريخ، وإنما هي مفصل أساسي من مفاصل التاريخ، وهي ليست حادثاً شخصياً، غضب فيه الحسين (ع) لنفسه، كما أنها ليست حادثاً عائلياً، غضب فيه الهاشميون لأنفسهم، وإنما هي حادث إسلامي تحركت فيه الأمة الإسلامية من خلال الحسين (ع) وهو أول مَن يجسّد نهجها وإرادتها، تحركت الأمة الإسلامية من خلال الإمام الحسين، لتعبر عن موقفها في المدينة، ثم في مكة، ثم أخيراً في كربلاء. وكان الإعلان الأول لهذا التعبير هو الكتاب المشهور الذي وجّهَهُ الحسين إلى أخيه محمد بن الحنفية، والذي قال فيه: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»[1] إذن، القضية كانت قضية الأمة، الأمة التي تعرضت للإفساد وللإنحراف، بسبب السياسات والمناهج التي اتبعها الأمويون، والتي جسّدها سلوك يزيد بن معاوية، والتي تناولت المضمون الفكري للإسلام، والمضمون الأخلاقي للإسلام، والمضمون السياسي للإسلام، في المضمون الفكري، هم أرادوا أن يحوّلوا الإسلام إلى مؤسسة جامدة، وإلى مؤسسة طقسية، الناس يصلون ويصومون ويحجّون ويقرأون القرآن، وينتهي كل شيء، أن يعزل الإسلام كقوة فكر وطاقة حركة عن حياة الناس العامة، أن يسكت النقد، وأن تسكت الرقابة وأن يتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مستوى الأخلاق، ويضاف إلى مستوى الفكر، أنهم أرادوا أن يدخلوا الفكر الغريب، الفكر الذي كان سائداً في البلاد السورية في ذلك الحين، الفكر الروماني، الفكر اليوناني، الفكر السابق على الإسلام، نمط الحضارة البيزنطية الرومانية التي كانت سابقة على الإسلام من أيام معاوية، وتعاظم المد التحريفي في أيام يزيد بن معاوية؛ بالنسبة إلى المضمون الأخلاقي، بدأت حالة الإنحلال والتبذل

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

والترف تأخذ طريقها بفعل هذا النهج الأموي، وفي المستوى السياسي، بدأت تبني طبقية وعنصرية، وقبلية، طبقية أغنياء وفقراء، وعنصرية العرب وغير العرب، وعشائرية الأمويين وسائر الناس الإمام الحسين (سلام الله عليه) عبر عن موقف الإسلام وعن موقف الأمة في هذا التحرك الذي بدأ في المدينة ثم في مكة، ثم بلغ ذروته العالية في كربلاء، هو يقول يريد الإصلاح في أمة جدّه، كلمة الإصلاح كلمة عريقة في الإسلام، وردت في القرآن مراراً وتكراراً. وهو تارة إصلاح الشيء، وتارة الإصلاح بين شيئين، الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾**[1] ويقول: **﴿أصلحوا بين أخويكم﴾**[2] والإصلاح بمعنى إصلاح شيء فاسد، ليس بين شيء وشيء، ليس بين جماعة وجماعة، شيء يكون فاسداً كله يحتاج إلى إصلاح، تُرى:

هل خروج الحسين (ع) كان للإصلاح بين المسلمين، أو كان لإصلاح المسلمين؟؟

الإمام الحسين (سلام الله عليه) هو لم يخرج للإصلاح بين المسلمين، وإنما خرج لإصلاح المسلمين، حينما يكون الخلاف بين شخصين أو بين مجموعتين من الناس خلافاً لا يتناول الأصول، خلافاً على الفروع، خلافاً على فهم، وعلى طريقة. وعلى أسلوب، يمكن حينئذ أن نصلح بين الناس، **﴿لا خير في كثير من نجواهم. . .﴾** يقول الله تعالى: لا خير في كثير من أحاديث الناس بعضهم مع بعض ولا خير في كثير من همس الناس بعضهم مع بعض، **﴿إلا من أمر بصدقة﴾** حينما تكون هذه النجوى، وحينما يكون هذا الحديث لأجل اسعاف الضعيف، وصلة المحتاج إلاَّ من أمر بصدقة **﴿أو معروف﴾** أمر بصلة رحم، أو بتعليم جاهل، أو بإصلاح طريق، معروف، كل خير هو معروف، **﴿أو إصلاح بين الناس﴾** أن يكون اثنان مختلفان، أو تكون جماعتان مختلفتان على أمر من الأمور التفصيلية، حينئذ نصلح بينهما، ونعتمد في إصلاحنا على الأمور المبدئية، هذا هو مجال الإصلاح بين الناس، أما لو فرضنا أن أحدهما محق، والآخر مبطل في

---

(١) سورة النساء، الاية: ١١٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

الأمور المبدئية كيف نصلح بينهما الله سبحانه وتعالى يقول في هذا المقام، ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾[١].

الإصلاح بين الناس يكون حينما تكون هناك أشياء مبدئية محفوظة، ومتفق عليها، ويكون الخلاف على التفاصيل، على التفاصيل يمكن للناس أن يختلفوا، ولكن يمكن أيضاً أن يتفقوا، أما حينما يكون الخلاف على المبادىء، كيف يمكن الإصلاح، يمكن الوعظ، يمكن الإرشاد، يمكن النصح، أمام حالة مبدئية لا يمكن الإصلاح.

لا بد من التزام الجانب المبدئي، الطرف الثالث إذا أردنا أن نشخص أن المختلفين، الطرفان الطرف الثالث الذي يريد أن يتدخل يجب أن يلتزم جانب الحق، بين الحق والباطل في المسائل المبدئية لا يوجد صلح، هذا هو المأزق الذي واجههُ أمير المؤمنين علي (سلام الله عليه) يتحدث عن وحدة المسلمين، وعن شق عصا المسلمين، يتحدث عن وحدة الموقف، وعن تعدد الموقف.

أمير المؤمنين (سلام الله عليه) أول ما استخلف واجه هذه المشكلة، أمير المؤمنين بالحساب الشعبي الثابت، هو لم يوحّد بين المسلمين، هو في أقل من أربع سنوات، خاض ثلاثة حروب كبيرة خاض حرب الجمل في البصرة، وحرب صفين في سوريا، وخاض حرب النهروان في العراق، ثلاثة حروب، والطرف الآخر فيها مسلمون، أهل البصرة جماعة طلحة والزبير كانوا مسلمين، جماعة معاوية بن أبي سفيان أيضاً كانوا مسلمين، جماعة الخوارج أيضاً كانوا مسلمين، حاربهم وقاتلهم وقتلهم، لماذا لم يوّحد بين المسلمين؟؟.

الإمام الحسن (ع) لو أنه وجد أنصاراً لحَاربَ، ولكنه خذل فاضطر إلى أن ينسحب.

الإمام الحسين (ع) لماذا لم يصلح بين المسلمين لماذا أصرّ على الخروج، وأصرّ على المضي في الثورة والقتال وأهل الشام، وأهل العراق، الذين واجهوه كانوا مسلمين، ومع ذلك قاتل واستمر في القتال إلى أن استشهد.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

السرّ في المسألة هو هذا، هو أن الخلاف بين علي وخصومه، لم يكن خلافاً على التفاصيل، كان خلافاً على المبادىء، وأن الخلاف بين الحسين (ع) وخصومه، لم يكن خلافاً على التفاصيل. وإنما كان خلافاً على المبادىء، وحينما يكون الخلاف خلافاً على المبادىء، لا يوجد خيار، يوجد خيار واحد، وهو أنه إلى اللحظة الأخيرة المحق يشرح ويبين، ويقيم الحجّة ، كما قال أمير المؤمنين لأصحابه في صفين، «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم»[1] وفي البصرة أيضاً كذلك، هذا تعليم أساسي في الإسلام، لا تبدأوهم بقتال، وإنما تشرح الأمور وتبين القضايا، ويوضح الموقف للمنحرفين والبغاة، فإذا أصروا فلا خيار.

من الزيارات العظيمة التي هي في نفس الوقت نصوص سياسية عظيمة، زيارة وارث ويزار بها الحسين (ع).

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله . السلام عليك يا وارث نوح نبي الله . السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله . السلام عليك يا وارث موسى كليم الله . السلام عليك يا وارث عيسى روح الله . السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله . السلام عليك يا وارث عليّ ولي الله » .

الحسين (ع) موجود في هذه السلسلة، سلسلة الأمناء الأمناء في المسألة المبدئية حتى ولو كلفتهم أنفسهم وكل ما لهم في هذه الدنيا، أمام أي مجد، وأي عظمة دنيوية، لا يتركون، أمناء؟؟.

نحن الآن في هذا المجال المبارك، وفي سائر المجالس في هذه المناسبة، وقلت أمس لبعض الأخوة في بعض المجالس هذه سنة ١٤٠٦ هجرية.

الحسين (ع) استشهد في سنة ستين (٦٠) هجرية يعني مضى على استشهاده، ألف وثلاثمائة وست وأربعون سنة ، مضت على هذا الشهيد، وهو لا يزال كالربيع يتجدد باستمرار ويكبر باستمرار، لأنه ارتبط بالمسألة المبدئية ، الحسين (ع) في مثل هذه الأيام بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام قتل . هو وكل من معه، نساؤه، وأطفاله أخدوا سبايا، وأرتال من الخيل

---

(١) شرح النهج : ج ٦ ص ٢٢٨ .

داست على صـدورهم ،. « الحسين (ع) وأصحابـه » وعلى ظهورهم . قـطعت رؤوسهم ورفعت على الرماح من العـراق الى الشام مـروراً بالـطريق القديمـة ، « طريق الفرات التي هي أطول من الطريق الصحراوية ، شتموا على كل منبر ، كل بهرجـة الدولة كانت موجودة ، كل شيء أنتهى البهـرج ، وبقيت الحقيقة ، الحقيقة هي المبدأ .

الحسين (ع) الذي كان عمره سبعة وخمسين (٥٧) سنة، لو أنه لم يُستشهد، لو أنه ساوم، كم كان سيعيش؟ عشر سنوات أخرى؟ عشرين سنة أخرى؟ مئة (١٠٠) سنة أخرى؟ كان سيعيش على جماجم عشرات الألوف ومئات الألوف من ضحايا يزيد.

ولكن الحسين (ع) قرّر أن يثور ويمسك بالأساس يمسك بـالمسألـة المبدئية، قتل، فقر، سبي، شتم فليكن، في النهاية الناس يفيقون، ويجرون حساباتهم، ويعرفون مَن هو صاحبُهم، يزيد أو الحسين، الناس خلال سنة، سنة إحدى وستين (٦١)، عرفوا الحقيقة، الذين انخدعوا بالبهرج الساطع قالوا: ماذا فعلنا،؟؟ قالوا أين نحن الآن؟ ماذا حصّلنا؟؟

ولدت حركة التوابين، الناس يكتشفون، الناس بسطاء ضعفاء، يقعون، ولكنهم في النهاية يفيقون، يزيد راهن على القوة، الحسين (ع) راهن على الأمة.

إذن، الحسين لم يخرج ليصلح بين الناس، خرج ليصْلح الناس، كي يضعهم على السكّة، لأجل أن يبين لهم الصحيح من الخطأ، لماذا؟؟. لأن الخلاف مع يزيد لم يكن خلافاً على التفاصيل، ربما الحسين، لو كانت الأمور تسير على ما يرام، كان يظل في منزله، لا يتحرك، لو كانت المسألة مسألة تفاصيل، لا. كانت المسألة لها طابع مبدئي، وارث آدم، ونوح، وإبراهيم، وعيسى وموسى ومحمد وعلي (عليهم السلام) ليس له خيار على الإطلاق هو قال في إحدى مراحل التفاوض، قال اتركوني، كما بينت أمس هو وُوجه بثلاث خيارات، أن يكف عن الثورة، أن يعترف بشرعية النظام، وأن يفاوض، قال لهم لا. «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»[1]، لكن حاضر

---

(١) البحار: ج ٤٥ ص ٧.

لحلّ، عرض حلّ، قال أتركوني، وأنا أترككم، ونعيد الأمر شورى بين المسلمين، رفضوا؟؟.

يزيد والشورى، لا ينسجمان، لا يتفقان لذلك أصروا على المضي، أنزل على حكم بني عمك قال: لا، ليس بين أحد وبين الله قرابة، نحن في هذا الدرس نتعلم هذه الحقيقة، حينما يكون الخلاف حول التفاصيل، يكون الإصلاح بين الناس، وحينما يكون الخلاف على المبادىء يكون اصلاح للناس «أريد الإصلاح في أمة جدي» ولم يقل أريد الإصلاح بين أمة جدي لأن المسألة كانت تتناول المبادىء.

قلت في مطلع حديثي أني الآن سعيد جداً في هذا المجلس لأنه معقود بالشكل الذي عقد به، ولا أريد أن أدخل في التفاصيل. الوصية العظمى، لأمير المؤمنين، والوصية العظمى للأئمة المعصومين أجمعين، «أصلحوا ذات بينكم»[1] توحدوا على البر والتقوى، وتعاونوا على البر والتقوى. أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينزل علينا جميعاً بركات الحسين وآل الحسين، وبركات آل البيت الطاهرين، وأن يتقبل عملنا بأحسن قبوله واستغفر الله لي ولكم واسألكم الدعاء جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثورة الحسين (ع)
ثورة من أجل الأمة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليكم أيها الأخوة الأعزاء، ورحمة الله وبركاته، وجزى الله خيراً القائمين على عقد هذا المجلس، وعلى رأسهم سماحة الشيخ (عبد الأمير قبلان)، ولي بالنسبة إليه، وإلى سكان برج البراجنة، وإلى سكان الضاحية عموماً معاتبة، والمعاتبة تتعلق بهذا المجلس.

وكما يعلم الجميع، وفيكم مَن يعلم أكثر مني، وهم جيل المؤسسين لهذه الحسينية، ولهذا المشروع، أن هذا المجلس هو من أقدم المجالس في الضاحية، ولعله مضى على تأسيسه ما يقرب من عشرين سنة، وكونه من المجالس العتيقة، يقتضي أن تكون العناية به أكثر، وأن يكون عمّارهُ أكثر.

ما حصل في بداية هذا المجلس في أول عاشوراء، وكنت ـ كما يعلم الجميع ـ عازماً على المجيء في تلك الليلة في يوم الأحد ليلة الاثنين، ولم يكن

(*) ألقيت بتاريخ ٦/محرم/ ١٤٠٦ هـ ـ ٢٠/أيلول/ ١٩٨٥ م.

هناك مراسيم للمجلس، كان ينبغي التحضير للمجلس قبل عاشوراء بكثير.

هذه المعاتبة، لأجل الفات النظر إلى المسؤولية التي يتحملها الجميع بالنسبة إلى المؤسسات، والمجلس الحسيني مؤسسة من المؤسسات والمدرسة مؤسسة، والنادي مؤسسة، والجمعية مؤسسة، والمستشفى مؤسسة، والمأتم الحسيني أب وأم المؤسسة، لأنه لولا هذه المجالس الحسينية لما وجد الوعي ولمّا وجدت المؤسسات.

هذا المجلس الشريف العتيق في برج البراجنة، كان ينبغي أن يكون موضع عناية أكبر، ولا أشك في غيرتكم، ولا في ولائكم لأهل البيت (ع) وللإمام الحسين (ع) في ذكرى شهادته وثورته، وأسأل الله أن يوّفق منذ الليلة القادمة لأن يكون المجلس منسجماً مع تاريخ العشرين سنة في درجة الحضور وفي درجة العناية.

مما يتصل بهذه المسألة، الفضيل بن يسار (رضوان الله عليه)، وهو من كبار أصحاب الإمام الصادق (ع) والإمام الصادق كما تعلمون كان في المدينة، والفضيل بن يسار كان في الكوفة، في موسم الحج.

ذهب الفضيل لزيارة الإمام الصادق (ع) فقال له: «يا فضيل تجتمعون وتذكرون أمرنا» قال له: نعم يا سيدي، قال: «احيوا أمرنا رحم الله أمرءاً أحيا أمرنا!».

هذا أمرهم، أمرهم هو الإسلام، وأمرهم هو هذا النهج المبدئي الصادق والناصع في أحياء الإسلام، والذي كان من أثمانه استشهاد الإمام الحسين (ع).

يعلم الجميع، أن الإمام الحسين (ع) حينما نهض نهضته كان يدافع عن الإنسان .

إن الإنسان يتحرك في الحياة لأجل أهداف.

الإنسان العاقل يتحرك في الحياة لأجل هدف، والهدف قد يكون هدفاً شخصياً وقد يكون هدفاً انسانياً عاماً .

إنَّ إنساناً يعادي أو يصادق، يدرس ويتعب ويسافر لأجل أن يكوّن لنفسه مقاماً ومنزلة وثروة ومستقبلاً.

قد يغامر الإنسان ويعمل من أجل عائلته، من أجل عشيرته، ويوجد كثير من الناس المأخوذين بالحالة العشائرية، بالحالة القبلية، هو يعمل لأجل رفعة شأن العائلة، بعض الناس قد يعمل لأجل رفعة شأن قومه عرباً أو عجماً، أو غيرهم أو ما أشبه ذلك.

الإمام الحسين (ع) كما تعلمون، كان شخصية من أبرز شخصيات المسلمين، كان غنياً، كان شريفاً محترماً، مهيب الجانب، ليس بحاجة إلى شيء لا في حياته الشخصية، ولا في حياته العائلية، ولم يكن معرضاً لأي سوء على الإطلاق.

من جهة أخرى لم يطلب منه شيء، كان المطلوب منه مجرد السكوت، أن يترك الناس وشأنهم، وأن يترك الحكم وشأنه من دون مداخلة أو معارضة، ولكنه عرّض نفسه للخطر، وكان يعلم علم اليقين أنه إذا تحرك بأي حركة فسيقتل، وكان يعلم هذا وتدل على هذا نصوص صحيحة متواترة.

إن الإمام الحسين (ع) خطب في مكة قبل أن يتركها، وقبل أن يسمع بخبر مقتل مسلم بن عقيل، موضحاً حقيقة الأمر فنصحهُ الناصحون وقالوا له: يقتلك بنو أمية قال (سلام الله عليه): «شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً»[1]، وهو في مكة، كان يعلم ومع ذلك، قالوا له: لماذا تأخذ معك هذه النسوة، قال: «شاء الله أن يراهّن مشردين»[2].

أيضاً كان يعلم بالمصير العائلي، ليس كما يتوهّم أنه خرج وكان يخطط للوصول إلى الحكم، وهو كان يعلم أنه لن يصل إليه، ومع هذه الحالة تجاوز الشأن الشخصي.

وجدنا في أيام الإمام الحسين (ع) رجالاً عظماء، ليسوا بعظمة الحسين طبعاً كما يعتقد المسلمون لكن وجدنا عظماء: (عبدالله بن الزبير)، كان شخصية من ألمع شخصيات العالم الإسلامي، (عبدالله بن عمر)، عظيم، (عبدالله بن عباس)... هؤلاء هم نصحوه أن لا يخرج، وهؤلاء هم سكتوا.

هو تجاوز الوضع الشخصي، العائلي، العشائري بل أكثر من تجاوز، وهو

---

(١)و (٢) البحار: ج ٤٤ ص ٣٣١.

عرّض الوضع الشخصي والوضع العائلي، والقبلي للخطر وخرج، هذه النهاية معلومة، النهاية أنه ارتفع شهيداً في كربلاء لماذا؟؟

هذا الفرق بين الناس العاديين، وبين الناس المبدئيين هذا الرجل كأبيه (ع)، كجده، (ص)، كابنه زين العابدين، كأحفاده من الإمام محمد الباقر وإلى الإمام صاحب الزمان (عج).

إنَّ ذواتهم، وشخصياتهم، وكل شأن من شؤونهم هو مُعطى لله تعالى، ومُعطى للأمة، يعني كل واحدٍ منهم هو مؤسسة الأمة، بحيث ليس لهم حالة شخصية أبداً، توجد فقط حالة الأمة.

من هنا حينما وجد أن الإنحراف أصبح خطراً، وأن الأمة أصبحت في خطر، معنى الأمة، مضمون الأمة أصبح في خطر، نهض هذه النهضة العظيمة، واستشهد.

ولهذا السبب نحن الآن بعد حوالى ألف وثلاثمئة وخمسين سنة، نجتمع في كل مكان من العالم، ونحيي الذكرى. لأنها ذكرى وليست ذكرى الشخص.

يوجد في التاريخ ثورات. قتل أو استشهد فيها الناس أكثر مما استشهد في كربلاء لكن معنى كربلاء معنىً يتجاوز هذه الأمور، ثورة الأحرار الذين يموتون الآن لأجل توظيف وتحقيق معانيها الإسلامية .

بعد مائة سنة، وبعد ثمانين سنة من الثورة سقط الحكم الأموي وانتهى، وجاء بعده الحكم العباسي ، وهنا البعض يسأل ويقول كما كان بالنسبة الى أمير المؤمنين (ع) بالإصطلاح العامي «كان يُطرّيها شويّ» لماذا لم «يُطَرّيهَا»؟؟!

أمير المؤمنين مثلاً، جاءه الناس وقالوا له يا أمير المؤمنين أَعطِ هؤلاء الأشرار أعطيهم مالاً لأجل أن يسكتوا ويؤيدوا حكومتك، فقال الكلمة المشهورة: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فمَن ولِّيتُ عليه!!»[1].

جاءه عقيل بن أبي طالب، أخوه، يطلب منه زيادة راتب، فقال له عندما وضع يده على الحديدة المحماة: أئتن من حديدة أحماها إنسانها للعبهِ، وتجرني

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦.

إلى نار سجَّرها جبارٌ لغضبه[1].

الإمام الحسين (ع) يقول البعض، كان المطلوب منه أن يتساهل بعض الشيء، لكن التساهل نتيجته هلاك الأمة، يعني كان سيبيع مصير الأمة وكان سيحوّل الإسلام والمسلمين والذميـين الذين يعيشون على أرض الإسلام إلى عبيد حقيقيـين.

بنو أمية لم يكونوا يستعبدون غير العرب ولم يكونوا يستعبدون العرب غير قريش بل كانوا يستعبدون قريش بالذات، كانوا لا يريدون غير بني أمية في الكون، هذه القبيلة فقط. ولم نجد أي صوت غير صوت أبي عبدالله الحسين (ع).

وفي ذروة الأزمة، وفي ذروة المفاوضات بينه وبين الوكلاء المبعوثين من قبل يزيد، وابن زياد، حينما طلبوا منه ثلاثة أشياء:

أولاً: السكوت والتوقف عن الثورة.

ثانياً: إعطاء الشرعية والموافقة على خلافة يزيد.

ثالثاً: التفاوض على التسوية: ماذا يكون لي، وماذا يكون لك.

رفض وقال الكلمة المشهورة: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»[2].

في تلك اللحظة في كربلاء، في حالة الحصار الكاملة. يقول: «لا أعطيكم بيديْ إعطاء الذليل...».

كان يشعر بالعزة، وبالقوة، ومن أين العزة؟ من أين القوة؟ إنها حقيقة إيمانية ينبغي أن نتعلمها نحن: من أين تأتي القوة، ومن أين تأتي العزة:

بالمقايـيس التي يفهمها أعظم الناس، القوة والعزة تأتيـان من الكثرة المادية، من كثرة العدد، ومن كثرة المال، ومن كثرة السلاح، والحسين (ع) لم

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

(٢) البحار: ج ٤٥ ص ٧.

يكن كثير العدد، وكثير السلاح والمال وكل الذي معه عدد من الأصحاب وأهل بيته (سلام الله عليهم) ويغلب عليهم طابع الشبان، ومنهم مَن لم يبلغ سن البلوغ بعد!

كثرة السلاح لم تكن موجودة، وكذلك كثرة المال لأنه كان يعمل مقابل امبراطورية، وليس في مقابل ميليشيا أو حزب، امبراطورية تشمل العالم العربي الذي نعرفهُ الآن، وإيران أيضاً. كان مقابل امبراطورية، ومع ذلك (سلام الله عليه) كان يشعر بالقوة (القوة الإلهية) كان يشعر أنه على صلة حقيقية بالله. **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾**[1].

وبالفعل ما معنى القوة؟ معنى القوة أن يقتل القوي الضعيف، وفي الوقت نفسه يمكن للضعيف أن يقتل القوي.

القوة ليست في أن تقتل خصمك لأنَّ القتل سهل بل القوة هي أن تغلب إرادة خصمك، أن يبقى حياً وأن تغلب إرادته، أما إذا قتل وهو يقول (لا) هو غلبك، القوة الحقيقية هي ليست أن يقتل القوي الضعيف، هي أن تغلب الإرادة، الإرادة الأخرى، بهذا المقياس تفهم القوة.

الحسين (ع) لم يُغلب لأنه استشهد وهو يقول لا هذا مقياس القوة الحقيقي، ذروة الاستشهاد وكانت ذروة الهزيمة للنظرية الأموية، النظرية الأموية بأي شيء. كانت تتسلح. كانت تتسلح بكثرة الرجالِ والسلاح والأموال. في مقابل الإرادة، الإرادة لم تنكسر، نفس المثل يوجد عند رسول الله (ص) ومشركي العالم حينما لــجأ العرب إلى الترهيب والترغيب في سبيل المساومة مع الرسول (ص) كان المقياس هو مقياس «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركتـه»، وبعد ذلك مقياس القوة نزل **﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين﴾**[2].

الصراع الحقيقي ليس صراع الرجال، وليس صراع السلاح، والأموال،

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة الكافرون، الايات: ١ ـ ٦.

الصراع الحقيقي هو صراع الإرادات، ينتصر الخصم على خصمه حينما تسقط (اللا) وتكون مكانها (النعم)، أن تغلب إرادة خصمك، تكون قد غلبته أما أن تقتل خصمك وهو يقول لك لا هو غلبك، القتل سهل، قتل إنسان أبسط ما يكون، ولكن القتل ليس دائماً معناه الغلبة، القتل قد يكون ذروة الهزيمة، قد يكون علامة العجز، بهذا المقياس، الإمام الحسين (ع) خرج منتصراً، في صراع الإرادات كان المنتصر هو الحسين هذا قد يبدوا عجيباً، لكن المنتصر هو الحسين.

ماذا كان يريد الأمويون؟، هل كانوا يريدون قتل الحسين (ع) بالتأكيد لا، كانوا يريدون موافقة الحسين، الهدف نقول فلان انتصر أو انكسر بمقدار ما له من هدف في أول حديثي قلت لكم، كل إنسان عاقل وكل جماعة عاقلة، وكل مجتمع سياسي حينما يتوجه إلى هدف من أهدافه، مقياس نجاحه هو تحقيق الهدف، نعود إلى نفس السؤال.

ماذا كان يريد الأمويون من الحسين (ع)؟.
هل كانوا يريدون قتلهُ، أو بيعته؟.

كانوا يريدون موافقته، بالتأكيد المطلب الأول لم يكن مطلب القتل، المطلب الأول كان هو مطلب الموافقة أن يدخل معهم ويكون جزءاً منهم، بهذا المقياس الأمويون استخدموا كل القوى التي يملكونها، استخدموا العلاقات الإنسانية، استخدموا الإغراء، ثم استخدموا القوة العسكرية، هم استطاعوا أن يقتلوا الحسين (ع) ولكن لم يستطيعوا أن يبلغوا هدفهم.

الإمام الحسين (ع) كان هدفه أن يقول (لا) كبيرة معلنة تسمعها الأمة، وكان هدفهم أن يقول لهم (نعم)، والنتيجة كانت لا، إذاً بهذا المقياس يقاس النصر، وتقاس الهزيمة، وليس بمقياس أن يقتل العدو عدوه، بل أن يغلب عدوه، أن يكسر إرادتهُ، من هنا ما يسمى بالتسويات السياسية كالتي كانت تفرض على أمير المؤمنين. والتي عرضت على الإمام الحسين (ع)، التسوية هي انتصار الخصم، لأنها تعني تعديل الأزمة، تعديل الهدف، وتعديل الهدف هو ما يريده الخصم (وهناك مسألة أخرى، وكثير من الناس قالوا معي هذا الكلام فيما يتعلق

بالمسألة الحسينية، إن رسول الله (ص) قَبِل أُناس كثيرين وفي واقع الأمر لم يكن راضياً عنهم، لماذا؟؟

لماذا الإمام علي (ع) بعد أن استخلِف لم يسلك مسلك رسول الله (ص)، مثلاً في حرب الجمل لماذا لم يسلك سبيل المداراة مع طلحة والزبير، الإمام الحسين (ع) لماذا لم يسلك سبيل المداراة مع الحكم الأموي؟.

مرحلة الرسول (ص) كانت مرحلة تأسيس الإسلام في مرحلة التأسيس كل القوى يجب أن تجمع، أمّا مرحلة الإمام علي (ع) ومرحلة الإمام الحسين (ع) ومرحلة الإمام الحسن (ع) لم تكن مرحلة التأسيس كانت مرحلة التصحيح، مرحلة التقويم.

الإسلام أسّس، أصبح الحسين يقول إسلام ويزيد بن معاوية يقول إسلام، علي بن أبي طالب يقول إسلام، ومعاوية بن أبي سفيان يقول إسلام، الإثنين يتكلمون الإسلام في عهد الرسول، الرسول (ص) كان يقول إسلام وأبي سفيان كان لا يقول الإسلام وإنما كان يقول الشرك والكفر.

إذاً مرحلة علي والحسن والحسين وما بعدها، كانت مرحلة تصحيح وتقويم ولم تكن مرحلة تأسيس الكل يتكلمون باسم الإسلام، والكل يرفعون شعار القرآن أقل خطأٍ في إدارة العملية التصحيحية، سيذهب بكل انجاز، ويشوه كل انجاز.

قد يقال لماذا لم يساوي الإمام الحسين (ع) نفسهُ بجده رسول الله (ص)؟.

سلوك رسول الله (ص) محكوم بعوامل موضوعية وسلوك أئمة أهل البيت (ع) محكوم بعوامل موضوعية أيضاً؛ العوامل التي تفرِّق بين القتال على تنزيل القرآن، وهي مرحلة تأسيس الرسالة، والقتال على تأويل القرآن وهي مرحلة تصحيح الرسالة.

قد يقال الإسلام تأسّس، ما المقصود بالتصحيح هذا الشعار الذي يرفع الآن في هذه الأيام وهو مروي عن أئمة أهل البيت (ع) إن كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء، أمّثل من حياتنا مثالاً: أم حامل جاء شهرها فولدت ولداً جميلاً،

صحيح الجسم، صحيح الحواس خالٍ من جميع الأمراض، تُرى هل يقول الأب أو الأم، أو المجتمع أن هذا ولدٌ صحيح كامل، خلقه الله، ورتبه، فأتركوه يأكل كما يشاء، يلبس أو لا يلبس كما يشاء يتعرّض للبرد، أو للحر، يجوع أو يشبع . هذا الولد سيموت، لا يكفي مجرد الولادة هذا الولد لا بد أن يتعهده أبواه بالطعام والشراب بقدر قابليته، ليس أكثر من قابليته بالتدفئة في أيام الشتاء. بتأمين الجو المعتدل في أيام الصيف عليهم أن يخلقوا الظروف الموضوعية الحقيقية، لأجل أن يسلم هذا الولد من الأمراض والآفات، وينمو نمواً صحيحاً، وإلا لو ترك هذا الطفل على حاله، يمكن أن يموت. مثال آخر شجرة غرسناها، فهل نتركها ونقول، بعد عشرة سنوات نعود ونأكل منها تين أو عنب، أو رمان، يجوز أن يأتي رأس ماعز ويأكل الشجرة يجوز أن تأتي ريح عاتية تقلعها، ولا يستفيد صاحبها منها بشيء، نحن غرسناها فلا بد أن نتعهدها. حتى تثمر.

الآن: نقول أن الله تعالى أنزل الإسلام، والإسلام لا يكون كيفما اتفق، بمعنى أنه لا يترك، هو يحتاج إلى رعاية دائمة وإلى عناية دائمة، وإلا كثير من الناس سيحرفون الإسلام، ويأكلون الدنيا باسمه، وبعنوان الإسلام، من هنا مهمة أهل البيت (ع) من هنا الحديث المشهور، «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1]، أهل البيت هم حراس هذا الدين، حراس هذا القرآن، وإلا قد يأتي بدل «يزيد» ألف يزيد، القرآن كلام، والكلام يمكن تفسيره على وجوه لما أمير المؤمنين أرسل ابن عباس إلى طلحة والزبير لأجل المفاوضة قبل الحرب قال له، كيف ستقول لهم، قال له احتج عليهم بكتاب الله، قال له لا، إن هذا القرآن حمّال أوجه، بل قل لهم ألم تبايعوه في المدينة، فلماذا نقضتم بيعته في مكة، أنتم بايعتم: أيضاً يزيد استعمل القرآن ومن هنا القتال على التأويل، لأجل عدم استعمال القرآن للتضليل، كما قلت لكم وأنتم تعلمون، أن معاوية هرب إلى القرآن حينما انهزم في حرب «صفين»، ومن هنا كان موقف الحسين (ع)، واجه المشكلة وحيداً الكل سكتوا، القوة الطاغية هيمنة المال من جانب، الإرهاب من جانب الأشخاص المسؤولين سكتوا حفاظاً على دنياهم، أو خوفاً على أنفسهم، رأى نفسُه وحيداً ومن هنا

---

(١) الوسائل: ج ١٨ ص ١٩ الباب ٥ من أبواب صفات القاضي ج ٩.

خرج بهذا البيان، أو الكتاب المشهور الذي وجهه إلى محمد بن الحنفية، «إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»[1].

لأن الحسين مؤسسة الأمة، لهذا السبب هذا المجلس قام بعد ١٣٤٦ سنة على عاشوراء الأولى لقد استشهد الإمام الحسين (ع)، ولكن مشكلة التصحيح مستمرة، ومشكلة التحريف مستمرة، من هنا هذه المجالس الحسينية جزء من عمود الإسلام، ذكرت قبل أيام أن الحسين (ع) يأتي في سلسلة التاريخ النبوي، وكلكم تسمعون بزيارة وارث، الحسين في هذه الزيارة اسمه الوارث، «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله»، الحسين وارث آدم، آدم ماذا عنده، عنده رساله الله الأولى وعنده قابيل وهابيل إرادة الخير وإرادة الشر السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، نوح ماذا عنده عنده الدعوة الطويلة لقد لبث في قومه ألف إلا خمسين سنة ثم قال: ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** ﴾[2].

«السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله». الحسين وراث إبراهيم السلام عليك يا وارث عيسى روح الله. السلام عليك يا وارث موسى كليم الله. السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله. السلام عليك يا وارث علي ولي الله».

هذه السلسلة كلها تتجمع كل عملية الصراع، وكل عمليات التأسيس والتصحيح، وكل عمليات التنزيل والتأويل كلها تتجمع تتمظهر في شخص الحسين وحيداً. الذي يقابل امبراطورية كاملة، ويقول: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد». «إلا أن الدعي بن الدعي ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة». أخيراً. في المدينة لما عرضت عليه البيعة، ولمّا رفض البيعة، ولما خرج إلى مكة. ولما جمع الناس، ولما خرج إلى العراق، ولمّا بيّن للناس إنه ذاهب إلى القتل، ولمّا تفرّق عنه الناس ولمّا جاءه خبر مقتل مسلم بن عقيل، وتفرق عنه جميع الناس إلا الصفوة القليلة التي بقيت معه ولما كان يعطش، ولمّا كان يرى أبناءه وزوجته وأطفاله وأصحابهُ عطاشى

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٦.

جياع، ولما كان يحاط به من كل جانب، ولما قتل كل من معه، ولما بقي وحيداً، في جميع هذه الحالات كان الحسين (ع) في نجوة مع الله. يحمد الله، ويشكر الله ويسبّح الله ويعلن شوقه إلى الله. في أيام الرخاء وفي أيام الشدة. الله وحده دائماً حتى بعد أن ضرب بالسّهم ذو الثلاث شعب ودمهُ ينزف قطرة قطرة، وروحه تخرج مع كل نفس من أنفاسه جعل له وسادة من التراب. وضع عليها رأسه وتوجه بالنجوى إلى الله، هذا يكْشف عن درجة الحب العظيمة والإخلاص العظيم بين الحسين (ع) وبين الله ويكشف عن عظمة الحسين (ع).

هذه موعظة لنا، أن تكون صلتنا بالله كبيرة، وأن تكون ثقتنا بالله كبيرة، وأن يكون حبنا لله كبيراً وأن يكون حبنا في الله بعضنا لبعض، وتعاوننا بعضنا مع بعض، وتوحدنا على البر والتقوى وعلى الصلاح والفلاح، ولنا أسوة بأبي عبدالله الحسين (ع) واستغفر الله لي ولكم، وأن يبارك لنا هذه الذكرى جميعاً. وأوصيكم بالتقوى التي هي عتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



عاشوراء
في الزمان الحيوي



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائِك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

إنّ هذا اليوم من ذكرى عاشوراء من سنة ١٤٠٧ هـ يوحي لنا بمفاهيم عديدة، منها مفاهيم الإعتبار والإقتداء والإيثار، ومجلسنا هذا هو إحدى المؤسسات الثقافية الإسلامية التوجيهية.

والحمد لله الذي وفقنا لإحياء هذه المراسيم التي نستلهم منها الدروس الإنسانية والأخلاقية والثورية.

هذا المجلس هو عبارة عن مدرسة تؤهل الناس لكي يكونوا على مستوى المسؤولية، وعلى مستوى الأحداث.

هذا المجلس الحسيني الإسلامي هو ليس مجلساً «شيعياً» وإنما هو مجلس اسلامي يذكرنا بعقيدة الحسين (ع) وبثورة الحسين، يذكرنا بالإسلام الذي تحرك

(*) ألقيت بتاريخ ١/محرم/ ١٤٠٧ هـ ـ ٥/أيلول/ ١٩٨٦ م.

الإمام الحسين (ع) لأجل إبراز مفاهيمه وتعاليمه ومبادئه. ونحن اليوم نؤسسه في اليوم الأول من السنة الهجرية سنة ١٤٠٧، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لإحياء هذا المجلس دائماً وأبداً حتى ظهور الإمام المهدي (عج).

نحن كنا في سنة ١٤٠٦ هـ. وفي هذا اليوم دخلنا سنة ١٤٠٧ هـ يعني كل واحد منا قضى سنة من عمره، واقترب سنة من أَجَلَه إبتعد سنة عن ميلاده، واقترب سنة من آخرته، نحن اليوم اقتربنا من قبورنا سنة هذا أولاً.

ثانياً: بمجرد دخولنا الى هذه السنة ابتعدنا عن هجرة رسول الله (ص) سنة، كل سنة تمضي تبعدنا عن زمان رسول الله (ص) أكثر.

كان المسلمون في سنة ١٠ هجرية واليوم مرت عليهم مئات السنين، فالهجرة هي انطلاق الإسلام من مكة إلى المدينة.

أما النقطة الأولى: فهي أننا في هذا اليوم سجلنا نقص سنة من أعمارنا، واقتربنا من حساب الله لنا، هذه الحقيقة تقتضي من الإنسان التأمل في معنى الزمن الآن نحن نعيش في الزمان، وكل ساعة تذهب لا تعود، هذا العمر، هذا الزمن الذي انقضى وينقضي يجب أن يكون موضعاً للعمل الصالح: الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[1]، والإمام علي (عليه السلام) يقول عن الدنيا: «لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى»[2].

إن الإنسان في حياته مسافر من زمان إلى زمان إلى أن يصل إلى نهاية السفر وهي الموت والقبر، في هذه الغفلة، غفلة الزمان لا بد أن يتزوّد الإنسان إلى النهاية المحتومة ومحطة النهاية يجب أن نجد فيها شيئاً، النبي (ص) والأئمة الأطهار بيّنوا هذه الأمور، وقالوا لنا «تزودوا...» «الدنيا غرارة غرور ما فيها، فانية فان مَن عليها»[3]. السنة الماضية ذهبت بخيرها وشرها، هذه السنة الجديدة ينبغي أن يغتنمها الإنسان المؤمن: ينبغي أن يغتنم فرصة العمر لأجل النهاية السعيدة..

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١١.

النقطة الثانية : **هي البعد في الزمان عن هجرة رسول الله (ص) وهي** توجب البعد عن دين الله. عن القرآن ، وعن السنّة الشريفة بحسب جري العادة عند الناس ، إنه كلما بعد الزمان كلما غلب النسيان . والكل يعرف ذلك ، واخصص الطلاب لأنهم أكثر مطالعة من غيرهم . فهم ـ أي الطلاب ـ يعرفون أنهم كلما درسوا درساًوأهملوه ولم يعودوا الى قراءته ينسوهُ ، بعد الزمان ينسي الإنسان الحقائق والأحداث .

فالسؤال هو:

هل بعدنا في الزمان عن الهجرة يؤدي بنا إلى نسيان الإسلام والقرآن والأئمة؟ .

الله تعالى : يبيِّن في القرآن ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومَن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً**﴾[١]، يبيّن الله أن الرسول (ص) هو رسول كما سماه؛ ورسالتُه ليست مرتبطة بحياته ولا بوجوده الكريم. فهو أدّى الرسالة ما دام حياً أما بعد وفاته وانقضاء عمره الشريف فالرسالة يجب أن تبقى حيّة.

إذاً كلما بعد الزمان لا ينبغي أن نبعد عن الإسلام، بل علينا أن نزداد تعلماً، وإيماناً وتسليماً. . . الله تعالى أيضاً بيّن أن الحياة التي يدعو إليها هي الحياة الإنسانية، وبيّن أيضاً أن الكفار أحياء، ولكنه قال: ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**﴾[٢].

أما الحياة الإنسانية الصافية فهي أن يستجيب الإنسان لنداء ربه، يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾[٣].

فالمسألة هي أننا كلما قطعنا يوماً من حياتنا نبتعد في الزمان عن هجرة الرسول (ص) ولكن يجب أن نقترب أكثر فأكثر من حقيقة رسول الله (ص)، من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

دعوة رسول الله (ص)، إذن الزمان لا قيمة له، إذا كان الإنسان متمسكاً بأوامر الله ولن يكون هناك فاصل بينه وبين الرسول (ص)، أما إذا كان غير متمسك بالإسلام، فالبعد يكون حقيقي وموجود ويكون بذلك قد أعطى قيمة للزمان.

المشركون أمثال أبي لهب، والمنافقون وغيرهم من الذين حاربوا الرسول، ربما كان بعضهم يحضر معه في المجلس هؤلاء كانوا بعيدين عنه آلاف السنين لأنه لا يوجد جامع بينه وبينهم: أذكركم بهذه الحقيقة التي وردت في القرآن، قصة نوح وولده. قال الله تعالى: ﴿**إنّه ليس من أهلك إنَّه عمل غير صالح**﴾[1]. قال: ﴿**ربِّ ابني من أهلي وإن وعدك الحق**﴾[2] فلما حصل الطوفان أخذه الموج فكان من المغرقين، قال نوح ألست أنت قلت: ﴿**إنا منّجوك وأهلك**﴾[3] فالآيات تدلُ على أن النبي نوح (سلام الله عليه) دعا الله أن ينجيه، وأهله إلا أن ابنه لم ينج ﴿**وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**﴾[4]، الله سبحانه وتعالى أصدق الصادقين وأقدر القادرين.

المسألة في هذه، البعد في المفهوم الواقعي للأشياء، هو غير البعد في المفهوم الشكلي، والقرب الحقيقي هو قرب العقول والقلوب التي لا تتأثر بدوران الزمان، يجب أن نكون قريبين في الإعتقاد، أنا أقول من هذه العبرة، لا ينبغي أن يجعلنا البعد في الزمان بعيدين عن المنهج، وعن المسلك وعن الدعوة.

إنّ الإسلام نظام موجود صالح لكل زمان ومكان وبعد الزمان لا يؤثر على الرسالة الإسلامية، بل على العكس من ذلك تماماً هو يظهر قيمة هذه الرسالة بما هي نظام كامل للحياة، بعد الزمان لا أثر له في اتحاد المناهج.

الآن أنا أريد أن أبدأ بما أراه أعظم هذه المسائل حيوية وأعظم هذه المسائل ضرورة. وهو موضوع الوحدة. وحدة الكلمة. أنا استحي وأخجل من

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.
(٤) سورة هود، الآية: ٤٣.

الكلام عن وحدة الشيعة، وتفرق الشيعة، ولكني وجدت أنه لا بد من التحدث حول هذا المّوضوع وعنه. لأن الأمر بلغ من السوء ومن العنف ومن الشدة بحيث لم تعد تجوز معالجتهُ سلبياً وجانبياً، وإنما يجب أن يطرح على الرأي العام لأجل أن يعرف مصيره، كما قلت في معركة، وفي البقاع، قلت إنّ وضع الشيعة ليس موحداً، يوجد بينهم إختلافات كثيرة، هذه الإختلافات لا تجعلنا في موقف قوي، وتؤثر على تحرك المسلمين المستهدفين مِنْ أعداء الداخل والخارج، ونحن نجتاز في لبنان مرحلة من أسوأ المراحل، وهذه المرحلة تقتضي وحدة الكلمة. ووحدة الصف من أجل مواجهة المؤامرة التي يراد لها أن تنجح في لبنان.

من هذه الجهة يجب أن يكون هناك وعي لخطورة مايجري من إختلافات نراها بين هذا الفريق وذاك الفريق. وكلهم أخوان في دين الله، وكلهم يوجد عندهم حسن النية، ولكن طريقة العمل وصلت إلى حدود الخطر. تفرق الكلمة بمقاييس التقوى، بمقاييس الخوف من الله، بمقاييس المسؤولية أمر لا يجوز، أمضى الله هذه العاشوراء على خير وينبغي أن تكون مجالاً لوقفة الضمير عند كل رجل، وعند كل إمرأة، عند كل مَن يتولى مسؤولية من المسؤوليات. لأن الله سبحانه وتعالى سيحاسب المسؤول، لعله من أسوأ الذنوب، ومن أسوأ الجرائم، تفريق الكلمة وتغذية الفتنة. والجهد الذي يجب أن يبذله المؤمن هو إصلاح ذات البين.

هذا الإصلاح ليس مجرد الإصلاح بين شخص وآخر، بل الإصلاح بين كافة الناس، الله تعالى يقول: **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾**[1] خلافات قسم منها على أوهام، على أشباح. وأخر على أمور بسيطة، مَن يأخذ الجائزة الكبرى؟ ولكن أين هي الجائزة الكبرى؟، هي أن تخسر الناس أملاكها، أو أن تسفك دماؤها. أمْ هي في هذا الحوار الحكومي الذي يجري الآن، أو أي حوار آخر.

الناس أمرهم في هذه المدة الأخيرة إلى وبالٍ وخسران من جراء تفريق الكلمة، في كل قرية، في كل بلدة، الله يقول: **﴿اتقوا الله الذي تساءلون به**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[1] .

مسألة الوحدة، وحدة الكلمة، أيها المؤمنون واجب شرعي، أي إنسان لا يجوز له أن يفرّق الكلمة، على الجميع أن يعملوا من أجل الوحدة لأنّ فيها عافيةٌ للمسلمين، يجب أن تُلقى كلمات المودة، بحب التعاون على البر والتقوى. الإمام علي (عليه السلام) في إحدى خطبه يقول: «لعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي»[2].

علينا جميعاً أن نتقي الله في العباد والبلاد. لا تصدِّقوا ما يقال هنا وهناك من أنَّ الأمور مؤكدة، لا يوجد شيء مؤكد، لا يوجد أحد قوي. الأخطاء وسوء الإدارة التي ارتكبت من كل فريق أربكت الوضع برمته، كل مسؤول سيحاسَب من قبل الله، وأقول حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا. على كل عمل، على كل بيان صدر أو قد يصدر: يجب توحيد الكلمة؛ وهنا أطرح السؤال التالي: لماذا قتل الحسين (عليه السلام)؟.

يزيد بن معاوية هو الذي قتل الحسين (ع) بعد أن استفاد من التشرذم، من تفرّق الكلمة، العدو لا ينفذ إلى صميم واقعنا إلّا من خلال تفريق الكلمة. صحيح أن يزيد هو الذي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) إلا أن تفرّق الكلمة هو الذي ساعد يزيد على قتل الإمام (ع).

الأمر الثاني : هو وحدة المسلمين ، وفي هذا المجال أقول : أنا أتشرف أني أحد عمّال وروادّ وحدة المسلمين في لبنان ، وأوّل من تبرأ من حقوق الطائفة، ومن الحقوق الطائفية لأنها كانت وما تزال المعول الذي يهدم وحدة المسلمين .

هذه الوحدة أنا تكلمت فيها كثيراً، وسأبقى أتكلم، لأنها أعظم واجبات الشرع، وهي اليوم معرّضة للتآمر من جميع الأعداء في الداخل والخارج ومستهدفة من خطوط ثلاث:

١ ـ الخط الأول: هو خط الطائفيين هؤلاء الذين يعبدون أصنام الطائفة، وأقول أي طائفة إسلامية بمجرد أن تطرح مقولة حقوقها، فالطوائف الأخرى هي

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

أيضاً ستطرح مقولة حقوقها، فيبقى حينئذ الجميع بدون حقوق، هذه الطروحات لا يمكن أن تجدي نفعاً وستعود بالخسارة على الجميع دون استثناء.

وهذه المقولات ستكون سبباً للتباعد والتباغض والتناحر.

هذا النظام الرجعي الطائفي يعتمد على هذه المقولة حتى يُسقط الجميع ويعيش وحده.

الطائفيون الذين اعتادوا على الاستحواذ على البسطاء حوّلوا المجتمع اللبناني إلى مجتمع يعاني من البؤس والحرمان. فأصبح مجتمعاً قانعاً ومسكيناً.

والمارونية السياسية هي غير الموارنة، النظام اللبناني اعتمد في بادىء الأمر على حقوق الطائفة، طرح حقوق الموارنة، وليس حقوق الطوائف الأخرى، فهو يريد أن يرفع طائفة على حساب أخرى. هذا ما كنا ولا نزال نقف له بالمرصاد. إذاً الخط الأول هو العقلية الطائفية.

٢ ـ الخط الثاني: هو أخطاء العاملين في السياسة هنا وهناك تحت شعار أنهم لا يخطئون، وكما نعلم جميعاً، أن لا أحد معصوماً من البشر، فكانت النتيجة أنَّ الناس وقعوا ضحية هذا الشعار السياسي المزيف.

٣ ـ الخط الثالث: هو الأعداء. الصهاينة في الداخل والخارج، فإسرائيل تحاول أولاً تفريق المسلمين ويعاونها على ذلك أعوانها في الداخل اللبناني. الذين تحوّلوا إلى أدوات تنفيذية.

والمسلمون في لبنان شيعة وسنة ودروز يحاول النظام تفريقهم حتى يتسنى له استفرادهم، وهنا أقول ـ وقلت سابقاً ـ إن الذي يريد أن يحفظ لبنان، يجب أن يعرف بأن وحدة المسلمين هي التي تحفظ لبنان، وليس تفرقهم، وتكون وحدة لا ضد المسيحيين، وإنما تكون من أجل لبنان ووحدته. لأن تفرقهم يقدم لبنان هدية مجانية لإسرائيل والكل يعلم ذلك. وخاصة المسؤولين الذين انتدبوا أنفسهم لحماية الناس.

كل المتآمرين على لبنان يعملون من أجل شرذمته إلى عدة قطع تخدم المشروع الإسرائيلي في المنطقة. وتفرّق الكلمة يحقق لإسرائيل ولعملاء إسرائيل هذا الهدف، هدف تفتيت لبنان إلى شراذم طائفية.

كذلك في البعد عن رسول الله، (ص) وعن نظام الإسلام يُحقَق الهدف الإسرائيلي.

ومشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى الذي طرحناه ونصر على إنجاحه، ومصممون عليه، نحن من أجل تطبيقه نعتمد على الله والشعب، لا على هؤلاء الطائفيين أصحاب المشاريع الخاصة. ولدينا قناعة بأن هذا المشروع يحقق العدالة والمساواة في لبنان. ويحول دون نجاح المشروع الإسرائيلي فيه. نعم! «ما أكثر العبر، وما أقل الإعتبار»، الكل ينظر إلى مأساة الشعب، والكل ينتظر الحل، ولا أحد يعمل من أجل الحل. ونحن بدورنا نسأل. من هم أصحاب الحل في لبنان؟، هم الذين يعملون من أجل الوحدة، الذين يقاتلون إسرائيل وعملائها، هؤلاء هم وحدهم المؤمنون بلبنان، العاملون من أجل تخليصه من محنته. التي يتخبط فيها منذ زمن طويل.

ومن هنا نقول: إننا لا نقبل بالتسويات، وبالحلول السطحية أو الشكلية التي تعيد إنتاج هذا النظام الرجعي الفاسد حفار القبور.

هم إذا أرادوا أن يتحاوروا في مشروعنا فأهلاً وإن رفضوا التحاور فنحن لا نعتمد عليهم أبداً، بل نعتمد على الله، وعلى وعي المجاهدين.

إن معالجة الوضع بشكل تجميلي، نفاقي لا تخدم المساكين والفقراء الذين هم قاعدة المقاومة ضد إسرائيل.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا دائماً لإحياء هذه المجالس، وأن ينصر المجاهدين، وأن يوفقنا لمرضاته.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عاشوراء

سيرة تربوية للبشر



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

هذه الفقرات هي إحدى الفقرات الواردة في بعض الزيارات. ولعله في كثير من الزيارات التي يُزار بها الإمام الحسين (ع). أحد الأسئلة الهامة التي تواجه العالم في ما يظهر من ثورة الحسين (ع) واستشهاده، هو لماذا قتل؟. الحسين بن علي بن الزهراء (عليهما السلام) بنت رسول الله (ص) معروف عند الجميع، ومسألة حسبه ونسبه معروفة عند العرب والمسلمين، فلماذا قتل (ع)؟

لا شك أن النظام الأموي نظاماً ظالماً ونظام معاوية قبل نظام يزيد كان نظاماً ظالماً أيضاً، فلماذا قتل الإمام؟ وبهذا الشكل. والمجتمع الإسلامي تقبّل هذه الحقيقة بحزن وغضب وندم، وحصلت بعض الثورات بعد مقتل الإمام ضد نظام يزيد، وبعض هذه الثورات بدأتها السيدة زينب (ع).

ولكن يبقى السؤال لماذا قتل؟ سؤال أجاب عليه التاريخ ولم يعد مجهولاً،

(*) ألقيت بتاريخ ٢/محرم/ ١٤٠٧ هـ ـ ٦/أيلول/ ١٩٨٦ م.

بحيث أنَّ المجتمع الإسلامي كان مجتمعاً مشتّتاً أمام وحدة النظام الأموي، وهذا التشرذم قدم للنظام الأموي خدمات مجانية وسمح له بأن يطارد الأحرار من أتباع علي (ع) ومكّنَهُ أيضاً من ضرب الحركة الإسلامية التي كان يعتمد عليها الإمام الحسين (ع).

المجتمع الإسلامي ماذا كانت حالتهُ عندما طلب يزيد البيعة من الإمام؟.

التاريخ يقول أن كل المراسيم الإسلامية كانت محفوظة، وقسم كبير من الناس كانوا مخلصين، ولا شك في إخلاصهم للإمام، وظهر أثر ذلك بعد استشهاد الإمام بأشهر قليلة، عندما بدأت حركة التوابين بالتحرك الجدي ولقد قامت هذه بعمليات إنتحارية ضد الجيش الأموي فقتلوا عن آخرهم. أربعة آلالاف تواب، إذاً كان يوجد أناس مؤمنين مخلصين، إلا أنهم لم يتحركوا إلى جانب الإمام (ع).

لماذا؟ هل غلب الشر والفساد على المجتمع الإسلامي؟

هل تواكلوا، هل غرقوا في سباتهم؟.

الجواب هو أن كلمتهم كانت متفرقة، كانوا يعانون من عدم وحدة الكلمة التي هي أساس كل انتصار، كانوا مؤمنين ولم يكونوا متحدين، كانوا مجموعات، وكل مجموعة تعيش بمفردها. وتعمل لحسابها الخاص، وتحمل شعارها الخاص، دون أن تأخذ أي اعتبار للأمة الإسلامية وكانت كل مجموعة تعمل بعيداً عن إطار القيادة، وعن مبدأ الشورى، طبعاً مهما كثر الصالحون، إذا تفرقت كلمتهم لن يكون لهم أي تأثير على الإطلاق، ومن الطبيعي أن تكون نتيجة ذلك الهزيمة أمام أية حركة معادية للإسلام.

بعد الثورة الحسينية ظهرت حركات في العراق وفي اليمن، قسم منها خلق خلقاً، وقسم كان موجوداً ـ خلق خلقاً لشدة الصدمة ـ، بعد أن تأكدوا من مسيرة الخسين (ع) وقدسيّتها، بعد أن عرفوا الحقيقة التي أراد الحسين (ع) توضيحها، حقيقة النظام الأموي المعطل للسنة النبوية الشريفة وللأحكام الإلهية.

نعم كانت هناك مجموعات صالحة مؤمنة، ولكنها متفرقة ولم تكن تلتقي حول محور خاص، كان لكل منها مشروعها الخاص. البلاء كان مصدره فرقة الكلمة، الإمام الحسين (ع) حينما برز إلى أرض العراق لم يكن بروزه إلّا

استجابة لنداء العراقيين الكوفيين الذين كتبوا إليه أن أقدم إلينا يابن بنت رسول الله، كانت الحالة الإسلامية جيدة، إلاّ أن تشتت النفوس، واختلاف الأهواء حال دون الإنتصار وأدى إلى استشهاد خير خلق الله تعالى.

إن التفكير الخاص للجماعات الإسلامية في سنة ستين للهجرة البعيد عن مبدأ الشورى، وعن إطار القيادة أربك الوضع برمته، إلى جانب ذلك النظام اليزيدي كان نظاماً متحداً، بالرغم من أنه لم يكن يملك مشروعاً عاماً فهو استغل التشرذم والتشتت وفعل فعلته الشنيعة. وبعد مقتل الامام (ع) بدأ البكاء والنحيب.

وهنا أقول في جواب لماذا هذا الحادث العظيم، لماذا حصل:؟. أقول أولاً وأخيراً: حصل بسبب تفرق الكلمة. هذا التفرق الذي أدى إلى عدم وجود حركة إسلامية تتصدى لشرور النظام الأموي، المسألة هي هذه.

إن الناس عندما يقرأون التاريخ. إمّا لأجل التسلية، وإمّا لأجل الثقافة. وحباً منهم للمعرفة، الواحد منا يقرأ القصة، يقرأ التاريخ حباً منه للمعرفة، من أجل الإمتحان، والقرآن حدثنا عن التاريخ، قصة نوح قصة آدم، قصص الأنبياء (ع) قصة الفراعنة.

لكن التاريخ عبرة. يقول الإمام علي (ع): «ما أكثر العبر، وأقل الإعتبار»[1] التاريخ ليس للتسلية، إنما هو للتربية وللإعتبار، وليس فقط للتعلم، السيرة الحسينية هي عبرة. ينبغي أن تكون انطلاقة تربوية، سيرة تربوية، والقرآن يقول: ﴿**لقد كان لكم فيها أسوة حسنة**﴾[2] أسوة يعني النموذج، أي الطريق النموذجي، سيرة الأئمة وأصحاب الرسول (ص) الذين اتبعوه بإحسان، الناس الصالحين الذين اتبعوه سيرتهم هي أسوة، يعني هي مادة تربوية، وليست مادة تسلية، أو لأجل الأجر الثواب.

من هنا فالسيرة الحسينية ما هي إلاّ سيرة تربوية، مادة تربوية للبشر، لأن كل إنسان عليه أن يعيش داخل جسمه يهتم بأكله وشربه، وإذا اهتم أكثر يهتم بعائلته، أو بجيرانه، وإذا توسع كثيّراً يصبح رئيس وطن. الله لا يكثرهم لأننا لم نر منهم إلا الويل والثبور، ومن الممكن أن يصبح رجل إنسانية، الإمام

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٩٧.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

الحسين (ع) وصل إلى درجة الإنسانية، إرتفع إلى مستواها. مثل أبيه وجده وأمه، هؤلاء هم رجالُ الإنسانية، سيرتهم تربوية، عاشوراء هي مدرسة ثورية، أدبية، أخلاقية، دائماً تفتح أبوابها في كلّ وقت، وفي جميع الأمكنة، إنها المدرسة التي كتب على بابها (لا لإنصاف الحلول).

إذاً من هنا أؤكد على أن منطلق الحسين (ع) أسوة. وتاريخهُ مدرسة، ونعود إلى السؤال الأول، وإلى أحد الأسباب المهمة، ولعله أهم الأسباب التي أدت إلى إقتراف جريمة كربلاء، على يد النظام الأموي. المتمثل بيزيد الطاغية، هو تفرق الكلمة، ونستطيع أن نتكلم عن هذا الوضع في أيامنا الحاضرة. وتكلمت بشأنه عدة مرات، وفي أكثر من مناسبة، وقلت:

إن وحدة الشيعة اليوم ليست على ما يرام، وقضية الوحدة الإسلامية ليست جيدة. ربما بعض الناس إما عن جهل وإما عن غير علم، يقولون إن الوحدة جيدة والكلمة واحدة. والقوة عظيمة، هؤلاء إما جهلة، وإما أنهم يريدون تغطية الفتن التي تحدث هنا وهناك.

أنا أقول بأن الحالة سيئة، والمسألة تحتاج إلى وعي إسلامي، وأنتم تعرفون سوءها، وهذه الحالة تنعكس على الجميع، وهناك قضايا متفرعة عن قضيتنا مع النظام اللبناني، متفرعة عن قضيتنا مع الإحتلال الإسرائيلي، هذه القضايا لا يمكن معالجتها أو مواجهتها بحالة التفرق والتشرذم.

كما أن حالة المسلمين مع النظام اليزيدي سابقاً، ومع حالة الإنحراف الأيديولوجي الذي كان يمثلها النظام الأموي، كانت بحاجة إلى قيادة قوية تمتلك إرادة التغيير، والذي كان يملكها هو الإمام الحسين (عليه السلام) وقد قتل...؟.

ولكن السؤال الآن مَن هو الذي يملك إرادة التغيير في المجتمع اللبناني مع وجود استمرار هذا التشرذم و﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾[1] وكل فئة براياتهم يلوحون وما إلى ذلك من أمور متفرقة، كثير من الناس، أخذوا يتعصبون

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٢.

لهذه الجهة، وإلى تلك الجهة، ويرتكبون الأخطاء الفادحة بحق الدين، والوطن والمواطن.

أقول للجميع، وخاصة للشيعة، إنّ هذا التفرق لا يشكل خطراً على الساحة الداخلية فقط، وإنما يشكل خطراً على قضية المواجهة، وذلك يضعف الجبهة الداخلية.

هذا الدرس، درس الوحدة هو من الدروس التي تستفاد من كربلاء، في زمان ابن زياد ضَرَبَ الطليعة في الكوفة المتمثلة بابن عقيل (رضوان الله عليه) ما الذي حصل حتى تمكن من ضربها؟.

إن كل جماعة قالت لأبنائها: هذه القضية لا تعنيكم، لا تتدخلوا بالسياسة إلزموا الصمت ولا تحركوا ساكناً كما كانت تقول النساء لرجالها: ارجعوا إلى بيوتكم، حتى أصبحت القضية وحيدة مقابل الجيس الأموي، وأدت إلى ما أدت إليه من مقتل مسلم أولاً ومقتل الحسين (ع) وأصحابه وثانياً.

كل ذلك ناتج عن عدم وحدة الكلمة، وعن عدم الوعي السياسي الرشيد، اللذان هما ضمانة التغيير في كل ثورة، وهما ضمانة الإنتصار السياسي والعسكري.

إن التفرق ظاهرة خطرة، ولا يجوز أن تبقى موجودة وإن أي مجتمع تتحكم به هذه الظاهرة، فهو لا بد أن ينتهي، ويكون من نتائج هذه الظاهرة، الذل، والضعف، والهزيمة.

إن الجماعة المختلفة فيما بينها حول عدد من القضايا لا ينبغي لها أن تترك الوضع حتى ينعكس سلباً على حركتها، وعلى واقعها.

لقد قلت، إن الفرق الخاصة. والمشاريع الخاصة. التي تتحرك داخل فلك الأنانية لا يشجعها الإسلام، بل يحاربها، لأنها تؤدي إلى التناحر، وفي ظله تضيع القضايا، وبالتالي فهي داءٌ خطير قد أصاب الأمم الماضية.

إن الإمام الحسين (ع) كان يملك مشروعاً عاماً، ويزيد كان يملك مشروعاً خاصاً. هذا مثال على ذلك.

أنا أقول، إن الإختلاف في الرأي عمل جيد، ويجب أن نكون متفقين

حول القضايا المصيرية التي يتعلق بها المستقبل، ولا يجوز لأي فئة أن تقول أنا وحدي موجودة في الساحة، لأن هذه هي الكارثة، فالمجتمع اللبناني يعاني من هذه الجرثومة، جرثومة الاستبداد بالرأي، قلنا سابقا، ونقول الآن وسنظل نقول: أبداً لست ضد أن تتعدد العناوين وأن تتعدّد القوى بشرط أن تتعاون. الله تعالى يقول: ﴿**تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[1] لا بد من التعدد لأجل أن يكون هناك تعاون.

إذاً المقولة الأولى التي تطرحها علينا عاشوراء في هذه السنة، هي قضية الوحدة، قضية الوحدة قبل قضية القوة . يمكن أن نكون نحن ضعفاء، ونحن ضعفاء في الأساليب المادية التي فشلت في عملية التغيير.

إن الإيمان بالله وحده الذي تقوى به الأمم، وهو وحده الذي يحدّد مصيرها، ومن خلاله تستطيع أن تصنع قرارها .

لا شك أن إسرائيل والكفر العاتي هم بالحساب المادي وحساب الأسلحة أقوى منا ولو كان هناك قوى مادية هائلة إلى جانب تفرق الكلمة فلا يمكن أن تنتصر أية فئة مهما كان نوعها، لأنّ هذه الكلمة هي الأساس وتاريخ الرسول والمشركين أكبر وأعظم دليل على ذلك.

فالرسول (ص) والذين كانوا معه، كانوا ضعفاء والله تعالى يقول عن المسلمين: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾، لقد نصرهم الله لأنهم كانوا يقولون كلمة واحدة، وينطلقون من إرادة واحدة، فالرسول (ص) عبر في آخر لحظة في معركة (حنين): «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»[2] تعتبر إحدى معارك التاريخ الكبرى ٣١٥ شخص كانوا في المعركة، ما الذي نصر الرسول؟، وحدة الكلمة هي التي نصرتهُ، الجبهة الداخلية كانت متوحدة في المدينة.

الآن في المجتمع اللبناني لا القوى المتصدية متجانسة متحدة، ولا الجبهة الداخلية متحدة، هؤلاء الذين يظنون أنهم قادرون على أن يديروا الأمور بكلمة،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) انظر كنز العمال: خ ٣٠٢٢٦.

هؤلاء لا نظن أنهم يملكون العصا السحرية، لقد وصل الخلاف إلى مستوى الكارثة، وحتى الآن لا زلنا نسمع مقولة سلامة الوحدة، وسلامة الصف.

إنّ درس الإمام الحسين (ع) إذاً هو درس الوحدة، وقضية الوحدة هي قضية قرآنية وثابتة، ولا يمكن الخروج من مسؤوليتها على الإطلاق. ولا يمكن الإحتيال عليها. بأي وجه من الوجوه.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من العاملين من أجل الوحدة، وأنا أكرر هذا الكلام، أنا لا أقول أن يندمج الناس في صيغة واحدة، هذا لا يمكن وعلى كل جهة أن تنطلق من مصلحة المجتمع، إلّا أن ذلك ينبغي أن يتم ضمن إطار الشورى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.



المعاني
التي تحملها عاشوراء



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك. عليكم مني سلام الله. أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

في هذه الأيام نحن نتذكر الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه (سلام الله عليهم)، كذلك نحن نتذكر تلك المعاني التي تحملها عاشوراء، وهي معاني كثيرة.

من جملة معانيها التي يحتاجها الناس في هذه الأيام معنى المواساة وهي أن تواس غيرك في شدته ومصيبته، المواساة - كما نعلم جميعاً - لا تكون إلا في الضيق والحاجة.

عندما يكون الناس جميعاً في رخاء لا معنى للمواساة.

إذن عاشوراء من دروسها المهمّة العظيمة، المواساة، وإيثار هذه الدروس من أكثر الدروس أهمية، وإذا لم نمارسها في حياتنا العملية لا نكون حسينين بالمعنى الحقيقي.

(*) ألقيت بتاريخ ٦/محرم/ ١٤٠٧ هـ-١٠/أيلول / ١٩٨٦م .

أنتم تسمعون من قراء التعزية، عن تصرّف أهل البيت (ع) بعضهم مع بعض، وعن سلوك الأنصار بعضهم مع بعض، وكان من أخلاقهم خُلق المواساة في كربلاء.

نحن نعرف أنه بعَد يومين أو ثلاثة أيام بدأت ذخيرة الماء والطعام تنفد، وبدأ الجوع والعطش يضرب أحشاء الرجال والنساء والأطفال.

إن الإمام الحسين (ع) وصل مع ركبه وصحبه إلى كربلاء في اليوم الثامن من المحرّم وكان معهم بقية من الماء والطعام فنفد. لأن الحر بن يزيد الرياحي والجيش الذي كان معه أكلوا وشربوا كل ما كان بحوزة الإمام من الطعام والماء. ولم يكونوا محاصرين عسكرياً فقط، بل كانوا محاصرين غذائياً ومنع عليهم كل شيء.

ولكن الخُلق الذي كان يحكم الجميع هو المواساة، لقمة الطعام أو شربة الماء كان الواحد منهم يعطيها للآخر، يؤثر الجميع على نفسه ـ والله يقول: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**[1] الخصاصة يعني الجوع، خُلق المواساة هو خَلقُ الإسلام ويقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ومن يُوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**[2].

ما هو الشخ بالنفس؟؟

إن الإنسان يخصص نفسُه بالمال والطعام والجاه.

الإيثار هو أن لا تخصص نفسك، وإنما أن تشارك الآخرين يبقى المثال الكبير الكبير هو مثال أهل الكساء. حينما مرض الحسن والحسين (عليهما السلام)، فنذرت الزهراء (ع) إن شفيا أن تصوم وزوجها ثلاثة أيام، فكان الإمام علي (ع) يعمل في النهار ويُطعم ثمار عمله للمساكين في الليل.

في اليوم الأول جاءالمسكين،في اليوم الثاني جاء اليتيم، في اليوم الثالث جاء الأسير، فكانوا (سلام الله عليهم) يطعمون طعامهم للمساكين وينامون بدون طعام، كانوا يؤثرون على أنفسهم المساكين وهم جائعون.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

كما قلت لكم هذا هو الخُلق الإسلامي المحمدي. كان هو المسلكية في كربلاء، شربة الماء يعطيها الواحد للثاني، إلى أن نفد كل شيء معهم.

فالمجتمع بدون مواساة ينتهي إلى الفوضى الإجتماعية. ويغرق في المشاكل التي من شأنها أن تضعفه وتهدده، ولكي يستقيم المجتمع لا بد أن تكون الأخلاق موجودة. المجتمع يقوم على الأخلاق، على المواساة، على التعاون، الإنسان مفطور على أنه محتاج: إلى أخيه، وإلى جاره. وإلى كل مَن هم حوله.

فالمجتمع يقوم على علاقات الحب والولاء، الناس يكمّل بعضهم بعضاً، خاصة عندما يكون هناك أزمة، الآن في المجتمع اللبناني وخاصة بين المسلمين توجدُ أزمة، أزمة المجتمع، وكربلاء تضع لنا الحلول لها.

هي تضع الحلول لكل المشاكل التي نعاني منها، يجب أن نتذكر معاني كربلاء، لأن التذكر يساعدنا على تخطي هذه الأزمة التي تضربنا جميعاً.

ليس عجباً أن يتعرّض مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلى نكسات ومصائب اجتماعية، لأن ذلك يكون نتيجة لعدم وجود أخلاق في هذا المجتمع، لعدم وجود مواساة، الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾**[1] المصائب الإجتماعية دائماً تأتي نتيجة لصنع البشر، ونتيجة لأخطاء البشر وظلم البشر بعضهم لبعض: مثال القرية في القرآن معروف: معنى الآية: **﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً ... فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾**[2].

إذاً نتيجة لأعمال الناس تأتي المصائب الإجتماعية.

فالمجتمع اذا كان فاسداً، منحرفاً، لا بد أن يدفع الثمن في سياسته، واقتصاده، في كل المجالات.. وهنا أسأل. مَن المسؤول عن جوع الناس؟؟

أحياء في بيروت وضاحيتها وفي أماكن أخرى، كانت غنية. أصبحت اليوم فقيرة، لماذا؟؟.

إن المسؤول هو النظام اللبناني الطائفي، والأحزاب مسؤولة أيضاً: فلاح -

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٢.

مزارع. تسلم قطعة أرض، أعطوه آلة الحراثة، أعطوه كل شيء، طلب كل شيء فأعطوه إياه. في النتيجة يجدون الأرض هالكة. ليس فيها شيء.

يقول أنا لست مسؤولاً!!؟..

عمر بن سعد، يقول أنا غير مسؤول. المسؤول هو يزيد بن معاوية:!

الزعامات هي المسؤولة عن جوع الناس.

حقوق الطائفة أين هي؟.

هي أن تذهب العائلات الكريمة لتبحث في النفايات عن طعام لها!!...

الآن جماعات وأحزاب يقفون على المنابر، أمام جوع الناس أخبروني مساءً على التلفزيون أنيّ فضحت الأمور.

نعم أنا وظيفتي أن أفضح الأمور، الأحزاب تأخذ ما تريد والآخرون يموتون جوعاً، بيوتهم خالية من كل شيء.

هذه هي حقوق الطائفة؟؟.
هذا هو الإصلاح؟؟.
هذه هي حقيقة الشعارات التي يحملونها ويرددونها؟؟.

أنا أيدت هذه المظاهرات، وإذا استطعت سأنزل بعمامتي معهم إلى الشارع، أصبح الدين تجارة، والإسلام تجارة؟.

أيها الفقراء في هذا الحي الفقير استعدوا لمواجهة هذا الوحش الكاسر الذي يريد افتراس قضيتكم العادلة.

ولكن أحذركم من الإعتداء على الأملاك العامة والخاصة، لأنه لا يجوز أن تخلطوا عملكم بعمل حرام، لأن عملكم محبوب من قبل الله سبحانه وتعالى.

فالزعامات السياسية تنصب الفخ حتى تُسقط كل الأوراق الإجتماعية. تريدكم أن تكونوا أنتم الضحية في أيام الرخاء وفي أيام الضيق، أحذروهم. المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سيتابع تحركه وسيفتح أبوابه للجميع وسيقدم كل ما باستطاعته من المساعدات.

انطلاقاً من شعار كربلاء. انطلاقاً من خُلق الإسلام، وسأتكلم مع الجميع بشأن المسألة الإقتصادية لعلنا نستطيع توفير بعض الحلول. ولو الجزئية لمواجهة هذه الأزمة المفتعلة من قبل أدوات المؤامرة.

في وقت الرخاء، لا نعمل للمواساة، فقط حينما نكون في عوز، في ضيق، وسأنقل لكم قصة تسمعونها من قراء التعزية، قصة مشهورة عن العباس (سلام الله عليه) وهي عندما خاطبه الإمام الحسين (ع) بالذهاب ليأتيه بشيء من الماء وكان لسانه يابساً من شدة العطش، وكانت القربة في يده. فعندما وصل إلى الماء مدّ يده ليشرب تذكر أخيه الحسين (ع) وأهل بيته (ع) فرمى الماء من يده.

هذه هي المواساة لا يريد أن يشرب والحسين وأهل بيته (ع) عطاشى.

نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم، وأن يوفقنا دائماً لإحياء هذه المجالس.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



المجالس الحسينية
تتميز بقدسيتها



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد، وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

أولاً : أريد أن أشير الى بعض النقاط، وعادة أشير إليها في كـل سنة في هذا المجلس الكريم . نقاط يقتضيها الصدق ، والوفاء .

هذا المجلس في (برج البراجنة)، وفي ضاحية بيروت الجنوبية، هو أكبر مجلس من مجالس عاشوراء، أقيم حينما كانت إقامة المجالس تتم نتيجة للولاء لأهل البيت (ع)، وثباتاً على خطهم، وتعلماً من مدرستهم.

هذا المجلس التاريخي الذي لا يزال مستمراً حتى الآن، وسيستمر بنمو إن شاء الله تعالى، والذي انبثقت عنه هذه المؤسسات الكبيرة والجليلة المتواضعة.

إنه مجلس حسينيّ، محمَّدي، حقيقيّ، أقول هذا الكلام وأنا أبارك، وأُحيّـي كل مجلس، وكل اجتماع ينعقد على ذكر أهل البيت (ع)، وعلى خط أهل البيت وعلى ولاء أهل البيت (ع).

(*) ألقيت بتاريخ ٧/محرم/ ١٤٠٧ هـ-١١ /أيلول/ ١٩٨٦ م.

أنا أنبه وأحذر من أنَّ مجالس عاشوراء في عاشوراء، أو في غير عاشوراء، من أيام السنة، من مواسم وذكريات الإسلام، بدأت تأخذ منحى يمكن أن يكون على غير مضمونها الحقيقي، وعلى غير مفهومها الحقيقي وقد يكون ذريعة إلى أمور أخرى قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة، ولكن لا يجوز أن تكون في كلا الحالين مستمرة تحت ستار مجلس العزاء.

ومن هنا تكمن مسؤولية الجميع في المحافظة على هذا المجلس وعلى أمثاله من المجالس التاريخية في منطقة (بيروت) وضاحيتها، لأن الحضور فيه، مكاناً وزماناً، ليس مجرد حضور إلى مجلس عزاء، وإنما الحضور فيه هو حضور في الخط التاريخي الذي أسس في هذا البلد على يد المتقين المخلصين وفي مقدمتهم الإمام الصدر، لأجل بعث الحياة والحيوية في الحياة الإسلامية العامة، وفي الحياة الإسلامية الخاصة.

ينبغي على الجميع أنْ يحافظوا على هذه المجالس وعلى قدسّيتها، عندئذ نكون من الموالين لأهل البيت (ع).

إن كربلاء هي مدرسة تعلمنا كيف نثور؟ وكيف نسكت؟ وعلام نثور؟ فإن تأصيل الخط التاريخي مطلوب لإنقاذ المستضعفين والمحرومين من شرور ومساوىء النظام اللبناني الرجعي، وسياسته التي أدت بالناس إلى ما أدتّ إليه، لأن ثورة الحسين (ع) لم تكن إلا من أجل إنقاذ المسلمين من شرور النظام الأموي. هذا يقتضي المحافظة والالتزام بخط هذا المجلس.

السنة الماضية قلت هذا الكلام، أو مضمونهُ والآن أُشدّد عليه. هذه هي النقطة الأولى.

ثانياً : أما النقطة الثانية : وهي متصلة بأخلاقيات النقطة الأولى . وتدور حول المظاهرات الإجتماعية والاضراب في بيروت والضاحية للتعبير عن السخط والاستنكار ، عما آلت اليه سياسة الحكم والهيئة الحاكمة ، ومن يتصدى للشؤون العامة من السياسيين ، الذين أوصلوا البلاد والعباد الى ما وصلوا اليه ، بحيث لم يصلوا الى حافة الجوع ، وإنما دخل الجوع الى بيوتهم .

أنا أقول كما سمعتم، حقيقة، نحن بأفكارنا، وأرواحنا، وقلوبنا، جزء من

المتظاهرين الذين خرجوا ليحتجوا وليرفعوا أصواتهم ضد السياسة التي أدت بالناس إلى هذا الواقع السيء!.

الآن يوجد أمرين:

الأول: إن الإعتداء على الأملاك العامة والخاصة محرّم شرعاً، ولا يطاع الله من حيث يُعصى! ولا يمكن أن نتوصل إلى العدل بظلم بعضنا البعض.

فمن هنا نحن نؤيد كل تحرك يُدخل شيئاً من الوعي إلى القلوب، ويبعث شيئاً من الحياة الى المسؤولين الذين لا حياة عندهم.

إن الإحتجاج عمل مشروع وحسيني ولكن بشرط أن لا يشوه هذا العمل بالإعتداء المحرّم على الأملاك العامة والخاصة.

الثاني: إنَّ الكثير لا أقول الكل، من المشتغلين في الشؤون السياسية، أقول بكل أسف وبكل مسؤولية، وأنا مضطر أن أقول: وبعض المشتغلين بالشؤون الدينية، هؤلاء يحاولون أن يتسللوا إلى هذا التحرك الجماهيري، لأجل أنْ يسخروه لمآرب حزبية وسياسية.

إنَّ هؤلاء وأمثالهم. حين كان الناس في رخاء، وفي سعة، استغلّوا أحلام الناس بأغطية كثيرة منها:

حقوق الطائفة، التجديد، الإصلاح، مناطق محرومة، وأخيراً المقولة الإسلامية دخلت البازار، حتى أحرقت الناس: قسم من أولادهم في المقابر، وقسم آخر في المستشفيات، وقسم اليوم يبحث عن لقمة العيش، عن الدواء...

استغلَّ هؤلاء حالة الرخاء، والسعة في الماضي، والآن يحاولون أن يستغلّوا حالة البؤس والشقاء، من الأصحاء والمرضى أغنياء وفقراء!

أنا أقول لكم: إحذروهم، لا تسكتوا عن الإحتجاج، اضغطوا بكل ما استطعتم، بحيث أن المسؤولين عن القرار السياسي، والإقتصادي، والنقدي يتحملون مسؤولياتهم.

نحن اليوم نتكلم من مجلس تاريخي من مجالس الذكرى الحسينية، فنذكر كلمة سمعتموها مراراً، عن علاقة الحاكم بالمحكوم، علاقة الحاكم بالشرع.

إن هذه العلاقة لها صفة عمودية، نظرة الناس إلى الحاكم، إلى النظام من تحت إلى فوق، من جهة أخرى يوجد علاقة عمودية أيضاً، كيف ينظر الحاكم إلى الناس؟ ينظر من فوق إلى تحت.

في شريعتنا يوجد مثال بارز لعلي بن أبي طالب (ع) عن علاقة الحاكم بالناس، يقول الإمام (ع): «لو شئت لاهتديت الطريق، إلى مصّفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة ـ ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع ـ أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى. . . أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها»[1].

هذا هو نموذج العلاقة، جوهر العلاقة بين الحاكم والشعب.

وفي موضع آخر يقول الإمام (ع): «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة، ما فعلته، . . . ما لعلي ولنعيم يفنى[2]. . .

هذا هو المسؤول الذي لا ينام، الذي لا يسكت، الذي يتحرك من أجل خدمة وسعادة وكرامة الناس.

المسؤول الذي ينام ويترك الجياع على المزابل كالمسؤولين في لبنان، في النظام، في الهيئة الحاكمة، كيف ينام هؤلاء؟؟

هذا هو الحاكم، وهذا هو المسؤول أن يشعر بآلام الناس. أن يلبي حاجات الناس ما استطاع.

أمام هذا المثال، ماذا نسمي هذا النظام، وهذه الهيئة الحاكمة التي أتى بها الزمن العضوض؟؟

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

يقولون لنا «اعقلوا»! على أي شيء؟ على هذا النظام الملعون؟! أبداً لا يجوز السكوت عليه! ولن نقبل أن يستبدل هذا النظام الملعون بنظام ملعون آخر، لا بد من التغيـير!

الإمام الحسين (ع) عرضوا عليه الإصلاح.

وعرضوا عليه الإمتيازات العائلية.

وعرضوا عليه أن يتفاوض، أن يعمل مفاوضات.

ولكن على أي أساس، على أساس ترقيعي ولكنه رفض. إلا أن ينحل النظام الأموي ويعود الأمر شورى بين المسلمين.

وهم أصرّوا على ظلمّهم وهو أصرّ على الشورى، فكانت المعركة. وحصلت الجريمة، كربلاء حصلت نتيجة لتصادم مشروع الشعب ومشروع السلطة الظالمة.

إذاً: حلول جزئية لا نقبل، ولو كنا نريدها لحصلت سنة (١٩٧٥ ـ ٧٦ ـ ٨٠) وما بعدها، بعد أن هدموا كل شيء، ودمرّوا كل شيء، ولم يتركوا بيتاً إلا أدخلوا إليه مصيبة وجثة.

أبداً لا نوافق إلا على التغيـير الجذري لهذا النظام الفاشل.

ولكن نحن قلنا ونقول: إن هذا شيء، والمسألة الإقتصادية شيء آخر. والربط بين المسألتين لا يجوز. بحيث لا يمكن التفكيك الكامل بين الأزمتين.

يجب معالجة الأزمة الإقتصادية بأي شكل من الأشكال، في الماضي كانت المشكلة الإقتصادية، وكانت المشكلة السياسية، ولكن الربط هو الذي يمنع من حل الأزمتين.

من المساعي التي تبذل لأجل اصلاح الوضع على قاعدة الإجتماع الوزاري الذي دعي إليه.

نحن من طرفنا نؤيد الدعوة إليه، لا بد من الإجتماع. أيضاً المؤتمر الوطني نؤيده، ولكن على شروط معينة.

نحن لا نؤيد أي حوار بطريقة عشوائية.

ونحن قبل الموافقة على مَن سيشارك فيه يجب أن نعرف الأسس لهذا المؤتمر، إذا كانت تعتمد الإصلاح أو لا .

نقول: كان هذا حصل في (جنيڤ) و(لوزان)، أو في السنين الماضية، المشروع أو المؤتمر الوطني هو مشروع إنشاء سلطة، ونحن نؤيد كل تفاهم يقرب اللبنانيين بعضهم من بعض، الآن ما هو مشروع الحكومة؟؟؟

هم الآن يأخذون الأموال من المصارف، هذا الأمر لا بد من متابعته، وهذا الأمر الموقف منه موقف كربلائي.

لم يخرج الإمام الحسين (ع) من (مكة) إلى (كربلاء) لأنه كان يختلف سياسياً مع يزيد، وكذلك الإمام علي (ع) كان على خلاف سياسي مع الذين قبله، الإمام الحسين أيضاً اختلف مع معاوية ولكن الأمر مع يزيد تجاوز الإختلاف السياسي، وصل النزاع إلى العقيدة، إلى التراث، إلى المبادىء، إلى ثقافة الناس.

الإمام (ع) لم يتحرك من خلال الخلاف السياسي، بل تحرك لأن النظام هيمن على كل القبائل بواسطة القمع، أو بغيره، أو بواسطة الاسترضاء من خلال الأموال كما هيمن على رؤساء القبائل بالتهديد أو الترهيب حتى استسلموا له فانعدم وجود مَن يقول لا للفساد إلا الإمام (ع) الذي وجد ضرورة الثورة التي لا بد منها. فأصبحت حتمية، وجاء الإمام الحسين (ع) ليوقّت الثورة الإنتحارية.

كربلاء ليست صرخة سياسية في مواجهة هذا الظلم، وإنما هي صرخة اجتماعية، اقتصادية، إنسانية، في مواجهة ظلم الناس، من أجل العودة بالأمور إلى طبيعتها، إلى ما كانت عليه في زمن الرسول الأعظم (ص).

إنَّ جوهر التحرك الحسيني هو هذا، وهو الجوهر الذي ينبغي أن يحركنا في مواجهة الظلم الذي نتعرض له في زماننا هذا.

قبل أيام مرت ذكرى الإمام السيد موسى الصدر ورفيقيه، الشيخ محمد يعقوب، وعباس بدر الدين ـ في هذه السنة، نستعيد ذكرى جريمة الإخفاء، لنرى نظام القذافي الشيطاني، إلى جانب الأنظمة الأخرى التي لم تحرك ساكناً في مواجهة الشياطين، وكل مَن سكت على جريمة الإخفاء هو شيطان!

والنظام العربي بكل أصوله وفروعه، وأشكاله وألوانه يلهث وراء أمريكا، ويطالب بأعلام لكي ترفع على السفن (أعلام أمريكية) هؤلاء الذين يطرحون القومية العربية، كالقذافي الذي يدّعي الإسلام وكأنه جديد عليه، الإسلام لا يكون بالركض وراء الأمبريالية ويخطف الإمام الصدر!.

يظنون أن الإمام الحسين (ع) لا يتجدد، نعم انه يتجدد، والإمام الصدر موجود في القلوب وعلى الأرض، وكربلاء لا يحدها زمن، وإنما هي مستمرة وفي كل يوم نعيش ثورة كربلاء، وعلى كل أرض:

وأخيراً: أسأل الله لكم التوفيق طالباً منه أن يوفقنا لإحياء هذه المراسم لذلك يجب أن نتخوف من القارعة قبل أنْ تحل بنا، وأنْ نسأل عما جهلنا، وأن ننتفع بما علمنا.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



مفهوم ثورة
الامام الحسين (ع)



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت، وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

هذه الفقرات كما يعلم الكثيرون هي احدى فقرات الزيارة التي يُزار بها الإمام الحسين (ع) وأصحابه (رضوان الله عليهم) في صيغ مختلفة، وفي مناسبات متعددة واردة في الزيارات المطلقة للحسين (ع)، وواردة أيضاً في بعض الزيارات المخصوصة وفيها مقارنة بين السلام عليه، والسلام على أصحابه اللذين استشهدوا معه.

إذن هناك اقتران في الحياة. وفي المصير بينه وبين هؤلاء.

وهذا الإقتران هو الإقتران الرسالي. الإقتران الذي ينشأ من وحدة الهدف، من وحدة الموقف، ووحدة المصير، بعضهم كان يعرف الإمام الحسين (ع) من زمان جده النبي (ص) وبعضهم كان يعرفه من زمان أبيه، ولكن بعضهم من الرجال والنساء، اللذين كانوا في كربلاء، لم يعرفْهُ إلا أياماً معدودة ألتحق به في

(*) ألقيت بتاريخ ٧/ محرم/ ١٤٠٧ هـ - ١١/ أيلول/ ١٩٨٦ م.

الطريق، وبعضهم لم يعرفه إلّا ساعات معدودة.

عاشوراء هي بحسب المراسيم المعمولة بمأتم الحسين (ع) عشرة أيام تبدأ في اليوم الأول من المحرم، وتنتهي في اليوم العاشر منه، وإلّا عاشوراء حقيقة، مسألة كربلاء كواقعة من بدايتها إلى نهايتها، استمرت أقل من يومين، والمعركة استمرت ساعات عـــدة وقليلة، لعله أربع ساعات أو خمسْ ساعات.

في اليوم الثامن لعلهم وصلوا إلى كربلاء، وفي اليوم العاشر عند الظهر انتهى كل شيء.

المعركة بــدأت صبيحة اليوم العاشر، وانتهت عند الظهر بعضهم عرفه في اليوم العاشر، أصبح معه يتبنى موقفه وخطه، وهدفه، وشاركه في مصيره في ساعة واحدة مثل «الحرّ الرياحي».

السلام عليكَ يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، السلام عليكم مني أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

رفقة المصير هكذا لا تخضع لمقاييس الزمان، وإنما تخضع لمقاييس القيمة النوعية، وتخضع لمقاييس المضمون في ساعة واحدة، «الحرّ الرياحي» (رضوان الله عليه) أو كثير من الرجال والنساء في ذلك اليوم، دخلوا في هذا الضمير، ضمير السلام عليكم الذي فيه الحسين (ع).

فيما تكون هناك علاقة، قد تصل إلى علاقة الدم، هذه العلاقة قد تستمر عشرات السنين وتؤدي إلى الهدف المطلوب. وحين لا تكون هناك وحدة المصير الناشئة من وحدة الهدف، من وحدة الإلتزام. لا يمكن أن يجمع شيء بين انسان وانسان آخر، وأكبر مثال قـلتـه على هذه الحقيقة، المقابلة للحقيقة الحسينية العلوية المحمدية. هو مثال «نوح وابنه».

أنتم تعلمون أن نوحاً بعد أن يئس من قومه، وحلّ القدر الإلهي بهؤلاء القـوم، تلقى وعداً إلهيـاً بنجاتـه، ونجـاة أهله. ﴿**إنا منجـوك وأهلك إلّا امرأتك**﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.

وفيما حدث الطوفان لم تنج امرأته، ولم ينج ابنهُ بعد أن حاول اللحاق بأبيه في الفلك: يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿**وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**﴾[1]

هنا نبي الله نوح تعجّب ودهش، وقال ربّ: ﴿**أن ابني من أهلي، وأنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين**﴾[2] هذا من أهلي، هذا ابني، وأنت قلت ﴿ **إنا منجوك وأهلك** ﴾[3] تعرفون الآية الكريمة ﴿ **أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح** ﴾﴿ **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾.

هنا توجد وحدة الدم، وحدة النسب، العشرة الطويلة، أبوّة، بنوّة.

ولكن لا توجد وحدة المصير لذلك كان عالماً منفصلاً تماماً، عالم نوح، وعالم ابن نوح.

بينما عالم الحسين (ع) وعالم الذي عرفهُ نصف ساعة، «الحر الرياحي» (رضوان الله عليه) ما أمن نصف ساعة حين قال هل لي من توبة ؟ قال (ع): نعم، وقال له أكون فارساً خيرٌ مني راجلاً ، آمن بالله تعالى وذهب للقتال.

إن حمية خَمْسُ دقائق أدخلتهُ في ضمير السلام عليكم. في حالة الإتحاد مع الحسين (ع) «عليكم مني سلام الله أبداً....».

بينما علاقة الأبوة والبنوة عشرة العمر، العمر كله مع ابن نوح، فقال تعالى: ﴿**أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح**﴾﴿ **وحال بينهما الموج...**﴾.

هذه المسألة هي من المسائل الأساسية في أخوة أهل الإيمان، لأن أخوة الإيمان تتجاوز الشكل هي ذات قيمة نوعية هي ذات مضمون، في أخوة الإيمان الشكل يجب أن يحفظ لكن المدار دائماً على الجوهر وعلى المضمون.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٦.

من هنا الحرمة العظيمة التي يعطيها الله تعالى لهذه المسألة من الأخوة التي يجعل المساس بها من الجرائم الكبيرة في الشرع.

أخوة الإيمان!

أنتم تقرأون القرآن وأوصيكم به خيراً، وأوصيكم بـ (الصحيفة السجّادية) و(بنهج البلاغة) هذه الكتب هي الأساس للفكر الإسلامي الصحيح والمستقيم:

إن الآيات المباركة التي تتحدث عن أخوة أهل الإيمان وعن حُرمة هذه الأخوة تعرفونها الآيات الكريمة، أولها ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[1] ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً** ﴾[2] ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** ﴾[3].

أنتم تعرفونها جميعاً، أنا حزين، ولست غاضباً. أنتم تعرفون الحكم الشرعي والأخلاقي الذي يقول: «أحمل أخاك على سبعين محمل»[4].

وهنا نرى الأثر الكبير لكلمة أمير المؤمنين عليّ (ع) الذي يأمر فيها بأن لا تترك محملاً من محامل الخير لأخيك إلا وتحمله عليه تعرفون ما معنى ﴿**تنابزوا بالألقاب**﴾.

أنا قلت في مجالس كثيرة وأقول الآن في مجالس عاشوراء ـ الله يقضّيها علينا بالخير هذه السنة ـ وقبلها تحدثت عن قضية الوحدة، وقلت: أنا لست ضد أن يختلف الناس، ولكن ضد التخاصم والتقاتل، وهنا أسأل علام التقاتل؟ على وهم على (مسخرة!!).

في الماضي في أيام الجاهلية قبل الإسلام كان كل العالم جاهلياً، وبعد الإسلام كل من ليس مسلماً فهو جاهلي. (أمريكا) تعيش حقيقة الجهل، (أوروبا) كذلك (روسيا) كذلك، الجاهلية موجودة ولا تنحصر أبداً بمرحلة ما قبل الإسلام.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٤) انظر كما في البحار: ج ٧٢ ص ١٩٦.

في المسلمين يمكن وجود جاهلية. وفي زمان الرسول (ص) كـانت موجودة، وكل الحروب التي خاضها كانت ضد التقاليد الجاهلية التي أراد الله لها أن تزول.

كان يوجد قبائل وعشائر، وكل قبيلة لها رئيس، ولها نظام، ولها مصالح، ولها مراعي خاصة، وطرق خاصة. تتاجر بأنواع معينة من التجارة ولها مكان في الأسواق العامة في سوق (عكاظ)، وفي أسواق المدينة القديمة، لها أماكن مخصوصة وتشملها عصبية واحدة وهي عصبية الدم إذا تخاصم اثنان، واحد من هذه القبيلة، وواحد من تلك، كانت العصبية تأخذ دورها في حلّ المشاكل وأيضاً في سفك الدماء، التنابذ بالألقاب حدث في زمان رسول الله (ص).

ولقد ظهرت هذه العصبية مع صحابي عظيم (رضوان الله عليه) مع أبي ذر الغفاري. أنه تلاسن مرة مع عمار بن ياسر، فأبو ذر قال له: «يا بن السوداء!»، عيّره بأمه سمية (رضوان الله عليها) هذه الشهيرة العظيمة كانت سوداء. فقال له الرسول (ص): استغفر يا أبا ذر! «أنك امرؤ فيك جاهلية»[1] المعنى هو أنه يبدو لي أنك لست نظيفاً كلياً منها. هذا هو تعليم الإسلام.

إن قذف المؤمن لا يجوز، قذفه بالزنا أو بالخيانة، وكلاهما فيه حد من الحدود، حد بجلد ثمانين جلدة.

وحدّ استشرى في المجتمع! التنابذ بالألقاب في هذه الأيام آخذ مداه.

أما اليوم فقد صارت الأحزاب مكان القبائل بكل صراحة. وأنا، أناشد الجميع وأقول: أي جهة شعبية تحتاج خادماً، أنا خادمها الصغير وأناشدكم كلكم العمل من أجل الوحدة، لأنها من أولى مهمات الشرع وواجباته.

وأنا ألتمس منكم التجاوب، وأناشد المثقفين والمشايخ أن يضعوا حداً لما يجري في هذه الأيام، يجب أن تُحدّ كل التجاوزات وأقول: ليس الشيعة في أحسن حالة أبداً، إن شاء الله تعالى لن يكونوا في أسوأ حال، ولكنهم قطعاً ليسوا في أحسن حال.

إن الجسم الشيعي لم يعد يحتمل المزيد. فاتقوا الله في أنفسكم جميعاً.

---

(١) مسند أحمد: ج ٥ ص ١٦١.

يمكن أن يكون كل انسان مخطئاً، ومن المؤكد أنه من الواجب الشرعي حمله على الصحة، الله يرحم جميع القتلى، ويشفي جميع الجرحى.

أنا تحدثت في آخر مرة في معركة عن ثلاثة مفاهيم:

أولاً: مفهوم الموت الذي يشترك فيه جميع الناس.

ثانياً: مفهوم الضحية.

ثالثاً: مفهوم الشهادة.

نحن بحاجة لشهداء، نعم من أجل شيء نريده جميعاً وهو قضيتنا، وحريتنا، وكرامتنا على أساس اسلاميتنا ولكن حرية وكرامة بأي ثمن لا: لا يجوز.

إن القاعدة الإسلامية هي أساس الحرية، وهي أساس الكرامة، ولكن! ما نريد قوله هو التالي: ألم يكفنا ضحايا. ألم يكفنا الموت بالغلط والهدم بالغلط، والجرح بالغلط.. الخ.

هذا الكلام أقوله للجميع وأبرىء ذمتي مع الله سبحانه وتعالى ومع الجميع هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: التي أريد أن أحدثكم عنها، هي مسألة تهمنا جميعاً، غداً هناك اجتماع لمجموعة من الناس، هم أعضاء هذه الحكومة، الشيء المسمى حكومة في لبنان. الذين تقاطعوا عشرة أشهر، والآن اتفقوا على أن يجتمعوا تحت عنوان الحوار.

أولاً: فيما يتصل بمناسبتنا بالحسين (ع) والذي هو إمام من أئمتنا (عليهم السلام) والذين هم تلاميذ القرآن وخريجو القرآن فمسألة الحوار هي مسألة جوهرية وأساسية ومن هنا كان النبي (ص) محاوراً عظيماً وكذلك الامام علي والحسن والحسين ولم يلجأ أحد منهم الى استعمال القوة، والحرب، والقوة لا تكون الا بعد أن تسقط جميع امكانات الحوار، والإمام الحسين (عليه السلام) تسمعون من قراء التعزية. قال: «ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ

قـد ركـزّ بين اثنتين بين السلّة والـذّلـة »[١] بين المـوت والخضـوع فهـو (عليـه السلام) عرض عليهم خيارات كثيرة للحوار ، ولكنهم رفضوا كل الخيارات .

العرض الأول كان أن يرجع من حيث أتى ، وهم لا يريدون منه العودة، بل أرادوا أن يأخذوا منه البيعة ليزيد أو الموت.

واليوم نحن نعرض عرضنا على النظام. وعلى اللبنانيـين أن يعود الأمر شورى بينهم، ولكن النظام رفض وقال لنا، إما أن تخضعوا، وإما أن تقتلوا.

حينئذ اختار ـ الإمام الحسين (ع) ـ هذا الطريق الشريف الذي نتبرك به بذكراه، ونتعلم منه.

نحن انطلاقاً من القرآن والسنة النبوية الشريفـة والأئمة المعصومين (ع) نلتزم بفكرة الحوار.

نحن كنا نقول دائماً، واليوم نقول أيضاً: يجب إغلاق الملفّ الأمني ، وترك السلاح، وعدم استعماله للتعبير عن الرأي السياسي، أو لفرض الرأي السياسي!

ونقول فلنتجاوز شعارنا، قولوا للناس حسناً، للناس مسلمهم وكافرهم: أدعوا بالتي هي أحسن، بالموعظة الحسنة. **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[٢] الجدلية يعني الحوار.

من هذا المنطلق، نحن كما قلنا منذ أيام، وكررنا هذه المسألة في الأيام الأخيرة، القلوب مفتوحة، والعقول مفتوحة. بضمائر مخلصـة؛ نوافق على الحوار. وأقول: إن الإجتماع الذي عقد لم نستشر فيه إلى الآن، لم يستشرنا أحد، ولكن نعلن أن الإجتماع الذي عقد وافقنا عليه في أنفسنا، والإجتماع الذي سيعقد غداً وما يتلوه من اجتماعات أيضاً نباركه ونؤيده، ونوافق عليه، لكن يجب في كل وضع من الأوضاع أن تكون الناس هي الهدف، يجب الإعتناء بكرامات الناس، بحريات الناس، بأوضاع الناس الإقتصادية والتربوية.

وأنا أقول: إنه في اعتقادنا وفي خطنا سقف وحدود للحوار، موافقتنا

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

محصورة في هذا السقف، وفي هذه الحدود، أما أن يتعدى السقف والحدود، فلنا منه موقف آخر، نحن نوافق على الحوار ونؤيده ونساعده في ثلاثة أشياء:

١ ـ الأمر الأول، هو إنهاء حالة الحرب، أن يكّفوا عن استعمال السلاح لأنه يزيد الأزمة تعقيداً ولم ينتج شيئاً طيلة سنوات الحرب إلاّ البلاء للناس. وأنا هنا أسأل بدوري: ما هو الهدف من وراء خطوط التماس؟ ؟

هذه الخطوط التي سببت أزمة التهجير لتضاف إلى الأزمات الأخرى.

وما هي التغيـيرات التي حصلت؟ ؟ وهنا أقول وأشدد فليوضع حدّ للصراع المسلح، ولتكن هناك على الأقل هدنة أمنية ثابتة، وإن أرادوا الأمر إلى حالة سلام داخل لبنان فليكن.

نحن نوافق على هذا إلا فيما يختص باعمال المقاومة ضد اسرائيل، وعلى الجميع أن يشاركوا في هذه الحرب المقدّسة ـ هذا أمر خارج ـ

ونتكلم عن الحرب الأهلية اللبنانية، فالمقاومة ليست حرباً أهلية على الإطلاق فالأمر الأول: نحن نوافق على التحاور، وعلى التوصل إلى هدنة أمنية ثابتة تساعد المتحاورين على الحل السياسي.

٢ ـ الأمر الثاني: هو الحفاظ على التراب، على وحدة التراب، على وحدة الأراضي اللبنانية باعتبارها وطناً لأهلها ولشعبها. في مقابل دعوات اللامركزية والإنمائية، وفي مقابل أي كيان طائفي متقوقع على نفسه كما يحصل الآن في الكيانات الطائفية، في التقسيم الواقعي القائم فلتفتح جميع المنـاطق على جميعها.

٣ ـ الأمر الثالث: هو اعادة الإعتبار إلى مؤسسات الدولة. باعتبارها فقط وفقط مؤسسات للتنمية وللخدمات العامة لحياة المواطنين. بلد فيه شعب له حاجات في جميع الشؤون، هذه المؤسسات لتعد الآن ولتنشط لأنه لا يوجد مؤسسات، الآن توجد أشكال لا قيمة لها: الدولة انهارت مؤسسات الدولة انهارت، وهذه المؤسسات ليس فيها سياسة مثل مؤسسة الكهرباء. . . !

هذه الأمور الثلاثة التي نوافق على أن يجري الحوار بشأنها.

أما فيما يعود إلى المسألة السياسية، وإلى مسألة إعادة تكوين الدولة،

كمؤسسة سياسية ذات مضمون سياسي سلطوي، نحن لا نوافق على اجراء الحوار ولو بأي شكل ولن ندخل الحوار على هذا الأساس، والدخول لن يتم إلا على أساس تغيير النظام، والنظرية التي ندعو إليها ويعلم الجميع حكماً وحكومة أننا نطرح في مقابل الخط الرجعي الذي هو ابقاء النظام على ما هو عليه ـ على ما كان ـ . أو الخط الإصلاحي الذي هو خط التسوية. نطرح التغيير على قاعدة مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى، إذا وافقوا على مشروعنا هذا. . . .

هذا كلام قلناه وسنكرر قوله علناً لأجل اسماع كل الناس إذا وافقوا على أن يدخل دائرة الحوار امكانية التغيير الجذري، حينئذ أيضاً نبشّر اللبنانيين بالحل وإن كان يسير ببطء.

نحن نوافق على الحوار إذا كان الهدف منه شق الطريق أمام التغيير الكامل. والجذري للنظام اللبناني، وأية عملية حوار لا تتناول هذه المسألة، نحن في حِلٍ من أي اتفاق سياسي قد يعقد ونعتبر أنفسنا خارج هذا الإتفاق السياسي.

كما أننا الآن خارج هذا الوضع فعلاً، أو الذي يراد إقامتهُ.

نحن نفرّق بين المسائل التي تتصل بمصائر الناس، وبين المسائل التي تتصل بمصالح الناس. هناك فرقٌ كبير بين المصلحة وبين المصير. الأمور الثلاثة الأولى، نعتبر أنه شرعاً يجب تأمينها لأنها تتصل بمصالح الناس.

أما ما يعود إلى المسألة المصيرية، مسألة أن أدخل في ميثاق قد يرهن الناس لخمسين سنة قادمة، هذه مسألة أخرى.

المسألة السياسية لنا فيها مذهبنا الخاص؛ ولذلك نحن لا نوافق على أي شيء دون مبدأ التغيير الكامل ولو خُيّرنا كما خيّر الإمام الحسين (ع) بين السلّة والذلة. فإننا ـ بالتأكيد ـ سنختار ما اختاره الإمام (ع) وسنقول: «هيهات منّا الذلة».

وأسأل الله أن يغفر لي ولكـم. وأن يُسدّد خطانا في الطريق إليه. وأوصيكم خيراً بكلامي الأول. وعلينا أن نَحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسَب.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشوراء
مدرسة للصبر والثبات



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي، ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك. عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

أيها الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله.

هذه الليلة هي ليلة التاسوعاء، ليلة التاسع من شهر محرّم. هذه الليلة وليلة الغد لهما وقع خاص، وطعم خاص. في الذكرى الحسينية:

أولاً : من جهة أن كل الإمكانات التي كانت مطروحة لحل المشكلة بين الإمام الحسين (ع) ومشروعه، وبين المشروع الأموي كلها سقطت، وانكشف بشكل نهائي أنّ المعركة الحاسمة لا بد منها .

من هنا فإن بعض بني هاشم من أصحاب الحسين (ع) وكثير من أنصار الحسين (ع) الذين كانوا يتوهمون أو يأملون أن ينتهي الأمر بسلام أدركوا إدراكاً كاملاً أن الأمر سينتهي بالقتل وأن مصيرهم هو الشهادة.

ثانياً : كما أنه منذ هذا اليوم ، اليوم الثامن وربما اليوم التاسع ، لما نفذ

(*) ألقيت بتاريخ ٨/محرم/ ١٤٠٧ هـ ١٢ أيلول/١٩٨٦.

الماء من أصحاب الحسين . واستنفدت آخر لقمة طعام ، بحيث أن عذاب الجوع وعذاب العطش بلغا ذرُوتهما العليا . وكانت هذه الليلة على ضوء هاتين النقطتين ليلة المصارحة والمكاشفة الكاملة بين الحسين (ع) وبين جميع من معهُ من جهة ثانية، واستمرت هذه المكاشفة الى عشية اليوم العاشر من المحرّم حيث طرح الحسين (ع) عليهم رجالاً ونساءاً أطروحتهُ المشهورة حين جمعهم وقال لهم : «ان القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»[1].

«وهذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي . . . وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم[2]. . . .».

ماذا كانت ردة الفعل عند أصحاب الحسين (ع) من الرجال والنساء؟ وهي ردة فعل كانت متوقعة، إنهم أصروا على البقاء معه بدون حزن ولا إكتراث إلى النهاية الدامية، وإلى الشهادة. . . .

وهنا يستوقفنا أمر هام هو إن هؤلاء الرجال والنساء والشبان الحاضرين المعزولين عن العالم الخارجي، المطوّقين من كل جانب، الجياع، العطاشي، في جميع مراحل المعركة، منذ اليوم الثامن منذ أول يوم وصلوا فيه إلى كربلاء والى هذه الليلة. أو صبيحة اليوم التاسع والى يوم عاشوراء لم ينقل لنا التاريخ موقفاً من مواقف الضعف، أو الإنكسار عن أي رجل أو عن أي امرأة، وإنما بقوا يواجهون قدرهم ومصيرهم إلى النهاية حتى الشهادة، هذه الفئة المعزولة فتحت أمامها. أبواب الفرج، وبُذلت من قبل الجيش الأموي. ومن قبل إدارة بني أمية في الكوفة محاولاتِ عديدة، وجاءت رسل من الشام تعرض عليهم التسليم، ولكن كل العروض رفضت ولم يصدر عن شاب أو شابة أية كلمة تكشف عن ضعف، أو عن انكسار.

إن واقعة كربلاء هي من الوقائع التي سُجلت بدقة. وسُجلت مع أدق التفاصيل ولم ينقل لنا أحد مؤقف ضعف نهائياً. وصلت دقة المؤرخين في التفاصيل بفصل مرّ عليكم يتعلق بعلي الأكبر (ع). حينما انقطع شسع نعله فانحنى لأجل أن يصلحه غير مبال بالجيوش والفرسان من حوله.

---

(١) البحار ج ٤٤ ص ٣١٦.

(٢) مقتل الحسين (ع): ص ٨٦ ص ٣٩٣.

إلى هذه الدرجة اعتنى المؤرخون بالتفاصيل.

والمؤرخون الذين اعتنوا بهذه التفاصيل ليسوا كلهم من المحبين لأهل البيت (ع) ولكنهم لم يسجلوا أي موقف من مواقف الوهن على الرغم من الجوع والعطش، نتساءل.. ما هو السبب؟

الإمام الحسين معصوم، الإمام زين العابدين كان مرشحاً للخلافة له صفات ومزايا تمنعه من أن يكون ضعيفاً. السيدة زينب (ع) بلغت مرتبة العصمة الإختيارية، ولكن يوجد المئات من العاديين هؤلاء لم يظهر منهم ضعف على الإطلاق.

إلى ماذا يُعود ذلك يا تُرى؟

الجميع متحملين صابرين مصممين على الاستمرر حتى النهاية.

في الحروب الكبيرة أو الصغيرة توجد أجهزة، توجد مؤسسات تعتني بالحالات الإنسانية في الحرب، مثل سحب الأطفال. إلى خلف الجبهات، سحب النساء، نقل الجرحى، توجد معاهدات دولية لتنظيم الحروب، وهذا في الإسلام موجود.

أما الجيش الأموي فكان مجموعة من الذئاب الكاسرة، وخاطبهم الإمام أكثر من مرة قبل الهجوم: «إذا لم يكن لكم دين... فكونوا أعراباً كما تزعمون»[1]، كانوا بلا ورع وبلا أخلاق، فمن ليس لهم قلوب تخشع، ولا عيون تدمع، فالاستعاذة بالله منهم أولى هكذا.

من هنا نحن نجد البطولة في مواقف الحسين وأهل بيته وأصحابه. دون أن يكون هناك أدنى ضعف، وإنما كانوا يقدمون على الموت وهم في هدوء نفسي لا مثيل له في عالم الحروب. ما هو السر في ذلك: هناك سران:

الأول: أنهم كانوا صفوة الخلق، صفوة المجتمع الإسلامي من حيث إسلامهم وإيمانهم وورعهم وتمسكهم بالإسلام، وكانوا يعلمون أن موقفهم هو موقف الإسلام، ومعروف أن الحالة الإيمانية، الحالة المعنوية والروحية عند الإنسان تؤثر على موقفه الخارجي.

---

(١) مقتل الحسين: ص ٢٧٥.

الإنسان الذي ليس عنده قضية ويقاتل بالأجرة لحساب الآخرين. من الطبيعي أن نراه يجزع وينكسر، ولا بد أن تراه يعاني من اهتزاز بـالرؤيـة، ومن عدم الوضوح.

أما الإنسان الذي يرى الحق، ويرى القضية بكاملها، هذا الإعتقاد النفسي والوجداني يؤثر على موقفه الخارجي، وهذا تفسير ما ينقل عن بعضهم حينما عرض الإمام الحسين (ع) عليهم أن يتركوه وحده. فقد قال أحد المجاهدين مخـاطبـاً الحسين (ع). «والله لـو علمت أني أقتـل ثم احـرق ثم أحيى ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك»[1].

وهذا إن كان يدل على شيء، فهو يدل على الوعي الرسالي الذي يحمله هذا المجاهد وأمثاله.

هؤلاء جميعاً كان أمامهم نموذج الحسين (ع) في صبره وفي ثباته، وكانوا يرونه دائماً في حالة فرح وسرور، زين العابدين (ع) كان أمامهم، كان مريضاً وحينما رأى المعركة. قال لزينب (ع) «أريد أن أقاتل».

السيدة زينب كانوا يرونها صابرة، على الرغم من أنها فقدت أبناءها وأحباءها في المعركة، وكانت تعرف أن أخيها الإمام الحسين (ع) مطلوب رأسه من القوم، وبالرغم من ذلك فهي كانت مالكة لجأشها.

إذاً هي الأسوة الحسنة، المثلى المتمثلة بالحسين (ع) وزينب وزين العابدين (ع).

الثاني: قوة الإيمان، وقوة الإعتقاد هي التي جعلت من هؤلاء الأبرار صفوة الخلق، وجعلتهم يثبتون هذا الثبات الراسخ، ويستمرون في قتالهم، وفي جهادهم، حتى النهاية.

ومن الحقائق العاشورائية إن موقعة كربلاء في جميع أيام القتال منذ بداية أول حملة إلى ما بعد ظهر العاشر من المحرّم، خلت من الجرحى فالتقليد المتبع في الحروب أن الجندي يقاتل حتى يجرح حينئذ يكون قد أدّى واجبه، وعليه أن يعتني بنفسه، وعلى أصدقائه أن يسحبوه من أرض المعركة لأنه قام بالواجب،

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٩٣.

ويذهبون به إلى الإسعاف، ثم إلى المستشفى الميداني.

أما في مواقع كربلاء، وإلى أن انتهت المعركة لم يكن هناك جرحى. كان هناك شهداء فقط، كانوا يقاتلون حتى الرمق الأخير دون أن يبالوا بكل الجراح.

إن القصص والروايات التي تنقل عن القاسم وعن علي الأكبر أنهم كانوا يدركوهم في الرمق الأخير، هذا يكشف عن الروح القتالية، وعن الروح الإيمانية، وعن الصبر العظيم عند هؤلاء المجاهدين الأبرار.

إذاً الأمر الأول هو القدوة الحسنة.

والأمر الثاني هو قوة الإيمان، قوة الإعتقاد بقضيتهم وبعدالتها - كما نعلم جميعاً - واقعة كربلاء هي عبارة عن مدرسة، وهذه المدرسة البعض يدخلها ويمارسها بروح التقوى وبمواساة أهل البيت (ع) ولكنه أمر ناقص، أهل البيت مواساتهم أمر حسن.

ولكن هذه المدرسة دائمة للمسلمين ليس لها حدود زمانية أو مكانية يعيشونها في أقوالهم وأفعالهم في حياتهم وشهادتهم.

وبالنسبة لهذه الخصوصية في عاشوراء نحن نتعلم منها دروس ثورية نمارسها في حياتنا الشخصية، دروس نعيشها في حياتنا العامة. كل واحد من الناس معرّض للآلام، معرّض لفقد الأحبة ولكن يا تُرى هل يضعف الإنسان إلى درجة أن يرتكب معصية الله سبحانه وتعالى؟.

إن الإنسان إذا ابتلاه الله. بلاءاً يصبر، لأنه إذا لم يصبر ماذا يفعل يقول الإمام علي (ع):

«ينزل الصبر على قدر المصيبة»[1]. وفي خطبة ثانية يقول: «الدهرُ موتر قوسُه، لا تخطيء سهامهُ، ولا تواسى جراحهُ، يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم... آكلٌ لا يشبع، وشارب لا ينقع»[2] إذا لم تصبر فماذا تفعل؟؟

أنا ذكرت شيئاً يتصل بالسيدة زينب (ع): بعض الرواة يروي بعض المواقف الجازعة عنها، أنا أشك في أن يكون قد صدر عنها مواقف جازعة. من

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١٤.

قبيل أنها قالت يا ويلاه، هل من ناصر.

السيدة زينب (ع) بطلة كربلاء التي تحملت ما لم يتحمله الأبطال؟؟ لا يصدرَ عنها هذا الموقف.

أنا أرى أن شخصية زينب، وعظمة زينب (ع) أكبر من هذا الموقف، هي تعلم أن هؤلاء القوم ليس منهم رجاء. مجموعة من الذئاب المتعطشة للدماء. هؤلاء هم بني أمية، لقد شربوا أجناً وتركوا صافياً.

السيدة زينب (ع) التي ثبت عنها أنها بعيون جافة، وقلب جريح خرجت إلى ساحة المعركة، ووقفت على جسد أخيها وهو بلا رأس، وقالت بعد أن رفعت رأسها إلى السماء، اللهم تقبل منا هذا القربان، زينب (ع) التي تطرّقت إلى أدق التفاصيل الشرعية والسياسية، لا يمكن أن يصدر عنها موقف ضعف، وسأبقى أشك في ما لم يثبت ذلك ثبوتاً علمياً.

هـذا الأسلوب ، هـذا النمـوذج الحسيني الـذي حـدثتكم عنـه ، هـذا هو ؟؟ . . !!

أما الإمام العباس (سلام الله عليه) الذي كان لسانه كالخشبة اليابسة من شدة العطش، والعطش بلاء أيضاً الشيء الذي تسمعونه من قراء التعزية، حينما ذهب وحمـل حملته الأولى، هـذه الواقعـة صحيحـة وليست من تلفيقـات المؤرخين، ابن الحسين (ع) يقول يا أبتي ثقل الحديد قد أرهقني، ماذا قال الإمام الحسين (ع)؟ قال له فمصَّ لساني، مـصَّ لسانه فقال له يا أبتي لسانك أيبس من لساني، كيف لا يكون هكذا في الصحراء، في الصيف»؟.

هذا هو البلاء، هذا هو الصبر على البلاء.

إن العباس يذهب ومعه القُربة لأجل أن يسقي أولاد الحسين (ع) يصل إلى النهر وحشاشتهُ تلتهب من العطش ولسانه يابس، هو يغرف غرفة من الماء ليشرب ثم يتذكر أولاد الحسين (ع) فيقول:

أأشرب والحسين وأولادهُ يعانون العطش، لا والله لن أفعل ذلك، لن أشرب . . .

هذا النموذج من الإيثار، هذا الدرس الإيماني استمرارية عاشوراء بهذا وأمثاله.

العائلة، الجماعة، المجتمع يصاب بنكبة في أمنه في علاقاته، في اقتصاده، أو في أزمة كما هو الحال في لبنان نتيجة لهذا النظام الرجعي الفاسد. ما هو الموقف؟ يوجد بؤس عند الناس، يوجد فقر، ويوجد علاج، ويوجد موقف، وحدثتكم عنهما العلاج هو الذي ذكرناه، التضامن الإجتماعي.

المواساة على الصعيد الفردي، على صعيد المؤسسات. واذكر لكم قصة من حياة أصحاب الإمام الباقر (ع). أحد الأشخاص من أصحاب الإمام أصبح ولا يملك شيئاً فبعث إلى أخ له يَستدِين منه، يوجد هذا عنده صرة من المال، أرسلها إليه، وصلت صرة المال إلى الشخص الثاني جاءه نفس الرسالة أرسلها إليه وهكذا دواليك دون أن يعرف ماذا في داخلها. في هذه المسألة يبرز عامل الإيثار، الذي هو خُلق من أخلاق الإسلام.

إن أية أزمة اجتماعية يتعرض لها مجتمع من المجتمعات، فهي تزول بسيادة هذا العامل.

في موسم الحج جاء المسلمون يحجون وزاره بعضهم وكانوا من أهل الكوفة وأهل العراق. زاروه وقالوا له: نحن من شيعتك وشيعة أبيك، قال لهم: أيمد أحدكم يده إلى جيب أخيه فيأخذ حاجتهُ قالوا لا. قال لهم: إذاً لستم من شيعتي[1].

إن النموذج الأعلى للمسلم المؤمن الملتزم أن يكون متعاوناً متعاضداً مع أخيه، أي أن يكون وحدة حال بينهم والإمام الصادق (ع) يقول: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً».

وروي عن الإمام الصادق: أنه كان يدخر مؤونه سنته ولكنه كان إذا أعسر الناس ـ إذا صار الناس في حاجة ـ كان يبيع ما عنده ويشتري مؤونته يوماً بيوم أسوة بالناس فهو لا يتحمّل أن يكون عنده مؤونة سنة والناس من حوله في ضيق، التعاون بين الناس يخفف الأعباء.

صلة الأرحام هي من أعظم الواجبات الشرعية.

---

(١) أنظر مقتل الحسين: ص ٣١٧.

صلة الأرحام لا تكون في فنجان القهوة، وإنما تكون في الإلتفات إلى الفقراء والمعوزُين.

إن الإنسان الغني الميسور عليه أن يزور أرحامه ويطلّع على أحوالهم. ويساعدهم، ويسد حاجتهم، هكذا تكون صلة الأرحام.

الآن: أنتم تسمعون المظاهرات الإجتماعية العفوية في الشوارع. التي انطلقت لتعبر عن سخطها وغضبها.

نحن نؤيد هذا العمل الإجتماعي شرط أن لا يضر بالمصالح العامة والخاصة، شرط أن لا يخلط بعمل حرام.

فالعمل الإجتماعي مطلوب لحث المسؤولين على القيام بدورهم، لأن مواجهة وحش الغلاء أمر لا بد منه وإلا فإن السكوت عليه يعني القبول به.

هذا الكلام ليس موجهاً إليكم، أنه موجه إلى بعض الجهات التي توجه الأعلام، نحن لا نريد أن نسمع أصوات مستسلمة منكسرة، لأن الهدف من افتعال أزمة المجتمع هو هذا.

فهم يريدون تحت رحمة الجوع، خضوع سياسي، أيضاً البعض يتحدث عن أزمة المجتمع، وعن حاجات الناس بأسلوب ذليل، بأسلوب مستسلم بأسلوب يقول للطرف الآخر، أنا حاضر ماذا تريد؟ فقط حلّوا المشكلة التي أهلكت الجميع؟.

علينا أن نتمسك بنهج الإسلام. بنهج الحق. الحق لا يقبل بهذه الأساليب سمعتم بكلمة الإمام الحسين (ع) جينما خيّره الجيش الأموي بين السلّة والذلة. ماذا قال؟! «هيهات منا الذلّة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون»[1].

نحن نرفض كل الدعوات المستسلمة، ونرفض رئيساً ملطخاً بالذل؟..

هناك بعض السياسيين الذين يريدون الدخول من دهاليز الأزمة ليطرحوا شعار المصالحة مع النظام والتسليم للمشروع الإسرائيلي.

هؤلاء نقول لهم من مواقعنا، كما خاطب الإمام الحسين (ع) أمثالهم من

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٧.

موقعه ـ هيهات منا الذلة» ولن نستسلم أبداً مهما حصل. والذين يـروّجون الإشاعات المغرضة نقول لهم انتبهوا صرخةُ الشعب هي أقوى سلاح يمكن أن تواجهوا به.

وهنا يأتي دور الإعلام، ينبغي أن لا يكون مصدراً للضعف والإنكسار، يجب أن يُساهم في رفع معنويات الناس، في توضيح الحقيقة، في الكشف عن حقيقة ما يراد من وراء إفتعال أزمة المجتمع.

إن الأعلام الذي يُحبط العزيمة، ويشجع الناس على الاستسلام فهو إعلام عدو.

إن تسوية الأمور بشكل عشوائي لا يمكن أن تتم والحل لن يكون عشوائياً، ومن يظن أن أزمة المجتمع تقودنا إلى الخضوع والاستسلام فهو مخطىء، والذين يقولون أن أزمة المجتمع ترمي بثقلها على المناطق الإسلامية دون المناطق المسيحية هو مخطىء أيضاً. الأمور ليست ميسّرة والضيق واحد. وموجود في كل المناطق اللبنانية.

غاية الأمر أنه هنا يوجد مَن يتكلم، أما هناك فيقطعون لسانهُ.

أما بالنسبة للألم: الله تعالى بيّن هذه الحقيقة في القرآن الكريم في توضيح الواقع السياسي والعسكري عند الفريقين في «غزوة تبوك»، المسلمين آنذاك أصيبوا بنكسة ولم يهزموا، ووقع بينهم إصابات كثيرة، وجاءت بعدها ظروف تدعو إلى القيام بغزوة جديدة، البعض تثاقلوا بسبب الجروح، بسبب التعب، الله تعالى يقول لهم: ولنا ﴿**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون**﴾[1].

أنتم عندكم موقف حق عادل. أنتم علاقتكم مع الله علاقـة صافيـة مخلصة... نحن نتعلم في هذه الليلة الشريفة العظيمة ليلة تاسعواء من أمثولة وبطولة الإمام الحسين (ع) من صلابته، وصلابة مواقفه، وصلابة أصحابه وأهل بيته. على الرغم من كل ما واجههم، نتعلم إلا نتسكين وإلا نضعف أمام الأعـداء، وأمام المصـائب والمشـاكـل التي تـواجهنـا جميعـاً، والله تعـالى هـو

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

الناصر، وهو المعين، ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1] والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿ لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[2] ﴿فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً﴾[3] واليسر آتٍ إن شاء الله. ولكن مع شيء من الصبر والثبات مع كل ما تستطيعون من التعاون والتعاضد فيما بينكم، واسأل الله تعالى أن يُرينا الحق حقاً فنتبعهُ، والباطل باطلاً فنجتنبهُ.

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الشرح، الآية: ٥ ـ ٦.

عاشوراء مناسبة
لاستلهام العبر والمعاني



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

لا يجوز أن تمضي عاشوراء، وها نحن في اليوم التاسع منها وهي ليلة عظيمةٌ في مصاب أهل البيت (ع)، لا يجوز أن تنتهي دون أن يكون لها أي تأثير على واقعنا، وعلى انطلاقتنا، يجب أن نعتبر، أن نستلهم من عبرها، ومن معانيها، إنها الثورة التي ليس لها أي قياس طبيعي، والكل يعلم أن الحسين (ع) وأصحابه لم يكن مسيرهم من أجل السلطان ولا من أجل الحطام، وإنما كان من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من أجل الإنسان التي تحكمت به أنظمة الجور والطغيان ومن أجل أن يأمن المظلومون من عباد الله سبحانه وتعالى.

وسأتلكم عن دور المرأة في كربلاء. رغم الحديث والكلام عن السيدة زينب (ع) بما هي عنوان ورمز للمرأة المسلمة المجاهدة في كربلاء التي أعطت فيها وبعدها.

(*) ألقيت بتاريخ ٩/محرم/ ١٤٠٧ هـ ـ ١٣/أيلول/ ١٩٨٦ م.

كان للمرأة دور كبير من مختلف الأعمار، ومن مختلف المستويات، من مختلف الأعمار كانوا في كربلاء، وكان فيها الأمهات والزوجات، والأخوات اللواتي كان أبناؤهن وإخوانهنّ في جملة أنصار الإمام الحسين (ع) من الهاشميات وغير الهاشميات، ولم يحدثنا التاريخ على كثرة ما نقبنا فيه أن المرأة تذمّرت أو تشاكت من المصيبة العظمى التي نزلت بالنساء في كربلاء، هّن بكينّ أياماً كثيرة، وفي مناسبات كثيرة، ولكن البكاء على قسمين:

البكاء تارة يكون بكاء الحزن، وتارة يكون بكاء العجز والذل والضعف، المرأة في كربلاء بكت على الأحبَّة الأحياء، وعلى الأحبّة الصرعى، ولكنّهن بكين بكَاء الحزن، الحزن خُلق من الأخلاق الكريمة، فالذين لا يحزنون، والذين لا يتألمون هم شاذون الإنسان الطبيعي السوّي يفرح عندما يكون هناك داعٍ للفرح ويحزن عندما يكون هناك داعٍ للحزن، ولنأخذ مثلاً على ذلك:

الرسول (ص) وبكائه على ولده إبراهيم، الرسول (سلام الله عليه) بكى في مواقف كثيرة، بكى حينما خرج من مكة مهاجراً وحينما غادرها التفت إليها وهو يبكي ويقول: «ما تركناك طوعاً ولكن أهلِكِ»[1]، ما معنى ذلك؟ أي أنهمْ أجبروه ومن معه على تركها، وبكى على ولده إبراهيم وقال كلمته المشهورة: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول: ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[2]، وبكى حينما عاد من أحد، ولقد كانت نكسة كبيرة في الإسلام، واستشهد فيها مَن استشهد، أمثال أسد الله حمزة (رضوان الله عليه) فبكتهُ جميع نساء الأنصار والمهاجرين، نعم حينما يحزن الإنسان يبكي، هذا خلق، مَن لا يحزن يكون شاذاً وليس سوياً، وليس طبيعياً، وعن أهل البيت (ع) «الاستعاذة بالله من عين لا تدمع، ومن قلب لا يخشع، نساءُ كربلاء، بكين كثيراً، بكين بحرقة وألم وفي مقدمتهّن زينب (ع)، لقد جرح قلبها وذلك لم يمنعها من تحمل المسؤولية، بل تابعت مسيرتها وقالت كلمتها أمام السلطان الجائر، وبكاءَها لم يكن إلا حزناً، لا بكاء الذل والضعف، لأن بكاء الضعف مذموم.

ثم لماذا بكاء الضعف وقد كانت عندهن الفرص الكثيرة حتى يأخذن أولادهنَّ، وأزواجهنَّ كما فعلت مثيلات لهنَّ في الكوفة في قضية مسلم بن عقيل

---

(١) أنظر البحار: ج ٥٧ ص ٢٢٩.

(٢) الوسائل: ج ٢ ص ٩٢١ باب ٨٧ من أبواب الدفن ح ٣.

حيث كانت المرأة تأتي إلى زوجها وابنها وتقول له ما لك وللسلطان. هذا شيء لا يخصنا، ذلك أمرٌ لا يعنينا، تعال إلى بيتك فالزمهُ، وتعود به إلى زوايا البيت حتى يلهو عما يراد به.

ودور النساء في كربلاء لم يكن يقل أهمية عن دور الرجال، بحيث أن المرأة كانت تحارب إلى جانب الرجل، وكانت تحرّض على القتال ضد الظالمين.

هذا الدور الذي سجّلته المرأة في كربلاء، وهو دور جديد في تاريخ الإسلام، وسأذكر بعض الأمور فيما يختص بالجهاد، ودور المرأة في الجهاد:

أولاً: من الثابت شرعاً أن الجهاد الشرعي القتالي لا يجب على المرأة سواء أكان في قتال الكفار أو البغاة، ولا يجوز إلا في حالات نادرة معينة يجب فيها الجهاد على الجميع، ففي تاريخ الإسلام منذ أول معركة من معارك الإسلام لم تذكر السيرة النبوية، ولا سيرة الخلفاء بعد الرسول ولا سيرة الامام علي (ع) والأئمة الأطهار أن النساء شاركن مشاركة فعالة، بالدرجة التي شاركن فيها النساء في كربلاء، لم يذكر التاريخ ذلك.

فالمرأة كانت تخرج في (بدر وأحد) لتقدم المعونات والإسعافات، والأطعمة، وكانت تُضمد الجراح ولكنها لم تكن مشاركة في القتال إلى جانب الرجال.

أما في كربلاء فقد كانت ظاهرة جديدة من ظواهر الحالة الإسلامية في أوائل العهد الأموي، وقل ما نسمع أن النساء شاركن في القتال، والحسين (ع) رد بعضهنَّ واستشهد بعضهنَّ، والعلامة البارزة لمن يدرس الثورة الحسينية هي زينب (ع) في حياة الرجال والنساء معاً.

وحينما نريد أن تستقرأ ثورة الحسين (ع) أو أي شخصية من شخصيات المجاهدين الشرفاء في كربلاء، دائماً يرد اسم زينب (ع) ويبدو من هذا أنها كانت موجودة في جميع مراحل المعركة.

فالسيدة زينب (ع) كانت تدبر شأن النساء والأطفال إلى جانب اهتمامها بالمفاوضات التي تجري مع أخيها والأمويين، فهي كانت تعمل على أكثر من صعيد، ونستطيع القول أنها من النساء اللواتي يتحمّلن المصائب مهما كانت

كبيرة، كان لها دوراً كبيراً قل نظيره في تاريخ الحركات الإسلامية الثورية، تُرسل إلى الأنصار ماذا أنتم فاعلون، تُرسل إلى الهاشميين ماذا أنتم قائلون، هذا الدور يحتاج إلى كشف الحقيقة، لأنها (سلام الله عليها) كانت تقوم بإدارة شبكة العلاقات داخل جمهور الثورة القليل. إذاً الدور البارز لعله يبدأ في هذه الليلة، بعد أن انقطعت كل الآمال، ورفضت كل العروض.

قلنا أن السيدة زينب (ع) أشرفت على المفاوضات بين أخيها والأمويين، وكان الحوار يدور حول المبايعة، وكان الإمام الحسين (ع) مخيّراً بين أمرين، بين المبايعة أو الموت بين السّلة والذلة، إما التسليم، وإما القتل، وكان من الممكن أن تبدأ المعركة في الليلة التاسعة من المحرم، إلا أن الإمام (سلام الله عليه) استمهل القوم تلك الليلة طالباً منهم بعض الوقت حتى يقيم الصلاة وإلا حسب التوقيت الأموي، فإن الأمر كان منتهياً، بحيث أنه بمجرد إنتهاء المفاوضات، أو إنتهاء الحوار يهجم الجيش الأموي ويقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه.

ولكن الحسين (ع) ـ لا أذكر بواسطة مَن ـ طلب منهم أن يمهلوه سواد الليلة التاسعة حتى يتسنى له إقامة الصلاة مع أصحابه وعائلته.

إذاً نستطيع القول أنه منذ عصر هذا اليوم التاسع أصبحوا يهيئون أنفسهم للموت كل ذرات الأمل انقطعت، هيأوا أنفسهم للقتل، بالصلاة، بقراءة القرآن، والدعاء إلى الله تعالى.

في الليل زينب (سلام الله عليها) كما يقول التاريخ، هذه الليلة كانت تتنقل بين خيمة وخيمة تتفقد النساء والأطفال، أنا لم أسمع ولم أقرأ، ولم يحدّث التاريخ أن زينب (ع) في هذه الليلة بكت. أبداً، إكتفت بالصلاة والدعاء إلى الله أن ينصرهم على القوم الظالمين، حدثت المعركة بعد هذه الليلة التي كانت فيها الصلاة والأدعية مسيطرة على القلوب والعقول، وأصحاب الحسين وأهل بيته يودّع بعضهم البعض، ريثما يلتقوا في الجنان مع رسول الله (ص) زينب (ع) معهم وفيهم، وفيما بينهم.

وينتهي دور السيدة زينب كثائرة لا بمعنى أنها أخذت سيفاً، بل بمعنى أنها تشكل جزءاً أساسياً من الموقف القتالي، ينتهي دورها عند ظهيرة اليوم العاشر وتبدأ بدور جديد، وبمنهجية جديدة، وبأسلوب جديد ضد الذين اتخذوا «القرآن

عضين»، دور قسم منه محدود وهي أنها استطاعت، وهي على ما هي عليه من ثكل، وأخيها مقطوع الرأس، والجثث تغطي الأرض، ما كان باستطاعتها إلا أن تجلس عند رأس أخيها، وترفع رأسها إلى السماء، وتقول: «إلهي تقبل منا هذا القربان»[1].

نعم لقد بدأت بمرحلة محدودة حينما وصلوا إلى المدينة لقد بدأت بضبط العائلة الكريمة إلى جانب الإهتمام بالأسرى والسبايا، إمرأة مفجوعة بهذا القدر، فقدت كل شيء مع ذلك تلتفت إلى أدّق التفاصيل السياسية والشرعية، تلتفت إلى التفاصيل السياسية من خلال خطبتها التي بدأت على جسد أخيها حينما قالت: «إلهي تقبّل منا هذا القربان»، إنها أعظم خطبة سياسية.

هذا الجانب السياسي يكشف عن كل الخلفيات العقائدية والحضارية، والفكرية التي كانت تحرّك زينب (ع) كما هو الحسين (ع) وكما أصحابه، بالرغم من أنه لم يكن هناك سعي إلى موقف دنيوي، بل هناك قضية في بعدها السياسي وفي بعدها الإقتصادي، وفي بعدها الإجتماعي والثقافي.

ومن هنا لم يعتبر الحسين (ع) ضحية، هو شهيد، هو ثائر، هو قربان.

منذ هذه الخطبة الأولى وإلى آخر يوم من حياتها التفتت إلى التفصيل السياسي:

كيف تحول هذا الحدث المحاصر الذي حوصر قائده، وحوصر جنده وأشاع الأمويون عنهم أخباراً في العالم الإسلامي واصفين إياهم بالخوارج والكفرة، لقد استطاعت السيدة زينب (ع) من خلال عدة خطب سياسية واجتماعية، وفي فترة وجيزة أن تغيّر الرأي العام من خلال كشف الحقيقة. ومن أعظم التفاصيل أنها ترسل إلى قائد فرقة السبايا، وتطلب منه أن يُخرج الرؤوس من بين المحامل لتتفرج الناس على الرؤوس وقالت: «فقد خزينا من كثرة النظر إلينا»[2] فلو أخرت الرؤوس أو قدمتها عنا، والتفتت إلى الطفل الذي أخذ تمرة من بعض المتصدقين في الكوفة فتخرج التمرة من فمه، وتقول إنها صدقة ونحن

---

(١) مقتل الحسين: ص ٣٠٧.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ١٧٥.

أهل البيت لا تحل لنا الصدقة، هذا النوع من التفاصيل الدقيقة التي أظهرتها السيدة زينب (ع) بالرغم من المصيبة التي أصابتها. بقيت تتصرف بوعي حتى آخر يوم من حياتها.

فالسيدة زينب (ع) تذهب إلى المدينة وتلقي خطبها، وإلى الكوفة، وإلى كل مكان.

لقد أعلنت الثورة ضد الحكم الأموي، وفي مجلس يزيد الطاغية فقالت له: «كد كيدك وآسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا»[1].

أليس ذلك جهاداً لا مثيل له في عالم النساء والرجال. علماً بأن «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[2]. زينب (سلام الله عليها) لم تخف من عاقبة كلامها.

هذا إلى جانب الخطب السياسية الكثيرة التي كشفت فيها عن شجرة الأمويين وعن جذورها الخبيثة، وكل خطبها ليس فيها ذل، ولا ضعف، ولا انكسار، ولكن فيها حزن وهذا أمرٌ سوي وطبيعي، وفيها ثورة، وفيها كشف عن حقائق أخفاها النظام الأموي.

إن امرأة تكون بهذا المقدار، تقف هذا الموقف، وتتهدّد وتتوّعد، هذا أمرٌ إسلامي عظيم.

لقد حوّلت السيدة زينب المأتم الحسيني الذي تقيمهُ البلاد الإسلامية إلى مؤسسة عظيمة وإلى مدرسة تخرّج الكوادر الثورية الرافضة لإنصاف الحلول وللظلم والطغيان ومعها الإمام زين العابدين، بحيث أنهما أقاما هذا المأتم وأسسا هذه المؤسسة التي هي بركات على المسلمين، باعتبار أن كل ما عندنا هو من كربلاء.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُسدّد خطانا في الطريق إليه، وأن يُرينا الحق حقاً فنتبعهُ، والباطل باطلاً فنجتنبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) البحار: ج ٤٥ ص ١٣٥.
(٢) كنز العمال: خ ٤٣٥٨٨.

ذكرى عاشوراء
محطة تاريخية



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الشهداء معك في ذكرى ثورتك واستشهادك التي نستعيدها لنتقوى بها، ونتعلم منها. نستعيدها ونحن لا نزال نتخبط في ليل الفتنة الداخلية وليل الإحتلال الإسرائيلي، ووطننا ينزف ويتمزق باستمرار، وإنساننا يتعذب ويقتل باستمرار، لأن الفتنة لا تزال غالبة، ولأن موقدي نارها لا يزالون في ضلالهم يعمهون.

ومن أجواء الذكرى المجيدة نوجه تحية الحب والإجلال والإفتخار إلى إحدى الثمرات المباركة لثورة كربلاء فينا، إلى المقاومة الشاملة التي تأتي اليوم الذكرى الثالثة لكشف النقاب عنها وإعلانها في يوم عاشوراء سنة (١٤٠٤) وإلى شهدائها الأبرار الذين ارتفعوا مصابيح مضيئة وأسوة حسنة في حياتنا. وإلى مجاهديها الأخيار الذين يتابعون طريق ذات الشوكة منتظرين دورهم في نيل نعمة الشهادة. وإلى أهلنا الصامدين الصابرين في الجنوب المجاهد الصامد الذين يشاركون في هذه المقاومة بالصبر على أذى إسرائيل الغازية المعتدية ومن إتبعها من عملائها الذين يخسرون أنفسهم وشرفهم، ويخسرون الدنيا والآخرة إذا استمروا على ضلالهم في اتباعها. وإلى كل من أسهم ويسهم في تأييد هذه المقاومة بكلمة أو موقف أو مال أو معاناة أو تعاطف، ولهم قبل كل شيء أجرهم من الله تعالى كما قال عز من قائل: **﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا**

(*) ألقيت بتاريخ ١٠/محرم/ ١٤٠٧ هـ ـ ١٤/أيلول/ ١٩٨٦ م.

كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[1].

وقد اعتدنا في كل عام أن نجعل هذه الذكرى المجيدة محطة نتوقف فيها لمراجعة المهم من قضايانا، نلتمس من إيحاءاتها ومن معناها نوراً يضيء عقولنا وقلوبنا في سعينا إلى أقوم السبل في معالجة ما نتخبط فيه من مشاكل، وما نواجهه من تحديات، وما نستقبل من أمورنا. ومن هنا استعادتنا لهذا الوجه أو ذاك من وقائعها، أو دوافعها.

لقد كان خروج الحسين ثائراً بسبب فساد الحكم وانحرافه في المسألة السياسية ونظرته إلى الإنسان والمجتمع ـ وفي المسألة الإجتماعية الإقتصادية، وهما وجهان متلازمان للوضعية الإنسانية فإن عدم تحمل المجتمع لمسؤولياته في المشاركة والرقابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى فساد الحكم، ونمو فئات متسلطة بغير حق.

وهذا الوضع يؤدي إلى مزيد من الشقاء الإجتماعي، وإلى مزيد من صعوبات العيش اليومي للكثرة الساحقة من الشعب المغلوب على أمره بفساد الحكم وتسلط الأشرار.

كان الأمر هكذا في ذلك الحين. حكم فاسد وظالم سكتت عنه النخبة فلم تردعه عن الظلم والفساد ولم تصححه. فريق منها تواطأ معه وانحاز إليه، وفريق منها أعفى نفسه من المسؤولية ومن مخاطر التصدي فالتمس لنفسه موقعاً هنا أو موقعاً هناك أو اعتزل الحياة العامة تماماً وتخلى عن الشعب للجلاد الحاكم من جهة وللدجالين والمقامرين من جهة أخرى.

وهكذا نعمت فئات محدودة بالسلطة والعيش الرغيد، ورزحت غالبية الشعب تحت وطأة الإرهاب والحاجة. . .، الإرهاب الفكري والجسدي والفقر. . كل من رفع صوته في ناد أو مسجد أتهم بتفريق كلمة المسلمين والخروج على الجماعة، ومصيره المطاردة والسجن أو القتل. والشعب المقهور مشلول. ونخبته متواطئة، أو لاهية، أو معتزلة.

وهكذا تحقق القانون التاريخي ـ القرآني الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إن

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1] **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[2] وتحذير النبي (ص) في سنته «لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[3].

وقد بقي الحسين وحيداً بعد أن تخلت النخبة عن دورها بالتـواطؤ، واللامبالاة، والهروب من المسؤولية.

وبعد أن فقد الشعب بسبب ذلك أطره المنظمة والموجهة، بقي الحسين وحيداً، وبقي الشعب وحيداً وتائهاً، . وبدأ الخطر كبيراً ومحققاً، من أن تترسخ مقولة للحكم ولدور الشعب تجعل الواقع قاعدة تتبع، وتكتسب زوراً ـ وما أكثر قول الزور ـ سمة الإسلام وشرعية الإسلام.

لقد قال أمير المؤمنين علي (ع) «ما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم، ولا على سغب مظلوم»[4]. وما كان للحسين أن يقرّ ظالماً على ظلمه وأن يسكت عن سغب المظلومين وكربهم، فكانت ثورته، وكانت شهادته، ومنهما كان خطه في التاريخ مَعْلَماً، وهادياً، وملهماً نهتدي به ونستهلمه في شأن ما نعاني مما يحيط بنا وما نستقبل من أمورنا.

فكما كان الأمر هكذا في ذلك الحين فالأمر نفسه يتكرر في هذا الحين في لبنان وفي غير لبنان في كل زمان، «ان الله أخذ على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا على سغب مظلوم». وما أكثر الظالمين وما أكثر المظلومين في لبنان، إن الشعب اللبناني كله يكاد أن يكون مظلوماً. فكل فئة من فئاته مظلومة بمن يمارس ولاية الأمر عليها بقوة السلاح ومظلومة بخصومة السياسيين في الفئة الأخرى. إنه ظلم مضاعف يتعرض له المواطن البسيط، وأنه مظلوم محاصر أغلقت في وجهه الخيارات.

الذين يريدون الاستئثار والهيمنة يظلمون قاعدتهم بحملها على التشبث

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٣) التهذيب: ج ٦ ص ١٧٦ باب ٨٠ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح ١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

بامتيازات ظالمة يدعون حراستها، ولا يريدون أن يخسروا دعواهم فيدفعون ثمنها من دماء الناس البسطاء الذين خسروا كل شيء.

والذين يرفعون شعار المعارضة يظلمون قاعدتهم تحت ستار دعوى تحصيل الحقوق الطائفية . . ودائماً يدمر كل فريق العمران والإنسان في منطقة الفريق الآخر، وتأكل الفتنة لبنان واللبنانيين، وتزدهر الحالة الطوائفية، ويزدهر المتسلطون عليها، ويتمزق الوطن ويموت لتنمو من خلال خرائبه الأوطان الطائفية، ويدمر المواطن ويموت ويشمل الخوف المواطن البسيط، وتتوزعه الحيرة فيخرس عن الشكوى ويخرس عن النقد، وتعمل الفتنة من خلال أدواتها على تشويه وتدمير صيغة العيش المشترك بين المواطنين، فلاتني في العمل على تقسيمهم إلى وحدات دينية وطائفية ومذهبية وحزبية في داخل كل طائفة ومذهب، وتخلق أوهاماً، وتبيع أحلاماً، وتتغذى باستمرار على الخوف والحقد والدماء. وبلغت الفتنة حداً، جعل كل فريق عاجزاً عن السلام لأن الفتنة دمرت كل ذرة من إمكانات استعادة الثقة التي بدونها يستحيل إعادة السلام.

إن هذا الواقع الأليم يجعلنا أكثر من أي وقت نعلق الآمال على سوريا على الرئيس حافظ الأسد وعلى المبادرة السورية في لبنان، هذه المبادرة التي تعرضت للغدر من هذا الفريق أو ذاك أكثر من مرة، وتعرضت للتشويه من أولئك وهؤلاء أكثر من مرة، وتعرضت للنكث أكثر من مرة وتعرضت للاستغلال من الجميع، هذه المبادرة التي عمت لبنان من أن يكون اسرائيلياً وعصمته من أن يكون مستعمرة أمريكية ، اسرائيلية .

إن أساس قيام لبنان واستمراره هو العيش المشترك بكل ما يعنيه ذلك من تواصل إنساني وعملي وسكني، وكل حل سياسي يراد به إنقاذ لبنان لا بد أن يقوم على مبدأين «العدالة والعيش المشترك»، وهذا ما يتعارض مع استخدام التفجير الأمني وسيلة سياسية، لأنه يحول دون بناء حالة سياسية ويهدم إمكانات العيش المشترك، ومن ثم فإنه إذ يحول دون تكوين صيغة لإعادة بناء لبنان فإنه يمعن في هدم مقوماته كوطن وعلى رأسها العيش المشترك.

ولقد كان رأينا الذي عبرنا عنه دائماً أنه لا يجوز اعتماد السلاح أداة لفرض الرأي السياسي. وقلنا مراراً أن العنف يستدرج عنفاً مقابلاً، وحصادهما المرّ مزيد من القتل والدمار ومزيد من شرذمة الشعب وتفريقه ومزيد من تقطيع أوصال الوطن.

وها نحن نرى أن كل موجة عنف تحمل في ثناياها وفي أعقابها ذلك كله، وهو يستتبع دائماً المزيد من فرص نجاح المخطط الإسرائيلي وتصديق النظرية الإسرائيلية في لبنان.

وعلى هذا الأساس قلنا دائماً أنه يجب فصل المسألة الأمنية عن المسألة السياسية. فليغلق الملف الأمني، أو ـ على الأقل ـ فليجمد الوضع الأمني ـ وليبق الصراع السياسي مطلقاً ومفتوحاً إلى أن يتم التوصل إلى اتفاق أو وفاق.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن الساحة السياسية حفلت في الأشهر الأخيرة بأفكار الحوار ومشاريع الحلول لأزمة لبنان، وأغلب الفرقاء وربما كلهم أعلنوا آرائهم وتصوراتهم. وقد قدمنا للرأي العام مشروعنا للحل السياسي لأزمة لبنان (الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى) وهو يقوم على أساس التغيير الكامل بما يضمن العدالة والكرامة لجميع اللبنانيين. والمشاريع الأخرى كلها تقوم على أساس إبقاء النظام على حاله مع أجراء بعض الإصلاحات عليه. وهذا ما يتنافى مع مبدأ العدالة ويهدد صيغة العيش المشترك، ويبقى لبنان في دوامة الأزمات التي يحمل النظام الطائفي دائماً بذورها في أحشائه.

إن كل عملية حوار تعتمد على عنصرين. موضوع الحوار والمحاور، ومن هذا المنطلق فإننا نرفض الدخول في أي اتفاق أو ميثاق على أي أساس يعيد انتاج النظام بشكل أو بآخر، أننا ننطلق من موقف مبدأي يستوحي موقف الحسين في كربلاء حينما قال: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرُّ لكم فرار العبيد»[1].

ومن هذا وذاك نعلن أننا لم ولن نوكل أحداً أو نفوض أحداً ولم ولن يمثلنا أحد في أي مؤتمر أو لقاء يعقد على هذا الأساس.

إننا سنبقى مع الناس البسطاء الذين ذبحوا وشردوا وهجروا وهدمت بيوتهم ودمرت أملاكهم وأفقروا. وسنظل متمسكين بمشروع (الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى) وسنظل نعمل من أجل تطبيقه بالأساليب السياسية السلمية، كل ما نريده هو أن يتوقف تيار العنف، وأن يتوقف القتل المجاني للناس، وأن يتوقف إفقار الناس وإذلالهم ومصادرة حرياتهم من هنا وهناك، وأن

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ١٩١ والمناقب: ج ٤ ص ٦٨.

تتوقف عملية تقسيم لبنان وتفتيته إلى إمارات طائفية وكانتونات تحقق حلم إسرائيل وتؤسس نموذجاً إسرائيلياً للمنطقة برمتها.

ومن حق هؤلاء الناس البسطاء أن نرى معاناتهم وأن نشخصها. إنهم يكابدون ـ إلى جانب خوفهم من المستقبل، وإلى جانب هاجس الموت اليومي ـ من الوضع الإجتماعي المعيشي ومن قضية الحرية.

إنها التهجير والمهجرون منذ آول عملية تهجير تعرض لها اللبنانيون في ساحل المتن من منصورية المتن وإلى ساحل البحر مروراً بتل الزعتر والنبعة وبرج حمود وغيرها وإلى آخر عملية تهجير تجري الآن في منطقة جبيل وكسروان ومروراً بكل عمليات التهجير التي تعرض لها المسلمون والمسيحيون في كل أنحاء لبنان، وما نتج عن ذلك من أملاك مهدومة وأسر مشردة تعيش على الصدقات المحلية .والأجنبية أنها تخريب المصانع والمتاجر وسائر المرافق وما نتج عنها من بطالة وعوز.

إنها تعطيل التجارة الخارجية والداخلية وحركة التصدير وتسويق المنتجات الزراعية وتلف المواسم.

إنها الخوات والضرائب التي تؤخذ غصباً وبغير وجه حق من السيارات والمارة على كل طريق.

إنها إحتكار المحروقات والطحين والخبز والدواء وسائر الحاجات الأخرى والتحكم في أسعارها وأخذ الضرائب غير المشروعة عليها. إنها سرقة البيوت والسيارات والمحلات التجارية. إنها التلاعب بأسعار العملات مما سبب الدمار والفقر للكثير من الناس. إنها تدمير المؤسسات الصحية والإجتماعية والمستشفيات والإعتداء الدائم عليها وتعطيل عملها وإرهاب العاملين فيها.

إن هذه النوائب قد خربت الناس في جميع وجوه حياتهم والمسؤولون عن ذلك هم الحكم والحكومة والمليشيات والأحزاب المسلحة. لقد دمرت حياة الناس بسبب الحرب الموجهة إليهم ودمرت بسبب الذين يدعون حمايتهم في الوسط المسيحي والإسلامي.

إننا إذ ندعو جميع القادرين على العون أن يمارسوا الأخوة الإنسانية عملياً في إغاثة المنكوبين بكرامة، وندعو جميع المؤسسات الإنسانية التي ساهمت

مشكورة في التخفيف من آثار النكبة أن تزيد من مساهمتها. ندعو الحكومة إلى أن تقوم بالتزاماتها بعيداً عن روح الحزبية والاستئثار، وندعو المليشيات وقياداتها أن تتبصر فيما تفعل وفيما يرتكب أفرادها وجماعاتها في حق الناس العاديين الذين يتعرضون على أيديهم لشتى المظالم ويعجزون حتى عن الإحتجاج عليها فضلاً عن ردها.

ونرى لزاماً علينا ونحن نعرض ظلامة الناس في مسألة العيش أن نعرض ظلامة أخرى بدأت تتكون في مسألة الحريات. إن النظام على جميع ما يتضمنه من مفاسد لم يجرؤ على المس بحرية التعبير عن الرأي وحرية الإجتماع. وحينما كان يتولد إحساس بأن النظام يفكر أو يخطط للمساس بالحريات كان الشعب يتحرك وتتحرك قياداته ويضعون حداً لكل محاولة تستهدف النيل من الحريات.

ولكن الخطر يأتي الآن من المليشيات، هذه القوى المسلحة بدأت تتجرأ على كبت الحرية حرية التعبير عن الرأي وحرية الإجتماع. لا أميز منطقة عن منطقة ولا مليشيا عن مليشيا. إن الحريات في خطر حقيقي، وكل فريق يحاول من خلال تسلطه أن يفرض فهمه ومفاهيمه ووجهة نظره على سائر الناس وأن يحول بين الآخرين وبين التعبير عن رأيهم.

إننا إذ نحذر من المساس بالحريات فإننا ننبه جميع قيادات الرأي العام لهذا الخطر وندعوها إلى مواجهته. إن كبت الحرية في لبنان يدمره أكثر مما تدمره الحرب ويجرده من مضمونه ومعناه، ويفسح في المجال أمام أشكال جديدة من الطغيان.

وفي الحديث عن مسألة الحريات لا بد من الوقوف عند الوجود المسيحي في بيروت الغربية وضواحيها، فنشدد على إدانة خطف المسيحيين وتهديدهم والتعرض لهم بأي سوء بقصد حملهم على هجر بيروت الغربية أو إهانة كرامتهم وإتلاف حياتهم، فإن ذلك غير مشروع، وهو إذ يعرض صيغة العيش المشترك للخطر وإذ يعرض سمعة المسلمين للتشويه، فإنه يحقق هدفاً إسرائيلياً واضحاً للجميع.

إننا ندعو القادرين والمؤثرين إلى الوقوف في وجه هذه الممارسة غير المشروعة، وإلى التوعية بأخطارها وعدم مشروعيتها. وإذا كنا نرفض الخضوع للواقع التهجيري الإسلامي من المناطق المسيحية، والواقع التهجري المسيحي

في المناطق الإسلامية ونتمسك بعودة جميع المهجرين إلى محال سكناهم وعملهم في أية منطقة من لبنان، فإننا نعتبر المسيحيين القاطنين في بيروت الغربية مواطنين يجب احترامهم وحمايتهم وصيانتهم من كل سوء، يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة التي يخولهم إياها كونهم لبنانيين .

وإذا نتحدث عن الوجود المسيحي في بيروت الغربية، فإن ذلك يدعونا إلى الحديث عن بيروت الغربية نفسها، وعن شكواها المحقة فيما نزل بها، وعن وحدة المسلمين التي تتمثل فيها، وتتعرض للتهديد من خلال ما يجري على أرضها.

هذه الوحدة الإسلامية المباركة فريضة دينية إسلامية على المسلمين بما هي أمر الله تعالى في القرآن العظيم وسنة نبيه الكريم، وبما هي تعبير في حياة الأمة وتكوينها عن خط التوحيد، وهي فريضة دينية إسلامية بما هي ضرورة لسلامة المسلمين وقوتهم وعزتهم، وبما هي ضرورة سياسية لإنقاذ لبنان من الفتنة، إن هذه الوحدة تعرضت للاساءة ولا تزال تتعرض لنوعين من الأخطار، خطر التآمر عليها من عدة جهات وخطر الممارسات الجاهلة والمغامرة التي تجري أكثر ما تجري في بيروت الغربية. وفي هذا الشأن فإننا واثقون بأن هذه الوحدة المباركة في رعاية عقول وقلوب واعية أمينة من قادة المسلمين ورعاتهم الحريصين على صيانتها وتعميقها. وإننا ندعو ونعمل لتطبيق اتفاق دمشق بشأن أمن بيروت بفعالية وحزم، وتعزيزه ببعض الإجراءات التي تزيد من إمكانات نجاحه.

وفي غمرات ليل الفتنة الكبيرة، وما يتولد عنها من فتن ومشكلات صغيرة يلمع نجم كبير ساطع في حياتنا يضيئها ويطهرها. إنه المقاومة الشاملة، وهذا هو يوم الذكرى الثالثة للإعلان عنها:

هذه المقاومة التي كانت قد بدأت بعد الإحتلال الإسرائيلي بوقت قليل، ثم تم الإعلان عنها في خطبة عاشوراء في العاملية سنة (١٤٠٤ هـ) وفي ذكراها الثالثة في هذا اليوم المجيد نضيء واقعها ببعض الحقائق.

أولاً : إن هذه المقاومة انطلقت من مبدأ راسخ وهو اعتبار اسرائيل عدواً أساسياً ووجودياً للمسلمين والعرب ولبنان ، تمثل قاعدة الاستعمار الجديد لمنطقة الشرق الأوسط برمتها .

ثانياً : إنَّ هذه المقاومة بدأت بالمسلمين الملتزمين وتستمر بهم ، ومع التقدير الكبير لكل من شارك فيها من غيرهم فإنهم يبقون زادها وعمادها . ونجدد الآن الدعوة التي وجهناها عند الإعلان عن المقاومة الشاملة الى المواطنين المسيحيين للإنخلاط الفعلي في مقاومة اسرائيل ، وهذا يقتضي اتخاذ موقف صريح وميداني من عملاء اسرائيل فيما يسمى جيش لبنان الجنوبي الذي ينكل بالمواطنين الأبرياء في الجنوب لحساب العدو الإسرائيلي واحتلاله .

ثالثاً : إن المقاومة لا تعلن عن نفسها . إنها تقوم بواجبها بصمت وبسبب ذلك فإنها تتعرض للمزايدة والتسلل والتسلق في مجال الإعلام ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ . وهنا نقول بصراحة أننا نرفض فرض وصاية على المقاومة ، ولا توجد جهة صالحة لفرض هذه الوصاية .

رابعاً: إن هذه المقاومة الشاملة قد حققت جزءاً هاماً من أهدافها. لقد أجبرت اسرائيل على الإنسحاب من جزء كبير من أرض الجنوب اللبناني المحتل، واستطاعت أن تفضح أسطورة الجيش الإسرائيلي والجندي الإسرائيلي. ولكنها لن تقف عند حاضرها ولن تلتفت إلى ماضيها لتنتشي بانتصاراتها، وإنما تتطلع إلى المستقبل لتصنع مزيداً من الانتصارات، وستتابع نهجها وطريقها إلى أن تحقق أهدافها في التحرير الكامل وبدون أية شروط أو مكاسب لإسرائيل. وبهذه المناسبة فإننا لا نصدق ما يشاع ويذاع عن قرب انسحاب إسرائيل من الجنوب، وأنه يكون في الشهر القادم. ونرى أن ما يذاع من هذا القبيل بحسن نية، يستخدم للتأثير على نهج المقاومة وتصميمها وللتأثير على موقف الشعب منها، إن إسرائيل عازمة على البقاء بشكل أو بآخر بقواها وبقوى عملائها لتحقق أهدافها ومنها هدف الاستيطان وتفتيت لبنان إلى كانتونات طائفية. وقد اقتطعت جزءاً هاماً. من أراضي الجنوب بصورة فعلية. ولذا فإن الموقف الوحيد المشروع هو مقاومتها بكل سبيل.

خامساً : إن هذه المقاومة تعتقد أن الأسلوب الوحيد الذي يؤثر على اسرائيل هو أسلوب المقاومة الشاملة تعبوياً وسياسياً وعسكرياً. وهي اللغة

الوحيدة التي سنعاملها بها في لبنان ، فلا شرعية لأية مفاوضات ولأية ترتيبات أمنية سواء أكانت نتيجة لمفاوضات معلنة، أو نتيجة لأمر واقع متسالم عليه بين اسرائيل وبعض القوى المحلية وأمريكا .

ومن هنا فإننا نقول بصراحة لهؤلاء الذين يركضون الآن وراء أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية في سبيل ما يسمونه السلام. إنكم لم تحصلوا على أي سلام، لن تحصلوا على غير الأوهام. لن تحصلوا إذا حصلتم على أي شيء إلا على استسلام ذليل يضحي بكل جهاد المجاهدين في سبيل فلسطين منذ بدأت المؤامرة الصهيونية الاستعمارية عليها حتى الآن، ويضحي بكل حقوق الشعب الفلسطيني في فلسطين.

إننا ندعو هؤلاء إلى أن يعتمدوا شعار كربلاء، وموقف الحسين في كربلاء (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد) وندعوهم إلى أن يقرأوا تاريخ الصهيونية وأمريكا والاستعمار القديم والجديد مع المسلمين والعرب وفلسطين ـ هذا التاريخ تاريخ الخسة والغدر والعداء ليروا أنهم يكررون التجربة نفسها التي باءت دائماً بالفشل وبغدر جديد. إننا نجدد الدعوة إلى اقتراحنا بأن يجمد العرب مساعيهم السلمية ومشاريعهم السلمية خمس سنوات على الأقل، وأن ينصرفوا إلى إعادة التضامن العربي على أساس مقاومة إسرائيل ورفض الهيمنة الأمريكية على المنطقة، وبناء مجتمع حرب واقتصاد حرب.

وبعد، من آفاق الحسين وعاشوراء تلمسنا قضايانا الخاصة والعامة فهماً ومعالجة، ونعود إلى تلك الآفاق الطاهرة لنكتشف الشرط الأساس لكل تصحيح ولكل تقدم حقيقي. إنه الإنسان الأخلاقي. إن أزمة الأخلاق هي عامل هام فيما نزل بلبنان.

إن الأخلاق في أزمة على كل الصعد في الحكم والمجتمع. الأمانة والعفة والشجاعة والرحمة والعدالة وغيرها. ولا أخلاق فاعلة بدون إيمان حي بالله تعالى، إيمان يتجاوز ممارسة الطقوس الى التأثير في السلوك اليومي للإنسان بحيث يكون الله حقيقة حاضرة في حياة الإنسان.

إن سعادة الدنيا والآخرة لا تكون إلا بهذا. وما كان للحسين أن ينجز ثورته الخالدة لولا أن أصحابه كانوا هكذا، وكان هو مثلهم الأعلى. لقد منعته أخلاقيته النبوية من الغدر حتى من أجل النصر. لقد كان وفياً وأميناً ومحباً حتى لأعدائه.

لقد روى أنه بكى إشفاقاً عليهم كما روى أن جده رسول الله (ص) حزن ودعا لأعدائه قائلاً (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

لقد كان الله تعالى - رباً وإلهاً وحبيباً - الحقيقة الساطعة الوحيدة في وعي الإمام الحسين حتى في أقسى ساعاته في كربلاء وأحفلها بالفجيعة. وما كان للفجائع أن تحوله لحظةً عن الإخلاص المطلق للقضية «الإسلام والأمة». لم يعادِ خصومه وقاتليه كأشخاص وإنما عادى موقفهم وحاربه وثار عليه من أجل قضية الإسلام والأمة، هذه القضية التي كانت عنوان شهادته. ومن هنا كانت حياته وثورته وشهادته موصولة بخط النبوات في تاريخ الصراع بين الحق والباطل، من هنا كان الحسين ثأر الله. ومن هنا كان الحسين وارثاً لهذا الخط النبوي، وبقي أميناً عليه، وصدق نهجه بشهادته.

وهذا ما جعل الإمام جعفر الصادق يعلم الناس الزيارة المشهورة، زيارة وارث. (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله السلام عليك يا وارث موسى كليم الله السلام عليك يا وارث عيسى روح الله السلام عليك يا وارث محمد سيد رسل الله السلام عليك يا وارث علي أمير المؤمنين وخير الوصيين السلام عليك يا وارث الحسن الرضي الطاهر الراضي المرضي السلام عليك أيها الصديق الأكبر السلام عليك أيها الوصي البر التقي السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك السلام عليك وعلى الملائكة الحافين بك أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت الملحدين وعبدت الله حتى أتاك اليقين السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الوحدة
من خلال عاشوراء



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله لطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

نبتهل إلى الله تعالى أن يبارك للمسلمين في سنتهم الهجرية الجديدة التي تبدأ هنا اليوم.

وهذا أول يوم من السنة ١٤٠٨ للهجرة النبوية الشريفة، وبهذا تنتهي سنة هجرية وتبدأ سنة جديدة، وقد كانت حالة المسلمين إذا أردنا أن نقوّم وضع المسلمين في السنة الماضية. وضعهم في العالم، في المنطقة، أو في لبنان، فسنجد أنهم كانوا في السنة الماضية يعانون من مسائل كثيرة، وأمراض كثيرة، كلها ناشئة ـ بالدرجة الأولى ـ من تعاون قوى الاستعمار عليهم، وأعمال الاستعمار بشتى أصنافها على تفرقة كلمتهم، وإضعاف قوتهم، واستنزاف ثرواتهم، لأنه في العقود الأخيرة من السنة الماضية الاستعمار لم يعد يخاف من الأمة الإسلامية. كدول، وإنما هو يخاف منها بما هي وجود بشري عظيم في العالم، ويخاف الإسلام بما هو عقيدة وحركة وإيمان.

(*) ألقيت بتاريخ ١/محرم/ ١٤٠٨ هـ ـ ٢٦/آب/ ١٩٨٧ م.

في مقابل الاستعمار ومشاريعه في صيغته الجديدة الإمبريالية التي تريد أن تستعبد جميع الشعوب المستضعفة في العالم، ولا سيما الأمة الإسلامية في جميع أوطانها.

هذه السنة يدخل فيها المسلمون. والأمر على حاله، عدوان الاستعمار على الجمهورية الإسلامية الإيرانية لا يزال مستمراً، العدوان على جماعات المسلمين في آسيا، وفي إفريقيا، وإيقاع الحروب الداخلية بين هذه وتلك، وإثارة الفتن بين هذه وتلك لا تزال على حالها.

ثمن ثروات المسلمين ومقدّراتهم من النفط إلى سائر الثروات الأخرى لا تزال مستمرة وقائمة كل أحوالهم تذهب هدراً دون أن تعود ولو بأي فائدة على المجتمع الإسلامي برمته، هذه الأزمة ما تزال مستمرة.

في لبنان حالة المسلمين صورة مصغرّة، عن حالة المسلمين في العالم، بالرغم من أن الوعي العام. ـ وبحمد الله ـ حافظ حتى الآن على جوانب كثيرة من وحدة المسلمين اللبنانيين، إلا أن هذه الحالة، وهذه الوحدة تعاني من مصائب وتواجه أخطاراً كبيرة لا بد من أن نواجهها بوعي كبير حتى لا نقع بالأخطاء التي تؤدي إلى الخلافات، وحتى لا نقع في الأفخاخ التي ينصبها أعداء المسلمين من إسرائيل وغيرها.

وهذه القضية كما قلنا ونقول دائماً، قضية وحدة المسلمين في لبنان هي ليست في اهتمامنا، وفي عملنا من منطلق طائفي يريد أن يكوّن حالة طائفية متماسكة في مقابل حالة طائفية أخرى هي الحالة المسيحية، الأمر ليس كذلك أبداً.

نحن حينما نتحدث عن المسلمين، عن وحدتنا، لأن ذلك مقتضي عقيدتنا، مقتضي إيماننا الإسلامي هو أن يكون المسلمون موحدون، الأوامر الإلهية تنص على ذلك، وتنهي عن الفرقة. وكما يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾[1].

ثانيا: نهتم بهذه الحالة أو الوحدة، لأجل أن تكوّن قدرة على التكاتف

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

والتحاور مع الشعب المسيحي في لبنان التحاور هو في صميم الإسلام .

الرسول (ص) كان رجل الحوار الأول، ويكفي للدلالة على ذلك قول الله تعالى : على لسان رسول الله (ص) **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾**[1] سائر الخلفاء والصحابة والأئمة المعصومين، كل هؤلاء الأبرار شعارهم وعملهم كان يقوم على مبدأ التحاور.

نحن حينما نعمل من أجل ترسيخ وتثبيت وحدة المسلمين جهودنا تهدف إلى إكمال عقيدتنا، والاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى، وأيضاً نعمل من أجل حالة قادرة على التكامل مع المواطنين في لبنان، وذلك انطلاقاً من روحية وجوهر الإسلام المنفتح مع سائر الأديان ونريد من المواطنين المسيحيين في لبنان أن يتحملوا المسؤولية وأن ينطلقوا من جوهر المسيحية، وأن يكونوا أمناء عليها من خلال جوهرها في الوصايا العشر فيؤمنون بمبدأ الحوار لا بمبدأ التسلط، بمبدأ الإنسانية، لا بمبدأ الإمتيازات بمبدأ المواطنة التي تعني المساواة في كل شيء. والتخلي عن مبدأ الملحقات، كما نص عليه مفهوم لبنان سنة (١٩٤٣).

نقول أن الأزمة التي يواجهها اللبنانيون. وتصيب في جانبها الإقتصادي الإجتماعي اللبنانيين.

هذه الأزمة هي غالباً لا تفرّق بين مسلم ومسيحي المسلم يحتاج إلى الدواء ولا يجد ثمنه، والمسيحي يحتاج إلى دواء ولا يجد ثمنه، ذلك نتيجة لأزمة المجتمع. التي نعاني منها، والتي نسعى مع المخلصين الواعين لأجل إيجاد المخارج والحلول الجزئية ولو المرحلية. للتغلب عليها. إلى أن نجد حلاً للمشكلة السياسية التي تتخبط بها البلاد منذ اثني عشر سنة .

حينما نبدأ اليوم بإحياء الذكرى السنوية لثورة الإمام الحسين (ع) في أيام عاشوراء، فإننا نرى مشكلاتنا، مشكلات وحدتنا الإسلامية. ومشكلات وحدتنا الوطنية، ونظامنا السياسي وأزمة المجتمع على ضوء المبادىء والخطوط العريضة التي طرحها الإمام الحسين (عليه السلام) وجاهد سياسياً في سبيلها، والجاهُ النظام اليزيدي. والمجتمع المتخاذل في ذلك الحين إلى أن يثور بإرادته الكاملة الحرة حتى استشهد.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

مشكلات الناس أيها الأخوة: مشكلات الفرد والجماعة، والمجتمع وأهله من أيام «قابيل» و«هابيل» إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة، ما هي المشكلات؟! كل واحد منكم، أو منكّن عنده جسم يريد أن يكسوه ثياباً تقيه الحر والبرد، جسد يحتاج إلى تغذية، عنده عقل وفكر محاط بالطبيعة بخلق الله تعالى يحتاج إلى علم لأجل أن يستكشف الطبيعة ليعرف كيف سخّر الله السموات والأرض: ودائماً الإنسان يحتاج إلى كرامة.

هذه المشكلة هي من الماضي حتى يومنا هذا. حاجات معنوية يلخّصها الوضع السياسي الإجتماعي الإقتصادي.

قابيل لماذا طغى على هابيل؟؟ أيضاً لو ترجمت وحللت لوجدتها نفس المشكلة اللبنانية. إنها مشكلة الإمتيازات!؟!

أخوان من أم واحدة، ومن أب واحد. حدث بينهما أثر التسلط والحسد. حدث بينهما أن أحد الطرفين يريد جوائز بدون كفاءات مثل ابني آدم، إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر؟ لماذا؟

هل هذا يعني أن الله يحب هابيل أكثر من قابيل ؟ لا.

إن المسألة أن هابيل هو شخص له كفاءة معينة أهلته لإنجاز عمله وقابيل هو شخص آخر لم ينجز إنجازاً يمكن قبوله.

إن المسألة هي هذه: هل إن أحدهما له قرابة مع الله؟ لا.

هذا الرجل له وضعية حياتية له وضعية سلوكية إنسانية جعلت له كفاءة معينة قربانه تقبل، الآخر لم يتمتع بهذه الوضعية قربانه لم يقبل.

هذا يتمتع بكفاءات ومواهب معينة، وذاك لا يتمتع بمثل ما يتمتع الأول، الذي لم يتقبل منه لم يظلم، وإنما لم يتقبل لأن كفاءاته محدودة، هدد أصحابهُ بالقتل: القصة القرآنية... المذكورة. **﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾**[1].

إن هذا المثل ينطبق على لبنان، وعلى الفليبين كما ينطبق على ڤيتنام،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

على الاستعمار، على الدول المستضعفة.

إن الإنسان له خلقة واحدةً، وله حاجات واحدة.

إذاً أيها المواطنون!

نحن نقول للمرة الألف: لا يمكن القبول بنظام السقوف المتفاوتة، نظام الإمتيازات!

قد يقال: «أنت مخرّب»، نحن لسنا كهابيل، حينما طرحنا منذ سنين، ولا نزال نطرح، ونقول: يجب شرعاً تغيير النظام تغييراً جذرياً.

نحن نعرف أن مطلبنا محق، لأننا لا نقبل بالظلم، والفساد، لأننا نريد للبنان أن يبقى...

حينما طرحنا مشروع الديمقراطية العددية. استهجنت الناس، الآن يكتشفون أن الترقيع، حلول الترقيع ـ أخرتها كما تعلمون ـ من جبهة إلى جبهة.. هذا لا يعني أني معادي لجبهة التحرير والتوحيد.

قلت سابقاً: أنا أؤيد أي اجتماع، أؤيد: توحيد الكلمة، أية جبهة تعمل من أجل توحيد الكلمة نحن معها شرط أن نبقى بعيدين عن المضمون السياسي التي تنتهجُه هذه الجبهة أو تلك.

إن ترجمة كربلاء بلغتنا الحاضرة هذه هي: وجود نظام إمتيازات، نظام قابيل وهابيل...

إن الامام الحسين (ع) رفض هذا النظام. مدّوا يدهم اليه وقتلوه، دافع عن نفسه بقدر استطاعته حتى استشهد وكانت عاشوراء التي نجدد أحياؤها هذه السنة. سأحدثكم وسأحدث غيركم في كل ما سيوفقنا الله تعالى له في المجالس في هذه العاشوراء عن المسألة التالية، وهي التي حدثتكم عنها في مستهل كلامي، مسألة وحدة المسلمين التى هي مدخل الى وحدة اللبنانيين.

وهذا المجلس المبارك مجلس عاشوراء هو مورد لاختيار أمرين:

الأمر الأول: هو درجة الاستفادة من هذه المنابر لتحقيق الوعي الإسلامي المسؤول.

إن الإنسان له ثلاث حالات ـ حالة اللاوعي ـ: إنسان غير واعي، الوعي

غير المسؤول: مثل الإنسان الذي يعي واجبه الشرعي كوجوب صيام شهر رمضان، وهو مريض، ويقول لا بد أن أصوم شهر رمضان، وإن كنت مريضاً فيؤذي نفسه ويصوم صوماً محرّماً، أو مثل الإنسان الذي يحج وأولادُه جائعين، ونحن نعرف عظمة هذه الذكرى، وهذه الأمة يجب أن تستفيد وأن تصل إلى حالة الوعي المسؤول.

وهذا يقودنا إلى النقطة الثانية طريقة إحياء الذكرى - الكلام فيها: الشعارات الأفكار، الأطروحات الإيمانية والسياسية. والإجتماعية التي تلقى في هذه المجالس، يجب أن تكون مضبوطة وملائمة للشرع.

هذه المجالس هي مؤسسة. وعند المسلمين الشيعة بشكل خاص مؤسسة المآتم الحسيني من سنة الستين للهجرة إلى هذه السنة.

السؤال: كيف تُدار هذه المؤسسة؟؟.

هل تُدار لأجل ترويج الخرافات : ؟

هناك مبالغات في قصة الحسين (ع) كم يقال على هذا المنبر من خرافات ليس لها أي أساس: تحت ستار حسيني.

وهذه المسؤولية، هي مسؤولية قراء التعزية، أن لا ينقلوا إلى الناس فيها عناصر كاذبة، وإنما ينقلون إليهم الحقيقة التاريخية.

الامر الثاني : ما يلازم هذه الذكرى ، من يافطات وملصقات ، وتسجيلات ، الأطروحات التي تطرح على الناس يجب أن تحسب بالحساب ، لا تثير المشاعر التحريضية ، والتقسيمية سواء في داخل المسلمين الشيعة ، أو في خارجهم أو أن تحوّل هذه الذكرى الى احتفال حزبي .

إن الإمام الحسين (ع) ليس ملكاً لهذا الحزب أو لذاك الحزب، هو إمام للمسلمين، إمام الإنسانية.

لـمّ أنت أيها الإنسان تزّور الحقيقة لأجل أن تجعل من الحسين (ع) رجلك الخاص؟.

هذه المسألة ما أنزل الله بها من سلطان:

الأمـر الثالث: تـلازمت هذه الـذكـرى مـع بعض المـظاهـر التي تتجـاوز المأتم ، مسيرات ، مظاهرات ، استعراضات ، تمثيل بعضها مشـروع ولا بأس به . وبعضها مشروع وبه بأس ، إذا مورس وعمل بطريقة دموية ، وبعضها غيـر مشروع إطلاقاً ، وكلها يمكن أن تؤدي الى احد الأمرين أو الى الأمرين معاً .

١ ـ أما إلى إيجاد الفرقة بين طوائف المسلمين.

٢ ـ أو إلى إيجاد حالة سخرية لمأتم الحسين (ع) ولمن يقومون به، بحيث أن الممارسات تكون بتعبيركم (فرجة).

إن المأتم الحسيني ليس (فرجة) وإنما هو عبرة، المأتم الحسيني ليس «فولوكلور» بالتعبير الصحفي.

إن الإسلام أجلّ، وقداسة الرسول (ص) أجلّ، والحسين العظيم وذكراه أجل، من أن تتحول إلى فرجة، وهي أقدس من أن تتحوّل إلى مادة من مواد الشمت النفسي، والإثارة العاطفية التي تؤدي بشكل أو بآخر إلى الإساءة إلى وحدة المسلمين أقول:

انتبهوا، إن وحدة المسلمين هي أقدس المقدسات، في هذا الزمان خاصة، وفي لبنان خاصة .

لذلك فإن هذا المأتم حيث عقد يجب أن يكون خادماً لهذه الوحدة، وإذا لم يستطع على الأقل لا يخرّب هذه الوحدة.

وهذه الأمور يتحمل مسؤوليتها الجماعات التي تقوم بتأسيس هذه المآتم.

إن القارىء الذي يجلس على المنبر ليقول للناس هو يتحمّل المسؤولية، أيضاً، وعليه أن يأخذ هذه المسألة بعين الإعتبار.

لذلك إن هذه العشرة أيام تحملّنا جميعاً مسؤولية استثنائية بالنسبة إلى هذه الأمور التي ذكرتها، بالنسبة إلى الذكرى، إلى قدسية الحسين (ع) والإسلام، بالنسبة إلى وحدة المسلمين، وسمعة المسلمين في جميع الدول.

أريد أن أختم بملاحظة قد لا يكون لها علاقة بهذا الحديث الذي قدمتهُ حديث المأتم والذكرى.

ولكن هي من الواجبات السياسية الدينية، وهذه الملاحظة هي أن أوصي

بعضكم ببعض، لا من الناحية الإخوانية أن تحبوا بعضكم بعضاً، أكثركم يحبون بعضهم البعض وإنما من الناحية الإجتماعية الإقتصادية التعاونية قلت:

إن المجتمع يواجه أزمة غير الأزمة السياسية، فهو يواجه أزمة الدواء والرغيف، الدولة لا تبالي، الحاكم لا يبالي . . بالمجتمع اللبناني لا بمسيحيه ولا بمسلميه الحكومة عاجزة، وأقول:

لا يوجد حكومة، ـ شكل حكومة ـ الوضع النقدي متدهور، كما تعلمون جميعاً: عجز الناس عن شراء أية سلعة، هيئات حكومية حتى الآن مؤهلة لمواجهة الأزمة لا يوجد، كنا نعلق آمالاً قبل أشهر على أن بعض المؤسسات يمكن إعادة الإعتبار إليها. وإعادة أحيائها من جديد لتقوم بعملها وإذا بالأمر يزداد سوءاً، بقي موضوع المجتمع، موضوع الرحم مع رحمه، وابن الجار مع جاره، وابن القرية مع ابن قريته: الحديث القدسي الذي يقول: «ما آمن بي مَن بات شبعان وجاره جائع»[1].

إن تطبيقه اليوم وليس في أيام الرخاء، قلنا ونكرر القول، هذه المناسبة تصلح لأن تكون مناسبة حسينية؛ المشاركة والإيثار، الروابط العائلية، والجمعيات الخيرية، والنوادي، أو اللجان، أو الخلايا الإجتماعية، يجب أن نتوجه إلى تفقد حالة المحيط البشري المحيط بنا لمساعدة المحتاجين، وتجتمع إدارة العائلة وتعطي المحتاجين، ورد في الأخبار عن النبي (ص) وآله الأطهار:

«إن الرحم لتعلق بالعرش يوم القيامة فتقول: يا رب إقطع من قطعني»[2].

أما بالنسبة إلى أهل الحي، أهل القرية يفحصون فيما بينهم عن المحتاجين الله تعالى يقول سبحانه وتعالى:

إن الناس على قسمين: قسم تدفعهم حاجاتهم ويقولون نحن محتاجين، وقسم قال الله عنهم ﴿**لا يسألون الناس الحافاً**﴾[3].

---

(١) الوسائل: ج ٨ ص ٤٩٠ باب ٨٨ من أبواب أحكام العشرة ح ١.

(٢) كنز العمال: خ ٦٩٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

هؤلاء الذين لا يكشفون عن حاجاتهم واجب المجتمع أن يبحث عنهم، واجب الجميع أن يبحثوا عن هؤلاء لأجل أن يسدوا حاجاتهم.

إن المسألة هي إحياء عمل لروح الإيثار والمواساة الحسينية في هذا الظرف الصعب.

حينما تكون الناس في حالة رخاء ما معني الصَدَقة؟؟ ماذا تنفع الصدقة؟؟.

هذه تكون عندما تكون الحاجة إليها موجودة، ولا أشك أن هذه الظروف التي تمر علينا، أنه يوجد الكثير من الناس العفيفين، الذين لم يعتادوا السؤال ولا الطلب، ويعانون من الجوع. أنا بلغني أخبار أول كانون الثاني أنه يوجد بعض الأسر، بعض النساء والأولاد هم يذهبون إلى مكبات الزبالة. ويبحثون فيها عن البقايا، عن رغيف الخبز عن تفاحة.

نحن قمنا بدورنا وأرسلنا مندوبين من الدفاع المدني في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى أرسلنا لفحص هذه الحالة من بيروت إلى الضاحية وجدنا أناس لأنهم مستورين، وأحرجهم الوضع الإقتصادي أكثر بكثير مما كانوا عليه.

هذا البيت الكريم الذي يذهب أهلهُ ليبحثوا عن شيء من الأكل في المزابل هذا يسبب اللعنة لجيرانهم والإهانة.

إن الفريق الذي يدرس الحالة، صنّف الزبالة إلى ثلاثة أصناف؟ صنف درجة أولى.

١ ـ وهي مزابل رأس بيروت، كورنيش المنارة.

٢ ـ صنف درجة ثانية: وهي مزابل القسم الأوسط. من بيروت إلى المزرعة شمالاً.

٣ ـ صنف درجة ثالثة: من المزرعة جنوباً إلى الأوزاعي:

هذا الأمر مُخزي للنظام وللمؤسسات، وأُخبرت أن هذا الشيء يوجد منه في المنطقة الشرقية، كل سيدة، كل رجل، كل فتاة تذهب إلى القمامة هو لعنة على المجتمع وعلى النظام.

من هنا إتقوا الله في أرحامكم ساعدوا بعضكم بعضاً، الله، الله في إحياء الذكرى الحسينية، سأحدثكم بعد أيام عن تطورات هذا الأحياء من مستوى الثورة العسكرية إلى مستوى البهورة والتسلية.

إن جوهر هذه الذكرى أن تكون للتربية، للتضامن والتعاون: هذه هي حقيقة الحال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثورة
الامام الحسين (ع)
ومنطلقها الاصلاحي



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمدوآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليك يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

هذا اليوم هو اليوم الثاني من أيام عاشوراء، وهو اليوم الثاني من أيام السنة الهجرية الجديدة سنة ١٤٠٨ للهجرة النبوية الشريفة:

من الشعارات التي اعتاد الناس أن يسمعوها في الأيام الأول من عاشوراء، شعار حسيني مشهور، هو فقرة من كتاب كتبه الإمام (ع) إلى أخيه محمد بن الحنفية، والبعض يقول أنه وصيته إليه، هذه الوصية لم يصل إلينا سوى فقرة مشهورة منها، متداولة على الألسن، وهي قوله (سلام الله عليه) «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر. . . فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليّ هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[1].

(*) ألقيت بتاريخ ٢/محرم/ ١٤٠٨ هـ ـ ٢٧/آب/ ١٩٨٧ م.

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

هذه الفقرة هي إحدى الشعارات المشهورة والمعروفة من شعارات عاشوراء، وقيل ويقال كثير: كلام كثير ومكرر في هذا الموضوع عن الحسين (سلام الله عليه):

الإمام (ع) كان يريد الإصلاح، ليس طاغياً، وليس طالباً للملك، كلام كثير يتكرر وهي مفاهيم صحيحة.

ما نريد أن نتناولُه اليوم من هذا الشعار هو أمر آخر غير ما اعتاده الناس، هذا الشعار يطرح مفهومين عامين:

أحدهما مفهوم الإصلاح، والآخر مفهوم الإفساد. «لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً».

والمقولة الثانية هي الإصلاح، خرجت بطلب الإصلاح، مفهوم الإصلاح، ومفهوم الفساد من الأمور القرآنية والأساسية. والإمام (سلام الله عليه) أعلن هذا الشعار إنطلاقاً من القرآن لأنه رجل القرآن، وصاحب القرآن، وإمام أمة تدين بالقرآن، إذاً إنطلق الإمام (ع) من مفهوم القرآن.

نحن حينما نتكلم عن ثورة الإمام، وعن أهدافه الإصلاحية، لا بد أن نأخذ بعين الإعتبار القاعدة التي انطلق منها. هو انطلق من القرآن، والله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة مدح المصلحين، وقال في آيات عديدة: **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**[1]. ونهى عن الفساد في الأرض، **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**[2].

هذا المفهوم المزدوج، مفهوم إصلاح الأرض، ومفهوم إفساد الأرض، مفهوم المصلحين، مفهوم المفسدين، هذا أسلوب قرآني، والإمام الحسين (ع) حينما عبر عنه في وصيته إلى أخيه، عبّر بإسلوب قرآني، وبحسب المفهوم القرآني.

ماذا يعني مفهوم الإفساد في الأرض؟
وماذا يعني الإصلاح في الأرض؟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

كيف ينهي الناس عن الفساد فيها؛ هل معنى إصلاح الأرض أن ينزل الغيث من السماء، وأن تنبت الأرض، وتزدهر البساتين، وأن تقوم الحكومة بشق الطرق وتبني المدن، هل هذا هو الإصلاح؟ والفساد هو تخريب الأرض والبساتين؟.

المفهوم القرآني لا يهدف إلى هذا المعنى، إصلاح الأرض هو إصلاح المجتمع، وإفساد الأرض هو إفساد المجتمع **﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾**.

الأرض من حيث هي أرض لا تعني شيئاً سواء أكانت عامرة أو صحراء، الأرض من حيث هي لا قيمة لها. قيمة الأرض تستمد من شكل المجتمع الذي تعيش فيه، مثلاً: قطعة أرض كملايين قطع الأرض في الدنيا، يمكن أن تكون بيتاً ويمكن أن تكون مرعى، ولكن يأتي شخص ويشتريها بالحلال ويحولها إلى مسجد، حينئذ تأخذ قيمتها من وظيفتها أصبحت مقدسة، أصبحت مكاناً للطاعة، للعبادة وليس مكاناً للذي يزني ويأكل الربا.

إذاً إفساد الأرض، هو إفساد المجتمع، مجتمع مسلم يتحول إلى مجتمع كافر هذا إفساد، مجتمع كريم يتحول إلى مجتمع مظلوم، هذا إفساد، مجتمع مظلوم يتحول إلى مجتمع ظالم هذا إفساد أيضاً. في حكم يزيد بن معاوية حصل هذا المفهوم.

برسالة الإسلام، برسالة رسول الله (ص) صلُحت الأرض كانت الأرض فاسدة، كان المجتمع جاهلياً في فكره، في علاقاته، مجتمع جاهلي لا يفقه من أمور الدنيا شيئاً.

الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فأصلح به الأرض بعد فسادها، أوجد مجتمع صالح، أوجد أرض صالحة، ولكن حينما نشأ الحكم الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان بدأ المجتمع يفسد.

كيف يفسد المجتمع؟.

المجتمع الإسلامي هو مجتمع الأخوة والتكامل، مجتمع الكرامة، الإنسان فيه مكرّم: هناك حديث مشهور شريف عند جميع المسلمين وهو متواتر:

«المسلمون يد على من سواهم، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمّتهم أدناهم»[1].

حينما حكم الأمويون بدأت الأرض تفسد، أصبحت مظاهر الفساد كثيرة، في الثقافة بدأ العهد الأموي يشجّع الإنحلال الجنسي، الأخلاقي، الإنحلال الذوقي في فنون الحياة، لأنه تأثر تأثراً كبيراً بالحياة الرومانية التي كانت سائدة في الشام، هذا النمط، هذه الثقافة، نشرها العهد الأموي بين المسلمين كي يدمر أخلاقهم تدميراً بطيئاً.

وارد في الآثار عن النبي (ص) أنه حذّر من نقض عُرى الإسلام، الإسلام كأنه سلسلة مكونة من حلقات، هذه السلسلة تؤدي مهمتها، إذا كانت متماسكة. فالعهد الأموي بدأ ينقض عُرى الإسلام عُروة عُروة، في الأخلاق، في علاقات الناس بعضهم مع بعض.

قبيلة أمية هم سادة المجتمع، بعد ذلك تأتي قريش، وبعدها يأتي العرب المتحالفين مع قريش، وبعد ذلك يأتي الأعاجم الذين ليسوا عرباً.

مثل هذا النظام في لبنان، ذاك على إسلام، هذا على مارونية، أنظمة السقوف المتفاوتة.

النظام الأموي كانت مهمتُه، إفساد الأخلاق في المجتمع والقضاء على كل ما قام بإصلاحه المسلمين الشرفاء.

إفساد إجتماعي، إذلال الناس، مطاردة الناس كل مَن كان موالياً لعلي وأهل بيته، كان مطارداً من قبل جلاوزة النظام، ويُهدم بيته وتصادر أملاكهُ.

الرسول (ص) أصلح الأرض بإصلاح المجتمع، والعهد الأموي أفسد كل شيء، وهدّم العلاقات بين الناس، وجعل المجتمع فاسداً في علاقاته السياسية.

يوجد نوعين من العلاقات من النوع السياسي: نوع علاقة مجموع الناس بالحكم، علاقة من فوق إلى تحت ومن تحت إلى فوق، كيف يفكر الحكم بالناس؟.

علاقة الناس بالحكم علاقة من تحت إلى فوق أيضاً علاقة عمودية، كيف ينظروا إلى النظام:؟

---

(١) كنز العمال: خ ٤٤١.

هل يثقوا بحاكمهم؟ هل يثقوا بحكومتهم؟.

يوجد نوع آخر من العلاقات السياسية، علاقة الناس بعضهم مع بعض، علاقة الجماعات، علاقة الأحزاب: في المجتمع الأموي كما في كل مجتمع، الإنسان هو الإنسان، نفس العلاقة السياسية بين قابيل وهابيل قانون حاكم إلى يوم القيامة، وهذا المجتمع الأموي، أصبح مجتمعاً فاسداً. معاوية ويزيد كان ينظر كل واحد منهما إلى الناس على أنهم عبيد، وليس على أساس أنهم مواطنون، في العلاقات الحقوقية بين الناس، الناس أصبحت شيعاً وأحزاباً، علاقات التكامل والتعاون التي دعا إليها الرسول (ص) وجاهد من أجلها لم يكن لها أي أثر في المجتمع الأموي.

هذه العلاقات تحطمت ونشأت محلها علاقات التكالب... الإمام الحسين (ع) يتحدث عن هذا النوع من الفساد في الأرض.

يقال الحكومة قامت بإصلاحات، عبّدَت الطرق وأنشأت المدارس، وشجعت الحركة التجارية.

لكن في نفس الوقت هناك علاقات فاسدة في المجتمع، كل شيء موجود في المجتمع، لكن يوجد فساد الحاكم من حيث علاقته بالمحكومين، وفساد المحكومين من حيث علاقة بعضهم بالحاكم الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾[1].

الله تعالى لا يقصد أن لا تخربوا مؤسسات المجتمع المادية. يقول: حافظوا على العدالة السياسية إلى جانب الحفاظ على المؤسسات المادية، حافظوا على العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع.

المجتمع القرآني هو الذي يعمل على أساس أخلاقية البشر وعلى أساس مدنية صالحة، على أساس حكم صالح، حاجات الإنسان المادية محفوظة، وكرامته محفوظة أيضاً.

من هذا المنطلق، منطلق الإفساد في الأرض، والإصلاح نفهم ثورة الإمام الحسين (ع) أنها كانت تهدف ليس فقط إلى إقامة وتصحيح مؤسسات الحكم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

وإنما إلى تصحيح علاقات المجتمع وفي كلام لأمير المؤمنين علي (ع) كان يتحدث عن جماعة من الناس قال: «فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خـولا والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً»[1] أي جعلوا الفئة المنحرفة حزباً لهم.

الإمام الحسين (ع) واجه هذه الفئة المنحرفة، الآن سواء في المجتمعات الإسلامية أو غيرها هذه المفاهيم، كمفهوم الإصلاح في الأرض، ومفهوم الإفساد فيها موجودة، في لبنان موجودة، يمكن أن يقال في الدولة الأوروبية الفلانية وفي الدولة الإسلامية القرآنية توجد مدارس ومستشفيات وطرق، يوجد بناء مادي للمجتمع، بناء خدماتي للمجتمع.

لكن في نفس الوقت يوجد بناء أخلاقي فاسد، بناء سياسي واجتماعي واقتصادي فاسد، بمقياس الحضارة الحديثة.

أما بمقياس الإسلام هذا لا يكفي، الحكم ليس مسؤولاً فقط عن معيشة الإنسان، بل مسؤول أيضاً عن كرامة الإنسان، وعن حريته، أن تعطي الإنسان كل شيء وتصادر حريته يشعر بأنه ذليل، هذا يعتبر مجتمع فاسد، مطلوب تصحيحه . .

في لبنان، كان في الماضي، ويمكن أن يوجد في المستقبل، مجتمع خدمات جيد، علماً بأنه لم يكن في الجنوب، لم يكن في البقاع الغربي في عكار، في الشوف، هذه المناطق التي هي من الدرجة الثانية، أو ملحقات التي يسكنها أولاد الجارية، في مقابل مناطق الدرجة الأولى والأصل التي يسكنها أولاد السيدة.

هذه المناطق لم يكن فيها عمران مادي، كانت ولا تزال تسمى المناطق المحرومة، كان يوجد فساد في النظام.

النظام اللبناني هو نظام الإمتيازات، نظام السقوف المتعددة، هذه القبور موجودة أمامنا كلها حفرها هذا النظام إنه نظام حفار القبور؛ كهنة النظام، فلاسفة النظام، يتحدثون عن الإزدهار الذي حصل منذ الخمسينات والستينات إلى حين نشوء الفتنة سنة ١٩٧٠، يتحدثون عن الأرصدة، عن حجم التجارة، عن الدخل القومي العام، وعن طرق ومدارس ومستشفيات.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

أولاً : هذا نفاق في طرح المسألة، نعم كان يوجد ازدهار هائل بين عشرين سنة وثلاثين سنة، ولكن هذا الإزدهار كان من حصة من ؟ الذين كانوا يستفيدون منه لا يتجاوزون . ١٠ أو ١٥ ٪ من اللبنانيين، والباقي لا شيء .

نحن في الجنوب، والبقاع والشمال والشوف، نعرف كيف كانت البيوت، والكهرباء والطرق، والمدارس كانت (صفراً)، في فترة الستينات فتحت طرق في البقاع، لكنها لم تفتح لأن الشعب يستحقها، بل لأن الأموال المتراكمة فتحت باباً لها، تجارة السيارات والآلات في لبنان، الطرق فتحت لخدمة هذه التجارة، وكالات أجنبية فتحت فروعاً لها في لبنان، وإلا لماذا لم تفتح الطرق قبل هذا الوقت .

الكهرباء جهّزت وعمّمت لماذا؟؟ .

لأن السوق أصبحت سوق للآلات الكهربائية، عمّموا الكهرباء ليس لأن هذا الشعب يستحقها، لا، بل لأن التلفزيون لا يصلح بدون كهرباء، عمموّها لأجل بيع التلفزيون هذه هي الحقيقة، عمق المسألة هو هذا.

لماذا لم تسحب الكهرباء إلى هذه القرى زمان الفرنسيين، لأنه لم يكن هناك شركات أجنبية تستثمر الأموال هذا وجه من وجوه المسألة.

الوجه الثاني : الوجه السياسي والاجتماعي الذي نتشبث به فلينشىء النظام مئات المدارس ، ويقول لأي لبناني أنت ممنوع أن تكون رئيساً للجمهورية . لأنك لست مارونياً. وممنوع عليك أن تكون قائداً للجيش وممنوع عليك أن تكون مديراً للأمن العام ، وممنوع عليك أن تكون حاكماً لمصرف لبنان ، لأنك لست مارونياً وممنوع عليك أن تكون رئيساً لمجلس النواب لأنك لست شيعياً ، وممنوع عليك أن تكون رئيساً لمجلس الوزراء لأنك لست سنياً ، هذا فساد سببهُ النظام .

مشروع الإصلاح هو التغيير، أما في لغتنا فهو أسلوب الترقيع، نحن لا نوافق عليه.

هذا النهج الذي يسعى إليه البعض في لبنان، وهو أن يبقى النظام على صيغته الحالية نحن لا نوافق عليه أبداً، أقولها بصراحة ووضوح: الترقيع عرض

على الإمام الحسين (ع) الإصلاح بالمفهوم الترقيعي، عرض على الإمام الحسين، لكنّ الإمام (ع) طالب بأن ينحل النظام الأموي، ويعود الأمر شورى بين المسلمين، لم يقبلوا بصراحة هذا وهو استمر بتحركه حتى انتهت المعركة باستشهاده.

هذا النظام أيها الأخوة فاسد نظامنا اللبناني يجب تغييرهُ ولكن ليس عشوائياً، لأن ذلك يقودنا إلى الفشل حتماً. هو نظام فاسد ورجعي من جهة أنه يصنّف البشر، البشر لا يصنفون، في الحديث النبوي الشريف، «الناس سواء كأسنان المشط»[1]، طبعاً هذا الحديث محكوم بالآية القرآنية الكريمة: **﴿إن أكرمكم عند الله إتقاكم﴾**[2].

هذا المثال أذكره دائماً، هذا المشط له وظيفة معينة هي تسريح الشعر وتجميله، فإذا كان المشط غير متساوي الأسنان فإنه يجرح الرأس. وكذلك المجتمع إذا صارت فيه طبقات ينحل ويفسد.

المعارضة تحت أي ستار وجدت، من الحركة الوطنية إلى جبهة التحرير والتوحيد، نقول لهم: أنتم تريدون ترقيع النظام، ونحن نرفض ترقيعه، ونطالب بالتغيير الجذري له.

في المسعى الذي نقوم به، من أجل جمع الصفوف لمعالجة الأزمة الإقتصادية، ولأجل تحريك الوضع السياسي، قلت للإعلام: موضوع جبهة التحرير والتوحيد كأي جبهة أخرى، نحن نؤيد جمع الكلمة دون أن يعني هذا أن نوافق على مضمون سياسي لا نؤمن به.

أنا لا أستطيع أن أوافق على ترقيع النظام اللبناني أو أن أوافق على نظام له سقوف، البعض يقف منتصب القامة، وآخر يقف منحني القامة، لا شرعاً ولا سياسة هذا مقبول، ولا يوجد وطن على هذا الأساس أبداً.

نحن نقول وندعو كل فئات المعارضة سواءً أكانت مسيحية، أو وطنية، أو إسلامية نقول لهم لا بد من اعتماد مبدأ التغيير على أساس الديمقراطية العددية

(١) كنز العمال: خ ٢٤٨٢٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

القائمة على مبدأ الشورى.

وهذا الشيء مهما بدا صعباً، وخاصة الذين يعتبرون أنفسهم حراساً لنظام الإمتيازات في لبنان، هذا هو مشروع المستقبل الذي يحفظ اللبنانيين بكل طوائفهم، وإلاّ كيف يمكن أن نبرر لأنفسنا أن نقول يوجد أصناف من الناس، كل صنف له حقوق سياسية مختلفة عن حقوق الصنف الآخر، ونقول إننا الديمقراطية الأولى في العالم العربي، في العالم طبعاً لا توجد ديمقراطيات ولكن في لبنان توجد ديمقراطية شكلية، مثل أن تكتب الصحف بحرية تامة، حرية الكلام شرط أن لا تتعدى الدستور.

نقول إن الترقيع مرفوض في منطقنا، لأن الإمام الحسين (ع) رفضه.

يوجد مسؤولية، ويجب أن نتحمل المسؤولية النظام الأموي فكر من منطلق قبائلي، والنظام اللبناني يفكر من منطلق طائفي، أما الإمام الحسين (ع) فكر من منطلق أمة، من منطلق إسلامي عام. . .

نقول لهؤلاء أمراء السلاح، أمراء الحرب، الناس تنام على هم الرغيف، مقولاتكم السياسية شبع منها الناس واستهلكتهم، يجب أن تعطوهم فترة استراحة، أتركوهم لا تجعلوهم ضحايا النفاق السياسي.

هذا الواقع أيضاً هو واقع حسيني. فالحسين (ع) لم يثر من أجل السياسة، وإنما ثار من أجل كرامة الإنسان، من أجل كفاية الإنسان، إحتج في هذه الثورة على جوع الجائعين، وعلى حاجة المحتاجين.

أسأل الله تعالى أن يعصمنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يُرينا الحق حقاً فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، وأن يصلح حالنا بحسن حاله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



عمليـــة التغييـر
من خـــلال الثـورة
الحسينية



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، عليكم من سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

أولاً : وصلتني رسالة من هذا المجلس الكريم ، ومن بعض النساء تقول فيها صاحبتها: إنَّ كلامي هو في بعض النقاط غير مقبول، وهي تقصد فوق المستوى.

أنا أحاول قدر الإمكان، وقدر استطاعتي ، أنْ أُسهّلَ في النقاط التي أتعرض لها، حتى وإذا اقتضى الأمر سأتكلم بالعامية، لأني أدخل إلى القلوب أكثر، وأشكُر النسوة على هذه الملاحظة التي دلّتني على هذا النقص، من الكلمات المتداولة التي تسمعونها من قراء المنبر الحسيني، محادثة أو محاورة بين الإمام (ع) وابنه علي الأكبر، ومضمون هذه المحاورة هو:

إنَّ الإمام أخبر ابنه علي، أنهم سيقتلون جميعاً.

وهذه المحادثة حصلت بعد أن بلغهم ما جرى في (الكوفة) على مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (رضوان الله عليهم).

(*) ألقيت بتاريخ ٤/محرم/ ١٤٠٨ هـ- ٢٩/آب/١٩٨٧ م.

ومضمون هذه المحادثة هو ما ذكرته، حيث قال علي الأكبر. . «أولسنا على حق»، قال له أبوه: نعم قال عندئذ علي الأكبر: «فوالله لا نبالي. . .».

مضمون هذه المحادثة يمكن ان ينطبق على محادثة مفروضة متخيّلة بين الإمام الحسين (ع) وبين أخت علي الأكبر سُكَيْنَةَ.

علي الأكبر كان شاباً. . ولم يكن رجلاً مكتملاً، ولم يكن مكتمل الرجولة، لا يذكر كم كان عمره. ست عشرة سنة، سبع عشرة سنة، وسكينة أيضاً ابنة الحسين (ع) كانت صبية أيضاً لا أذكر كم كان عمرها.

بالمناسبة اليوم أنا تحدثت عن مراسيم عاشوراء، إحياء عاشوراء في خطبة الجمعة وتعرّضت لبعض العادات التي نوافق عليها في إحياء هذه المراسيم، وإلى بعض العادات التي تتنافى مع مبدأ أهل البيت (ع) وهذه العادات في الفترة الأخيرة بما فيها من تصرفات غير مقبولة، قد تصبح عادة، مثل عرس القاسم، لا أدري متى حصل، وهو كله خرافة لا صحة له على الإطلاق، وهو قلة احترام للحسين (ع) ولأهل البيت (ع).

كيف أنه في ذروة التضحية، في ذروة الجهاد أخذ يهتم بالعرس، هذه أمور لا تدخل في الثورة وبالتالي فإن مبدأ الثورة لا يقرّها ولا يعترف بها، هذه سخافة مثل سخافة اللطم على الرأس، وأنصحكم عدم الدخول في هذه التفاهات.

علي الأكبر شاب، القاسم شاب يحلم بالمستقبل ويحلم بالزواج، يحلم بالحياة الطيبة، فكل الشباب لهم أحلام.

الشاب علي الأكبر، أو القاسم وكل الشباب الذين كانوا في (كربلاء)، والبارز فيهم هو علي الأكبر، بقوله إنه سيُقتل، يسأل سؤالاً واحداً وهو: في خطنا، وفي مسيرتنا، على الحق أو على الباطل؟ حينما قال له أبوه: «إننا على الحق»، سكت عن السؤال ثانية، وقال لأبيه: ما دمنا على الحق فلنقتل إذاً لا مانع لدينا يقول الامام علي (ع):

نحن في الحقيقة طُرداء الموت: «لا ينجو منه هاربهُ ولا بد أنه مدركهُ».

وما دمنا نحن في إدبار، والموت في إقبال، فما اسرع الملتقى

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة: ٢٩.

علي الأكبر لم يسأل هل ننتصر أو لا ننتصر، لا يسأل هل نتفاوض أو لا نتفاوض لا يسأل هل هناك مخرج من المخارج، وإنما سأل سؤالاً واحداً، مسألة واحدة، وهي هذا المسير الجهادي مطابق للحق، أو ليس مطابقاً.

وبمجرد أنْ أخبره والده بأنه على الحق، أصبح الموت عنده أمراً ثانوياً.

لم تكن الحياة عنده أمراً أساسياً ومطلباً ملحاً، ولم يسأل علي الأكبر عن أساليب المحافظة على الحياة، وإنما سأل عن مضمون الحركة.

فالسؤال الطبيعي: عندما يواجه الإنسان الموت كيف نتخلص من الموت!! هذا هو السؤال الطبيعي!!.

هذا السؤال لم يسأله علي الأكبر على الإطلاق بل اكتفى بكلمة موجزة المبنى، معجزة المعنى، ألا وهي ألَسْنَا على الحق إذاً لا نبالي بالموت.

هذه النقطة التي أريد أن أبرزها في خط الإسلام بشكل عام، وفي خط أهل البيت بشكل خاص.

الكلام الذي جرى بين الإمام وولده علي يتناول جانباً من جوانب المسألة السياسية التي كانوا يسيرون فيها، وهم معارضون لنظام حكم يحَاربُونه ويحاربهم على أساس قاعدة الإسلام: وفي المسألة السياسية، في الخط الإسلامي العام في خط أهل البيت بشكل خاص، الثورة، المعارضة الرفض لا تكون كيفما اتفق، ورئيس الأمة لا يكون كيفما اتفق أيضاً!.

يعني بمجرد أنيَ لا أحبك أعارض وأثور، ربما يكون الإنسان معارضاً للباطل بالباطل، أيضاً ينتقل من باطل إلى باطل.

المدار في الموقف السياسي هو أن يكون الحق محفوظاً فيه، أن تكون العدالة محفوظة فيه، وليس كيفما اتفق.

لذلك نجد كما ذكرنا في موقف آخر: إن أمير المؤمنين علي (ع) سكت ولم يعلن الثورة، ولم يترجم معارضتهُ في الميدان، على الرغم من أن النظام الذي أقيم كان نظام حكم غير منسجم معهُ، وإن كان تعاون معه لأجل وحدة الأمة الإسلامية، ولكنه لم يسبب مشكلة معقدة تهزّ الإسلام.

لما جاء أبو سفيان إليه بعد السقيفة، وقال له: «أمدد يدك أبايعك»! طرده

الإمام لأنه كان يبغي الفتنة من وراء ذلك. وقال له: ما زلتم تتآمرون على الإسلام.

أيضاً الإمام الحسين (ع) في عهد معاوية لم يثر ولم يفتعل أي مشكلة، وكان قادراً على خلط الأوراق السياسية التي تهز النظام!.

الإمام زين العابدين (ع) أيضاً سكت ولم يعلن الثورة وكان قادراً على تحريك الوضع السياسي في البلاد من خلال استغلاله للغضب والحزن، ولكنه آثر السكوت، وبدأ تحركهُ من خلال كتاب تعرفونهُ وهو (الصحيفة السجادية)، أوصيكم بهذا الكتاب.

أوصيكم بالقرآن أولاً. ومن ثم بـ (نهج البلاغة) ومن ثم بـ (الصحيفة السجادية) هذه الكتب التي أساسُها القرآن:

الإمام الباقر (ع) أيضاً سكت، الإمام جعفر الصادق (ع) أيضاً كان باستطاعته أن يثور، وحينما جاءت الكتب والرسائل من العباسيين، تطلب منه أن يساعدهم وأن يتزعم الحركة طردهم، وأخذ بعض الكتب وأحرقها أمامهم.

وبعد الإمام الصادق (ع) ابتداءً من الإمام موسى بن جعفر، إمكانيات الثورة انعدمت بما فيها المعنوية، والمادية.

بعض الأئمة من أهل البيت (ع) سكتوا لماذا؟؟ ولا يوجد بينهم إلا الإمام الحسين (ع) وحدُه هو الذي تحرك بالرغم من أنهم كانوا قادرين على القيام بثورات مشابهة لثورة الإمام الحسين (ع) لأنه مقياس الحق.

لا يكفي أن تثور، أن يكون معك أنت حق، هذا لا يكفي .

القضية هي أن تكون ثورتك ثورة مفيدة للإسلام وللمسلمين، أما أنْ تثور لمجرد أن معك الحق من دون دراسة وحسابات دقيقة؟!...

يجب أن نعرف ما إذا كانت أرباح الثورة أكثر من خسائرها؟ وكلنا نعرف مدى الربح السياسي لثورة الإمام الحسين (ع) وإن انهزم عسكرياً.

فالتحرك الثوري ينبغي أن يأخذ بعين الإعتبار مصلحة الأمة الإسلامية، لا مصلحة أفراد معينين، وإن كان معهم حق، لذلك علي الأكبر حينما علم أنهم سيُقتلون سأل عن الحق، وسأل هل القتل يخدم الحق، في سبيل الحق.

لأن سؤال علي الأكبر يتناول الأمة الإسلامية. ولا يتناول شخصُه فقط. بل يتجاوزهُ إلى الحق العام. إلى الخط العام الذي هو الإسلام.

كما قلت لكم علي الأكبر كان شاباً والقاسم كذلك، بعض الأنصار من الهاشمين وغير الهاشمين كانوا شباناً، وسكينة وأمثالها كنّ شابات.

في كل تحرك ثوري، في كل تحرك تغييري يوجد مرحلتان: مرحلة الحاضر، ومرحلة المستقبل،الماضي مضى بأفراحه وأحزانه، بانتصاراته وهزائمه، كل تحرك معارض له مرحلتان: مرحلة الحاضر، ومرحلة المستقبل.

كيف تعالج مرحلة المستقبل؟.

مرحلة الحاضر يتحرك فيها الجميع من نساء ورجال وشبان وشابات، لأنهم يعيشون الحاضر.

أما مرحلة المستقبل فهي مرحلة الشبان فقط، لأن كبار السن من رجال ونساء يموتون، أو يعجزون لأنهم لا يستطيعون متابعة المسيرة.

أما الشبان بمقدورهم أن يتابعوها، لذلك في الإسلام، في مسيرة رسول الله (ص)، في مسيرة الأئمة (ع)، كان يوجد تركيز خاص على عنصر الشبان، لأنهم عنصر المستقبل.

الإمام الحسين (ع) كذلك، كان حريصاً على هذا العنصر، سواء أكان من الذكور أو من الأناث، لأنهم عماد المستقبل، ذخيرة المستقبل.

الإمام علي (ع) ركّز على عنصر الشبان أيضاً في السنَّة. أي الشريعة يركّز على عنصر الشبان.

بالمقابل الاستعمار يركّز على عنصر الشبان أيضاً، هذه حقيقة لا مجال للشك فيها.

الحاضر يمكن معالجته كيفما اتفق أما السر فهو في الذي يربح المستقبل، هذا هو السؤال؟؟.

الحاضر على حاله، ربما نجد رجالاً ونساء لديهم القدرة على التغيير، وربما يوجد الكثير من الرجال والنساء يقولون: ﴿**إنَّا وجدنا آباءَنا على أمَّة وإنا**

على آثارهم مقتدون﴾[1] لأنهم يريدون السكينة والاستقرار والهدوء. «مذهب التقليديـين».

فمن هنا أؤكد على أنَّ هدف الإسلام هو الشبان. وهدف الاستعمار كذلك، لأن النظام اللبناني بالدرجة الأولى يريد أن يخضع صغار السن من الشبان، لأن كبار السن ليس لديهم القدرة على التحرك، وإن كانت لديهم القدرة، فالنظام لا يخاف منهـــم النظام يريد عنصر الشبان وما أزمة المجتمع إلا ضربة للشبان!.

أولاً : هم المستهـدفـون أكثـــر من غيـرهم ، لأنهم بتحـــركهم المنـظم الهادف يشكلون عامـلاً أساسيـاً في التغيير والسؤال الجـوهري الـذي يجب أن يطرح هو سؤال علي الأكبر أو لسنا على الحق ؟؟ .

هذا التوجه الذي نتوجه فيه هل هو حق؟؟ أو ليس حقاً. إذا كان حقاً فلنعمل ولنتابع، وإذا كان باطلاً يجب أن يرفض ويكف السير فيه.

هذا المسجد المبارك يوجد فيه شبان وشابات، نساء ورجال، حينما نطرح مفهوم التغيـير الكامل، مفهوم قلب النظام، أكثر الأسئلة تقول:

شيخنا! أنت قادر على تغيـير النظام، تغيـير الحكم والدولة ـ وهذا الشيء موجود من (باب أُستر علينا نستر عليك)!.

هذه الأطروحة تأتي من كبار السن، لأنهم حقيقة يدركون أن الأمر صعب، تغيـير النظام ليس سهلاً.

لذلك أقول لهؤلاء الكبار في السن:

إنا عازمون على تغيـير النظام مهما كانت التضحيات، وهنا أريد أن أقول شيئاً مهماً:

التغيـير ـ كما قلت سابقاً ـ ليس عملية عشوائية، لأنه حينما يكون التغيـير عملية عشوائية يفشل، والتاريخ أخبرنا بذلك، وعندما نريد أنْ نغيّر لا نريد أنْ نخلط الصالح بالطالح، والحق بالباطل، أو أنْ نطرح أفكاراً خيالية، عند ذلك نكون مساعدين للظلم.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

حينما نطرح في أطروحة التغيير مقولات مستحيلة، أو حينما نطرح مقولات لم يأتِ وقتها، لم يأتِ ظرفها بعد، نكون مساعدين في هذه الحالة الوضع القائم.

أن نحمل السلاح، ونطلق النار عشوائياً، أو أنْ نقتل الناس في الشوارع، وأنْ نقطع علاقاتنا بالناس، هذا العمل لا يُغيّر النظام، ويضر بالإصلاح وبالإسلام والمسلمين.

إذاً حقيقة الأمر هي هذه، وهذا الأمر بيّنه الله تعالى في القرآن، وبيَّنه الرسول (ص) في السنَّة كما بيّنه أيضاً الأئمة (عليهم السلام) للمسلمين عموماً، ولأتباعهم خصوصاً، وبإلحاح، في روايات صحيحة وصريحة.

إنَّ عملية التغيير ليست عملية عشوائية، وإنما هي عملية بصيرة يقوم بها أهل البصائر، وعملية تخضع لقابلية المجتمع المرحلية. أنا أشبه لكم تشبيهاً:

يوجد مريض مصاب بفقر الدم، أو سوء التغذية، فإن مجموعة الأطباء تقول هذا المريض دواؤه، كذا، وكذا، ويتفق على أن الدواء الفلاني هو المطلوب لمعالجة هذا المريض.

الأطباء يتفقون على الدواء، إلا أنهم يختلفون:

إما بسبب مزايدة من قبل البعض، وإما لأسباب أُخرى.

وما أكثر المزايدين في لبنان! لبنان أصبح سوقاً للمزايدات وفي المجال السياسي خاصة. يقول بعض الأطباء لأهل المريض: بدل الجُرعة أعطوه جرعتان لعله يشفى بسرعة، وجسم هذا المريض يمكن أنْ لا يحتمل أكثر مما هو يفترض له أن يأخذ، فيموت!!.

إذاً التغيير يتأطر في المرحلية، والقابلية، فعشوائية التغيير تكرّس الواقع الذي نريد تغييره...

وهناك حديث نبوي شريف، ومعروف عند المسلمين جميعاً، بقول النبي (ص) مخاطباً أحد كبار الصحابة وهو عبدالله بن مسعود، كان (مستعجلاً) إلى الجنة:

« يـا عبد الله ! إنَّ هـذا الـدين متين فـأوغلوا فيـه بـرفق »[1] : لا تملّلوا الناس ؟ لا تكفروا الناس !!

المعنى: أوغلوا فيه برفق: «إن المنبتّ (يعني المفرط لا ظهراً أبقى، ولا أرضاً قطع»[2].

الإنسان يكون مسافراً من بلد إلى بلد، ويكون عنده جمل أو سيارة:

إذا قاد هذا الجمل على حسب الأصول، وحسب قدرة الجمل يصل هو والجمل سالماً، وإذا قاد السيارة على حسب الأصول منتبهاً لزيتها، ومائها، ووقودها. . . . أما لو أراد أن يصل فوق الطبيعة، فالسيارة تنقطع في الطريق، والجمل يموت في الطريق أيضاً، هذه عملية التغيـير العشوائي.

وهذا النظام نريد أنْ نغيّره، ولكن على حقيقة التكليف الشرعي، على قاعدة كل مرحلة لها خطابها، وكل أمة لها، مقالُها، ولها أسلوبها، وإلا الأمور وصلت إلى ما رأيتم.

قلت: التنظيمات المسلحة على اختلافها في الشرقية والغربية عند الجميع ما شاء الله!، كل طرف يريد أن يبني لبنان العظيم على طريقته الخاصة، بعيداً عن التوافق والتعاون، حتى وصلنا إلى نتيجة واضحة وهي إنهيار الجميع.

كل مجتمع في الدنيا له نظامان:

١ ـ مجتمع الرسول في المدينة.

٢ ـ مجتمع (ريغان) في أمريكا.

نظام حكم، حاكم، حكومة، إدارات، مؤسسات، يوجد النظام الثاني ونسميه النظام الإجتماعي، نسميه في الفقه النظام العام، يعني تنظيم المجتمع الذي يسمح بإيصال الكهرباء إلى كل منزل، وتنظيم شق الطرق، حكم ظالم أو عادل، تنظيم الحياة الإجتماعية.

النظام الذي يُسَيّر حياة المجتمع ويؤمّن ضرورات هذه الحياة.

نحن هنا قلنا إنَّ أزمة المجتمع تكاد تهدم النظام العام وليس نظام الحكم.

---

(١) الوسائل: ج ١ ص ٨٣ باب ٢٦ من أبواب مقدمة العبادات ح ٦.

(٢) الوسائل: ج ١ ص ٨٣ باب ٢٦ من أبواب مقدمة العبادات ح ٧.

إذاً حينما نواجه عملية التغيير يجب أن يكون لنا بصيرة في أمرنا.

إن التضحيات من سنة (١٩٧٠) حتى الآن كانت نهاية تأثيرها هي ما يعيشه كل إنسان في بيته ويكاد يحتاج إلى رغيف الخبز.

كيف يتم التغيير في ظل هذه الوثائق السياسية الرجعية وغيرها! رأينا ذلك حين أتيح لبعض الناس بالخروج إلى الشوارع معبرين عن سخطهم، وغضبهم، من القادة السياسيين الذين هم على رأس السلطة، وتظاهروا ليحتجوا على الوضع الشاذ الذي يُهدد لقمة عيشهم.

وأنا قلت إنَّ الإحتجاج مرغوب فيه.

نعم اسمعوا أصواتكم الإجتماعية الى هؤلاء المتسلّطين على رأس الحكم، رأس البلاء في لبنان، إنه مصدر المصائب والكوارث الإجتماعية التي حصلت، والتي قد تحصل في المستقبل.

الأحزاب تدفع الرواتب لعناصرها، والدولة تدفع الرواتب لموظفيها، وباقي الناس يموتون جوعاً، إن الذين لا يقبضون رواتب هم ثلاثة أرباع الناس، وهؤلاء مهددون بالجوع.

إنَّ الله تعالى يقول: **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾**[1] واليوم، المجتمع مظلوم بكل فئاته وهو ضحية للسياسة الرجعية المتمثلة بالنظام الطائفي الرجعي الفاسد.

وقلت إنَّ الإعتداء على الأملاك العامة والخاصة محرّم، ولا يجوز أن تخلطوا هذا العمل بعمل محرّم، هذا يُسيء إلى العمل الإجتماعي، وهو عمل عفوي، الذي حصل البارحة.

وأما اليوم[2] فإن مجموعات ضاق بها العيش فخرجت إلى الشوارع وحاولت بعض القوى أن تتلقى الكرة. ولكننا نحذّر من أن يستغل هذا العمل كما نحذّر من أن تتلقفهُ القوى المتصيّدة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٢) ٤ محرم ١٤٠٨ م.

إن كل واحد طرح شباكه والبعض من المتصيدين يلبس قناع الأطفال حتى يقال عنه أنه إنسان أخلاقي!.

أنا أؤيد هذا التحرك، وقلت: إنَّ الأمر بين المتسّلطين وبين المظلومين، وموقفنا مع الناس المظلومين، والمقياس دائماً هو سؤال علي الأكبر (ع).

نحن حينما نطرح قضية التغيير على مذهبنا وعلى طريقتنا، نعني عملية تغيير هذا النظام الفاسد على قاعدة الديموقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى.

لا خيالات، ولا رجعيات، وهذا مشروع حاضر وهو مشروع مستقبلي، وإلا الضياع والإنحلال وهذا سيؤدي إلى إنهيار الوطن بكل فئاته، وإلى قيام نظام رجعي ليس فيه حرية ولا كرامة، بل لا نجد فيه شيئاً على الإطلاق. تماماً كما يحصل في أمريكا اللاتينية.

وهذا الأمر نحن ضده، وسنعمل مع المخلصين حتى تخليص المجتمع من المصائب الإجتماعية والسياسية.

وأسأل الله أن يعظم أجورنا بالحسين (ع) ونحمده على ما وفق من الطاعة .

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من معاني عاشوراء
الكرم والايثار



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

في معرض مدح الله سبحانه وتعالى لأصناف وفئات من البشر، الله تعالى في مدحهم يقول: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومَن يوق شح نفسه فإولئك هم المفلحون**﴾[1].

في هذه الآية بيّن سبحانه وتعالى فضيلة الإيثار، فوجد بالنسبة إلى علاقة البذل أو الإمساك، أو المنع أو العطاء بين إنسان وإنسان، هناك ثلاث جماعات.

هذا الإنسان إما أن يكون بخيلاً يمسك ما عنده لا يعطيه لأحد، هذا يسمى البخيل وعملهُ هو البخل، والبخل من الرذائل الأخلاقية الكبيرة، هذا البخيل يبخل ويأمر الناس بالبخل، ولقد اشتهر عن المنافقين أنهم كانوا يأمرون الناس ألا يبذلوا أموالهم على الذين هم مع رسول الله (ص)، ويقول الإمام علي (ع) في عهده إلى مالك الأشتر واليه على مصر:

(*) ألقيت بتاريخ ٥/محرم/ ١٤٠٨ هـ - ٣٠/آب/ ١٩٨٧ م.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

«إن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله»[1].

في أول الهجرة حينما أسّس النبي (ص) المجتمع الإسلامي في المدينة كان مجتمعاً فقيراً، وكانت دولة فقيرة، وبدون موارد، وبدون مصادر، واعتمدت في بادىء الأمر على الإنفاق الطوعي. وكما تعلمون ـ كانت دولة محاربَةَ ومحاصرة من قبل المشركين في الخارج، ومن المنافقين في الداخل.

فكانت إحدى وسائل الحرب الإقتصادية التي تعرّض لها المسلمون الأولون هي منع النفقات.

اليهود والمنافقون كانوا يتواصون فيما بينهم، وكانوا يحرّضون المسلمين البسطاء على ألا ينفقوا أموالهم في سبيل مساعدة الفقراء والدولة الإسلامية، والهدف هو أن ينفض هؤلاء الفقراء من حول رسول الله (ص).

والمسألة الإقتصادية هي عنصر جوهري في البناء السياسي، والحرب الأولى التي كانت في مكة، وكل مَن يهاجر من مكة إلى المدينة كانت ثروتهُ تصادر من قبل المشركين والذين كانوا يتربصون بالمؤمنين، وقبل ذلك كان الحصار الشديد من خلال الصحيفة الظالمة التي كتبت وتعاهد المشركون فيها على أن يقاطعوا النبي (ص) وأصحابه بني هاشم، وأن يخرجوهم من مكة، ويحصروهم في شُعُب مكة المعروف تاريخياً بشعْب أبي طالب، وهو فرجة بين جبلين من جبالها، وتعاهدوا على ألا يساعدوهم وعلى ألا يتقربوا منهم.

لقد كانت مقاطعة شديدة. بعد تأسيس الدولة في المدينة نشأ هذا الموقف بين اليهود والمنافقين، كل أعداء الدعوة الإسلامية، كانوا يحضون الناس بالقول لهم: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله (ص) حتى ينفضوا من حوله، وبالتالي توجيه ضربة قوية إلى المجتمع الإسلامي.

هذه الصفة صفة بخل، فالإنسان عندما لا ينفق لأجل مساعدة الفقراء، ومن أجل الأعمال الخيرية والجهادية، ولأجل مساعدة الطبقة السفلى من الناس، من أهل البؤس، من أهل المسكنة من الذين لا حيلة لهم، هذا الإنسان يكون بخيلاً هذه الصفة الأولى؟.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

أما الصفة الثانية: فهي الكرم. هي أن يعطي الإنسان ما يفيض عنه للفقراء والمحتاجين، وللمؤسسات الخيرية والجهادية، وهذه صفة ممدوحة، والذي يُعطي ما يفيض عنه، يكون إنساناً كريماً، لأنه يجاهد بالبعض من أمواله في سبيل الله، لأن إعطاء المحرومين والمحتاجين جهاد في سبيل الله.

أما الصفة الثالثة، فهي الإيثار، إنها مستوى أعلى من مستوى الكرم، الإنسان الذي عنده كفاية وزيادة إذا أعطى ما يفيض عنه يكون كريماً.

أما الإنسان الذي يكون عنده أقل مما يكفيه، يعني عنده خمسة أرغفة، وهو بحاجة إلى الخمسة أرغفة ويُعطي هذا الإنسان من حاجته فهو لا يكون كريماً، وإنما يكون مُؤثراً.

وهو من الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[1].

الخصاصة هي الجوع، مع أنه محتاج. فهو يعطي ويتحسّس مع الغير، وهو يشارك الفقير في الأفراح والأتراح، المثال الكبير في الإسلام الذي سجّله القرآن في سورة الدهر ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾[2].

هذا المثال هو مثال أهل البيت (ع) حينما كان عندهم القليل القليل، كان علي (ع)، يعمل في النهار ويتصدق بثمار عمله في الليل للفقراء والمعوزين، وكان هو وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) قد نذروا أن يصوموا ثلاثة أيام إذا شفي الحسن والحسين (عليهما السلام) من مرض ألمّ بهما، وعند المساء كلما أرادوا أن يأكلوا يطرق الباب من قبل الفقراء فيعطونهم ما عندهم من قوت، ويبقون صائمين؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة الدهر ﴿**ويطعمون الطعام على حبّه**﴾[3] إلى آخر الآية الكريمة.

هذا النموذج هذا الخط، هذا الخُلق هو خُلق أهل البيت (ع) ينبغي أن

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٨.

يكون خلق المسلمين جميعاً، لأن أهل البيت (ع) هم المشعل المضيء. في طريق المسلمين، الذي ينير حياتهم...

هناك أحداث بارزة في ثورة كربلاء كشفها المؤرخون منها قصة الحر بن يزيد الرياحي، الذي كان أميراً من أمراء يزيد، لواءً من ألوية جيشه، ومعه قوة مؤلفة من ألف فارس، وكانت مهمته أن يقطع الطريق على الحسين (ع) أثناء مسيره إلى العراق، وكان همه وهم بني أمية هو منع الحسين (ع) من الوصول إلى الناس، إلى الرأي العام، كانوا يريدون أن يحولوا بين الإمام وبين العراقيين، فكانت المنافذ مسدودة، والمخافر في حالة استنفار، الألوية متأهبة لمقابلة الحسين (ع) في الصحراء، وكان الحر هو إحدى الفقرات، وهو أول مَن اكتشف قافلة الحسين وأصحابه فاعترضه وكان يحمل عرضاً سياسياً هو أن يستسلم لينقله ومَن معه إلى يزيد، ولكن جيش الحر، الجيش الأموي المؤلف من ألف فارس وألف فرس، وكان يكاد أن يهلك عطشاً وضماً، هذا الجيش الذي قطع الطريق على الحسين (ع) ومنعه بالفعل من الوصول إلى الرأي العام أو إلى الكوفة، وضع الإمام (ع) الماء الذي كان بحوزة قافلته والطعام بتصرفه فأكل وشرب الجيش حتى ابتلت حشائشهم وعروقهم مع الخيل بالرغم من أن الإمام لو أراد محاربتهم لاستطاع تفريقهم عنه مستغلاً نقاط الضعف فيهم، وهي العطش والجوع.

الجيش الأموي لاحظ الخُلق عند الإمام وأهل بيته وأصحابه عندما أعطاهم ماءهُ وطعامهُ، فهو إذا كان مع أعدائه هكذا فكيف مع أنصاره وأصحابه؟.

ولكن لم ينفع الخُلق في الساعة ذاتها، وأصرّ الجيش على عناده، والإمام يخاطبهم: «أين يتاه بكم»[1] كما قال الإمام علي للجيش في صفّين: «أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه»[2]. أين يتاه بكم؟.

ولكن هذا الجيش لم يزدد إلا نفوراً، القرار الطبيعي هو أن يفتح معهم معركة، وكان قادراً على هزيمتهم، وبإمكانه شق طريقه إلى الكوفة، لأنه وجد فيهم نقاط ضعف، وكان بإمكانه استغلالها. ولكنه (سلام الله عليه) لم يستخدم هذا الإمتياز.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧ و١٢٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه المسألة مسألة إيثار، فهو في حالة مواجهة، في حالة سفر ومع ذلك آثر أعداءه على نفسه وعياله، هذه الصورة صورة القافلة الحسينية تكشف عن الخُلق، وعن النظرة الإسلامية لتبرز بكامل أبعادها.

حينما نعيد هذا الواقع التاريخي العلوي الحسيني إلى واقعنا الحاضر، إلى أزمة المجتمع ، فإننا نرى البون الشاسع بين الفكر السياسي عند الحسين (ع) والفكر السياسي عند الحكام الرجعيين ، فالامام الحسين (ع) رأى نفسه مسؤولاً عن خصومه وتصرف معهم كإمام للناس جميعاً .

نقول لهؤلاء الحكام المتسلّطين، للنظام السياسي، لمراكز القرار السياسي والنقدي في لبنان هذه الإخلاقية هي التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسؤول مهما كان نوعهُ وانتماؤه .

ومن حياة النبي عيسى بن مريم (ع) نستطيع أن نجد هذا المثال، مثال الخُلق والإيثار، فهؤلاء الذين يتحكمون في هذا النظام، هذا النظام الجاهلي بريء من خُلق الله والإسلام والمسيحية، يرى شعبه يجوع ويعطش، ويعيش حالة الذل وهو لا يبالي .

نحن نرى مأساة المجتمع اللبناني من النور الكاشف الذي يوجه مسلكية الحسين (ع) وآله، ولا أحد يشك في أن مسلكهُ هو مسلك الأنبياء بما فيهم النبي محمد (ص) وعيسى (ع).

إذا كان النظام جاهلي ورجعي، أقول للناس أنتم إنسانيون، أنتم متدينون، إذا كان نظامكم الذي نحاربهُ لا يتحسس المسؤولية. ولا يشعر مع الشعب، وهو يفتقر إلى الضمير والإحساس أقول لكم تعاونوا جميعاً مسلمين ومسيحيين للخلاص من أزمة المجتمع، وسأذكر قصة عن الإمام الصادق (ع).

كان الإمام (ع) إذا أقبل الموسم يتخذ مؤونة السنة، ويقول: «هو السكن للقلب وللنفس» والإنسان إذا موّن بيته بالمواد الأساسية يستريح ولكنه، كان إذا أعسر الناس، إذا حل بالناس ضيق وحاجة، أو أزمة سياسية أو أزمة إقتصادية يبيع جميع ما عنده، ويشتري يوماً بيوم قوته أسوة بالناس هذا هو خُلق النبي (ص) والإمام علي يقول:

«إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضِعفة الناس،

كيلا يَتَبَيَّغ بالفقير فقره»[١] الخلق الذي يجب أن يتحلى به المسلمون هو خُلق المساواة والإيثار، يجب أن نفكر ولو قليلاً بالثورة الحسينية حتى ندرك حقيقة الثورة وأبعادها وحقيقة المبادىء التي كانت من أجلها هذه الثورة.

في هذا الحقل نحن نقول للناس أعينوا بعضكم بعضاً أفضل البر هو عندما تساعِد جارك في أوقات الضيق والعوز، الحديث القدسي يقول: «ما امن بي مَن بات شبعان وجاره جائع »[٢] .

ولكن حينما تساعدُه ساعدْه بأسلوب كريم، لأن كرامة الأسلوب لها تأثير، وأذكر لكم قصة عن الإمام زين العابدين (ع)، فلقد كانت مئات الأسر تعيش من كرمه وأخلاقه، وعندما مات انقطع عنها الرزق وكانت لا تعلم من أين يأتيها، كان (عليه السلام) يحمل الطعام على ظهره أثناء الليل ويعطيها إياهُ من دون أن يكشف عن اسمه وليس المهم أن تُعطي وتؤثر، المهم أن تحفظ كرامة الناس.

وهنا أصر واكرر أنه على المؤسسات أن تهتم بهذا المأزق، المجتمع بكامله يعيش على الصدقات، لا يمكن أن تستمر الأزمة، لا بد للعمل الأساسي الذي يتناول الشيء العام أن يستمر أيضاً.

نحن أيدنا دعوة رئيس الوزراء للإجتماع، وكما قلنا نحمّل الوزراء مسؤولية عدم الحضور في أول يوم يستطيعون الحضور فيه، لأن الأزمة لم تعد تطاق. هذه النقطة الأولى.

أما النقطة الثانية: نحن نطرح ومصرين على إنشاء هيئة طوارىء إقتصادية مالية، برئاسة رئيس الوزراء لأجل السيطرة على الوضع النقدي.

النقطة الثالثة: هي العودة إلى طرح اقتراح أن تمول الجامعة العربية مباشرة مشتريات لبنان من الطحين والقمح والمحروقات بأصنافها، لأنه بصراحة لا يوجد في لبنان مؤسسة موضع ثقة تعطى أموالاً.

ووصلت الأمور إلى أن المؤسسات الحكومية لم تعد موضع ثقة ونحن أيضاً لا نثق بها . فحاجة لبنان من الطحين والقمح يجب أن تموّل من الجامعة

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٩.

(٢) الوسائل: ج ٨ ص ٤٩٠ باب ٨٨ من أبواب أحكام العشرة ح ١.

العربية مباشرة ومن دول المنشأ.

أما بالنسبة إلى الدعم، فنحن نعارض رفع الدعم عن الطحين حتى ولو هرّب إلى الخارج، حتى ولو تهرّب نصفه، لا يجوز رفع الدعم، يجب أن يحافظ على السعر الحالي لأنه سعر مقبول من عامة الناس.

أما بالنسبة للمحروقات، قبل أن يعلن بعض الوزراء عن إلغاء الدعم نحن قلنا قبل ١٥ يوم. ودعونا إلى إلغاء الدعم عن المحروقات التي تستعمل شخصياً ويبقى الدعم على المحروقات التي تستعمل في الاستهلاك العام في إنتاج الكهرباء، في ضخ المياه، في النقل العام وفق نظام معين.

الشعب اللبناني ليس ملزماً بأن يدعم تنكة البنزين التي يصرفها صاحب السيارة في النزهات والرحلات.

في مقابل رفع الدعم عن الاستهلاك الشخصي، يجب أن يقدم المال المتوّفر من رفع الدعم، إلى الشعب اللبناني على شكل تقديمات إجتماعية، في باب التعليم والصحة، والطب، ونكرّر هذه الأطروحة لأن الذين كانوا يعلّقون الآمال على مؤتمر حكام المصارف العربية في تونس الذي ظن الناس أنه سينتهي بمعجزة، فإنه لن يخترع معجزة، وبالتالي لا أحد يؤمن أن تُعطى أموال إلى الدولة اللبنانية، إلى دولة مهترئة، ومؤسسات بالية.

نحن كشعب يجب أن نساعد بعضنا البعض حتى نتمكن من السيطرة على الوضع المالي والإقتصادي المتدهور.

يجب أن نقتدي بأسلوب عيسى بن مريم (ع) وبأسلوب الإمام الحسين (ع) في معالجة القضايا المصيرية للأمة.

النقطة الثانية: الأمر الذي أريد أن أطرحه أيضاً من زاوية حسينية، تسمعون من خطباء المنبر الحسيني وصية الامام الحسين للسيدة زينب (عليها السلام) في آخر موقف بينهما. ظهيرة اليوم العاشر من المحرّم، قال لها، والكلام صحيح.

«يا أُخيّا إذا أنا قتلت فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تشقيّ عليّ جيباً، ولا تدعي بالويل والثبور»[1].

---

(١) انظر اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٨٢.

من هنا الأطروحة التي طرحناها اثني عشر سنة وسكتنا عنها أمام وضع معين، ولدواعي معينة، الآن أنا مضطر لإعادة طرحها في هذه السنة. والإلحاح عليها وفاءً للحسين (ع) وتنزيهاً لثورته. وتنزيهاً لشرع الإسلام، وللصورة الحضارية الإسلامية وهي أن أساليب إحياء ذكرى الثورة الحسينية في المسيرة، في الشعار، في الكتابة، يجب أن تكون موافقة لشرع الإسلام أولاً، ولأخلاق أهل البيت ثانياً، أهل البيت - (ع) ليسوا بحاجة إلى أكاذيب مستوردة من هنا وهناك، أو إلى هيئات مثيرة للمشاعر، ويكفي إظهار حقيقة وطهارة هذا المنهج الثوري لأهل البيت (ع).

من هنا شهد الله أقولها مخلصاً مع احترامي الكبير وتقديري واعترافي بطهارة الذين يقومون بإحياء هذه الذكرى المباركة. بضرب الرؤوس، هذا الأسلوب برأينا غير مشروع، في رأي غيرنا ربما في العراق، وإيران مشروع، أما في لبنان برأيي غير مشروع، لأنه لا يليق بنهج أهل البيت (ع).

نحن الآن نقيّم مأتم حسيني: مَن هو مؤسس هذا المأتم الذي يقيمهُ المسلمون في أنحاء العالم الإسلامي، هما اثنان: زينب. والإمام زين العابدين (ع).

ولكن في بادىء الأمر زينب (ع) وبعد ذلك الإمام زين العابدين، ثم الإمام الباقر، زينب (ع) أحيت عاشوراء ولم تخمش وجهاً، ولم تشق جيباً ولم تدعُ بالويل والثبور، فينبغي الإلتزام بهذه الوصية، نزولاً عند رغبة الشرع الذي يحرّم كل عمل يتنافى ومبادىء ثورة كربلاء.

أنا هنا أثق بالقائمين بهذا العمل (ضرب الرؤوس) وأقدر حرصهم وعاطفتهم، ولكن هذا العمل لا يليق بإحياء الذكرى، لأن وصية الحسين (ع) توصي بذلك.

أنا الآن أطرح الفكرة الآتية واعتقد أنها البديل. وهو إنشاء بنك، بنك عاشوراء الحسين (ع) للدم، كل رجل، كل إمرأة، كل طفل منذور يؤخذ إلى هذا البنك يتبرع مرة في السنة، حسب صحته، أو مرتين، فبهذا العمل نحسن إحياء الذكرى، وننفّذ وصية الإمام الحسين، ولا نخالف الشرع فيما أمرنا به.

والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حتمية الموقف
القتالي في كربلاء



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليك يا سيدي، ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

من الدروس التي ينبغي إثارتها في هذه الأيام من مدرسة الإمام الحسين (ع) وأصحابه في عاشوراء، درس أولويات الموقف السياسي اتجاه أي قضية من القضايا التي يواجهها الإنسان.

في شعار من شعارات كربلاء المتداولة والتي يمكن أن تكون صحيحة، وهي بلا شك صحيحة في معناها شعار رفعه الإمام الحسين (ع) وهذا الشعار هو عبارة عن بيت من الشعر أنشده وهو يقاتل، ولا بد أنه مر عليكم وتحفظونه يقول فيه:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من ركوب النار

الموت ، والعار ، والنار .

(*) ألقيت بتاريخ ٧/محرم/ ١٤٠٨ هـ - ١/أيلول/ ١٩٨٧ م.

فمضمون هذا الشعار، وهو واضح يقول إن الإنسان إذا تعرّض للإذلال والإهانة، والعار فخير له أن يموت، ولا يكون ذليلاً، وحاملاً للعار والشناعة من الناس، وفي المجتمع الذي يعيش فيه، ولكن إذا دار الأمر بين الإنسان، وبين أن يكون دفع العار عن نفسه موجباً لدخول النار، يعني موجباً لمعصية الله سبحانه وتعالى من الأولى به أن يتحمّل العار ولا يدخل النار، هذا معنى الشعار وهو مضمون صحيح من الناحية الشرعية، صحيح في الجملة. هذا الشعار بين تراتبية ودرجات في الموقف السياسي، أو الإجتماعي. أو الشخصي الذي يواجهه الإنسان. في هذه الحياة، حياة الإنسان الفردية، أو الحياة الأسرية، أو الحياة الإجتماعية، أو الحياة السياسية، فالإنسان يواجه بعض المواقف، هذه المواقف منها مواقف سليمة، أو على الأقل مواقف ليس فيها ضرر، أو تارة يطلب منه اتخاذ مواقف تجلب له العار، أو أن يستسلم لأمور مذلة، في هذه الحالة يدور أمرهُ بين أن يتحمل العار، وبين أن يموت.

هذا الشعار الموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار فليختر الإنسان الموت ولا يختار العار، إنما يجوز له أن يختار الموت حينما تكون المبررات الشرعية قائمة، أما لو فرضنا في هذه الحالة أن ما عرض عليه عمل محرّم من المحرمات الكبرى التي عاقبتها النار في هذه الحالة عليه أن يتحمّل العار، ويتجنب معصية الله سبحانه وتعالى وفي المسألة السياسية يكون الأمر واضح كثيراً، ففي هذا المجال يأتي موضوع المرحلية في العمل السياسي التي بيّنتها في حديث سابق. في هذا المجلس، وفي غير هذا المجلس.

حينما قلت أن الإمام علي (ع) تعرّض لظلم سياسي، ووقف موقف المعارضة، ولكنه أمام اعتبارات تخص الأمة الإسلامية سكت عن ترجمة المعارضة إلى عمل ميداني، واكتفى برد الكرة إلى ملعب الآخرين.

الإمام الحسن (ع) الذي كان خليفة وحاكماً للمسلمين من بعد أبيه، تعرّض لظلم سياسي أيضاً، واضطر إلى أن ينسحب من ساحة الصراع. وبعدها نقفز عن الإمام الحسين (ع) إلى الإمام زين العابدين (ع) والأئمة الذين من بعده ولقد قلت في كلمة سابقة أن إمكانات الثورة البشرية والمادية كانت متوفرة حتى زمان الإمام الصادق وابتداءاً من زمان الإمام موسى بن جعفر. إنعدمت إمكانات الثورة هؤلاء الأئمة تعرّضوا لأحد أمرين، إما العار أو النار. والعار ليس بمعنى الفضيحة مثلاً ما

يروى وهو صحيح في الجملة أن بعض الصحابة الكبار لاموا الإمام علي (ع) لأنه سيستمر في المعارضة، الإمام الحسن ع) قال له أصحابه وكانوا من الموالين له والمؤمنين بولايته وبخطه السياسي العام قالوا له: (يا مذل المؤمنين) وذلك عندما وقع الصلح مع معاوية، الإمام الصادق (ع) تعرّض لشيء من هذا القبيل. الموقف: هو أن تغامر بعمل ليس لحسابك الخاص ليس لمصلحتك الشخصية، أما أن تغامر بعمل وتستدرج اليه شباب الأمة وثرواتها، وأن تستنزف طاقاتها في سبيل المصلحة الخاصة. هذا العمل يكون في غير وقته، وفي غير زمانه، وفي غير مكانه.

إذا تأكد الإنسان من أن بموته يتم الخلاص للأمة فليكن هذا الموت وهذا الإيثار، هذا الموت، إذاً يجب أن تكون المصلحة العامة هي الهدف. مصلحة المسلمين عامة.

إن العمل الخاص ربما يعطيك مجداً ويجعلك بطلاً عظيماً من أبطال التاريخ، ولكن على حساب مصلحة الأمة والمجتمع. المسؤول عادة يختار واحداً من أمرين. إما أن يندفع وراء عواطفه ونزعاته الشخصية، وإما أن ينظر نظرة استراتيجية بعيدة المدى وشاملة. فالإمام علي (ع) كانت نظرته نظرة استراتيجية شاملة. وكذلك نظرة الإمام الحسن (ع) يقولون له: (يا مذل المؤمنين)، هذا هو معنى العار، أن يشتم، أن يحتمل الخرق والبغي، ويصبر، ويضحي لأن الأمر يدور بين العار والنار، وبين أن يتاجر بالأمة.

الأئمة (عليهم السلام) يعرفون متى تكون الثورة، ومتى لا تكون، إن الإنسحاب من الميدان لأجل الحفاظ على مصلحة الأمة، ومن أجل الحفاظ على الخط الاستراتيجي. ليس ذلاً، ولا انكساراً، الناس العاديون يرون المصائب الصغيرة، فلان غلب فلان، الحزب الفلاني سجّل نقطة على الحزب الفلاني، هذا كلام بعيد عن الخط الإسلامي العام، ودائماً تسوقهُ العاطفة.

أما القيادة ونظرتها إلى الأمور فتختلف عن نظرة العاديين من الناس الذين يتحكم بهم الإنفعال، القيادة لا تنظر إلى الأمور نظرة جزئية، وإنما تنظر نظرة كلية وشاملة وبعيدة المدى، الهزائم والخسائر الجزئية تسقط أمام الحفاظ على الهدف الاستراتيجي للأمة، ولا يبقى لها أي حساب.

الإمام الحسين (ع) في أطروحته هذه يتحدث عن المسألة من كل جوانبها، وحينما يدور الأمر بين العار، وبين الموت، وبين الذل وبين تحمل الأذى فخسارة المال، وخسارة الصحة في هذه الحالة تبقى ثانوية، توجد كلمة صحيحة قالها الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء في كربلاء، في إحدى خطبه: «ألا وإن الدعّي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة. وهيهات منا الذلّة»[1].

وأثناء مخاطبته لأصحابه في تلك الليلة حينما لخص الموقف برمته، بيَّن لهم موقفهم هم، وموقفه هو، واجبهم هم وواجبه هو، طرح خيارين إما التسليم وإما الموت، واختار الموت على الذلة. لأن الأمر لم يكن يتناول شخصاً معيناً هو الإمام، وإنما كان يتناول الحالة العامة للأمة، لأنهم يريدون أن يذلوا الأمة الإسلامية من خلاله، ولكن في نفس الوقت قبلهُ أخوه الإمام الحسن (ع) إختار السلم وانسحب من الحياة السياسية العلنية إطلاقاً، وذهب للعمل السري إلى جانب المخلصين من أتباعه.

إذاً حينما تواجه القيادة حالة الإختيار بين الخيانة أو الموت فالموت هو السبيل الوحيد، أما حينما تواجه القيادة الاختيار بين تحمل الأذى، والمغامرة في مصير الأمة، فتحمل الأذى هو السبيل الوحيد، وهذا الذي اعتمده الإمام الحسين (ع).

الإمام علي (ع) في مشكلته السياسية سكت وكذلك الإمام الحسن (ع) حرصاً منهما على المصلحة العامة لا على المصلحة الشخصية، الإمام الحسين (ع) لم يسكت، وعندما خرج من مكة كان عالماً بأنه سيُقتل مع كل أصحابه، لأنه لم يكن يعلق الأمل على أي نصر عسكري، وبذلك تكون انطلاقة الإمام الثورية، إنطلاقة إنتحارية.

نعم الإمام قام بثورة إنتحارية. بعد أن صرخت من جور قضاء الأمويين الدماء، فوجد أنه لا بد من الثورة مهما كانت النتائج لأن المصلحة الإسلامية اقتضتها، والإمام الحسن (ع) اقتضت مصلحة الأمة أن يسالم بانتظار أن يجعل الله له من مضايق البلاء فرجاً، وصبر على مهاجمة أصحابه الخلص له بعبارة (يا

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٧.

مذل المؤمنين) وذلك إنما يعود إلى عدم استيعاب المسألة السياسية عندهم وافتقارهم إلى النظرة الشمولية، لأن الإمام الحسن (ع) كان إماماً معصوماً يعض على العلم بضرس قاطع ويذري الروايات إذراء الريح الهشيم، ولكن الناس العاديون لا يعرفون ذلك.

الإمام الحسن (ع). كان ينظر إلى الأجيال القادمة، إلى الهدف الاستراتيجي، نفس مضمون كلمة أبيه بعد الشورى «لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»[1] المصالح العائلية والشخصية تبقى ثانوية جداً، إذا ما قيست بالمصالح العامة للأمة، الإمام المعصوم همه الأول والأخير الأمة، وسلامة الأمة، وكرامة الأمة، عندما تزور تقول: «السلام عليك يا أمين الله في خلقه السلام عليكم يا أمناء الله»: أمين على أي شيء: أمين على سلامة خط الإسلام، على عدم التحريف في الأحكام الشرعية.

ونحن اليوم أتباعهم، وتلامذتهم، ونعمل بهديهم إن شاء الله، وهمنا جميعاً الأمة، وسلامة الخط الإسلامي.

الآن نتحدث عن لبنان، لبنان بلا جغرافية، أرض، سماء، مياه، لبنان شعب، ناس، يحملون جنسية هذه البلاد، فيهم مسلمون، فيهم مسيحيون، مجتمع لبناني، إبتلاهم الله بسبب أنفسهم وبسبب تسليم رقابهم إلى سياسيين لا يخافون الله ولا يعرفون الإسلام ولا المسيحية بمعنى أن المسيحيين لا يعرفون المسيحية، والمسلمين لا يعرفون الإسلام، أسسّوا هذا النظام الرجعي الفاسد، الذي مثله مثل القميص أو الفستان الجيّد ومفصّل تفصيلاً جيداً، ولكنه ربما يكون ضيقاً، فإن كان ضيقاً فلا بد أن يتمزق.

هذا النظام الفاسد تمزّق سنة ١٩٥٨، كانت في أول أزمة، وقتها الحاكم اللبناني، وكل المجتمع اللبناني وافق على مجيء الأسطول الأمريكي كي يحل المشكلة في البلاد.

وفي الستينات حدثت مشكلات عديدة، حتى وصلنا إلى مشكلات سنة

---

(١) انظر البحار: ج ٧٥ ص ٢٨٧.

١٩٧٥، الآن مرّ عليها اثني عشر سنة، ما هو السبب؟ ما هو سبب هـذه المشكلات؟

لا بد أن المسلمين طرحوا هذا السؤال على المسؤولين، وعلى أنفسهم، لماذا هذه المشاكل السياسية؟.

أنا أقول لو أن هذا النظام صحيح ومقبول ومناسب لطموحات الشعب اللبناني، ومناسب لواقعه! فلماذا نحن نمر بأزمات بين الفترة والأخرى؟. وهي أزمات ليست سطحية، بل هي مهلكة للعباد والبلاد على حد سواء، ولكن في الواقع إن هذا النظام غير صحيح وغير مقبول، وغير مناسب، ولو فرضنا أنه كان صحيحاً فقد اليوم صحتهُ وعافيتهُ، وأصبح يعاني من داء هو داء الطائفية، وكما أقول لكم:

هذا النظام يجب أن يتغير كما يغير الإنسان ثوبه عندما ينمو ويكبر ويضيق عليه. هذا النظام عمره ٤٤ سنة فلو فرضنا عبقرية مؤسسي لبنان صحيحة، وهي غير صحيحة بالتأكيد، ونحن نتبرأ منها إذاً هناك ٤٤ سنة تغيرت فيها الدنيا، ويريدون إبقاء النظام اللبناني على حاله، وعلى تركيبته، بالأمس أقيم احتفال في مكان ما، والكل حمدوا بهذا النظام: فعلى أي أساس حمدوا فيه؟!.

على أساس جوع الجياع. على أساس ذل اللبنانيين على أساس عشرات ألوف القتلى والجرحى والمعاقين... على ماذا نحن نسأل؟!.

إنه نظام فاسد ورجعي، نحن نعلم أنه توجد أنظمة رجعية في أمريكا اللاتينية، وفي آسيا، ولكنها قادرة على إشباع الناس، توجد أنظمة ضعيفة لكن فيها نجاح من جهة معينة، فهي أنظمة تقدمية، فاشلة.

لكن أين نجح هذا النظام؟.

هلموا نصحح هذا النظام، هذا التصحيح يشبه شعار الحسين (ع) بصراحة «المـوت أولى مـن ركـوب العـار والعـار أولى من دخـول من النـار»

ولكن لا يوجد حتى تصحيح، لا يوجد حتى إصلاح لا يوجد حتى ترقيع، الخيار المطروح إما أن تستمر الأزمة أزمة المجتمع والجوع، والإنحـلال،

والتفتيت، أو يُقبل بصيغة سياسية خالية من أي إصلاح على أن يأتي الإصلاح فيما بعد قليل، هذا الخيار نحن نرفضهُ ولا نقبل بالوضع القديم، ولا بالوضع القائم ولا نقبل بما يسمى إصلاحاً، نقبل بأي تسوية لأجل إخراج الناس من البلاء الذين هم فيه نعني، تسوية مؤقتة وليس مشروع مقفل، ويجب أن يبقى الحلف السياسي مفتوحاً إلى أن يحصل التغيير الكامل الشامل وعلى أطروحة الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى. على الأقل، ومَن لم يقبل بهذا سيُطلب منه الأكثر.

بأي قوانين وبأي وجه يلقون الله، إذا كانوا يؤمنون بالله. وبأي وجه يدخلون التاريخ، مئة وخمسون ألف قتيل، ومائتان وخمسون ألف معاق ومصاب، وآخرها إعادة توزيع السلطة. وتركيب جديد، وتوليد جديد لهذا النظام الفاسد.

قلنا البارحة حكاية المؤتمر الوطني نؤيدها تأييداً كاملاً، ولكن قبل الموافقة على مشاركة من سيشارك فيه نريد أن نعرف أسس المؤتمر الوطني، ما هي وعلى أي أساس؟.

إذا كان يُراد حل إصلاحي، كان يمكن أن يحدث هذا الحل سنة ١٩٧٥ أو ١٩٨٠ أو في لوزان، أو في جنيف، أو في خلوات بكفيا وهنا قد يقال الناس لا تتحمّل، أنا أقول نعم وأنا لا أغلق الأبواب، ولا ادعو إلى غلق الأبواب.

قبل سنوات لم يكن هناك ارتباط بين أزمة المجتمع، وبين الأزمة السياسية، وكانت القدرة الشرائية للنقد اللبناني لا تزال سليمة، وكانت الأزمة الإقتصادية موجودة، ولكن في دائرة ضيقة، لم يكن لها أي أثر كبير على الناس.

هذا الإجرام الحقيقي، هذا العمل الإجرامي وهو الربط بين الأزمة السياسية، وبين الأزمة الإقتصادية. نحن الآن ندعو إلى تفكيكه، ندعو إلى التفكيك بين الأزمتين، فلتتحسن القدرة الشرائية وليتنفس الناس، ولتتحسن تقديمات الدولة، مثل النقل العام، والاستشفاء، والمدارس وليبقى الحل السياسي مفتوحاً عندئذ، فلن يحدث خضوع سياسي تحت رحمة الجوع.

هذا إذا ما أردنا أن نطبق هذا الشعار الكربلائي الموت أولى من ركوب العار: والعار أولى من دخول النار.

نحن هكذا نفهم الأمور في أطروحتنا الحاضرة ونسأل الله أن يهــيء لنا من أمرنا رشداً.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذكرى عاشوراء
وكلمة الحق الخالدة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

نقترب يوماً بعد يوم من نهاية هذا الموسم الشريف موسم عاشوراء، ها نحن في نهاية اليوم السابع من أيام عاشوراء ولم يبق أمامنا لبلوغ ذروة هذا الموسم إلا ثلاثة أيام، ونحن في وضع داخلي خاص لا يبعث على السرور، بل يبعث على كثير من القلق نتيجة لنمو حالة التشرذم والتفتت، ونحن في وضع داخلي عام، كذلك أيضاً يدعو إلى مزيد من القلق لأنه يتجه نحو مزيد من التشرذم والتفتت، والذي يدفع الثمن هو الشعب، هو عامة الناس.

من هنا التركيز الذي نلح عليه بالعودة إلى الذات، ليعد كل إنسان إلى ذاته، وإلى ضميره، ليرى أن التزامه، واتجاهه هل يخدم حالة التشرذم، حالة التفتت، حالة الضياع، أو أنه يخدم حالة التوحيد، حالة جمع الكلمة، ولا يحسبنَّ إنسان مهما صغر أنه لا شأن له في هذا الوضع، كل إنسان له شأنه الخاص، وله قيمته الخاصة، التي يحاسبهُ الله عليها، لا يستطيع إنسان أن يقول

(*) ألقيت بتاريخ ٧/محرم/ ١٤٠٨ هـ - ١/أيلول/١٩٨٧ م.

ما شأني أنا، هو له شأن خاص، هو له قيمةٌ خاصة، هو ليس بلا قيمة، ولذلك الله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾[1] يقول عن جميع الناس، عن جميع مَن يحمل مسؤولية التكليف الشرعي تجاه الحالة العامة للمجتمع.

في هذا الإطار نتحدث عن خصوصية من خصوصيات الثورة الحسينية ونرى على ضوئها وضعنا الخاص، ونرى على ضوئها وضع المسلمين العام وما يراد بهم، وخاصة، في حرب الخليج التي تتعاظم، وتشكل ضغطاً يتعاظم ويزداد وسط الصمت واللامبالاة التي تبديها الدول الإسلامية والشعوب الإسلامية.

الأمثولة الحسينية هي أن الحسين (سلام الله عليه) بعد أن رفض البيعة ليزيد وصمم على الخروج جاءه الناصحون من الصحابة، وأبناء الصحابة، وبعض التابعين من بني هاشم، ومن غير بني هاشم، حتى عبدالله بن عباس وأمثاله، ينصحونهُ بالسكوت، والتسليم والمهادنة، وينصحون الكثيرين من حوله ممن يسيرون على خطه ويلتزمون به ألا يدفعوا بالأمور إلى نهاياتها، وكان مما قالوا له يا بن رسول الله لا تخرج فإذا خرجت فإنهم قاتلوك، وإذا قتلوك لا تبقى بعدك حرمة لأحد.

ومن هنا فقد نصحوه بأن يسكت وأن يستسلم وأن ينسحب من دائرة المعارضة والإحتجاج لأن نهايته ستكون هي القتل، ولأنه إذا قتل وهو في منزلته العظيمة، التي لا تعلو عليها منزلة، حينئذ سيستحل النظام الأموي كل حرمة لأنه لن توجد بعد الحسين (ع) حرمة أعظم منه كل مَن هم دون الحسين، كل مَن هم غير الحسين (ع) هم أقل حرمة من الحسين (ع)، النظام والسلطة التي تتجرأ وتقتل الحسين (ع) تكون قد ارتكبت قمة الجريمة فتهون عليها بقية الجرائم.

كانت هذه هي النصيحة التي تلقاها من عبدالله بن عباس، ومن عبدالله بن عمر، ومَن عبدالله بن الزبير، وغيرهم، ممن هم من أمثالهم من الصحابة والتابعين، أو ممن هم دونهُ في القيمة الإجتماعية والمركز الديني.

ولكن الإمام الحسين (ع) كان يفكر بطريقة أخرى وهي أنّ وقت المهادنة

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

والإنسحاب والسكوت قد استنفد إلى النهاية، وإن النظام الأموي، وقيادات المجتمع ورؤساء القبائل، وتحالفات القبائل التي تقابل وتماثل في عصرنا الأحزاب والميليشيات، وأن المجتمع كله بأخياره وأشراره قد استنفدوا جميع الفرص، واستهلكوا جميع الفرص، فرصة حياة علي بن أبي طالب، فرصة خلافة علي بن أبي طالب، فرصة خلافة الحسن (ع) القصيرة، فرصة مهادنة ومصالحة الحسن (ع)، والفرصة التي انقضت بين وفاة الإمام الحسن (ع) وبين موت معاوية كلها كانت فرص أمام النظام، ليعود إلى شيء من الإعتدال، والاستقامة، وأمام قيادات المجتمع لأجل أن تقوم بواجبها في الضبط، وفي قول كلمة حق للنظام، وأمام المجتمع ليقول كلمتهُ.

ولكن كل هذه الفرص استهلكت، قيادات المجتمع انقسمت إلى قيادات مستسلمة، وإلى قيادات منسحبة، قسمٌ منها استسلم للواقع، للنظام، شارك في النظام، شارك في مظالم النظام، وفي تدجيل النظام الأموي، وقسمٌ منها ممن يدّعي الورع، ويدّعي التقوى، إنسحب، واعتبر نفسهُ غير مسؤول.

لا شك أنَّ أكثر المجتمع كان ظاهراً وصالحاً ولكنه مجتمع ساكت، مجتمع سلبي يتحمل الظلم من غير احتجاج، من غير شكوى، الإمام الحسين (ع) رأى أن فترة المهادنة، فترة السكوت والتسليم استنفدت إلى النهاية، فإذا سكت فسيقضي على كل إمكانية في المستقبل على الإطلاق، لن تعود هناك إمكانية على الإطلاق، لأن مضمون الأمة، وعقيدة الأمة، وثقافة الأمة، وحضارة الأمة ستتبدد، وحينئذ سيكون هناك مجتمع آخر، وحضارة أخرى، وسياسة أخرى، وأهداف أخرى، حينئذ يعجز أبسط الناس أو أعظم الناس عن فهم الكلمة الحقة.

لذلك فالإمام الحسين (ع) إعتذر من هؤلاء الناصحين إعتذاراً كريماً بأدب، وبعض هؤلاء الناصحين كان مخلصاً بلا شك ولكنه كان قصير النظر، بعضهم لم يكن مخلصاً، كان يفهم أن خروج الحسين سيفتح باباً من أبواب الهيجان، وباباً من أبواب الإحتجاج، لأن خروج الحسين (ع) سيكون هو الصفعة، هو اللطمة التي تنبه الغافلين والنائمين، وتدفع بهم إلى المطالبة، وإلى الإحتجاج.

هؤلاء الناصحون، كانوا يريدون للحياة أن تبقى مستقرة، أن تبقى هادئة، ميسرة، لكنه اعتذر منهم، وصمم على الخروج، وخرج، وقاتل، وقوتل

واستشهد، وتوّلد عن خروجه الهدف الذي كان يسعى إليه، وكما قلت لكم، هو لم يكن يسعى إلى نصر فعلي. وهو أن يقلب النظام الأموي، ويمسك بالسلطة، لا، بل هو كان يعلم بأنه سيقتل أما حين خروجه من مكة، أو على الأقل بعد أن بلغهُ مصرع مسلم بن عقيل، يأس من أي انتصار سياسي فعلي، إنتصاره هو أن يوقظ النائمين هو أن يوقظ الأمة، ولقد تحقق هذا الإنتصار، لأنه بعد استشهاده بأقل من سنة بدأت الثورات تضرب الحكم الأموي إلى أن أسقطتهُ في النهاية. وبدأت الأمة تستعيد ثقافتها، وتشريعها، وشخصيتها، وعلى الرغم من وجود الأنظمة المنحرفة التي تعاقبت، وبالرغم من وجود الحكام المنحرفين الذين تعاقبوا.

ليس همي أن أبين الآن نتيجة ثورة الحسين (ع)، فلقد تحدثت عنها كثيراً، وأريد الآن أن أتحدث عن موقف الناصحين (أحللهُ).

المخلصون، أو غير المخلصين، الذين جاءوا إلى الحسين (ع)، في المدينة، وفي مكة، ينصحونهُ بالمهادنة والإنسحاب، والسكوت، هؤلاء هم يعرفون ويعلمون علم اليقين، وهم شخصيات المسلمين، وقيادات عليا بين المسلمين، وهم يعلمون علم اليقين، بأن الخط السياسي والثقافي والإجتماعي والمالي الذي يسير عليه النظام الأموي، خاصة في شخص يزيد بن معاوية، نظامُ ليس فيه من الإسلام إلا الاسم فقط، نظام منحرف، سياسات منحرفة، ليس منها إلا الاسم، لا غير، في السياسة، وفي الثقافة وفي المال، ويعلمون علم اليقين، أن الحسين (ع) هو أمين على هذه الأمة، وهو الضمانة بشخصه، وبما يتضمن، عقيدياً وتشريعاً واقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً هو أمين الله كما ذكرت لكم، وهو يمثل الخط الإسلامي الصحيح المستقيم، وإنه إذا أريد لهذه الأمة أن يصلح حالها، فيجب أن يلتزموا جانب الحسين، وخط الحسين، وطريق الحسين.

ولكن هؤلاء الناصحين بالسكوت والمهادنة، عرضوا عليه أن يتوّسطوا بينه وبين النظام الأموي بإصلاح ذات البين، عرضوا عليه أن يقوموا بينه وبين النظام الأموي بعملية تسوية.

ولكن على حساب مَن؟ على حسابه الشخصي، هو ليس مشكلة، هو

كشخص، كالحسين بن علي، أو كأسرة أو كعشيرة، ليست له مشكلة، أموره مرتبة، أما هو كقضية، كمسؤولية، كأمانة، كمشروع فإنه بمجـرد أن يقبل بالوساطة فيكون قد خان الأمة الإسلامية. وحاشاه من أن يكون خائناً هؤلاء الناصحين إما مخلصين نتيجة لسذاجتهم، أو منحرفين يرون الحق ويعرفونه، ويرون الباطل ويعرفونه، ويريدون أن يتوسطوا بين الحق والباطل، ليصلحوا بزعمهم بين الحق والباطل، وحينما يقع الصدام، يرون أنفسهم، يرون واجبهم أن يحايدوا لأنه بحسب زعمهم ـ لا دخل لهم بالسياسة.

إن الإمام الحسين كان يرى أن الأمور ستنتهي إلى هذه النهايات، لذلك اعتذر منهم بأدب، هؤلاء الذين يريدون أن يحايدوا بين الحق والباطل، أو الذين يريدون أن يصالحوا بين الحق والباطل يعتبرون أن بين الحق والباطل توجد ثلاث صيغ: إما أن ترفض الباطل وتعتنق الحق، أو ترفض الحق، وتعتنق الباطل، أو أن تبقى جانباً، وتقول أنا محايد، أو أن تحاول محاولة حمقاء أن تصالح بين الحق والباطل.

بعضهم لم يستطع أن يدخل في الباطل، ولا يريد أن يدخل في الحق، وبعضهم حاول أن يصل إلى صيغة مصالحة بين الحق والباطل، وبعضهم حاول أن يصل إلى صيغة حياد بين الحق والباطل، لكن الحياد بين الحق والباطل لا يمكن أن يكون.

على هذا الضوء أنا أطرح الآن مسألة، مسألة أولى هي موقفنا من النظام اللبناني، من المشكلة السياسية، من الإحتلال الإسرائيلي توجد أطروحة حياد بين الحق والباطل نحن نرى أننا على حق، ونرى أن هذا النظام على باطل، لا يمكن أن نكون حياديـين، ولا يمكن أن نبحث عن تسويات.

وكمـا قلت ففي عهـد الإمـام علي (ع) كله، لا القيـادات تحملت مسؤولياتها، ولا الشعب تحمل مسؤولياته وفي عهد الإمـام الحسن (ع) لا القيادات تحملت مسؤولياتها، ولا الشعب تحمل مسؤولياته وفي كل الفترة ما بين وفاة الإمام الحسن (سلام الله عليه) وبين وفاة معاوية، لا القيادات تحملت مسؤولياتها، ولا الشعب تحمل مسؤولياته، وطيلة هذه الفترة كانت التسوية ممكنة، الإمام الحسين (ع) واجه الخيار المر، خيار الثورة، وخيار الشهادة.

نحن أيضاً مرت سنوات، من سنة ١٩٧٥ . لم نترك فرصة لا في أيام الإمام الصدر، ولا بعده، لم نترك فرصة من الفرص في سبيل الوصول إلى تسوية لأجل حقن دماء الناس لأجل حفظ كرامة الناس، لأجل تماسك المجتمع، لأجل حفظ الجنوب، لكن لا القيادات المسيحية والاسلامية تصرفت بعقل وبعد نظر، ولا الشعب، وأنتم تعرفون وأمثالكم كيف كانت الأمور تجري، الآن الهدنة، الإمكانات انتهت، من أربع سنوات لم يعد ممكناً أي صيغة للتسوية، مع النظام توجد صيغ لتسهيل الأمور على الشعب.

في لبنان نحن نرفض الحياد، نرفض التسوية المغلقة بحيث إذا ما تركنا غداً يقال لنا خالفتم الدستور، هذا مستحيل، مع الإسرائيليين نفس الشيء، لا يمكن أن يوجد حالة حياد أيضاً، ولا يمكن أن توجد حالة مساومة، الحياد غير ممكن، والمساومة غير ممكنة، هما نقيضان كالنور والظلام، شرٌ مطلق وخيرٌ مطلق. . لا يمكن، ونحن إنما نقول هذا الكلام لأن الأمريكيين على ما سمعنا في الإعلام وربما من جهات عدة يقولون أنه لا بد من تهيئة الأجواء لمفاوضات وترتيبات أمنية.

نحن قلنا بين لبنان وإسرائيل لا ترتيبات أمنية ولا مفاوضات وإذا كانت إسرائيل خائفة فلترتب أمورها هي وهنا يهمنا أن نلفت إلى أمر مهم وهو موضوع القوات الدولية وتواجدها، فلماذا تتواجد القوات الدولية على أرض لبنان ولماذا لا تتواجد على أرض فلسطين، نحن الآن لا نطرح هذا الأمر، ولا نزال على موقفنا من القرار ٤٢٥ ولكن ليفكر النظام ومن وراء النظام، ومن فوق النظام ومن تحت النظام، نحن لسنا في وضع نتمكن فيه من الحياد، حياد لبنان بين مَن ومَن، بين الذي هو منذ ألف سنة موجود على هذه الأرض، وقبوره من ألف سنة موجودة في هذه الأرض، وبين يهودي مجري، أو روسي، أو أمريكي أتى منذ سنتين، حياد لبنان؟ أي حياد . ؟ . . .

بكل احترام نقول لهؤلاء اللبنانيين الذين يطرحون، وينادون بأطروحة الحياد، نقول لهم اسحبوها، إقلعوا عنها، لبنان في هذا الصراع لن يكون محايداً أبداً، لبنان في صميم هذا الصراع، في قلب هذا الصراع، في عين الإعصار، لبنان يستحيل أن يكون محايداً، مجرد الحياد هو صهينة لبنان.

التسوية في لبنان إلى قبل أربع سنين كانت ممكنة، إلا أن النظام يتحمل المسؤولية عن عدم حصولها والمعارضة أيضاً تتحمّل المسؤولية فهي الآن مستعدة لتقديم تنازلات ولكن تحت مواقف وشعارات متصلبة نعم في بعض الأوقات أكثر الشعارات تصلباً تخفي وراءها أعظم التنازلات، لا نحن لن نكون جزءاً من هذه العملية على الإطلاق، هذا مع الإستمرار في السعي لمواجهة أزمة المجتمع وأزمة الرغيف، وحبة الدواء، والكتاب المدرسي، وأطروحتنا التي نساهم بها في هذا الحل مع الأطروحات الأخرى هي ما أعلناه، وآخر مرة صباح اليوم في المؤتمر الصحفي الذي عقدناه بمناسبة الذكرى السنوية لإخفاء الإمام الصدر ورفيقيه، الشيخ محمد يعقوب، وعباس بدر الدين.

وهنا يهمنا أن نتساءل عن مدى إمكانية قيام وساطة بين الحسين (ع) ويزيد أو بين نظام يزيد بن معاوية ومحمد بن عبدالله، بين نظام يزيد بن معاوية ونظام أبي بكر الصديق، بين نظام يزيد بن معاوية والخط الإسلامي المحمدي بكل ممثليه، وهل من الممكن الوقوف على الحياد بين هذه الأطراف، إن ذلك أمر مستحيل بالتأكيد.

وعلى ذلك فقس أطروحات الحياد بين العراق وإيران. وليس كل العرب، لأنه يوجد عرب خارج هذه الأطروحة ، النظام العربي ، الذين يلهثون وراء أمريكا وأوروبا من أجل أعلام نضعها على السفن، هؤلاء قادرون على أن يتفاهموا مع أمريكا وأوروبا، وغير قادرين على التفاهم مع الإمام الخميني، ومع قيادة الجمهورية الإسلامية. . .؟. معقول هذا.

هذه مقابرنا، هذه بلادنا، هذا تخلفنا، المسؤول عنه هذا الاستعمار الغربي بصيغته القديمة أو بصيغته الإمبريالية الجديدة. الآن نحن نركض وراءه وقادرين على التفاهم معه ونطلب حمايتهُ رجعنا إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى.

هؤلاء الحكام المساكين الذين يسعون إلى طلب انتداب، قائلين للغرب أعطونا أعلامكم حتى نضعها على السفن، واقدموا إلينا بطائراتكم ومدافعكم وصواريخكم لتحمينا، وهذه القيادة، هذه الدولة. التي دينكم دينها، ولغتكم لغتها، وتاريخكم تاريخها، تقولون لها لا! ويراد أن يكون هناك موقف محايد

منها، يكون عاهر وخائن الذي يحايد بين هكذا موقف وهكذا موقف.

هذه الدول الكبرى حتى التي تدّعي الصداقة منها، هذه لها مصلحة باستمرار الحرب، لها مصلحة أن تستنزف آخر دينار عراقي، وآخر برميل نفط عراقي، وتستنزف آخر تومان إيراني، وقد فعلت.

الإمبريالية دفعت العراق إلى أن يعتدي ويحتل ويهدد نظام الجمهورية الإسلامية، ومن ثم بقوا يحلبون من هذه الحرب إلى أن شبعوا وامتلأت بطونهم من دمائنا.

القرار الدولي الذي حرّكه بعض الحكام العرب، وهو قرار غير محايد، ربما الأخوة الإيرانيين يقولون غير ذلك، ولكن نحن نفهم أن هذا القرار غير محايد، هذا القرار ضد الجمهورية الإسلامية، وإلا لماذا إذا كانوا خائفين ومنزعجين من أجل الشعب العراقي والشعب الإيراني، والإمكانات الإقتصادية، إذا كانوا خائفين على السلام في منطقة الخليج، إذا كانوا خائفين، على ممرات النفط إلى أوروبا الغربية واليابان، إذا كانوا خائفين على السلام العالمي ككل فلماذا عندما أطلقت أول طلقة نار على إيران، لم يجتمع مجلس الأمن ويصدر قرار ملزم، وقتها الجميع سكتوا، الدول العظمى سكتت، الدول الوسطى سكتت، بكل أسف الدول الإسلامية سكتت، الدول العربية سكتت كانوا منتظرين أن تسقط الذبيحة لكنها لم تسقط، ووقتها قال الإيرانيون قالوا لا نقبل بوقف إطلاق النار، كلنا يعلم أن أي بارجة، أو سفينة، أو زورق صغير يخترق المياه الإقليمية، نرى الدول كلها ارتبكت ومن ثم تلاحقت مذكرات الإعتذار والإحتجاج وما نراه اليوم أنه بموجب طلبات رسمية صادرة عن مجالس وزراء. تستدعى اكبر قوة عسكرية بحرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى مياهنا، إلى مياه الخليج، وإلى بحر عمان ونقول بعد ذلك، أننا نريد أن نحرر فلسطين يستدعون انتداباً دولياً، ويقولون بتحرير فلسطين.

في مثل هكذا موقف، وعلى ضوء، وعلى أمثولة هؤلاء الذين جاءوا يتوسطون بين الحسين ويزيد، بين نظام يزيد، وبين نظام محمد (ص) فإن أطروحة الحياد على أي صعيد، أطروحة باطلة.

الآن موقف الجمهورية الإسلامية، هو صورة تاريخية، تطابق العصر

والزمان والظروف من تلك الصورة.

لا حياد... هذا الموقف الذي استدعى القرار الدولي، هذا الموقف الذي استدعى الأساطيل الحربية إلى بلادنا وإلى مياهنا.

هذا الموقف التحريضي، نحن ضده بكل وضوح، شرعاً يجب الوقوف ضده، وإدانته، والبراءةُ منه وعدم ملاقاة الله به. تماماً كالموقف الذي يتخذ في حالة يزيد والحسين (ع). في حالة نظام يزيد بن معاوية ونظام محمد بن عبدالله (ص).

والحمد لله رب العالمين
والسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته



بالصبر والايمان
انتصرت ثورة الحسين
(ع)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

كنت أريد أن اعتذر اليوم عن الكلام لسوء حالتي الصحية. ولكن عزّ عليّ أنه في هذا اليوم، اليوم الثامن من عاشوراء وقد استحضرت، في ذهني وخيالي وتصوري حالة الحسين (ع) والبقية الباقية من أصحابه أحياء مع النساء والرجال والأطفال. وبلغ بي الخيال إلى حالهم في مثل هذا اليوم. وفي مثل هذا الوقت من هذا اليوم عطشاً وجوعاً، فقلت في نفسي لا يجوز أن انقطع عن ذكرهم بداعي المرض أو بداعي التعب تأسياً بهم.

عاشوراء في سنة ستين للهجرة، أي السنة التي حدثت فيها عاشوراء. وكانت في أيام الصيف، وفي صحراء رملية. لنا أن نتصور ما أصاب الحسين وعياله وأصحابه من ألم الحر، وألم الجوع، وألم العطش، وألم الحصار والإنقطاع عن العالم الخارجي، . وكل ما يوّلد ذلك من الآلام الجسدية والنفسية.

(*) ألقيت بتاريخ ٨/محرم/ ١٤٠٨ هـ-٢/أيلول/ ١٩٨٧ م.

حفنة صغيرة من الناس، من النساء والرجال والأطفال محاصرة وجائعة، الأب، والأم، والأخ والأخت سمعوا صراخ الأطفال الذين يعانون من شدة العطش ويرون بكاؤهم، ومع ذلك في كل النصوص التي وردت عن عاشوراء، النصوص التي رواها الموالين لأهل البيت (ع) أو النصوص التي رواها خصومهم من نفس معسكر يزيد بـن معاوية، كلها تلح وتؤكد أن الحالة النفسية والمعنوية لهؤلاء ـ الرجال والنساء والأطفال ـ كانت في أعلى درجات التماسك وفي أعلى درجات الشجاعة.

عادة عندما تحاصر مجموعة من الناس، بهذا الشكل الذي حدث في كربلاء، وخاصة عندما يكون هناك عبء أطفال، وعبء نساء، الحالة النفسية يظهر عليها الضعف والإنهيار، هذا الأمر يحدث عند كل الجماعات، ربما يستطيع الإنسان أن يتحمل الجوع يوم، أو يومين، أو ثلاثة، ولكن الأطفال لا يستطيعون أن يتحملوا العطش ساعة واحدة وخاصة في الصحراء.

فكيف بحالهم آنذاك؟.

ومع ذلك هذه الروايات التي تصور الواقعة بكل تفاصيلها سواء رواها الخصوم أو غيرهم تركز على أنَّ الحالة المعنوية عند الحسين (ع) وأصحابه عند بني هاشم وغيرهم كانت عالية جداً.

ولكن الصور التي نقلت عن الأطفال كانت توحي بالصبر الذي لا يعلو فوقه صبر، وبالشعور الذي لا يعلو فوقه شعور كانت هناك حالة عناد في رفض الذل والهوان والتي عبر عنها الإمام الحسين (ع) فيما قال: «ألا وإنّ الدعّى بن الدعّي. قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة. يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون»[1].

إذا سألنا وفتشنا عن السر في ذلك، كيف يستطيع رجل أو شاب أن يبقى متماسكاً بالرغم من العطش والجوع. أمام جيش كبير، أمام عدو متكالب على حطام الدنيا، والسلطان عدو يفتقر إلى كل ما هو أخلاقي وإنساني؟.

الآن تسمعون ـ في هذا الزمان ـ فى الإعلام والصحف عندما تحدث حالة

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٩٧.

من هذه الحالات، تتدخل منظمات دولية ـ إنسانية ـ صليب أحمر، منظمة حقوق الإنسان لتنظيم حالة الأطفال والنساء أثناء الحصار، ونحن نعرف كم يستغل الإعلام هذه المسألة، هذه الأمور في الجيش الإسلامي حقيقية، أما بنو أمية فهم: «لا يدعوا لله محرّماً إلا استحلّوه ولا عقداً إلا حلّوهُ»[1]، كما جاء في خطبة للإمام علي (ع):

أيضاً يقول الإمـام علي (ع): «لا يبقى بيت مَدَرٍ ولا وَبَـرٍ إلا دَخلهُ ظُلمُهمُ»[2].

غاية القول أن الجيش الأموي لم يكن يعرف الإسلام والإمام الحسين (ع) كان يعرف ذلك: لذلك فهو في اليوم العاشر من المحرّم حينما بدأوا يرتكبون الجرائم والبشائع، وحينما هجم جلاوزتهم على خيم النساء ـ جلاوزة النظام الأموي ـ: قال لهم (ع): «إذا لم يكن لكم دين... فكونوا أعـراباً كمـا تزعمون»[3] وبالرغم من كل ذلك لم يحدث أبداً أن عرضت أي وساطة من جانب الحسين (ع) في واقعة كربلاء، لم يطلب الإمام الرحمة، ولكن كما ذكرت في الماضي في عشية اليوم التاسع، وعندما تأهب الجيش الأموي للهجوم النهائي، أرسل الإمام الحسين (ع) رسولاً يطلب منهم أن يؤجلوا الهجوم إلى صبيحة اليوم الثاني من أجل أداء الصلاة.

هذه هي المفاوضة الوحيدة التي ثبتت تاريخياً. أي علامة من علامات الوهن لم تصدر عن الإمام الحسين (ع) ولا عن أصحابه، ولا حتى عن النساء، لا بد أنكم سمعتم مقولة القاسم بـن الإمام الحسن (ع) وهو صبي يخاطب العدو وبكل جرأة، «أنتم تتجرأون على عمي الحسين»، ما هو السبب؟.

الإمام الحسين (ع) إمام مميز، نفهم أنه لا يمكن أن يصدر عنه الضعف، زينب (ع) كذلك، زين العابدين هو أيضاً مرشح للإمامة لا يصدر عنه ضعف، أما العشرات من الأطفال والنسـاءِ أناسٌ مثلنا عاديـين، نعم لم تكن كل النساء زينب ولا كل الرجال حسين، إذاً من أين هذه القوة النفسية الهائلة.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٩٨.

(٣) مقتل الحسين: ص ٢٧٥.

لقد جاءت من مصدرين:

مصدر داخلي، وآخر خارجي:

أما المصدر الخارجي، فهو أنهم كانوا يرون إمامهم الحسين (ع) هذا الرجل الذي لم يطلب الأمويـون غيره. كان المطلوب رأسهُ فقط، لأنه كان رئيس قافلة المعارضة والتمرد بالمفهوم الأموي، والحسين (ع) عرف ذلك من قبل أن تبدأ المواجهة. لقد قتل مَن قتل من أهل بيته، وبقي يتصرف تصرفاً اعتيادياً ليس فيه أي ضعف، أو أي وهن، لقد كان في أعلى درجات المسؤولية.

والنساء أيضاً كانت تقف أمامهن زينب (ع) بطلة كربلاء بطلة النساء بعد أمها الزهراء. من هنا لنا رأي، فيما يروى عن زينب (ع) بالخصوص من مواقف ضعف، ومواقف انكسار أمام الناس.

نقول بينها وبين أخيها، وبينها وبين ربّها ربما تشعر بالضعف، أما الروايات التي تتحدث عن زينب أنها بكت، بحيث رآها الناس تبكي، أنها ضعفت بحيث رآها الناس ضعيفة، هذه الروايات تسمعونها الليلة أو غداً من خطباء المنبر، وأنا شخصيـاً ما لم يثبت هذا ثبوتاً علمياً حقيقياً، أنا أشك فيه.

السيدة زينب (ع) هذه البطلة العظيمة أمام الجيش الأموي. تسجّل على نفسها أعلى درجات القوة، وكلنا يعلم. خطاب السيدة زينب إلى يزيد أنا أشك في أي رواية تتهم زينب (ع) بالضعف، وهي ما زالت مع أخيها الإمام الحسين (ع) تسجّل على نفسها هذا المظهر، هذا لا يمكن أن يصدّق؟!.

أبداً لم يظهر عليها أي مظهر من مظاهر الذل والإنكسار قطعاً ويقيناً، لا منها، ولا من أخيها.

هذا تصرف بشري غير طبيعي لسببين.

أحد السببين هو النموذج الخارجي، الإمام الحسين، قوة شخصيـة، صبره، عدم مبالاته، لم يعط أي اهتمام لهذا الجيش الذي خيّم عليه الجهل واستغّلهُ الشيطان.

كان الرجال والنساء يرون الإمام الحسين (ع) فيستمـدون منه قـوتهم وصبرهم.

نعم، الرجال والنساء والأطفال استمدوا من الإمام الحسين (ع) مزيداً من الكـرامة. والصبـر. والمعنويـة. الأمهات والأخـوات من الهاشميـات وغيـر الهاشميات حينما يريـن زينب (ع) خاصة في مثل هذا اليوم، تقف موقفها الجهادي إلى جانب أخيها، فإنها تجعلهن في أعلى درجات المعنوية والصبر.

زينب قتل أبناؤها، وقتل أخيها العباس، والهاشميون أغلبهم قتل في اليوم العاشرويرونهـا صابرة، هذا هو النموذج الخارجي. القدوة الحسنة.

أما السبب الثاني فهو إيمانهم، إيمان هؤلاء الأبطال. الذي كان يمدهم بأعظم القوة، وبأعظم الثبات والتضحية كانوا ينسون آلامهم؟ لماذا؟ لأن الحالة الروحية والحالة النفسية، والإيمانية حينما تسيطر على العقل والشعور، هذا الجسد يصبح قادراً على تحمل كل المصائب مهما كانت عظيمة.

ورد في التاريخ أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في صفين كان يصلي بين الصفين، وكان يُرشق بالسهام والنبال فلا يشعر لها وقعاً، قراء التعزية يحدثونكم عن واقعة حدثت في اليوم العاشر حينما كان الإمام الحسين (ع) يصلي واستهدفهُ الجيش الأموي بالنبال: وقف شخصان يدافعان عنه بصدورهم المكشوفة دون أن يبالوا، الحالة الإيمانية، الحالة الروحية، الإعتقاد بالهدف، الإعتقاد بالقضية كان يعطيهم قدرة غير عادية تجعلهم لا يتألمون، لا أقول، لا يتألمون لأن الألم شيء (فيزيولوجي)، ولكن قدرتهم تكون أقوى من الألم. كانوا يعيشون الرياضة الروحية التي جعلتهم ينسون الآلام.

إذاً لم يصدر عنهم أي شكوى، حقيقة كلما تأملنا موقف هؤلاء الأبرار تنكشف وجوه العظمة.

الآن سواء في الجيوش الكبيرة أو في الميلشيـات الصغيرة نرى مع كل فرقة مستوصف ميداني. دفاع مدني. مسعفين لنقل الجرحى والمصابين.

لكن أبطال كربلاء لم يكن عندهم إسعافات، ومستوصفات ميدانية، كان كل شخص ينزف حتى يموت، حتى يستشهد على أرض المعركة. ولم يحدثنا التاريخ عن رجل واحد من أبطال كربلاء نقل جريحاً إلى المخيم للمعالجة أبداً، والذي يلفت النظر ويسترعي الإنتباه، هو أنَّ أبطال كربلاء كانوا يجاهدون حتى آخر قطرة من دمائهم في كل قوانين الحرب، وفي كل أعراف الحرب، أن

الجندي إذا أصيب أو جرح في المعركة يمتاز عن غيره ويحظى بعناية فائقة من قبل المسعفين، ومن قبل أصدقائه، هذا في الإسلام وفي غير الإسلام، في واقعة كربلاء لا يوجد ولا مثال من هذا القبيل، الجميع كانوا يقاتلون حتى الرمق الأخير من حياتهم.

إذن ليس هناك غير هذين السببين:

الأول : القوة الداخلية، والحالة الإيمانية ، الإيمان بعدالة القضية، الإيمان الحقيقي المتأصل .

الثاني : هو القدوة الحسنة . إنهم كانوا يتطلعون الى الإمام الحسين (ع) ويرون صبره وشجاعته ، وقوته ، القدوة الحسنة المتمثلة ، أيضاً بالعباس . وبالسيدة زينب ، وبعلي الأكبر .

وهناك مواقف تسمعونها دائماً من قراء التعزية.

«أما والله لو ضربونا لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل». هذا هو الإيمان الحديدي الذي ليس له مثيل عبر الزمن.

كان الرجال والنساء والأطفال يسيرون على الطريق الذي أضاءه الإمام، كانوا يتبعون أثره، ويقتدون به، ويستضيئون بنور علمه .

أما نحن اليوم في لبنان، كأفراد كأسر، كمجتمع، البعض يقول أنه يوجد في أوساطنا علامات وهن وضعف ناتجة عن أزمة المجتمع ـ التي ولدت في رحم الأزمة السياسية، والبعض الآخر يقول ناتجة عن تفرّق الكلمة.

أنا أقول: ان علامات الضعف والإنكسار والذل لم يكن لها أي أثر على جماعة المسلمين في لبنان، ولن يكون لها أي أثر في المستقبل إذا حافظوا على وحدتهم وعلى كلمتهم.

فالمسلمون اليوم في مواجهتهم للمشاريع الإستسلامية ولإسرائيل بوجه خاص، تجعلهم في أعلى درجات القوة والإنتصار، بالرغم من كل المشاريع التي يعاني منها المجتمع، ومنها المشكلة الإقتصادية التي تضغط على الجميع، لعلها تحت رحمة الجوع، تؤدي إلى خضوع سياسي، وهذا ما لا يمكن أن يحصل مهما تعاظمت الأزمة في المجتمع.

وأقول كما قلت في الأيام الماضية، الإحتجاج والتظاهر أمـر مشروع ومطلوب، ولقد دعمناه ولا نزال ندعمهُ بكل قوة، ونحن نؤيد الدعوة التي وجهّها الإتحاد العمالي العام للإحتجاج، وان عدم الإحتجاج يعني الرضى بالجريمة والإحتكار، فالإحتجاج هو البراءة من الجريمة.

ولكن توجد أصوات تعلو من حين لآخر من قبل السياسيـين، ومن قبل وسائل الإعلام، وألمس فيها الضعف والهوان، وأطروحات المس فيها روح الإنكسار.

نحن لا نريد أن نسمع هذا، نحن لسنا منكسرين، ولا ضعفاء، ولا يمكن الاستسلام للجريمة وللمجرمين، أو الموافقة على أطـروحات رجعيـة تقف وراءهـا إسرائيل وعملاؤها في الداخل، بمجرد أن هناك أزمة اقتصادية، فهذه الأزمة تغلب الجميع دون استثناء أحد. وتطال المجتمع اللبناني كله. وتضغط على الجميع على المناطق المسيحية، كما على المناطق الإسلامية، في كل المناطق يوجد حاجة وعوز.

وكلكـم يعلم أن الشعب اللبناني هو ضحية فساد الحكم والحاكمين وقلت أن أدوات المؤامرة هي التي تدبر ودبّرت أزمة المجتمع، لا يجوز أن تصدر الشكاوى، وأن تصدر الآخ. لأن في ذلك استسلام وتراخٍ أمام هذه الأدوات المأجورة التي باعت نفسها للشيطان، وهي كما تعلمون اليوم تنطق بلسانه، وتنظر بعينه.

من طرفنا نقول لهؤلاء السياسيـين، ونقول لبعض موجهي وسائل الإعلام، والذين يظهرون ـ بين الحين والآخر ـ في ثنايا كـلامهم علامـات الضعف، وعلامات الإنكسار والاستسلام.

أقـول أن الضعف لا يؤدي إلى حل الأزمة بل يزيد من تفاقمها، ونحن مستمرون في المواجهة، مواجهة الذل والإنكسار اللذان لا يحلان المشكلة، وهم يريدون منا أن نستسلم.

ونحن نقول وبكل صراحة وبكل افتخار «هيهات منا الذلة» لا يمكن أن تفلح هذه المؤامرة أبداً بإعادة انتاج النظام الطائفي تحت أي غطاء، وتحت أية صيغة.

الله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً المسلمين، **﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كماتـألمـون وترجون من الله ما لا يرجون﴾**[1].

هذا بعد أن ذكرت لكم قدوة الحسين (ع) وأظن أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك للتهوين على المسلمين، والاشارة إلى أنهـم ليسوا وحدهم الذين يتألمون في الحرب، أو في الجوع أو العطش.

إن الأزمة ضاغطة على الجميع وهي شاملة لا يوجد في منطقة رخاء، وفي أخرى شقاء، نعم هناك في بعض المناطق ضبط تنظيمي، أما الضيق فهو موجود، والذين يبحثون في القمامة كثر.

أنا لا أخاطبكم أنتم لأنني أعرفكم، أنا أخاطب بعض السياسيين، وبعض موجهي الإعلام، أن ينتبهوا، وأن لا يعبِّروا عن مواقف الضعف، وأن يؤيدوا تحرك الجماهير من المسلمين والمسيحيين في الإحتجاج على المسؤولين الذين هم سبب توليد أزمة المجتمع المفتعلة، وللضغط على كل القادرين لمواجهة هذه الأزمة ووضع حد لها.

وأخيـراً : أخـذ الله بقلوبنـا وقلوبكم الى الحق وألهمنـا وإيـاكم الصبر.

والحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

ثورة الشباب الحسينية



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

من الأمور التي تلفت النظر في ثورة الإمام الحسين (سلام الله عليه) أن أصحابه فيها، سواء أكانوا من الهاشميين أو من غيرهم، على قلة عددهم، كانت نسبة الشبان فيهم كبيرة، وكان فيهم من كل الأعمار. فيهم الشيخ الكبير الهرم ابن الثمانين وابن السبعين، وكان فيهم ابن الأربعين، وما دون ذلك ولكن كان فيهم عدد كبير من الشبان، ما بين الرابعة عشر والعشرين من العمر.

هذه الظاهرة كانت مفهومة ومقبولة، لو أن ثورة الإمام كانت ثورة مؤكدة الإنتصار.

يمكن أن نقول إنَّ هؤلاء الشبان التحقوا بهذه الثورة لأنهم أو بعضهم، مَن لم يستشهد منهم سينتصر ويحصل على جوائز وفوائد الجهاد، ولكن كما ذكرت لكم في مجلس سابق، كانوا يعلمون أن الإنتصار هو المستحيل، وأن الإنتصار الفعلي للثورة أمر مستحيل وأن كل مَن فيها من مجاهدين سيقتلون، ولن يكون هناك أية بقية لهم لتنتصر، كانوا يخوضون حرباً يائسة وخالية من أي أمل فعلي،

(*) ألقيت بتاريخ ٨/محرم/ ١٤٠٨ هـ - ٢/أيلول/ ١٩٨٧ م.

وخالية من أي رجاء فعلي، ومع ذلك نجد أنهم ثبتوا وقاتلوا واستشهدوا، هؤلاء هم الشهداء لأنهم كانوا وعلموا أنهم على الحق!

من المعلوم، أو من المفهوم أن الرجال كبار السن. يدخلون في حرب يائسة لأنهم استدبروا الحياة، يعني أنَّ الحياة صارت وراءهم، ابن الستين والسبعين، والثمانين سنة، أمامه الموت، آمالهُ محدودة، ورجاؤه في الشهوات، والجاه والإنتصار محدود.

من المفهوم أن هؤلاء يجاهدون ـ ويستقتلون ـ ويستشهدون، أما الشبان، فالحياة أمامهُم، والآمال العريضة أمامهم، والرغبات الحلوة أمامهم.

أن يثبتوا هذا الثبات، فهذه ظاهرة ملفتة للنظر، وأن يثبتوا هذا الثبات في عمل يائس مستحيل، هذه ظاهرة ملفتة للنظر هؤلاء الشبان كانوا يمثلون جزءاً من نخبة المجتمع الإسلامي في ذلك الحين.

والشبان عادة أكثر تحسساً، الشبان والشابات ـ لا أعني الذكور فقط ـ جيل الشبان، هو أكثر تحسساً بالمظالم، أكثر تحسساً بالفوارق السياسية والإجتماعية والثقافية.

جيل الكبار السن تعوَّد على نظام معيّن، علي عادات معينة، على معاملة معينة، أصبح معتاداً إما أنه لا يشعر بالشذوذ، وإما أنه يشعر ولكن لا يبالي، غالباً تغلب عليه طبيعة المحافظة على القديم، المحافظة على الاستقرار، وعلى الأوضاع القائمة.

جيل الشباب، لا، غالباً هو يحمل أفكار تغيير، يحمل أفكار ثورة، أفكاراً جديدة في كل مجتمع من المجتمعات.

في سنة ستين للهجرة، كان قد مضى جيلين على وفاة رسول الله (ص) وعلى بداية المشكلة السياسية في العالم الإسلامي، في الدولة الإسلامية، توفي الرسول في سنة عشرة للهجرة، وكربلاء كانت في سنة ستين للهجرة.

إذا حسبنا الجيل ثلاثين سنة، يعني مضى جيل ونصف تقريباً، كان المجتمع الإسلامي في ذلك الحين مجتمعاً متوازناً من حيث نسبة الشبان والشيوخ، هؤلاء الشبان كانوا يلاحظون، يقرأون القرآن ويسمعون خطب

الجمعة، ويسمعون أحاديث رسول الله (ص) ويفهمون الإسلام.

كانوا ينظرون إلى الحياة من حولهم خاصة في عهد عثمان، وفي عهد معاوية، وأخيراً في عهد يزيد، ـ يعني أول عهد يزيد ـ فيرون أن هناك مسافة واسعة بين التعاليم، والتوجيهات، والأحكام، والآيات التي يقرأونها ويتعلمونها، ويسمعونها، وبين واقع الحياة.

أصبح لديهم وعياً سياسياً، عقيدياً، ووعياً ثقافياً واقتصادياً، ويتلخص هذا الوعي بكون الأوضاع ليست كما ينبغي.

وأن الأمور لا تسير كما يجب أن تسير عليه.

وأن هذا النظام الأموي هو نظام سيّىء.

وإن دعوات التغيير دعوات صحيحة ومحقّة.

من هنا نجد مع الحسين (ع) ونجد بعد الحسين مع ابن الزبير، ـ عبدالله ابن الزبير ـ ونجد قبل ابن الزبير مع المختار بن عبيدة الثقفي ـ وبعدهما نجد مع غيرهما من الثوار أن نسبة عالية من الثوار كانت من الشبان من جيل الشبان، الذين كانوا مع مسلم بن عقيل بحسب دلالة الروايات.

إنَّ الأم تأتي إلى ابنها، والأخت إلى أخيها، فتقول له: ما لنا وللشرّ! ما لنا وللسلطان! شبان كانوا، أو أقرب إلى جيل الشباب من جيل كبار السن والشيوخ.

هؤلاء كانوا يمثلون جانباً كبيراً من ثوار كربلاء، وكانوا من جميع الطبقات، من جميع الفئات، من الفئات البارزة في المجتمع، ومن الفئات العادية من المجتمع، ومن فئة المسلمين غير العرب.. الموالي.

تُرى ماذا رأوا في النظام الأموي حتى رفضوه وثاروا عليه، النظام الأموي كان فيه انحراف سياسي، يتمثل في طريقة الحكم، حكم الناس في أيام معاوية، وطبعاً بصورة أكثر سوءاً في أيام يزيد بن معاوية ـ كان يوجد فيها انحراف اقتصادي، وثقافي، واجتماعي.

توجد كلمة مشهورة للإمام الحسين (ع): «ألم تروا إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، أو أصبح المعروف منكراً، وأصبح المنكر

معروفاً»[1].

هذه إحدى نماذج الشعارات الحسينية التي كان يُطلِقها الإمام الحسين (ع) في كربلاء.

تُرى الآن في المفهوم المتخلّف السائد في مجتمعنا ألا نلاحظ مفهوماً متخلّفاً، للمنكر والمعروف؟ يعني تارك الصلاة، فاعل المنكر، وتارك المعروف، شارب الخمر هو فاعل المنكر أيضاً، هذا صحيح!.

ولكن يا تُرى، السياسي المنحرف، أو الإقتصادي المنحرف، أو الحوت، ـ أنا اسميهم «الحيتان» وقسم منهم أسميهُم «الخنازير» ـ الذي يملك الأموال ويتكبر على الناس، الإنسان الذي يحمل في عقله الفكر الغربي، هؤلاء وغيرهم أليسوا تاركين للمعروف، وفاعلين للمنكر ؟؟.

في أيام (معاوية بن أبي سفيان)، وفي أيام (يزيد)، هل كان الناس تاركين للصلاة، حتى يحملهم الإمام الحسين (ع) على إقامة الصلاة؟ أكانوا يفطرون في شهر رمضان؟ أكانوا تاركين لحج البيت؟ ترى أكانوا مانعين للزكاة ؟ ترى أكانت نساؤهم متبرجات؟؟.

لا، المساجد كانت معمورة، تماماً حتى معاوية كان يصلي جماعة ثلاث مرات في اليوم، ويزيد كان يصلي، تُرى شهر رمضان أكان يُصام ويحترم؟ الحج كانت شعاراته مرفوعة وعالية الشأن، الزكوات والأخماس، كانت تجبى من الناس، هذه الأمور كانت موجودة.

شعارات الإسلام، وعبادات الإسلام، كانت محفوظة، إذن أي منكر فُعِل؟.

الخمر مثلاً: الذي كان يشرب الخمر علناً يُجلد.

والذي يزني علناً ويثبت عليه يجلد أو يرجم!.

كانت هذه أمور معروفة، وأحكام الإسلام على الصعيد الفردي والعائلي كانت مُطبّقة، كيف إذن؟.

---

(١) انظر كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٤٤ والمناقب: ج ٤ ص ٦٨ ومقتل الحسين: ص ١٩٤.

«ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، أو أصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً».

ذلك كان في المسألة السياسية، وليس في الصلاة والصوم، وفي المسألة الإجتماعية، والإقتصادية والثقافية.

في المسألة السياسية: ـ كما قلت لكم ـ كان الحكم منحرفاً، كان يحكم بالظلم، والذي لا يرضى عنه النظام يطارد.

هو حكم قمعي، ديكتاتوري، لمجرد أنه يجد أناساً يحبّون علي بن أبي طالب كان يطاردهم، ويُقتلون، كحجر بن عدي الكندي ومن وأمثاله الكثير.

هذا الإنحراف السياسي، هذا الباطل السياسي هذا المنكر السياسي.

في المسألة الإقتصادية: كان الناس يدفعون الضرائب فتدفع الأموال سواء الخمس، أو الزكاة، أو الغنائم ـ غنائم الحروب ـ، وغلّات الأراضي، التي هي ملك الأمة ملك الدولة.

كانت الأموال موجودة، وكانت بيوت الأموال عامرة، ولكن طريقة التصرف في هذه الأموال، كانت طريقة محرّفة: المقربون يأخذون، والناس المحرومون لا أحد يتعرّف عليهم أبداً، وكلام أمير المؤمنين في آخر عهد عثمان: «اتخذوا مال الله دولاً»[1]. يعني المال العام، كان ينفق بينهم، وهذا يدل على ما قلناه!.

فكان الباطل الإقتصادي، والمنكر الإقتصادي والتخمة في مكان، والجوع في مكان آخر.

في المسألة الإجتماعية: كان زهرة المجتمع وزهوة المجتمع، وقمة المجتمع البيت الأموي الحاكم.

بعد البيت الأموي الحاكم تأتي طبقة ثانية، هي بنو قريش، قبيلة قريش، بحيث أنه بلغ حداً من الطغيان جعل بعضهم يقول: إنما السواد بستان لقريش!.

ما هو السواد؟ السواد هو العراق وجزء من إيران، هذه أملاك العامة التي

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

كانت تغلّ في سنة ، أكثر من مائة مليـون دينار بـل أكثر : من أحـد عشر مليـار دينار .

تأتي طبقة ثالثة، وهم العرب المقربون من السلطان، حجر بن عـدي الكندي، الذي قُتل هو عربي، لأنه يحب الإمام علي بن أبي طالب . .

في المسألة الثقافية: النظام الأموي بدأ يدخل جميع طرائق الحياة، وجميع مناهج الحياة التي كانت سائدة في الإمبراطورية البيزنطية ـ يعني الروم ـ ويغير فيها عقليّة المسلمين، وعقائد المسلمين وطريقـة حياة المسلمين، ويفسـد جيل الشباب.

إنَّ سياسة إفساد جيل الشبان عمَّت بحيث أنها تجاوزت دمشق إلى حواضر الإسلام الكبرى.

كان الإنسان إذا أراد الغناء الجيد، والراقصات الجيّدات، والمغنيات الجيدات ولم يجد ذلك في دمشق، كان يذهب إلى المدينة ومكة، المدينة ومكة حـولا إلى مركز للفساد الأخلاقي والفني والثقافي.

هذا الباطل، في المسألة السياسية، بل هذا هو الإنحراف، وكذلك في المسائل الأخرى التي أتينا على ذكرها.

إنَّ الشبان الذين كانوا مع الحسين (ع) ثاروا على هذا الواقع والإمام الحسين (سلام الله عليه) ثار على هذا الواقع أيضاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»[1].

ليس معنى ذلك أنهم تركوا الصلاة، والإمام يريد منهم أن يصلوا ويصوموا ويحجوا، لا.

المقصود هو الإصلاح السياسي، والإقتصادي، والإجتماعي والثقافي.

نحن من ألطاف الله تعالى، الله سبحانه وتعالى رزقنا اسماً جديداً سمينا بـه النظام اللبناني في (معركة)، سميناه نظام السقوف المتفاوتة.

إن النظام الأموي، كان على هذا الشكل نظام سقوف متعددة يعني في

---

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

المسألة السياسية، مَن يوالي السلطان فله كل النعم وكل الأمان، ومَن لا يوالي النظام مثل حجر بن عدي، كان يطارد ويشرّد ويقتل!.

كتب معاوية في عام أربعين للهجرة، قبل ثورة الإمام الحسين (ع) بحوالي عشرين سنة إلى واليه على العراق، وعلى جزء من إيران.

كان جزءاً من إيران تابعاً لولاية البصرة والكوفة «انظر إلى كل مَن والى علياً، فأهدم داره واقطع عطاءه» - يعني الراتب الشهري - هذا سقف من السقوف. . .

في المسألة الإقتصادية - كما ذكرنا - الأموال تجبى إليهم ولكنهم يوزعونها توزيعاً سيئاً، ويخصون بها المقربين والمحسوبين، وسائر الناس لا ينالون منها شيئاً أبداً.

وفي المسألة الإجتماعية، الناس الذين يقفون ورؤوسهم عالية. وبراحة تامة وسادة البشر هم بنو أمية، وليس كل بني أمية. البيت الحاكم والحزب الحاكم.

وبعد بني أمية، طبقة ثانية قريش، وطبقة ثالثة العرب الموالين للسلطان، وطبقة رابعة العرب، وطبقة خامسة سائر الناس وهذه أيضاً سقوف.

ما هو الفرق بين هذا النظام اللبناني، وبين هذا النظام اليزيدي، سوى أنه ذاك عنوانه الإسلام؟! كل واحد يضع عنواناً إسلامياً، ولكن المضمون ما هو؟؟.

كانت خلافة يزيد بن معاوية، وكانوا يسمونهُ خليفة المسلمين، وكل مراسِم الإسلام موجودة ولكن روح الإسلاح وجوهره، غيبا تماماً حينما ثار الإمام الحسين (ع) أيضاً دخلوا معه في محاولات التسوية، فما هي التسوية؟. إنها بمضمون: تعال ونحن ندخلك في جملة أهلِ النظام! يعني يجعلونه في الطبقة الأولى، هذه التي تسمى اليوم بحقوق الطائفة، ولعنة الله على حقوق الطائفة. . . .

النظام نفسه، ذاك النظام الذي ثار عليه الإمام الحسين (ع) هو نظام السقوف المتفاوتة، وهذا النظام اللبناني أيضاً هو نظام السقوف المتفاوتة.

أكرر نحن ضد أنظمة السقوف المتفاوتة، بكل بساطة، سقف واحد، الناس كل الناس، يقفون مرفوعي القامة والرأس، في المسألة السياسية في

المسألة الإقتصادية، وفي المسألة الإجتماعية.

لا نقبل أنْ تأخذ منطقة مليارات الليرات وأخرى تأخذ بالقروش، لا نقبل أبداً. . . !.

السقوف المتفاوتة، أولاد الست وأولاد الجارية.

نحن بكل صراحة على خطى الإمام الحسين (ع) وقبله على خطى علي ومحمد وعلي نور القرآن.

نحن سنحارب كل أنظمة السقوف المتفاوتة، وكل تسوية تسمح بإيجاد سقوف متفاوتة.

قلنا من سنة ونصف نظام ديمقراطية عددية، فرداً فرداً، القائمة على مبدأ الشورى، والإعتماد على الله والناس، البسطاء وجيل الشبان خاصة الذين يرفضون أن يعيشوا تحت سقوف متفاوتة، وأمهاتهم تحمل فيهم مثل سائر الأمهات في الدنيا، وتولدهم مثل سائر الولادات في الدنيا، ويذهبون إلى المدارس نفسها، ويتعلمون المواد نفسها، ولكن كل واحد سقفه مختلف عن سقف الآخر، هذا هو الكفر بعينه، وهذا هو الظلم بعينه، والباطل بعينه، والمنكر بعينه!.

الإمام الحسين (ع) إذن، وكما كان قبلهُ علي ومحمد، وكما كان قبلهم الأنبياء. وكما كان بعدهم جميع التابعين لهم بإحسان ثاروا وكانت الثورة المقاومة تتجه من أجل العدالة بين البشر.

لا يكفي أن أعطيكما أنتما الاثنين كل واحدة ليرة، وهذا لا يكفي، يجب أن تكون كرامتكما متساوية، وفرصكما متساوية، وإلا أيضاً تكون سقوف متفاوتة.

إذا أردنا أن ندخل في فضائح هذا النظام: حتى الشارع، حتى الكهرباء إنما مُدت إلى الجنوب وإلى البقاع، وإلى الشمال، وأنا في شك منها.

حينما وسّعوا شبكات الطرق والكهرباء كانوا يريدون الرفق بالشعب، ويجوز أن بعض الحيتان والخنازير من أهل الأموال، أخذوا وكالات سيارات من أجل البيع. والسيارة تحتاج إلى طريق، من أموال الخزينة العامة، فحصّلنا طريقاً لأجل أن تروّج تجارة السيارات، استوردوا تلفزيونات وبرادات وصارت الكهرباء

ضرورية حتى يبيعوا هذه التلفزيونات، لهذه الدرجة أنا ظنّي سيّىء بهؤلاء.

لذلك أقول لجيل الشباب إن لكم أمثالاً كانوا مع الحسين (ع) وهؤلاء هم كانوا يحملون فكرة التغيير، فكرة التصحيح، فكرة الإنقلاب، أنتم أيضاً يجب أن لا يقع جيلكم ضحية لتسوية الأمور.

واسأل الله أن يُسدد خطانا في الطريق إليه، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الحرية في الاسلام
من منظار عاشوراء



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله. أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

في هذه الساعات الأخيرة من هذا اليوم تبلغ مسيرة عاشوراء نهايتها، أو بداية نهايتها، كأني بهم صلواتهُ وسلامهُ عليهم، حسيناً، وزينباً، وزين العابدين وأنصاراً وهاشميين، كأني بهم يتهيأون الآن وكل واحد منهم يتحمّل أقصى ما يتصوره البشر من الالام والجوع، والعطش، يتهيأون لإنجاز مهمتهم، ولنهاية رحلتهم الدامية لملاقاة وجه الله تعالى.

كما يقول التاريخ، كانت قيادة الأمويين في كربلاء عازمة على القيام بالمجزرة ليلة التاسعواء.

ولكن الإمام الحسين (ع) من خلال مفاوضة وحيدة طلب فيها، عبر رسول بعثه إليهم، تأجيل المعركة «حتى نصلي لربنا»، كأني بهم في هذه الساعات الأخيرة يودّع بعضهم بعضاً، الرجال يودعون نساءهم وأطفالهم، لأنهم سيتفرقون

(*) ألقيت بتاريخ ٩/محرم/ ١٤٠٨ هـ-٣ /أيلول/ ١٩٨٧ م.

غداً، الفراق الذي لا لقاء بعده إلا بين يدي الله، حيث يقف المجرم، والتائب والخائن، والشريف، والكافر والمؤمن بين يدي الله تعالى.

هذه الساعات الأخيرة، ليلة العاشر من المحرّم يعلم الله في ضمير الغيب ما شهدت من دعوات، ومن صلاة لله تعالى.

هؤلاء الأطفال كيف ودعهم أباؤهم؟.

يكفي أن كل واحد منا يرجع خيالهُ الآن إلى صحراء كربلاء ليتصور هذه النخبة وصفوة الخلق في ذلك الزمان، وفي كل زمان، وانظروا إلى الأطروحة التي قدّمها الإمام الحسين (ع) أطروحة «حتى نصلي لربنا» لتروا كم هذه الصلاة مباركة وجليلة، بحيث تكون هدفاً معلناً من أهداف التأجيل، لأجل أن يأنس الحسين (ع) وأصحابهُ بالصلاة والنجوة مع الله تعالى.

في جوف الليل، يفارقـون الدنيا وهم على اطمئنان تام، وهناك هدف آخر من أهداف التأجيل بعد أن أدركوا جميعاً أن المطلوب هو الإمام الحسين (ع) كان يخلو مع أصحابه وأهل بيته من الرجال والنساء لأجل أن يصارحهم. ولأجل أن يحل التزامهم معه، هكذا كان في هذه الليلة، وفي أجواء الصلاة، وفي أجواء الاستعداد للقاء الرحمن جمعهم الحسين (ع) وقال لهم:

«أنا لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي. إلا أن هؤلاء القوم لا يطلبون غيري، ولو قد ظفروا بي للهو عن طلب غيري، وأن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»(١).

فانتشروا في سوادكم وقراكم: قال لهم أنتم في حل مني، لا حرج، ولا ذمام، المطلوب رأسي وأنتم اغتنموا فرصة حلول الظلام وانسحبوا من المعسكر إلى القرى والمدن: ولكنهم رضوان الله عليهم كانوا يرون أن مصيرهم ارتبط بمصير الإمام (ع) من أول الأمر وهدفهم من حياتهم هو هدف الإمام الحسين (ع) وكماكان موقعهم الطبيعي أن يخرجوا معهُ، فلا بد من أن تكون نهايتهم الطبيعية معه، وبين يديه، فتعاقب أحدهم على الكلام، بما سمعتموه من قراء التعزية: يقول: «والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى يفعل ذلك بي

---

(١) انظر كما في البحار: ج ٤٤ ص ٣٩٣.

سبعين مرة ما فارقتك»[1] يا بن بنت رسول الله (ص).

كلهم كان لسانهم هذا اللسان، ومنطقهم هذا المنطق، وقالوا له تركنا دنيانا وعشائرنا وكل شيء من أجل هذه النهاية.

إن الإمام الحسين (ع) طلب تأجيل المعركة من عصر هذا اليوم، عصر اليوم التاسع هذا هو الطلب الوحيد الذي طلبهُ الإمام من قيادة بني أمية وهناك طلب آخر يذكره قراء التعزية، هو عندما أخذ طفلهُ الرضيع!...

إذاً الهدف المعلن من التأجيل هو«حتى نصلي لربنا»..

والهدف الثاني حتى يُفاتح أصحابهُ بهذِه المفاتحة. تبلغ الآن في هذه الليلة الساعات الأخيرة في ساعات ليلة عاشوراء تبلغ ذروتها، ونحن نوشك أن تنتهي عندنا عاشوراء، ونسأل الله أن يُنهي هذه السنة الهجرية على خير، وأن يعيدها على الناس بالخير. وعلى جميع المسلمين.

نحن نخرج من شعار عاشوراء، الشعار التقليدي المتعارف عليه عند اللبنانيين، الذي يسمونه بيوم (الفلة) وكنت لا أعرف عندما أتيت الى لبنان، فسألت، قالوا لي: معناها يوم الإنصراف، أقول: عاشوراء ليست يوم «الفلة» في الحقيقة انه مفهوم ناقص وليس معناه هكذا.

يوم عاشوراء لا يجوز أن يكون يوم الفلّة والإنتهاء»لأن عاشوراء نهرٌ متدفق، وحدث من أحداث الحياة، يجب أن يكون يوم عاشوراء أول يوم للدخول إلى أهداف ومعاني كربلاء. وإلا هذا يكون شبيهاً بإنسان ما ذهب إلى زيارة أحد أصدقائه، وعاد إلى بيته وانتهى كل شيء.

يجب أن نقف عند الهدف، عند المعنى، وقصتنا مع الحسين (ع) لا تنتهي، لأن قصتهُ معنا لم تنته.

لذلك يوم عاشوراء ليس يوم (الفلة)، بل هو يوم التوغل في صميم معاني المناسبة، في حياتنا الفردية والعائلية، والسياسية والإجتماعية.

يجب أن نعود إلى (كربلاء)، لأن الإنسان لا يتقدم إلا بمقدار ما يستوعب

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٩٣.

من ماضيه ويتأصل فيه كالشجرة التي لاتشمخ في السماء، إلا بمقدار ما تتجذّر جذورها في أعماق الأرض.

هناك أحد شعارات كربلاء التي قيلت هذا اليوم لأحد المجاهدين.

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

صاحب هذا الشعار كان شاباً، والموت شيء أليم بالنسبة إليه.

فالإنسان يسعى بإرادته لأجل أن يموت، والحياة مبسطة أمامهُ، والمستقبل كذلك، لأن الواقع ـ كما قال: الإمام الحسين (ع): «القوم لا يريدون غيري».

هذا المجاهد يرفع شعار الحرية. إذاً من أهداف، ومضامين التحرك الحسيني والنهضة الحسينية هدف الحرية.

هذا المجتمع الذي يحكمهُ يزيد بن معاوية صُودرت حريتهُ، وشيئاً فشيئاً، كان يتحول إلى مجتمع مقموع بالقوة، فأي اتجاه سياسي مخالف لنظرية يزيد في الحكم، كان يقمع بالقوة، أو التشريد، وأي رأي مخالف للسلطة. كان صاحبهُ يُقتل، ويهدم بيتهُ وتُصادر ثروتهُ، وأملاكهُ، وأرزاقهُ.

هذا المجاهد يرفع شعار الحرية وكما وردت في القرآن، في الشرع الإسلامي، هذه الحرية التي أراد النظام الأموي أن يُصادرها، ولقد فعل قبلهُ أبوه ذلك، عندما كان يلاحق اتباع الإمام علي (ع) في كل مكان من الأرض.

معاوية بدأ مطاردة المعارضة، ولكنه عنده عقل، عنده شيء من التجربة، شيء من البراعة والإحتيال في لعبة التوازنات.

أما يزيد حيوان بشكل إنسان: صورته صورة إنسان، وقلبهُ قلب حيوان. وذلك هو ميّت الأحياء، جاء يتلقب بلقب أمير المؤمنين ويتحكم بالمسلمين على مزاجه الخاص ليجعلهم ضحية أهوائه ونزواته.

وكان معه مجموعة من الناس، أمثال (عبيد الله بن زياد)، جاءوا يُصادرون أعظم هبة وهبها الله للبشر التي هي الحرية.

ولأنه لا كرامة بدون حرية. الله تعالى يقول: **﴿ونفس وما سواها، فألهمها**

فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب مَن سواها﴾[1] **﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾**[2] **﴿ولا تزر وازرة وزرأخرى﴾**[3] **﴿هديناهم النجدين﴾**[4] لذلك فإن هذا النظام جاء ليعتقل حرية الناس.

يزيد كان يشتري الناس بالنقود. ومَن يرفض يقتل، هذه الحرية التي ترتبط بكرامة الإنسان، إنسان بدون حرية ما هو؟؟.

نحن نسأل: يغدو آلة، يغدو حيواناً ولكن كما قلت أن الحرية لها مفاهيم، والحرية التي دافع الحسين (ع) وأصحابه عنها فيما دافعوا. وثار الحسين (ع) من أجلها فيما ثار، هي الحرية كما بيّنها الإسلام.

والحرية اليوم في المجتمعات الحديثة تطرح ولكن هناك مفاهيم في الحرية لا يقرّها الإسلام. إن الحرية ككل امتياز إنساني ككل صفة إنسانية، لا بد أن يكون لها دوران إيجابيان.

أولاً : دور إيجابي في بناء الشخصية الإنسانية وفي إغناء شخصية الفرد ، أن أشعر أنا . وأن تشعر أنت أننا احرارٌ ، لأننا نملك قرارنا .

ثانياً : والدور الثاني : هي أن تخدم المجتمع في كل الإتجاهات في الحياة السياسية . ويجب أن تخدم المجتمع فى الإقتصاد ، لأن مجتمعاً من دون حرية اقتصادية يجعل من الناس عبيداً للدولة . وأن مجتمعاً مع فوضى اقتصادية يهدم الدولة . ومجتمعاً يخلق مجموعة من الرأسماليين الذين حذّر الله منهم : قال تعالى : **﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾**[5] .

فالحرية في العلاقات البشرية. لا بنحو يؤدي إلى محو حضارة الأمة. وشخصيتها، ولا تحت ستار الحرية الثقافية التي تأتي بثقافة الآخرين حينئذ تتفتت الأمة كما يحصل في المجتمع الإسلامي اليوم .

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧ - ١٠.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٤) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٧.

كل واحد.يحمل عقيدة تختلف عن الثانية، هذا يحمل الشيوعية، وذاك الرأسمالية. وذلك الوجودية.

الحرية في الثقافة معترف بها إسلامياً لا بنحو يؤدي إلى محو ثقافة الأمة وحضارتها.

فالحرية في العلاقات الإجتماعية، باختلاط الناس مع بعضهم البعض، واختلاط الرجال مع النساء، بكون المرأة لها الحق في العمل في المجتمع فهي حرية معقولة كما نهضت المرأة بعبء كبير في كربلاء، وفي تاريخ الإسلام كله.

ولكن لا بنحو يحوّل المرأة إلى رجل والرجل إلى امرأة. ولا بنحو يجعل الرجل حيواناً، والمرأة بهيمة.

يجب أن يحفظ الجانب الإنساني عند الرجل والمرأة، بحيث تكون العلاقات خارج الحياة الزوجية علاقات إنسان مع إنسان، ولا تكون علاقة ذكر بأنثى كما يحصل اليوم في المجتمعات الأوروبية التي حوّلت المرأة إلى سلعة في الأسواق.

هذه الحرية التي يحدثوننا عنها في الإذاعات والصحف!...

من هنا فإن النظام اللبناني يوحي للجميع ويريد أن يقنعهم بأنه النظام الوحيد الذي يؤمن الحرية السياسية، والحرية الإقتصادية في العالم العربي، نقول أية حرية هذه؟.

فالحرية السياسية في النظام اللبناني موجودة؟؟.

نعم حرية الكلام، حرية التعبير عن الرأي، فإن النظام اللبناني يوحي بذلك، إلا أنه في الحقيقة يعطيها باليمين، ويأخذها باليسار، تركيبة النظام الطائفية ليس فيها حرية حقيقية، (مكنة) النظام تصادر الحرية الجوهرية وتحتفظ بالحرية الشكلية.

أنت تُلقي الخطب، تكلّم بما تريد.

ولكن حينما تحاول أن تقنع الناس يقولون لك مهلاً، تعارضت مع القانون، مع الدستور، ينبغي عليك أن تقف:...؟.

نحن لا نريد حرية شكلية، الحرية تكون حينما ينحل النظام ويُقام نظام الديمقراطية العددية القائمة علي مبدأ الشورى.

حينئذ يتم الحفاظ على حقوق الناس: كون هذا النظام الجديد يتضمن حرية جوهرية تسمح لكل إنسان بالتعبير عن رأيه.

ونحن بدورنا نسأل:

أين هي حرية الإقتصاد؟؟.

أحد السياسيين الذي توفي أخيراً، قرأت في الصحف أن ثروته بلغت خمسة وثلاثين مليار دولار أمريكي، وجاء مَن يُصحّح لي ويقول: ثروته تبلغ السبعين مليار دولار، هذه حرية إقتصادية، حرية تصل بالمجتمع إلى أن مجموعة من الأفراد يملكون كل أموال الدولة، وباقي الناس «يتفرج» على تخمتهم.

إن الحرية الإسلامية هي: «ألاّ يقارّوا على كظة ظالم، ولا على سغب مظلوم»[1].

هذا رقم خيالي فلكي، والناس لا تجد معها ثمن علبة حليب هذه فوضى وليست حرية.

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الحضارة، ولا يفوتهم التهجم على الثورة الإسلامية في إيران، يريدون منا أن نسكت على نظام اللصوصية، ويريدون أن يعرضوا أجساد النساء في الشوارع «حرية الجنس» يقولون لنا لا دخل لكم هذا هو التطور، فأقول: هل هذه هي الحرية في قاموس الإسلام؟ وهل هذه هي الحرية في قاموس المسيحية؟!! بالتأكيد لا؟.

أنا أقول لهؤلاء الذين يتحدثون عن المجتمع المسيحي الحر، ويتحدثون عن ثقافة الصحراء يعني المسلمين.

إنَّ نموذج العلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة، لباس المرأة هو لباس الراهبة، وليس التعري، النموذج ليس النهب المنظم لأموال الدولة. وليس الإقتصاد الحر هو الذي قاد العباد والبلاد إلى المهاوي والمهالك، وإنما هو كما

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

يبيّن الله تعالى عن كلام عيسى (ع) للحوارين، وكما هو موجود في التراث المسيحي، الأسوة، التكامل. وتنظيم هذا الإقتصاد بالموازين الشرعية.

حينما نتحدث عن الحرية، ونتمسك بها ونداقع عنها، نكون قد بلغنا الخط الصالح الذي يمثلهُ أهل البيت (عليهم السلام) ومن اتبعّ الرسول (ص)، فإنما نتحدث عن الحرية التي يقوى بها الإنسان في المجتمع.

هذا المجاهد الحسيني. الذي أقسم أن لا يموت إلا حراً، كان يدافع عن هذا الخط من الحرية.

أما إذا أردنا أن نتحدث عن حرية النظام اللبناني، وحرية الحكم اللبناني، وحرية القتل على الهوية!، وحرية التهجير!!، وحرية التعامل مع إسرائيل!!، لنطوِ كشحاً، فإن الحديث ذو شجون. . . !؟.

حريتنا هي التي سمحت لرسول الله (ص) أن ينشيء أول دولة إسلامية في المدينة، حيث كان هناك يهود ونصارى ووثنيون مع المسلمين، ولم يتخلَّ رسول الله (ص) عن صيغة هذا المجتمع المتنوع إلا عندما خانهُ اليهود، لأن كل دولة لها الحق في أن تدافع عن نفسها، حينئذ دافع الرسول عن انجازاته وعن مجتمعه، وعن دولته، وعن شريعته.

وإلا لو أن اليهود تصرّفوا كمخلصين لعلهُ استمر هذا التنوع.

أما الحرية التي تهدد الوجود الإنساني، وتؤدي إلى إنهيار الأخلاق في المجتمع، فإننا لا نقبل بها، من أجل أن يتسنى لنا الحديث عن مجتمع مسيحي، لأن هذه الحرية المسيحية لا نقرّها، ولا نعترف بها.

أما الحرية التي تقول لي تكلّم، ولكن ضمن حدود، هذه حرية شكلية، أيضاً لا يقرّها الإسلام، ولا تقرّها المسيحية.

وأُوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله. وأحذّركم أهل النفاق فإنهم الضّالّون المُضلّون.

وعلينا أن نعلم أنه سبحانه وتعالى: لم يخلقنا عبثاً، ولم يُرسلنا هملاً. واسأله أن يوفقنا لإحياء هذه المجالس، أنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عاشوراء
مناسبة لتأكيد الثوابت
الاسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

كانت ثورة الحسين نتيجة وعي حاد بتخلف الواقع عن النموذج، وانحراف التطبيق عن النظرية في المجتمع الإسلامي.

وكانت شهادته الفاجعة مع آله وأنصاره نتيجة تخاذل المجتمع أمام حكم الطغيان، وتخليه عن الوحدة الإسلامية إلى دعوى الجاهلية: دعوى القبلية والتحزب. وتخلّيه عن القضية العامة من أجل القضايا الخاصة: قضايا القبائل في أنفسها، وفيما بينها، وقضايا المدن وتنافسها على عوائد الأراضي المفتوحة، وقضايا الإنقسام الخطير بين العرب والموالي.

لقد أدى كل ذلك إلى أن تبقى القضية المركزية الهامة والمصيرية: وحيدة، غريبة، معزولة. وأن تنصرف الجهود إلى القضايا الآنية والعارضة والمحدودة. وأدى كل ذلك إلى أن تبقى القيادة وحيدة غريبة معزولة، وأن يحاول كل فريق أن يربحها إلى جانبه ليقرِّبها، ويستخدمها في قضيته الخاصة، وحين يفشل في ذلك ينفضّ عنها، وقد ينقضّ عليها.

في جميع قضايا التاريخ الكبرى يواجه المصيرُ هذا التحدي. فإذا تغلبت عليه الأمة والمجتمع كان النصر، أو كان الصمود ـ على الأقل ـ أمام الكارثة بانتظار فرصٍ أفضل لتحقيق النصر، وإذا لم تتغلب الأمة على التحدي كانت الكارثة.

(*) القيت بتاريخ ١٠ / محرم ١٤٠٨ هـ ـ ٤ أيلول ١٩٨٧ .

وتمثل قضية الحسين في ثورته وشهادته نموذجاً ساطعاً في هذا المجال من قضايا الأمم والمجتمعات.

لقد كانت قضية الأمة تتمثل في الإنحراف السياسي بتسلط حكم الطغيان القبلي بدل نهج الشورى. والإنحراف الإجتماعي عن مبدأ المساواة إلى التمييز القبلي بين قريش وغيرها من العرب، والتمييز العنصري بين العرب وغيرهم من المسلمين. والإنحراف الإقتصادي بحصر الثروة العامة وأموال الدولة العامة بأهل الحكم وبطانتهم، وحرمان الأمة من أموالها. والإنحراف الثقافي الذي استهدف جيل الشبان المسلمين بوجه خاص بنشر مظاهر الإنحراف الخلقي، وبث الأفكار المنحرفة المستعارة من الحضارة البيزنطية في حالة انحلالها وانحدارها... هذا الإنحلال وهذه الأفكار الذين كانا سيؤديان لتحويل الإسلام إلى دين طقسي جامد تتغطى به سلطة طاغية تحمل عقلية الإمبراطورية والاستكبار، أو ما نسميه الآن «عقلية الدولة العظمى».

هذه القضية حملها الحسين، وسرعان ما اكتشف أنه غريب ووحيد، وكان أمام خيار الاستسلام للواقع، وخيار المضي في الثورة.

إن الاستسلام للواقع يعني التخلي النهائي عن القضية، وقد أختار أن يمضي في ثورته إلى نهايتها الدامية الفاجعة ليخدم القضية بشهادته التي أيقظت العقول والقلوب، وبثت في الأمة روحاً جديدة أنقذت الإسلام من المصير الذي كان يتجه إليه. لقد أعادت إليه حيويته وحركيته.

لقد حاور طويلاً من أجل إيجاد مخرج من المأزق الكبير: عرض أن يعود الأمر شورى بين السملمين لتستعيد الأمة شخصيتها فرفض اقتراحه. وعرض أن يتركوه ليعود من حيث أتى فرفض اقتراحه، وعرض أن يذهب في بلاد الله الواسعة فرفض اقتراحه، ووضع أمام أحد أمرين: إما الخضوع المطلق من غير شروط وإما القتل، فاختار الشهادة.

كان وحيداً وغريباً إلا من الصفوة التي كانت معه. وكانت هذه الصفوة غريبة ووحيدة إلا منه هو... كانوا هم وطنه وأهله، وكان هو وطنهم وأهلهم. وارتفعوا شهداء في تاريخ هذه الأمة الذي تضيئه مصابيح الشهادة.. وكانوا ـ بشهادتهم ـ نموذجاً من الشهود على غربة القضية ووحدتها، كما هو الحال الآن على مستوى العالم الإسلامي. والعالم العربي، ولبنان.

على مستوى العالم الإسلامي: القضية المركزية هي استعادة الذات باعادة تمثل الإسلام في الحياة، واستعادة الدور العالمي بالتحرر من الاستعمار الجديد والخروج من التخلف الإقتصادي، وتحرير الإرادة السياسية بكل ما يعني ذلك من قضايا القواعد العسكرية الأجنبية، وتجارة المواد الأولية، والتنمية العلمية.

ولكن هذه القضية تقف وحيدة غريبة أمام القضايا المحلية والإقليمية التي تغذي الاستعمار الجديد بقوى جديدة يتمكن بها من إنزال المزيد من التفتيت والشرذمة لتحقيق المزيد من السيطرة والاستحواذ.

على مستوى العالم العربي: القضية المركزية هي استعادة الذات والتحرر من الاستعمار الجديد لمواجهة الكيان الصهيوني باقتلاعه، وتحقيق الوحدة أو التكامل، واستعادة الدور العالمي ضمن الأمة الإسلامية.

ولكن هذه القضية المركزية تقف وحيدة غريبة معزولة أمام قضايا الأنظمة وارتباطاتها المتضادة مع هذه القوة العظمى وتلك، ومع هذا المحور الدولي وذاك، وأمام القضايا الإقليمية ونزاعاتها.

ومن خلال هذا الواقع يتعملق القزم الصهيوني في فلسطين ليكون القوة العظمى في المنطقة، ويرتبط به بعض حكام العرب بلا خوف ولا حياء، ويتراجع شعار الوحدة أمام شعارات الوطنية، ويتراجع شعار العودة أمام شعار الحكم الذاتي، ويتراجع شعار التحرير أمام شعار التسوية.

على مستوى لبنان: يمثل النظام الطائفي والإحتلال الإسرائيلي وجهين لقضية واحدة. ومواجهتهما هي القضية المركزية في لبنان: تصحيح النظام باستبداله بنظام جديد قائم على العدل. والمساواة، وتحرير لبنان من الإحتلال الإسرائيلي وآثاره. هذه هي القضية.

ولكن هذه القضية تقف وحيدة غريبة أمام الإنقسام الكبير بين اللبنانيين حول أصل العداء لإسرائيل، وحول مستوى العداء لإسرائيل. وحول صلاحية النظام القائم للاستمرار عند فريق، وعدم صلاحيته عند فريق، وإمكانية إصلاحه مع إبقاء جوهره عند فريق ووجوب تغييره عند فريق على مذاهب شتى في الإصلاح أو التغيير.

وهذه الإنقسامات ليست موضوعية، إنها متفرعة عن خلفية أخرى هي

العقلية الطائفية التي تحمل قيادات بعض الطوائف على أن تحافظ على نظام التسلط، وتجعل قيادات طوائف أخرى حريصة على ما تسميه مكاسبها على حساب بقية الطوائف، وكل هذا يحمل فريقاً ثالثاً من الطوائف على السعي للوصول إلى ما تسميه حقوقها.

إننا في الذكرى الرابعة لإعلان المقاومة الشاملة ضد إسرائيل من على هذا المنبر المبارك، وفي مثل هذا اليوم المجيد، يوم عاشوراء، نرى أن المقاومة وحدها هي التي تستمر، وتتألق، وتنمو في ليل الفتنة اللبنانية.

في هذه الذكرى نعود إلى تأكيد الثوابت في الموقف من وجود إسرائيل واحتلالها، والثوابت في الموقف من النظام اللبناني، وما يجري من محاولات لمدِّ الفتنة بمزيد من أسباب الحياة، أو للتعايش معها، أو للخروج منها.

أما في الموقف من إسرائيل واحتلالها، فإن الخط الوحيد الشرعي والمشروع هو خط الرفض والمقاومة الشاملة على المستوى القتالي العسكري، والسياسي، والتعبوي.

إن هذه المقاومة واحدة في منطلقاتها، واحدة في أهدافها، متنوعة في أطرها التنظيمية. إنها لا تندرج في إطار تنظيمي واحد. ولعل هذا من أسباب قوتها، وعجز العدو عن اختراقها والتأثير عليها. ولا توجد أية مصلحة إسلامية في أن يدعي هذا الإطار أو ذاك أنه وحده يمثل حركة المقاومة. بل لعل مثل هذه الدعوى إذ وقعت تدخل عنصراً سلبياً على الجهود المبذولة لتوحيد الموقف العام في نطاق التنوع الداخلي.

إن خط المقاومة لا يمانع في استخدام الأساليب السياسية لتحقيق هدف التحرير الكامل بدون قيد أو شرط. ولكننا نقول الآن ما قلناه دائماً: إننا لا نثق بالأساليب السياسية الإقليمية أو الدولية، لأنها إما عاجزة، أو محايدة بين حقنا وباطل الصهيونية، أو متواطئة مع الكيان الصهيوني. ومن هنا قلنا في إعلان المقاومة ونكرر الآن: إننا لا نثق بأحد ولا ننتظر أحداً.

إن هذا الخط يرتكز على الثوابت المبدئية الأربعة التالية.

١ ـ إن العداء مع إسرائيل ليس عداءً سياسياً، وإنما هو عداء مبدئي وجودي.

٢ - إن مجرد القبول بوجود إسرائيل، ولو بنحو الرضى القلبي معصية محرمة شرعاً، لأنه رضى بالظلم والإغتصاب.

٣ - إن الصلح مع إسرائيل محرم شرعاً.

٤ - إن إيجاد ترتيبات أمنية مع إسرائيل والتفاوض على ذلك والتعاقد عليه محرم شرعاً لأنه يتضمن رضىً بها واعترافاً بشرعية وجودها.

في هذا النطاق، وعلى أساس هذه الثوابت نكرر الإعلان بأننا نريد أن تقف شعوب العالم معنا، وأن تقف دول العالم معنا في مواجهة الإحتلال وإرادة التحرير، وذلك من خلال المؤسسات الشعبية في كل دولة، ومن خلال المؤسسات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي.. نريد هذا من منطلق أننا نريد ضماناً دولياً وعالمياً لحقنا في مقابل المطامع والروح العدوانية الإسرائيلية، ونريد شهوداً عالميين على العدوانية الإسرائيلية.. ومن منطلق أننا لا نريد أن نقع في محذور عداء الرأي العام العالمي الشعبي والدولي.

وعلى هذا الأساس رحبنا - دون آمال كبيرة - بقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي بشأن تحرير لبنان من الإحتلال الإسرائيلي.

كان هذا هو موقف لبنان حكومة وشعباً منذ سنة ١٩٤٨ وحتى الآن. ولكن دون أن يحصل لبنان على أي مكسب على الإطلاق من موقفه هذا.

إن سجل الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان منذ سنة ١٩٤٨ في تصاعد مستمر: على الأرض، وعلى السكان، وعلى المياه. ولبنان - نتيجة لضعفه، ونظامه الطائفي، وثقته بالمؤسسات الدولية والمجتمع الدولي - يلجأ دائماً إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، فيحصل على قرار لمصلحته بإدانة إسرائيل، أو لا يحصل على شيء نتيجة لتدخل أمريكا، وإسرائيل ماضية دائماً في مخططها، وعدوانها، وتوسعها.

وقد بلغت العدوانية الإسرائيلية على لبنان إحدى ذراها الكبرى في ١٩٧٨ حين احتلت جنوب لبنان، وأقامت في جزء منه بصورة دائمة مباشرة وغير مباشرة بواسطة المتعاونين معها.

وصدر في آذار من تلك السنة القرار ٤٢٥ بشأن الجنوب. وقد اعتبره

اللبنانيون نصراً دولياً يحقق ضمانة للبنان في وجه مطامع إسرائيل، وشهادة من المجتمع الدولي على عدوان إسرائيل، ووسيلة لتحرير لبنان بالإرادة الدولية.

ورفضت إسرائيل تنفيذ القرار استناداً إلى استراتيجيتها بشأن لبنان ومطامعها فيه، واستعانت على ذلك بالوضع اللبناني الداخلي اللبناني - اللبناني، والفلسطيني - اللبناني، كما اعتمدت دائماً على تأييد أمريكا لمواقفها.

وصدرت قرارات دولية لاحقة كلها في خط القرار ٤٢٥ ولكن دون جدوى فلم تنفذ إسرائيل أي قرار.

وفي سنة ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان بأسره، واحتلته، ولا تزال تحتله إلى الآن.

وصدرت قرارات مجلس الأمن من جديد /٥٠٨/٥٠٩/ تدين إسرائيل وتطالبها بانسحاب شامل وكامل من دون شروط.

وها نحن في الثلث الأخير من سنة ١٩٨٦.

لقد مضت على القرار ٤٢٥ ثمان سنوات وسبعة أشهر، حدث فيها الكثير من الإعتداءات الإسرائيلية، وحدث فيها الغزو الإسرائيلي الكامل للبنان. ومضت على القرار ٥٠٩ أربع سنوات وحوالي أربعة أشهر استمر فيها الإحتلال، ولم ينفذ أي قرار، ولم يكسب لبنان من رهانه على المجتمع الدولي ومؤسساته سوى المزيد من عدوان إسرائيل واحتلالها، على الرغم من تمسك شعب لبنان ودولته ومؤسساتها بالقرارات الدولية، وعملهم الدائم على المستوى الدولي من خلال مجلس النواب والحكومات المتعاقبة.

أمام هذا الواقع غدا من الواجب أن نسأل:

ما دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن في لبنان في مقابل إسرائيل وعدوانها الدائم واحتلالها للبنان.

هل الدور الدولي هو حماية لبنان من عدوان إسرائيل؟ أو أن الدور الدولي هو حماية إسرائيل من عدوان لبنان؟.

إن الذي فهمناه من الدور الدولي في لبنان، وعلى أساسه كان موقفنا من القرارات الدولية بشأن لبنان هو أن المجتمع الدولي من خلال مجلس الأمن

والأمم المتحدة مصمم على حماية لبنان من عدوان إسرائيل، ومساعدته على استعادة سلطته على جزء من أراضيه تحتله إسرائيل فعلاً مباشرة وبواسطة عملائها، وتمارس عدوانها على لبنان باستمرار فتضرب بطيرانها ومدفعيتها البعيدة المدى في عمق لبنان وفي عمق جنوبه.

إن ضمان الأمن والسلم الدوليين يتمثلان ـ في الحالة اللبنانية ـ بحماية لبنان من إسرائيل، وضمان استقلاله وسيادته، لا بحماية الكيان الصهيوني من لبنان الذي لم يشكل خطراً في أي وقت منذ ١٩٤٨ وحتى الآن.

وقد فشلت الأمم المتحدة ومجلس الأمن طيلة هذه السنين وحتى الآن في تحقيق هذا الهدف، لأن سجل الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان يتصاعد منذ سنة ١٩٤٨ وحتى سنة ١٩٧٨ وبعدها إلى حين الإحتلال الإسرائيلي الكبير للبنان، المستمر منذ ١٩٨٢ حتى الآن.

ونتيجة لهذا الواقع بدأ الأمر منذ سنة ١٩٧٨ وكأن الهدف هو حماية إسرائيل من لبنان من جهة، وتغطية العدوانية الإسرائيلية والتوسع الإسرائيلي من جهة أخرى.

نقول بصراحة: إذا كان الهدف هو هذا فنحن نرفض القرارات الدولية، لأن لبنان لم يشكل في يوم من الأيام خطراً على إسرائيل لتقوم الأمم المتحدة بحمايتها منه. وقد صرح لبنان مراراً من خلال مؤسساته الشعبية وقياداته الدينية والشعبية، ومسؤولية الحكوميين بأنه يرفض أن تكون أجهزته بوليساً لحماية إسرائيل، أو يكون مقراً لبوليس دولي لحماية إسرائيل.

ونقول بصراحة: إذا كان الهدف هو حماية إسرائيل من لبنان، فلتذهب القوات الدولية لتقيم في أرض فلسطين المحتلة، ولا تقم في أرض لبنان.

إن لبنان شعباً ودولة عامل دائماً المؤسسات الدولية، والقرارات الدولية، والقوات الدولية باحترام ومسؤولية عالية. وعاملتها إسرائيل باستهتار وإنتهاك مستمر لحرمتها ولدورها. ولم تنفذ أي بند من بنود قراراتها، بل رفضت ولا تزال ترفض علناً تنفيذها. وما ذلك إلا لأنها تريد تأمين الحماية لمشروعها التوسعي، ولتبقى مطلقة اليدين لتنفيذ هذا المشروع على أرض لبنان ومياهه.

لا نريد الآن أن نتهم الأمم المتحدة ومجلس الأمن بأن هدفهما هو هذا..

ولكن بسبب عدوانية الكيان الصهيوني ومشاريعه التوسعية، وعجز المجتمع الدولي عن تنفيذ إرادته على إسرائيل، وسيطرة أمريكا على سياسات المنطقة، ودعمها المستمر للكيان الصهيوني في فلسطين. . بسبب كل ذلك تكونت شكوك عميقة في حقيقة أهداف مجلس الأمن الدولي في لبنان. وبدت الأمور في بعض الأحيان وكأن الهدف هو حماية إسرائيل من لبنان.

والآن. إن مجلس الأمن، والأمم المتحدة، والمجتمع الدولي عموماً أمام التحدي وأمام الشك في المصداقية، والصدق، والقدرة.

لقد مضى وقت أكثر من اللازم لتنفيذ القرارات الدولية، وليقوم المجتمع الدولي بشهادته ودوره ضد إسرائيل، وحماية لبنان من عدوانها.

ونعلن هنا إن مدار العمل، وهدف العمل هو تنفيذ القرار الدولي ٥٠٩/ وأنه منذ ١٩٨٢ لم يعد الهدف تنفيذ القرار ٤٢٥ إلا بمقدار ما يؤدي إلى تنفيذ القرار ٥٠٩، وبدون ذلك لا معنى للحديث عن تنفيذ قرار تجاوزته الأحداث، وتحيط به الشكوك.

هذا هو الموقف من إسرائيل واحتلالها. وقبل الحديث عن الوضع الداخلي نكرر ما سبق أن أعلناه وهو أنه لا يجوز شرعاً ضرب القوات الدولية العاملة في الجنوب اللبناني، ونطلب من جديد أن تتوقف هذه الأعمال التي تثير أعمق الشكوك في أهداف القائمين بها أو في فهمهم السياسي. ونأسف لما حصل من أحداث ضد القوات الدولية دون أن نتخلى عن الاستنكار الشديد والإدانة الكاملة لجريمة اغتيال الشهيدين العزيزين حيدر خليل وحسن دهيني (رضوان الله عليهما) وعلى سائر شهدائنا الأبرار.

وأما الموقف في المسألة الداخلية، فإن الأوضاع لم تتحسن عما كانت عليه منذ سنة حينما تحدثنا عنها في مثل هذا اليوم من سنة ١٤٠٦ هـ.

إن الوضع السياسي لا يزال على حاله بين الحكم وأهله، وفيما بين كل فريق منهم. وإذ نلاحظ أن الوضع الأمني قد تحسن في بيروت الغربية ومحيط المخيمات، وانحسرت موجات العنف المجنون في الحرب الأهلية، فإننا نلاحظ أن الوضع في المسألة الإقتصادية ـ المعيشية قد بلغ حد الكارثة.

العنصر الجديد في الناحية السياسية هو الحوار الذي بدأ على المستوى الحكومي.

ويمثل الحوار المطلب الأساسي للكثرة الساحقة من اللبنانيين مسلمين ومسيحيين. وقد كان دائماً مطلباً أساساً حتى عندما كان أحد الفريقين المتصارعين يحقق تفوقاً في القدرة على القتل والقصف والتدمير. لقد تحول القتال إلى ملهاة دموية يومية، وإلى وسيلة للمليشيات تؤكد بها ذاتها في مناطقها.

ومن هنا فقد كنا دائماً ندعو إلى الحوار وندعمه، وهو ما نكرر إعلانه اليوم بالنسبة إلى محاولة الحوار الجديدة على المستوى الحكومي. ونحن نرى لكي ينجح الحوار، ويستقطب تأييد جميع اللبنانيين على أن يقتصر على الموضوعات الثلاثة التالية:

أولاً : إنهاء الصراع المسلح بما هو وسيلة للتعبير عن الرأي السياسي ، أو لفرض الرأي السياسي ، وذلك بهدنة ثابتة ومفتوحة .

ثانياً : المحافظة على وحدة لبنان كوطن لجميع بنيه في مقابل مطامع اسرائيل في الجنوب ، وفي مقابل ما سببته الحرب الأهلية من تقسيم واقعي .

ثالثاً : إعادة الإعتبار والفعالية الى مؤسسات الدولة باعتبارها مؤسسات تنمية وخدمات عامة للشعب لتيسير قضايا العيش والحياة اليومية للمواطنين في المواصلات والصحة والتعليم والمياه والكهرباء والتموين ونحو ذلك .

أما ما يتعلق بالقضية السياسية، ومسألة وضع ميثاق وطني جديد، فإننا ـ كما يعلم الجميع ـ نرفض النظام الطائفي بشكله القديم في صيغة ١٩٤٣، وبالشكل الذي يراد إحياؤه به من جديد على قاعدة التسوية، ونطالب بتغيير جذري للنظام وإقامة نظام سياسي جديد على قاعدة (الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى). ومن هنا فإننا لا نستطيع الموافقة على ميثاق جديد ذي مضمون طائفي نعتقد أنه غير عادل وأنه يحمل في داخله بذور فشله.

أما استخدام شعار (إلغاء الطائفية السياسية) في محاولات التسوية المطروحة فإنه في نظرنا شعار خدَّاع يغطي التسوية الطائفية ولا يلغي المضمون الطائفي للنظام، وقد استعمل هذا الشعار في جميع المشاريع الطائفية منذ سنة ١٩٧٦ وحتى الآن.

وهنا يجب أن ننبه إلى أن في صميم القضية السياسية اللبنانية قضيتان كبيرتان، هما قضية المهجرين، وقضية المخطوفين، هاتان القضيتان إحدى نتائج الحرب الأهلية وغدتا من أكبر عقد القضية السياسية اللبنانية.

لقد كانت الحرب الأهلية في كل جولة من جولاتها الكبرى تنتج مزيداً من المهجرين تهجيراً قسرياً، حتى غدا قسم كبير من الشعب اللبناني، ومن جميع الطوائف مهجراً من محال سكناه وعمله، ونشأت نتيجة لذلك مشكلة المهجرين بكل أبعادها السياسية، والإنسانية، والإجتماعية.

لقد كان موقفنا دائماً إن التهجير القسري عمل غير مشروع ومدان، ولا نستطيع أن نجد له مبرراً أخلاقياً، أو شرعياً، أو قانونياً، وضرورات المتحاربين لا تعطيه أية شرعية على الإطلاق.

ومن هنا فلا بد من حل مبدئي وجذري لقضية المهجرين ـ جميع المهجرين ـ من سنة ١٩٧٥ وحتى الآن وهذا الحل يقوم على وجوب إتاحة جميع الفرص أمام جميع المهجرين للعودة إلى أماكن سكناهم وعملهم التي كانوا فيها حين هجروا، وضمان أمنهم، وكرامتهم وسلامتهم وحريتهم.

قلنا ـ جميع المهجرين، ونعني أن قضية المهجرين مترابطة، فحل مشكلة آخر موجة تهجير مرتبط بحل أول مشكلة تهجير، وبما بينها من حالات تهجير، ولا يمكن أن نوافق على حل جزئي لهذه القضية المعقدة يتناول بعض المهجرين دون بعض، وبعض المناطق دون بعض. ومن هنا فإن ما نسمعه بين الحين والآخر من المطالبة بحل قضية مهجري منطقة وإهمال غيرها، أمر لا يمكن الموافقة عليه بوجه من الوجوه.

وقضية المخطوفين تمثل عقداً أخرى في القضية السياسية اللبنانية، وإن كانت أقل بريقاً، ربما لأن ضحاياها في غالبيتهم العظمى من المستضعفين، هذه القضية لا بد من وضع خاتمة لها بكشف مصير المخطوفين سواءً أكانوا ستمئة شخص أو زادوا على ألفي شخص نريد أن يكشف مصيرهم إن كانوا أحياء فليطلقوا وإن كانوا قتلى فلنعرف ذلك وليعرف أهلهم ولنعرف الجهة التي قتلتهم. إن قضية المخطوفين تمثل عقدة سياسية، وفجيعة إنسانية، وتمثل مشكلة حقوقية لكل عائلة لها مخطوف تنشأ من قضايا الزواج والإرث والشفقة وغيرها.

لقد كان الخطف في أقذر الظواهر التي نشأت عن الفتنة في لبنان. وإذ تثير قضية المخطوفين فإننا نعني المسلمين والمسيحيين اللبنانيين والأجانب. إنه عمل مدان ومستنكر، وقد قلنا عنه دائماً إنه غير مبرر أخلاقياً وغير منتج سياسياً.

والعنصر الجديد في المسألة الأمنية هو الخطة الأمنية. وقد قلنا دائماً يجب اغلاق الملف الأمني نهائياً، وإنهاء الصراع المسلح بصورة كاملة، وعدم السماح للتناقضات الداخلية بين القوى السياسية المسلحة، وفي داخل كل واحدة منها أن تعبر عن نفسها في صراعات مسلحة تدمر حياة المواطنين واستقرارهم. وقد ساهمنا ولا نزال نساهم في كل جهد وكل مسعى للوصول إلى هذه الغاية. وقد تحقق جانب مهم منها بالنسبة إلى بيروت والمخيمات ومحيطها، وندعو إلى أن تترسخ الخطة الأمنية، وتسد ثغراتها، وتستكمل مجالاتها.

ولكن الأمانة والمسؤولية هنا تقضيان علينا بأن نقول لجميع من يعنيهم هذا الأمر: إن إقرار الأمن، وتطبيق الخطة الأمنية، واستكمال مجالاتها لا يعني أبداً جواز تسليم سلاح المسلمين أو تجريدهم من السلاح.

إن الخطة الأمنية تعني فقط الحيلولة دون المعارك الداخلية بين أطراف الفريق الواحد في هذه المنطقة أو تلك، أو بين الفريقين المتصارعين في لبنان.

ولا تعني أبداً تجريدنا من سلاحنا أو تسليم سلاحنا. ومن هنا فإننا نقول على مستوى الحكم الشرعي الملزم: يحرم على المسلمين تسليم سلاحهم أو رمي هذا السلاح، ولا يمكن البحث في هذه المسألة إلا بعد تجريد الآخرين من سلاحهم، أو التوافق على خطة عامة لرمي السلاح تشمل الجميع، وتكون مشتملة على الضمانات اللازمة. وبدون ذلك نكرر حرمة تسليم السلاح، ووجوب مقاومة أية محاولة للتجريد من السلاح.

المسألة المعيشية، الإقتصادية: لقد بلغ الوضع الإقتصادي والمعيشي للمواطنين إلى مستوى الكارثة. ولا حاجة للإطالة في وصف الحالة لأن الجميع يعرفونها من خلال تجربتهم الشخصية. وتقع مسؤولية هذا الوضع على الحكم والحكومة ولا يهمنا أن يكون ذلك عن فشلٍ في السياسات الإقتصادية، أو عن تقصير، أو عن تآمر، فالنتيجة واحدة. ونحن لا نريد أن نطلب العون والحل من الحكم والحكومة لأنهما ليسا في هذا الصدد.

ولكننا نوجه النداء إلى الشعب من جهة، وإلى المؤسسات التنظيمية الشعبية من جهة أخرى وإلى الخبراء الإجتماعيين والإقتصاديين من جهة ثالثة.

أولاً : إن المشكلة المعيشية الإقتصادية مستمرة، ولا نأمل بحل قريب لها على مستوى النظام وسياساته، بانتظار حلول تحسن الوضع النقدي والوضع الإقتصادي ومن ثم الوضع المعيشي هو انتظار لا يرتكز على أية معطيات واقعية، ولا نرى في المستقبل القريب حلاً لهذه المسائل.

ثانياً : ونتيجة لذلك فلا بد أن يعتمد الشعب على نفسه في حل مشكلته.

ثالثاً : نطلب من خبرائنا الإجتماعيين والإقتصاديين وخبراء القرى الريفية وضع خطة متكاملة لمواجهة الكارثة المعيشية الإقتصادية بجهود الشعب نفسه وبتعاونه وتكافله الإجتماعي.

ونقترح في هذا الصدد أن يبادر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ودار الفتوى ومشيخة العقل الى انشاء هيئة عليا للتخطيط والبرمجة ووضع الإقتراحات العملية لإجراءات سريعة. ولإجراءات مستقبلية.

إن مواجهة الكارثة غير ممكنة إلا بتظافر الجهود لإقامة المجتمع التعاوني. وذلك بتظافر جهود الأفراد، مع جهود الهيئات المنظمة في المجتمع مثل الجمعيات على اختلاف أنواعها وخاصة الخيرية العامة، والخاصة بقرية أو حي، والروابط العائلية، والنوادي الرياضية وغيرها، والنقابات.

إن وضع خطة للتعاون بين هذه الهيئات كفيل بوضع أسس راسخة للمجتمع التعاوني، ولتحقيق التكافل الإجتماعي ضمن مساحة واسعة من الشعب، وكفيل بمواجهة الكارثة والتغلب عليها.

ولا بد من خدمة الفكرة من خلال الإعلام الصحفي والإذاعي والتلفزيوني، وداخل المدارس ودور العبادة ومناسبات الإجتماعات العامة الدينية وغيرها وذلك بتنمية عقلية التعاون والتكافل لدى المواطن، وجعل ذلك حالة ثقافية معاشة، لا تخضع لمفهوم الصدفة، وإنما تخضع لمفهوم الواجب بالتشاور فوراً مع الأخوين الجليلين صاحبي السماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد وشيخ العقل الشيخ محمد أبو شقرا للبدء بالسير نحو هذه الغاية.

وإلى أن ينشأ الهيكل التنظيمي الذي يتولى التخطيط والعمل نرى من الضروري الطلب من المواطنين توجيه إهتمامهم وعنايتهم نحو الأمور التالية:

أولاً : العناية بالأرض وزراعتها حتى لو كانت مساحتها عشرة أمتارمربعة فإنه يمكن استغلالها ببعض الزراعات الغذائية المفيدة . لقد أدى نمط الحياة الخاطيء الذي اعتاده الناس الى إهمال استغلال الأرض في لبنان .

ثانياً: العناية بتربية الحيوانات المنتجة للحوم من ماشية وطيور.

ثالثاً: الكف عن استعمال السلع المستوردة.

رابعاً: الكف عن استعمال مواد الترف.

خامساً : تجميع المواد الفائقة عن الحاجة لدى كل اسرة من أدوية، وكتب مدرسية ، ومواد غذائية ، وملابس وغير ذلك ـ في مؤسسات إجتماعية خيرية تعيد توزيعها مجاناً أو بأثمان زهيدة على الأسر المحتاجة .

إن الكارثة الإقتصادية المعيشية التي أصابت جميع المواطنين تحمل ملامح المؤامرة، وهي بالتأكيد نتيجة الفشل والتقصير من قبل الحكم والحكومة. وهي مهما كانت أسبابها تضغط بقوة على الإرادة السياسية وعلى المناعة السياسية، ولذا فإن من أهم وسائل المواجهة السياسية والصمود السياسي والعسكري هو التغلب على الكارثة الإقتصادية المعيشية.

لقد كان من أهداف الحسين في ثورته تحرير الناس من الظلم الإقتصادي والإجتماعي إلى جانب تحريرهم من الظلم السياسي. ولنتذكر قول الرسول المشهور «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»[1].

---

(١) كنز العمال: خ ٢٤٩٠٦.



عاشوراء
محـــطة
في رحلة الانســـان
نحـــو الانسانية والحضارة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينـا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين .

والسلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته .

دولة الرئيس، أصحاب الدولة والمعالي والسماحة والأخوة المؤمنون في هذا الحفل الحاشد الكريم، وكل مَن يتابع هذه الذكرى العظيمة والجليلة في هذا المكان المبارك والعزيز الذي احتضن هذه الذكرى منذ عشرات السنين، وفي كل مكان يُسمع فيه كلامنا في لبنان.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

إعتاد المسلمون في هذا اليوم من كل عام، أن يحتفلوا أو يتذكروا، أو يستحضروا كلٌ على طريقته الخاصة، وبأسلوبه الخاص ذكرى الحسين (ع) بكل ما احتوته وتضمنته وهدفت إليه ورمزت إليه من أهداف وغايات، يحيونها في قلوبهم، وفي عقولهم، وأتحدث عن المسلمين جميعاً، وإن كان فريقاً منهم يحتفل في هذه الذكرى بأسلوب خاص، له طابع خاص، هو طابع المأتم فأنا

(*) ألقيت بتاريخ ١٠ / محرم / ١٤٠٩هـ ٢٢آب ١٩٨٨ .

أعلم وغيري كثيرون يعلمون أن الحسين (ع) ليس حكراً على هذا الفريق الخاص، ولا على هذا الأسلوب الخاص، وسأتحدث عن هذه النقطة بعد قليل.

فكرت من أين أدخل في هذه السنة إلى هذه الذكرى ولها مداخل كثيرة، بقدر ما للناس من هموم، وبقدر ما للناس من آمال، كل قلب، كل هم، كل خوف، وكل رجاء يصلح أن يكون مدخلاً إلى هذه الذكرى ويصلح أن يكون طريقاً للقلب، وللعقل، وللروح إلى كربلاء، التي لم تغدو بقعة من الأرض في الجغرافيا، وإنما غدت في تقديرنا، ويجب أن تغدو أكثر فأكثر محطة في رحلة الإنسان نحو إنسانية أكثر، ونحو حضارة أسمى، ونحو طموح إلى الخير المطلق، أكثر حرارة، وأكثر نقاءً، وأكثر أخلاقية.

أدخل إليها من باب الغربة، الحسين (ع) كان في وطنه، كان في عالم الإسلام، الذي هو وطنه وكان في العراق الذي هو وطنه، كما كان في الحجاز الذي هو وطنه، ولكنه كان غريباً، لأن الوطن فيما نقدر أنه في أعمق مفاهيمه، وأعمق معانيه ليس أرضاً، وليس مأوىً فقط، وليس مكاناً نولد فيه، ونسكن فيه، وربما ندفن فيه، ليس أرضاً لها مناخ خاص وليس سماءً على خط عرض أو طول من خطوط العرض والطول في الكرة الأرضية، ليس هكذا فقط، الوطن بالإضافة الى هذا هو معنى، هو علاقات إنسانية بين الناس، علاقات إنسانية معافاة، وهو بالإضافة إلى هذا وذاك مضمون سياسي يحفظ الحد الأدنى إن لم يكن الأعلى، وإن لم يكن الأوسط، يحفظ الحد الأدنى من كرامة الإنسان، ومن حرية اختياره السياسي والعقائدي، وكفاية في العيش، بالإضافة إلى هذا وقبل كل شيء، وبعد كل شيء مجال لتحقيق الذات الفردية، وتحقيق الذات الجماعية، مجموع هذا هو الوطن.

حينما يفقد الإنسان في وطنه أو تفقد الجماعة في وطنها واحداً من هذه الأمور تبدأ حالة الغربة في الوطن، يكون الإنسان الفرد، أو تكون الجماعة غريبة في وطنها نفسه، ربما تشعر وهي خارج وطنها بأنها أكثر انسانية وربما أكثر كرامة، وأبهى مستقبلاً ومصيراً مما لو كانت في وطنها ذاته.

حينما تطرح على المحك مسألة الإنتماء، وإن أي الناس على هذه الأرض أكثر انتماءاً إليها، وإن أي الناس لهذا الوطن أكثر إخلاصاً له، حينما تطرح مسألة

تحقيق الذات، وإن أي الناس أكثر قدرة على تحقيق ذاته ضمن شبكة العلاقات الإنسانية والسياسية والإقتصادية في هذا الوطن، مسألة تحقيق الذات الجماعية، للجماعة السياسية أو الفكرية، أو الحضارية.

في هذا الوطن، حينما يشعر الفرد، أو تشعر الجماعة بأنها تواجه محاولة لمحو الذات، ومحو الدور، من قبل النظام، أو من قبل القوى التي تتحكم في الوطن وتتحكم في النظام، هذه الغربة التي واجهها الحسين (ع) في ذلك الحين، وواجهتها جماهير المسلمين، أو جانب كبير من جماهير المسلمين من المسلمين غير العرب، ومن أكثرية المسلمين العرب. إن في مركز الإسلام في الحجاز، أو خارج مركز الإسلام في العراق أو في الشام، أو في إيران، أو في ما وصلت إليه رايات الإسلام في ذلك الحين، بل أحس بها وعاناها جانب كبير من قريش ذاتها، الأسرة التي منها الحاكم، وواجهتها بشكل خاص وحاد نخبة المسلمين في الفكر، وفي السياسة التي كانت تحمل بصدق وإخلاص إلى حد كبير رسالة الإسلام، وهم الإسلام، هم نقائه، وهم إنتشاره، وهم تطبيقه.

نهج الحكم آنذاك كان سيلغي دور الإسلام كعقيدة وشريعة في تكوين الأمة مفسحاً في المجال أمام أفكار دخيلة، وأمام تركيبات إجتماعية لا تنسجم مع نظرة الإسلام في تكوين الأمة.

كان سيحطم الوحدة الداخلية بين المسلمين العرب وغير العرب، كان سيحول دون انتشار الإسلام بين غير العرب، كان سيشل قدرة العرب على متابعة رسالتهم في نشر الإسلام.

هذه الغربة التي عاناها الحسين (ع) بحدة، كانت نتيجة لطبيعة هذا النظام، ولأسلوب هذا النظام.

إذاً الدوافع والأسباب لم تكن عائلية، هي ليست الهاشميين ضد الأمويين، وليست شيعية، لأن الشيعة بالمعنى المذهبي المتأطر لم تكن قد وجدت بعد لا في الأسباب، ولا في الأهداف.

الأسباب كانت إسلامية عامة، وكانت إنسانية عامة، لأن دار الإسلام ليست وطن المسلمين وحدهم، وإنما هي وطن كريم لكل من يولد فيها، ولكل مَن

يسكن فيها ، وهي مكان رحب يزدهر وينمو فيه حتى غير المسلمين ، ويحقق ذاته فيها حتى غير المسلمين .

في بعدها الأبعد ، وفي عمقها الأعمق كانت إنسانية ، إيضاً من منطلق كونها اسلامية لعل فيما قد يفاجىء البعض أن يعرفوا أن الذين اشتركوا في هذه الثورة من الرجال والنساء والشبان الذكور والأناث ، الذين شاركوا فيها والذين ثبتوا مع الحسين (ع) فيها حتى بعد أن عرفوا مصيرهم ، وأنهم سيستشهدون وسيسبون ، هؤلاء لم يكونوا كلهم كما يتوهم البعض من شيعة علي بالمعنى التاريخي السياسي للتشيع ولم يكونوا من شيعة علي بالمعنى المذهبي الفقهي للتشيع ، كان فيهم عثمانيون ، وهو مصطلح تاريخي يعرفهُ الدارسون، لهم نهج سياسي آخر، ولهم ولاء سياسي في المشكلة السياسية في الإسلام آخر، ولعل فيهم من كانوا يحملون في نفوسهم بذوراً من حرب الجمل ، أو من حرب صفين ، ولكنهم مع الحسين (ع) وقفوا وقاتلوا واستشهدوا ، لأنهم كانوا يواجهون خطراً على الإسلام ، على الأمة الإسلامية ، وعلى المشروع الإسلامي ، وعلى مستقبله مما نقلهم من الهم السياسي المحدود ، الى الهم المصيري الأعظم .

إذاً هذه الثورة ، واستطراداً هذه الذكرى على مدى تاريخها منذ سنة ستين للهجرة والى يومنا هذا، هي ذكرى للمسلمين، هي ذكرى لإحدى تحركات الإسلام، وانتفاضات الإسلام من داخل ذاته لتصحيح مساره، ولتنظيف طريقه، ولجلاء صورته .

ولكن أقول هذا الكلام ، وسأظل أقوله . وقد قلت شبيهاً له في سنين ماضية ، لأقتلع الوهم الذي ربما يكون راسخاً في قلوب الشيعة ، وربما يكون راسخاً في قلوب المسلمين من غير الشيعة ، بأن هذا شأن شيعي خاص .

إن التمذهب الفقهي الذي أعطي خطأً وفي بعض الأوقات ـ إجراماً ـ بعداً سياسياً فيما بين المسلمين، أثّر على الوحدة السياسية للمسلمين .

هذا التمذهب الذي أعطي هذا البعد السياسي ، وهو ليس له أي بعد سياسي على الإطلاق في جوهر الإسلام، وفي شريعة الإسلام ، وفي عمق القرآن . جعل المسلمين الشيعة يعتبرون هذه الثورة ـ وهم مخطئون ـ خاصة بهم ، وجعل المسلمين الآخرين يعتبرونها تراثاً خاصاً بالمسلمين الشيعة ، طبعاً دون أن يفقدوا احترامهم للحسين (ع) ولخطه ولثورته ، ولكن الأخطاء في الممارسة رسخت هذا الوضع

الشاذ ، وغير الواقعي ، وغير التاريخي .

من هنا كانت ولا تزال وستبقى دعوتنا الى إعادة النظر في بعض أساليب إحياء هذه الذكرى بما يخدم مضمونها الإسلامي ، وبما يجعلها مؤسسة إسلامية .

ومن هنا دعوتنا إلى إعادة النظر على صعيد المأتم الحسيني نفسه من خلال صياغة الخطاب التاريخي ، والخطاب السياسي الذي يتضمنه الخطاب التاريخي ، ومن خلال صياغة الشعار السياسي والتاريخي والعاطفي ، وعلى صعيد الممارسة العملية التمثيلية .

ومن هنا دعوتنا الى أطروحة انشاء بنك الدم لعاشوراء الحسين (ع) كبديل عن ممارسة نحترم دوافعها ، ونقدّر أعلى التقدير العواطف النبيلة التي تبعث القائمين بها على أن يقوموا بما يقومون به .

ولكننا لا نعتبرها على الأقل وقلت مراراً ، اني لا أريد أن أدخل في باب الحرام والحلال ، في باب المشروع وغير المشروع بالنسبة الى هذه الممارسة ، وإن كان لنا رأي فقهي بالنسبة اليها يعرفه الجميع .

قلنا أن هذه الممارسة على الأقل ، لا تليق بعظمة هذه الذكرى ، ولا تليق بالمرحلة التي نجتازها منذ زمن طويل ، ومن هنا إقترحنا ونقترح ، وسنؤسس بنك الدم . . . لتعطى هذه الدماء الى من يحتاجها من المرضى والفقراء على اسم الحسين (ع) ولتنفق أثمان ما يفيض منها على إكمال علاج هؤلاء المرضى الفقراء فيما لو كان هناك فائض منها .

إذاً ندخل من باب الغربة الى هذه الذكرى وندخل من باب الغربة الى ما نحن فيه .

فنحن على هذا المنبر الكريم ، وفي هذا المأتم الكريم منذ خمسْ سنوات أعلنا المقاومة الشاملة ضد اسرائيل ، وضد فساد النظام ، هذه المقاومة التي ولدت غريبة أيضاً ، ولكنها كونت شيئاً فشيئاً مناخها الخاص .

المقاومة ضد اسرائيل لم تولد يتيمة أبداً ، ولكنها ولدت وحيدة في ذلك الحين كانت مقاومة وحيدة متوحدة في صحراء من الإحباط والهزيمة ، ثم كونت هذه المقاومة مناخها الخاص ، واشتعلت نار المقاومة في كل مكان .

فجر إعلان المقاومة والدعوة إليها روح المقاومة والتصدي الكامنة في أعماق الناس ، في ثقافتهم ، في أخلاقهم التي كانت تنتظر من يدعوها ، ويقودها .

وباشر الناس في الجنوب ، وفي البقاع الغربي وفي بيروت وحيثما كان لإسرائيل موطىء قدم إعداد أنفسهم لرفض العدو ومنعه من متابعة الإختراق بعد أن حققت بيروت في حصارها وفي إبائها ، وفي صمودها ، وفي تحملها ما لم تتحمله أي مدينة ، وكل من عايشنا وعايش بيروت في أيام حصارها يدرك هذا ، ويتأكد من أنها ضربت هذه الأمثولة العظيمة في الصمود والمقاومة .

تابعوا إعداد أنفسهم لرفض العدو . وراح الجميع يبنون سدوداً بينهم وبينها كل حسب قدرته ، واكتشف الناس أنهم باستطاعتهم أن يقولوا (لا) .

كما اكتشف الناس في كربلاء أنهم يستطيعون أن يقولوا (لا)، وكانت لاءهم قوية ، فاعلة نافذة وبدأوا بتكوين شعب مقاوم بإمكانه التصدي والصمود أمامها .

وحدها النخبة المقاومة كشفت الحسابات الخاطئة التي وقعت فيها إسرائيل ، ومن وراء اسرائيل ، ومن استدرج اسرائيل ، ومن دعاها لكي تأتي .

تصوروا كما تتصور شعوب العالم الثالث أو بعض شعوب العالم الثالث ، تصوروا أنه يوجد شعب مستسلم متهالك ، منحل ، تصوروا أنه يوجد شعب يريد أن يعيش الحياة بأي ثمن ، وأن يدفع أي فاتورة ذل لمجرد أن يسمح له بأن يعيش .

إنهم واجهوا ثقافة مقاومة لم يتوقعوها ، واجهوا شعوراً بالكرامة لم يتوقعوه ، ومن على هذا المنبر كشفنا النقاب على ما كان منها ، ودعونا اليها ، وكانت الاستجابة الرائعة ، إبتداءً من ساحة عاشوراء في النبطية في ذلك اليوم ، وفور سماع هذا النداء في أجهزة الراديو ، كانت المواجهة بين الأيدي العارية ، والأجساد العارية ، وبين آلة الحرب الصهيونية ، والكل يعرف ماذا حدث ، وكيف حدث ، ولماذا حدث هذا بالتفصيل .

هذه المقاومة ستستمر ، لأننا كما قلنا في إعلان المقاومة قبل خمس سنوات ، قلنا ونكرر القول ، نحن لا نستطيع ان نثق بأحد . لا نستطيع أن نثق بالدول العظمى ، ولا بغيرها . ولا بالأمم المتحدة ومجلس الأمن ، نحن لا نثق بأحد . وكذلك نحن لا نستطيع أن ننتظر احداً ، لأن دروس الآخرين في الحروب العربية ـ الإسرائيلية علمتنا

أن لا نثق بأحد . وأن لا ننتظر أحداً ، وأن نعتمد على الله ، وعلى البنادق المتكئة على الإيمان .

نحن لن نهزم ، ومشروعنا لن يهزم ، إرادتنا لن تهزم ، آلة الحرب الصهيونية تستطيع أن تدّمر أكثر مما تستطيع ، ولكن لن نهزم وسنظل نقول لها (لا) ولن تحصل منا إطلاقاً على أي كلمة خافتة ، أوعالية أو مموهة ، أو صريحة ، سنبقى رافعي الرأس عالياً ، وسننتصر بعون الله تعالى .

إنها سياسة المواجهة النابعة من الثورة الحسينية التي أبت الذل والإنكسار .

نعم نحن ومن موقع المسؤولية نقول مستعدون للتعاون مع مجلس الأمن ، ومع أية مؤسسة دولية موثوقة وكوننا مقاومة ولا ننتظر ليس معنى ذلك ، أننا لسنا مستعدين للتعاون .

نحن مستعدون كما كنا في الماضي ، كما كنا منذ بدء قضيتنا ، وبلائنا بالعدوان الإسرائيلي ، منذ الإحتلال الإسرائيلي لفلسطين سنة ١٩٤٨ وسنبقى مستعدين للتعاون مع القوات الدولية في الجنوب ، وفقاً لقرار الأمم المتحدة على أساس الثوابت الأربعة ، والتي من ضمنها عدم الإعتراف باسرائيل ، وعدم التعامل معها ، وهذه الثوابت أعلناها مراراً وتكراراً ، وسنبقى نُعلنها ، وكان آخرها في بلدة معركة العام الماضي .

إن المقاومة ستستمر ، ولا يمكن لأي مفاوضات أن تمنعها من الاستمرار الى أن يتحرر لبنان ، وبعد ذلك فإننا نعتبر أنفسنا جزءا من الاستراتيجية العربية الإسلامية وحتى لو وضعت استراتيجية عربية من أجل المواجهة ، فإننا ملزمون بالمشاركة كوننا جزءاً من هذا الكل .

هذه الغربة التي واجهها الإمام الحسين (ع) والتي يمكن أن تواجهها أية أمة في وطنها ، هذه الغربة هي التي واجهها المسلمون في لبنان نتيجة لنظامهم الطائفي الذي صنفهم من الدرجة الثانية ، وصنف مناطقهم من الدرجة العاشرة ، لقد كانوا يشعرون بالغربة ، ويبحثون عن وطن في وطنهم ، ويبحثون عن الطريقة التي تجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى مع سائر المواطنين اللبنانيين ، وعن الطريقة التي تجعلهم مواطنين حقيقيين وليس مجرد ملحقات .

كانوا يبحثون عن مخرج من الغربة من الوضعية التي تجعل من رئيس الوزراء ، ورئيس مجلس النواب «باشكاتب» هذه المناصب التي ظهرت قيمتها لدى النظام في مئات الإختبارات وآخرها إغتيال الشهيد رشيد كرامي الذي ذهب دمُه هدراً كشخص ، وكموقع ، وكممثل للمسلمين في النظام ، ولكن كل بحثهم عن وسيلة للخروج من الغربة ، ومن الشعور بالدونية بقي دون جدوى ، الى أنّ واجهوا سنة ١٩٧٣ إتجاهاً مريباً للنظام وللقوى الكامنة ، يتعلق بالوجود الفلسطيني في لبنان والمقاومة الفلسطينية ، إكتشفوا أنهم لن يكونوا فقط مواطنين من الدرجة الثانية وملحقات وإنما أدوات في اغتيال قضية فلسطين .

واجهوا المواقف بدهشة ، وكنا ممن عايش هذه الدهشة وكانت الشرارة التي فجرت كل مرارة للشعور بالغربة وكل مرارة للشعور بالهوان والذل .

ولدت الأزمة اللبنانية وتفاعلت عناصرها الداخلية مع العوامل الإقليمية والدولية وهذا التفاعل أدى الى تفاقم الأزمة اللبنانية على حساب طائفة معينة دفعت الثمن أكثر من مرة عن كل اللبنانيين ومن أجل وحدة لبنان ، وامتدت الى أن شملت بشرها كل لبنان ، وسعى المسلمون دائماً الى تسوية ، لا تلغي الشعور بالغربة ، بل تخفف منه ، وجربوا جميع أنواع صيغ التسوية ، ولكن الأزمة كانت تكشف دائماً عن حقيقة النظام ، وعن القوى التي تقف وراءه .

لقد كان النظام نفسُه يصر على البقاء على ما هو عليه من الفساد والرجعية ، وهو يحاول عرقلة كل تسوية يُراد من خلالها إنصاف الناس .

وكانت الطامة الكبرى حينما انكشفت الوثائق ، وتبين أن النظام والقوى التي تقف وراءه قد تواطؤوا مع اسرائيل وأمريكا لأجل غزو لبنان ، لتحطيم المقاومة الفلسطينية كهدف معلن ، لتحطيم المسلمين اللبنانيين ، ولإعادة بناء النظام اللبناني على أساس تحالف كامل مع اسرائيل فهو يعتبر المسلمين غرباء فعلاً في لبنان ، ودخلاء فعلاً على لبنان .

هذه هي الحقيقة البشعة للواقع ، وهذا هو الوجه البشع للنظام .

أمام هذا الواقع إعتبرناه غير قابل للإصلاح . وإنَّ النهج الإصلاحي لن يؤدي الا الى إعادة انتاجه الطائفي الفئوي ، الذي سيُبقي المسلمين غرباء في وطنهم ، وسيُبقي مصير المسلمين رهينة مصالح حفنة من قادة النظام وسدنته ، ويعطل كل امكانية لإنشاء

مجتمع سياسي معافى ، قائم على المواطنة لا على الإمتيازات .

ومن هنا كان قرارنا الثابت ، باعتماد مبدأ التغيير الجذري ، الإنقلاب الكامل لهذا النظام الفاسد ، وحله بما يتلائم ومصلحة جميع اللبنانيين مسلميه ومسيحييه على حد سوآء ، وإقامة نظام سياسي جديد للبنان على أساس مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى ، إنه المشروع الذي نصر عليه ، ولا نحيد عنه ، ونعمل له ومن أجله ، ونطلب من جميع فئات المعارضة المسيحية والإسلامية أن تتخلى عن النهج الإصلاحي الذي يعيد إنتاج هذا النظام من جديد ، وأن تأخذ بمشروعنا ، ونتوجه بالطلب الى جبهة التحرير والتوحيد ، وإلى حركة أمل وحزب الله . وجميع الإصلاحيين من المسيحيين اللبنانيين .

ونقول للمسيحيين المتشبثين بهذا النظام شكلاً وروحاً ، وان كانوا يلوحون بإصلاح شكلي إنكم بهذا الموقف أوذاك تغامرون بمصير لبنان وبمصير شعب لبنان ، وخصوصاً بمصير المسيحيين فيه ، ونحن حريصون والله أعلم على المواطنين المسيحيين أكثر من حرص بعض من يدّعي الحرص عليهم ، ويتحدث عن المجتمع المسيحي .

نحن لم نتحدث بعد عن المجتمع الإسلامي اللبناني ، نحن لا نزال نتحدث عن جماعة المسلمين اللبنانيين التي تريد أن تتكامل مع جماعة المسيحيين اللبنانيين لبقاء لبنان للجميع دون استثناء .

إن الواقع المحلي والإقليمي والدولي يجعلنا نعتقد - ونرجو من الله أن نكون مخطئين - إن الأزمة السياسية طويلة الى أمد غير معين .

وكما يعلم الجميع ، إن هذه الأزمة بتفاعلاتها ، وبمواقف الحكم وإسرائيل الداعمة للنظام ، وتفكك الحكومة وأخطاء المعارضة الإسلامية ، كل ذلك قد ولد أزمة جديدة هي أزمة المجتمع ، وقد حذرنا في أكثر من مرة ، أن هذه المخاطر التي تحدثت عنها السنة الماضية في مسجد الامام الحسين (ع) في برج البراجنة ، وتطرقت اليها بالتفصيل ، وأطلقنا أول تحذير من تولد أزمة المجتمع في رحم الأزمة السياسية وأزمات عديدة بدأت تتولد نتيجة للعنف السياسي تارة ، ونتيجة للتدخلات الداعمة للنظام تارة اخرى ، ولم يصغ أحداً لصوتنا ولا لتحذيرنا ، وبدأت تنمو الأزمات وتتلاحق حتى كادت تشكل ، أو تؤدي الى انهيار لبنان كل لبنان بجميع مؤسساته وفئاته .

ولا أريد أن أقلل من شأن الحكومة ، أو من شأن مجلس النواب في التصدي لهذه الأزمة ، وأعتقد أن المسؤولية تقع على عاتقهما معاً الى جانب مسؤولية الحكم المسؤول الأول عن الفوضى في البلاد ولأنه يرفض إعطاء اللبنانيين حقوقهم ، إلى جانب رفضه العلني ، لتحقيق العدالة ، والمساواة بين المواطنين .

هذه الأزمة مستمرة ، ولقد بلغت ذروتها ، وستبقى الى أمد طويل نرجو أن نكون مخطئين في تقديره ، ومن هنا فإنني أقول بأن ربط أزمة المجتمع بالأزمة السياسية . قد لا يؤدي الى حل الأزمتين ، وقد يؤدي ذلك الى تدمير الوطن بكل ما فيه ، وإن الواجب الذي يدعونا جميعاً الى المحافظة على لبنان هو التفكيك ولو جزئياً بين الأزمتين لأن ذلك يؤدي بالطبع الى حل ازمة المجتمع .

إن هذه الحرب الأهلية كان يعبر فيها السلاح ولا زال عن الآراء والمواقف ، ولقد سبب هذا الأسلوب دماراً للبلاد ، واستفحالاً للأزمات ولم يؤد ذلك ولن يؤدي الى أي حل من شأنه أن يخفف عن كاهل المواطن بعض الأعباء التي أرهقتهُ .

نحن في هذه الأيام تقدمنا باقتراح ذكرناه وهو تأليف لجنة تتولى مهمة الإشراف على الوضع الإقتصادي والنقدي ، وقلنا أنها لُجنة طوارىء لا تتنافى مع نظرة الخائفين والمتمسكين بمقولة النظام الإقتصادي الحر .

وقلنا أن انحلال المؤسسات وانعدام الثقة يؤدي الى كوارث اجتماعية ، وقلنا أيضاً ، يمكن للجهات المختصة في الجامعة العربية أن تموّل مشتريات لبنان من القمح والمحروقات ، من بلد المنشأ . دون أن يمر التحويل عبر أي جهاز لبناني ، ورفضنا رفع الدعم عن الطحين بالغاً ما بلغت الخسائر ، ولكننا نؤيد رفع الدعم عن البنزين شرط أن يترافق مع تقديمات إجتماعية للمواطنين ، وهناك وجهات نظر يتكلم حولها أهل الإختصاص ونحن نؤيد ذلك مع اشتراط ابقاء الدعم على المحروقات التي تستهلك في المجتمع كالنقل العام ، والأفران ، والكهرباء ، مقابل الأموال التي تتوّفر منه تنفق في التقديمات الإجتماعية في باب التعليم ، والصحة والرعاية . . ولقد ذكر رئيس مجلس الوزراء مشروعاً تقدم به إلى بعض الجهات العربية

كما نؤيد في مواجهة أزمة المجتمع الدعوة الى الإجتماع الوزاري . ونحمل كل وزير يتخلف عن الحضور مسؤولية هذا التخلف ، ونطلب من جميع الوزراء أن يلبوا

الدعوة، فإننا نأمل من الجميع أن لا يدخروا جهداً إلا ويبذلوه في سبيل التخفيف عن المواطنين .

كما وإننا ندعو الى إعادة الإعتبار الى مقررات اللقاء الوزاري الذي عقد في عهدة رئيس مجلس النواب التي حالت ظروف عديدة دون تنفيذها ، ولا نستطيع أبداً بعد أن بلغ هذا الوحش المفترس الذي هو- أزمة المجتمع -ما بلغهُ من استشراء وامتداد وضغط على كل بيت في لبنان تقبل أي عذر .

لم يعد بإمكاننا تقبل أي عذر وليكن الإجتماع الوزاري المرتقب وسيلة من وسائل وآلية من آليات إعادة الإعتبار الى هذه المقررات .

ونأمل من رئيس مجلس الوزراء ، ومن رئيس مجلس النواب الاستمرار في العمل نيابياً وسياسياً وعلى أكثر من صعيد للوصول الى حلول ولو جزئية لأزمة المجتمع ، ونحن من جانبنا وبالتعاون معهما ومع الجميع ، سنعمل مع جميع الجهات وخاصة مع اللقاء الإسلامي الموسّع الذي نعمل لعقده بأقرب وقت ممكن ، وبالتعاون مع الأخ سماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد ونأمل من الجميع أن يساعدوننا بكل إمكانياتهم لتحقيق بعض الإنفراجات على الصعيد العام . وبأقرب فرصة إن شاء الله ، وسأتحدث مع « البطريرك صفير » الذي يُمثل قيمة أساسية للتوجه السليم في هذه المرحلة في المحافظة على لبنان ، سنتحدثُ مع حضرته في كل ما يمكن أن يأتي بالخير وبالسلام وبالبركة على الجميع .

نحن نتعاون مع الجميع للتخفيف عن المواطن ، نتعاون مع كل الأطر التي تتعاطى مع أزمة المجتمع ، وفي النهاية أقول :

إن اللبنانيين مدعوون ليجعلوا من لبنان وطنهم جميعاً إنهم مدعوون الى أن يعيدوا تكوين لبنان على اساس العمل من أجل المواطنة ، ومن أجل انشاء مجتمع سليم معافى ليس له أي ركيزة طائفية .

أسأل الله سبحانه وتعالى : أن يُرينا الحق حقاً فنتبعُه حتى ولو كان مخالفاً لمصالحنا الخاصة ، والباطل باطلاً فنجتنبه حتى ولو كان موافقاً لمصالحنا الخاصة ، وأن يوفقنا لإحياء مجالس عاشوراء في كل مكان .

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



محتويات الكتاب



الموضوع .... الصفحة

الموضوع	الصفحة



١٩٩١ / ٩ / ٤٠٠







